

مناهج المفسرين في بيان آيات الكون

الدكتور

عبد الواحد بكر إبراهيم آل عابد

عضو هيئة التدريس بجامعة الطائف

قسم الدراسات

١٤٣٢هـ

ح عبد الواحد بن بكر ابراهيم آل عابد ، ١٤٣١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عابد ، عبد الواحد بن بكر ابراهيم

مناهج المفسرين في بيان آيات الكون .

عبد الواحد بن بكر ابراهيم آل عابد . - الطائف ، ١٤٣١ هـ

.. ص : .. سم

ردمك : ٧ - ٤٦٨٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- القرآن - التفسير العلمي ٢- القرآن والعلم ٣- الكون

أ. العنوان

ديوي ٢٢٧,٦٥ ١٤٣١/٢٤٢٢

رقم الإيداع : ١٤٣١/٢٤٢٢ ردمك : ٧ - ٤٦٨٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

رقم الإيداع : ١٤٣١/٢٤٢٢

ردمك : ٧ - ٤٦٨٦ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

للنشر
والتوزيع

دار الطرفین

الطائف - وادي وج - جنوب جسر خالد بن الوليد

جوال : ٠٥٠٥٧٠٤٨٠٨ - ٠٥٠٣٥١٢٤٩٩

www.tarafen.com

tarafen@maktoob.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله والصلاة والسلام على إمام المتقين ...

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا ءَامِنَا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ ؕ وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٩-١٠]

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَةٍ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٨﴾ أَقْلَ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٩﴾ أَقْلَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ؕ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١١٠]

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٧].

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٢٩]. [الفتح: ٢٩].

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [٧] ﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٨] [الحجرات: ٧-٨].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجْرِيفٍ يُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [١٠] ﴿ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١١] ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١٢] ﴿ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٣] [الصف: ١٠-١٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

أ - الحمد لله رب العالمين ، حمداً يليق بجلال وجهه وجماله وكماله ، كما يحب ربنا ويرضى ، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين .

بحول الله تعالى وقوته أعتصم ، وبعونه وفضله وإحسانه أفتتح وأختتم ، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم ، عليه توكلت وإليه أنيب ... وبعد :

الحمد لله تعالى الذي أنزل القرآن نوراً يستضيء به المتقون ، وعلى منهجه وهداه يسير المحسنون ، قال الله تعالى : ﴿أَوْفَنَ كَان مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[الأنعام : ١٢٢] وقال الله تعالى : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي

أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧]

وقال جل وعلا : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وإن محاسن أنوار القرآن لا تراها إلا بصائر جليلة ، ومنافع شفافه لا تناها إلا النفوس التقية ، وأطايب ثمره لا تقطفها إلا الأيدي الزكية . صدق الله تعالى إذ يقول : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٧-٧٩] .

السعيد من صرف همه وهيمته إلى كتاب الله تعالى قرأه بعينه ، وسمعه بأذنيه ، ووعاه بقلبه ، حتى فهم خطاب المتكلم ولا يكون ذلك إلا لمن عامل الله تعالى بتقواه في السر والعلن .

وهنيئاً لمن طلبه حجة له فكحل عينيه بقراءته ، ثم أمسى وأصبح يتغنى بترتيل القرآن الكريم فأبصر بقلبه حقائق أنواره وأسراره فأناجى وعبد الله تعالى حتى أتاه اليقين .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وآل بيته الطيبين الطاهرين ، ومن اتبع منهجهم بإحسان إلى يوم الدين .

ب - أسباب اختيار موضوع البحث :

بعد العزم على مواصلة دراستي العليا في العلوم الإسلامية ، ومن خلال تدريسي لمادة التفسير وعلوم القرآن الكريم . رأيت أن يكون موضوع البحث في (آيات الكون) لأسباب كثيرة منها :

- ١ - حديث القرآن الكريم عن خلق الكون ، ونظامه وتكرار هذا الحديث عنه .
 - ٢ - للتفسير العلمي صلة وثقى بإعجاز القرآن ، وخاصة في الوقت المعاصر .
 - ٣ - أهمية بيان القول الفصل في قبول التفسير العلمي أو رفضه .
 - ٤ - إبراز الجانب العلمي في كتب التفسير المعاصرة ، وبيان مناهج المفسرين فيها .
 - ٥ - المساهمة في إثراء الفكر الإسلامي بوضع لبنة صالحة في بناء صرح العلوم الإسلامية الشامخ . ولعل هذا الموضوع لم يتطرق إليه أحد من الباحثين كموضوع في رسالة علمية (أكاديمية) فيما أعلم وقت إعداد الرسالة .
- وكان موضوع الأطروحة بالعنوان التالي : (مناهج المفسرين في بيان آيات الكون من خلال السور المكية) . وعدل عنوان الرسالة إلى : (مناهج المفسرين في بيان آيات الكون) .
- فشرح الله تعالى صدري لموضوع الرسالة بهذا العنوان .. والله تعالى ولي التوفيق .

ج - أهمية موضوع البحث :

يكتسب هذا البحث أهميته من حيث أنه يتعلق بمقاصد القرآن الكريم في تدبر آيات القرآن الكريم وخاصة الآيات التي تدعو إلى التأمل والتفكر في خلق السماوات والأرض وما بينهما : ومثاله : قوله تعالى : ﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١١٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿ [آل عمران : ١٩٠-١٩١] .

وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِآلْحَقٍّ وَأَجَلٍ مُّسَيَّءٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم : ٨] .

د - خطة البحث :

لقد قسمت موضوع هذا البحث إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : التفسير العلمي لآيات الكون .

ويندرج تحته فصلان :

الفصل الأول : يندرج تحته ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني : يندرج تحته ثلاثة مباحث .

الباب الثاني : مناهج المفسرين في آيات الكون .

ويندرج تحته فصلان :

الفصل الأول : يندرج تحته أربعة مباحث .

الفصل الثاني : يندرج تحته ثلاثة مباحث .

الباب الثالث : مناهج المفسرين في بيان المدخرات الطبيعية وظواهرها .

ويندرج تحته فصلان :

الفصل الأول : يندرج تحته ثلاثة مباحث .

الفصل الثاني : يندرج تحته أربعة مباحث.

وتظهر الخطة وتتضح من خلال التفصيل التالي :

الباب الأول : التفسير العلمي لآيات الكون .

الفصل الأول : التفسير العلمي بين المعارضين والمؤيدين :

المبحث الأول : أدلة المعارضين .

المبحث الثاني : أدلة المؤيدين .

المبحث الثالث : ضوابط قبول التفسير العلمي .

الفصل الثاني : دعوة القرآن إلى العلم والإيمان :

المبحث الأول : فضل العلم والعلماء .

المبحث الثاني : مقاصد القرآن الكريم من خلال آيات الكون .

المبحث الثالث : خصائص منهج القرآن الكريم ومقاصده من خلال آيات الكون .

الباب الثاني : مناهج المفسرين في آيات الكون :

الفصل الأول : السماء وما فيها .

المبحث الأول : السماء .

المبحث الثاني : الشمس .

المبحث الثالث : القمر .

المبحث الرابع : النجوم والكواكب .

الفصل الثاني : ما بين السماء والأرض .

المبحث الأول : الرياح .

المبحث الثاني : السحاب وماء المطر .

المبحث الثالث : البرق والرعد والصواعق والبرد .

الباب الثالث : مناهج المفسرين في بيان المدخرات الطبيعية وظواهرها.

الفصل الأول : المدخرات الطبيعية :

المبحث الأول : الأرض .

المبحث الثاني : الجبال .

المبحث الثالث : البحار والأنهار .

الفصل الثاني : من الظواهر الطبيعية :

المبحث الأول : الليل والنهار .

المبحث الثاني : الدواب والطيور .

المبحث الثالث : النبات والحرث .

المبحث الرابع : الزلازل والبراكين .

هـ - المنهج في البحث :

اتبعت في بيان المنهج النقاط الآتية :

- ١ - بيان معالم المنهج الصحيح في التفسير العلمي لآيات الكون .
- ٢ - توضيح الناحية العلمية في مناهج المفسرين وبيانهم لمقاصد القرآن من خلال تفسيرهم لآيات الكون .
- ٣ - اخترت سبعة من المفسرين ابتداء من تفسير القاسمي المسمى : (محاسن التأويل) وانتهاء بتفسير الدكتور وهبة الزحيلي (التفسير المنير) حيث إنّ هؤلاء المفسرين يمثلون الحلقة الأخيرة للتفسير المعاصر وقت اعداد الرسالة .
- ٤ - ذكرت بعض الآيات الكريمة التي تتعلق بموضوع البحث واكتفيت بالإشارة لأخرى .
- ٥ - التمهيد لكل مبحث من منظور علمي معاصر وكذلك التمهيد للنصوص .
- ٦ - في كل مبحث اخترت آية واحدة عرضت فيها أقوال المفسرين وذكرت أقوال غيرهم لتتم الفائدة .
- ٧ - الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتعلق بموضوع البحث مع تخرجها من مظانها .
- ٨ - بينت منهج المفسرين في كل مبحث ، مع التعليق على أقوال المفسرين وغيرهم وإعطاء النتيجة .
- ٩ - ذكرت الآيات الكونية في آخر كل مبحث لتتم الفائدة^(١) .

(١) أصل هذا البحث رسالة دكتوراه ، نوقشت الرسالة بتاريخ ١٩/١١/١٤٢١هـ _ ١٧/١٠/٢٠٠١م في جامعة

الزيتونة - تونس: المعهد الأعلى لأصول الدين (بتقدير مشرف = جيداً) .

شكر وتقدير

أذكر فضل والديّ الحبيبين العزيزين

اللذين كانا حريصين على توجيهي بدراسة علوم الشريعة ولم يألوا جهداً في تهيئة طريق العلم والمعرفة لي، وأخص بالذكر والدي رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته اللهم آمين يا رب العالمين، كما أتقدم بالشكر لكل من ساعدني وقدم لي خدمة في الرسالة، وعلى وجه الخصوص زوجتي العزيزة جميلة محمد سعيد كمال وفقها الله لكل خير وبر وطاعة لله تعالى، وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى القبول وأن ينتفع بهذا البحث جميع طلبة العلم إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي ۖ إِنَّي بِنُصْرَتِكَ إِلَيْكَ وَلِيٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٥-١٦].

قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثَوْا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ ۖ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩﴾ [التغابن: ٧-٩].

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وآل بيته الطيبين الطاهرين اللهم احشرونا في زمرةهم وأكرمنا بكرامتهم وأرزقنا صحبتهم ومرافقتهم في الجنة آمين يا رب العالمين .

الباب الأول

التفسير العلمي لآيات الكون

الفصل الأول : التفسير العلمي بين المعارضين والمؤيدين

المبحث الأول : أدلة المعارضين .

المبحث الثاني : أدلة المؤيدين .

المبحث الثالث : ضوابط قبول التفسير العلمي .

الفصل الثاني : دعوة القرآن إلى العلم والإيمان

المبحث الأول : فضل العلم والعلماء .

المبحث الثاني : مقاصد القرآن من خلال آيات الكون .

المبحث الثالث : خصائص منهج القرآن ومقاصده من خلال آيات الكون .

تمهيد

الحمد لله تعالى والشكر له على تسخير الكون للإنسان لكي يؤدي الخلافة على وجهها ، ولقد حث الله سبحانه وتعالى الإنسان على التدبر والتأمل في نظام الكون وسننه ، وحديث القرآن الكريم عن آيات الكون للاستدلال على عظمة الله تعالى وكمال قدرته وبديع صنعه الدال على مشيئته وإرادته النافذة في ملكه الواسع ، المقدر لشئون خلقه ^(١) وحده سبحانه وتعالى النافع الضار .

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] .

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَنَاءِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الاسراء: ٧٠] .

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ (٤١) ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٤٢) ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٤٣) ﴿يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُونَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (٤٤) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦) ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٧) [الأحزاب: ٤١-٤٧] .

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٦) ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧) ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٨) ﴿وَقِهِمْ

(١) (.. كتب الله مقادير الخلائق ...) الحديث ، صحيح مسلم (٤٦) ، كتاب القدر (٢) ، باب حجاج آدم

وموسى عليها السلام (٤/ ٢٠٤٢) رقم الحديث (١٦- ٢٦٥٣) ، شرح النووي على صحيح مسلم

(١٦/ ٢٠٣) .

والإرادة (٢ / ٢٠١)

وتكرار الحديث عن آيات الكون فيه توجيه للعقل وتحريك للوجدان وإيقاظ للحواس من التبلد فتستشعر القلوب عظمة الخالق (المنعم) ^(١) الذي بيده أسباب السعادة والهداية سبحانه وتعالى، ومن واجب العلماء بيان أوجه الإعجاز العلمي من خلال البحث والنظر والتعمق في دراسة العلوم الكونية، وبذلك تنكشف بعض خفايا أسرار الكون، كما تستثمر نواميس الكون في راحة البشرية ورفاهيتها وذلك منهج القرآن في هداية البشرية إلى سعادة الدنيا والآخرة، وخاصة في عصر ارتياد الفضاء، إذ لا عداوة بين العلم والدين كما يزعم أعداء الإسلام.

المعنى العام والخاص للفظ الآية والآيات الكونية في القرآن الكريم ومعنى الكون :

الآية في اللغة : العلامة . وقد يقال الآية ويراد بها : جماعة حروف من القرآن ، تُمَّ خَصَّت في الاصطلاح : بأنها طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن ^(٢) .

قال ابن قتيبة ^(٣) : الآية : جماعة حروف ، وقد حكى عن الشيباني ^(٤) أنه قال خرج القوم بأيّتهم ، أي : بجماعتهم .. ويقال آية وآي ، وآيات .

وذكر بعض المفسرين أن (الآية) في القرآن على ستة أوجه (من المعاني) .

الوجه الأوّل : الجزء المحدود من القرآن المسمى آية ومنه قوله تعالى في سورة البقرة :

(١) قال رسول الله ﷺ : « ألم تروا إلى ما قال ربكم قال ما أنعمت على عبادي من نعمة ... » الحديث،

صحيح مسلم (١)، كتاب الإيمان (٣٢)، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (١/ ٨٢) رقم الحديث

(١٢٦-٧٢)، شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٦٠) .

(٢) الزرقاني : محمّد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن : ١/ ٣٣٢ .

(٣) ابن قتيبة : أبو محمّد عبد الله بن مسلم ، تفسير غريب القرآن (ص ٣٤) .

(٤) إسحاق بن مرام الشيباني بالولاء ، أبو عمر ، لغوي أديب سكن بغداد ومات فيها . خير الدين

الزركلي ، الأعلام (١/ ٢٩٦) .

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [الآية : ١٠٦] .

الوجه الثاني : الأمر والنهي . ومنه قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ﴾ [الآية : ٢١٩] .

الوجه الثالث : العبرة . ومنه قوله تعالى في سورة النحل :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الآية : ٧٩] .

الوجه الرابع : الكتاب . ومنه قوله في سورة المؤمنين : ﴿ فَذَكَرَتْ آيَاتِي تُثَلِّ عَلَيْكُمْ ﴾ [الآية : ٦٦] .

الوجه الخامس المعجزة . ومنه قوله تعالى في سورة القصص :

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ [الآية : ٣٦] .

الوجه السادس : العلامة . ومنه قوله تعالى في سورة الروم :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الآية : ٢٠] ^(١) .

وآيات الكون : هي السماوات والأرض والشمس والقمر والليل والنهار ... وهي تزيد على (سبعمائة وخمسين آية) ^(٢) وهي موضوع الرسالة .

المعنى العام لآيات القرآن وآيات الكون :

(...) وعموما ، فالآيات القرآنية هي الوحي المنزل على خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ ، وهي علامات دالة على صدق رسالته وبما تنطوي عليه من آيات الإعجاز .

والمعنى العام للآيات الكونية : هي الكائنات المخلوقة في الآفاق ،

(١) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص ١٥٤)

(٢) طنطاوي جوهرى، الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣/١). وذكر البعض بأنها تصل إلى ألف آية

علويها وسفليها، أرضها وسماؤها، وهي علامات دالة على وجود الله تعالى وقدرته وعظمته وحكمته، وذلك بما تنطوي عليه من عجائب التكوين وروعة الخلق وإحكام النظام، والإفاضة عليها مما به سر بقائها ونظامها.

والآيات التي وردت في القرآن الكريم حول هذه المعاني وغيرها جاءت مصحوبة بلفظ (آية)، و(آيات) تارة، وجاءت تارة أخرى غير مصحوبة بلفظ (آية) اكتفاء بأن القرآن ساقها في بعض المواضع مصحوبة بلفظ (آية) كقول الله تعالى في (آية) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلَيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧]، فذكر الشمس والقمر على أنهما من آيات الله الكونية، وفي آية أخرى لم يذكر معها لفظ (آية)، بل قال: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] (...)^(١).

وذكر في القرآن الكريم لفظ (آية) (٨٤) مرة، وذكر لفظ (آيات) (١٤٨) مرة، وذكر لفظ (آياتنا) (٩٢) مرة، وذكر لفظ (آياته) (٢٣٧) مرة، وذكر لفظ (آياتي) (١٤) مرة^(٢)(٣).

ولما كان الموضوع يختص بعرض أقوال المفسرين في الآيات الكونية من خلال ما ورد في السور والآيات الكونية، أشير إلى السور المكية وخصائص السور المدنية^(٤).

(١) د. كرم السيد غنيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق (ص ٥٨)، مستفيدا

من د/ محمد محمد خليفة، مع آيات الله في كتاب الله، مكتبة النهضة المصرية، ط ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ١٠٣-١٠٨).

(٣) البحث هنا يتعلق بكشف الحقائق والنظريات العلمية لآيات القرآن الكونية على وجه يظهر صدق القرآن وإعجازه.

(٤) انظر: خصائص السور المكية في المبحث الثاني: بعض مقاصد القرآن من خلال آيات الكون المكية (ص ٨٦) من الرسالة.

ويمكن تعريف السورة اصطلاحًا : بأنها طائفة مستقلة من آيات القرآن ، ذات مطلع ومقطع ^(١).

السور المكية والمدنية :

(إذا كثرت الآيات المكية في السورة ، فهي سورة مكية بأغلبية آياتها ، والرأي القوي في التفريق بين المكي والمدني :

المكي : ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة .

والمدني : ما نزل بالمدينة وإن كان بغير المدينة

والسور المكية المتفق عليها اثنتان وثمانون سورة وهي :

- الأنعام - الأعراف - يونس - هود - يوسف - إبراهيم - الحجر - النحل - الإسراء -
- الكهف - مريم - طه - الأنبياء - المؤمنون - الفرقان ، الشعراء - النمل - القصص -
- العنكبوت - الروم - لقمان - السجدة - سبأ - فاطر - يس - الصافات - سورة ص -
- الزمر - غافر - فصلت - الشورى - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف - سورة ق -
- الذاريات - الطور - النجم - القمر - الواقعة - الملك - القلم - الحاقة - المعارج - نوح -
- الجن - المزمل - المدثر - القيامة - المرسلات - النبأ - النازعات - عبس - التكويد -
- الانفطار - الانشقاق - البروج - الطارق - الأعلى - الغاشية - الفجر - البلد - الشمس -
- الليل - الضحى - الشرح - التين - العلق - القدر - العاديات - القارعة - التكاثر -
- العصر - الهمزة - الفيل - قریش - الماعون - الكوثر - الكافرون - المسد .

(١) الزرقاني : محمد عبدالعظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن : ١ / ٣٤٣ .

وأقرب الأقوال إلى الصحة أن المدني عشرون سورة :

البقرة - آل عمران - النساء ، المائدة - الأنفال - التوبة - النور - الأحزاب - محمد -
الفتح - الحجرات - الحديد - المجادلة - الحشر - الممتحنة - الجمعة - المنافقون - الطلاق -
التحریم - النصر .

والسور المختلف فيها اثنتا عشرة وهي :

الفاتحة - الرعد - الرحمن - الصف - التغابن - التطفیف - القدر - البينة - الزلزلة -
الإخلاص - الفلق - الناس^(١) .

وفي فهرس أسماء سور القرآن في المصحف الشريف ، طباعة مجمع خادِم الحرمين
الملك فهد بن عبد العزيز بالمدينة المنورة : ذكرت سورة : الفاتحة - المطففين - القدر -
الإخلاص - الفلق - الناس - من السور المكية ، فتصبح السور المكية ثمان وثمانين
سورة ، والسور المدنية ستاً وعشرين سورة .

ولا يمنع عندي الاستشهاد بالآية أو الآيات المدنية طالما لها صلة وعلاقة بموضوع
الآيات الكونية والتي هي من خصائص السور والآيات المكية . (وخصائص السور
والآيات المدنية أنها تبين حال المجتمع المدني وقت الهجرة ، كما تعرضت لبيان
التشريعات وتفصيل الأحكام العملية في العبادات والمعاملات مع بيان قواعد الجهاد
والأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات والصلح والمعاهدات)^(٢) .

(١) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن (ص ٥٥) .

(٢) عطاء بن أبي رباح وجهوده في التفسير ، موضوع رسالة الماجستير للمؤلف (ص ٢١٠) .

معنى الكون العام وفي الاصطلاح :

الكون بالمعنى العام هو كل شيء خلقه الله تعالى ومنه خلق السموات والأرض وما بينهما كما (يشمل عالم الغيب^(١) والشهادة الذي يمكن للإنسان أن يشهد بأية حاسة من حواسه مستعينا في ذلك بأحدث سبله وأضخم مخترعاته البحثية والكشفية ...) إذ كل ما يدور بخلد المرء من موجودات ومخلوقات في الهواء وفي الماء وفي الأرض أو في التربة وما رؤي بمجرد النظر وما يستخدم في رؤيته أدق المجاهر وأعقد المناظير ، وما حدده الإنسان وما حار في تحديده ، وما لم يصل إلى التعرف عليه حتى الآن ... كل هذا يشمل الكون الذي تكلم عنه القرآن الكريم وحث على التفكير فيه ، ودستور الكون هو قوانينه الطبيعية أي قوانين الفطرة التي تعبر عن النظام والإبداع في كل مظاهر الكون من مادة أو طاقة^(٢) .

و((الْكُونُ) الْحَدَثُ كَالْكَيْنُونَةِ ، وَالْكَائِنَةُ الْحَادِثَةُ وَكَوْنَهُ أَحْدَثَهُ وَاللَّهُ الْأَشْيَاءُ أَوْجَدَهَا)^(٣) .

قال البخاري في كتابه الصحيح : (ما جاء في تخلق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره ، فالرب بصفاته وفعله وأمره وهو الخالق المكوّن غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكوّن)^(٤) .

(١) ولا علم لنا بحقيقة هذا العالم إلا بما ثبت عن طريق الوحي الإلهي (الذي هو أعلى نطاقاً من العقل) بمفهومه المحدد عن طريق الأنبياء والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء .

(٢) د. كارم السيد غنيم ، الإشارات العلمية في القرآن بين الدراسة والتطبيق (ص ٢٢٦) .

(٣) الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، باب النون ، فصل الكاف (٤ / ٢٦٤) .

(٤) صحيح البخاري (٩٧) ، كتاب التوحيد (٢٧) ، باب ما جاء في تخلق السموات والأرض

و(تحديد اصطلاح) (الكون) من القرآن ومعانيه عند مفكري الإسلام ... أن (الكون) هو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود - صفة الله تعالى ، وهو تكوينه للعالم ، ولكل جزء من أجزائه لوقت وجوده على حسب علمه واردة ... وأمر التكوين ومادته مشار إليه في قوله تعالى : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٤٧] ... ^(١) .

ولقد أوكل الله سبحانه وتعالى ملائكة تدبر أمر الكون بإذنه وهو قول جمهور المفسرين ^(٢) في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَلْمَدَّتْ أَمْرًا ﴾ [النازعات : ٥] .

وأصل الحديث عن الكون والتفكير في نظامه موضوع قديم ، منذ نشأة الحياة الإنسانية حيث أطلق العقل التفكير في خلق الكون والتعرف على مظاهره وأسرار نظامه وقد أكد القرآن الكريم على هذا المطلب .

ويرجع دخول العلوم الكونية في كتب التفسير إلى تطور العلوم واتساع حركة الترجمة التي نقلت كثيرا من العلوم والمعارف الإنسانية إلى العلوم الإسلامية ^(٣) وخاصة في (عهد النهضة العلمية العباسية ، وإلى يومنا هذا) ^(٤) .

ومن الناحية العلمية تحدث الباحثون عن آيات الكون وأفردوها بالتصنيف مثل التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ، حنفي أحمد ، وتفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ، عبد المنعم عشري ، وتفسير الآيات الكونية ، د. عبد الله شحاتة ، والمنهج الإيماني للدراسات الكونية ، د. عبد العليم خضر ، ولقد تعرض لمنهجهم في التفسير

(١) د. عبد العليم خضر ، الإنسان في الكون بين القرآن والعلم ، هامش (ص ١٦٨) .

(٢) الماوردي : أبو الحسن علي بن حبيب ، النكت والعيون تفسير الماوردي (٤ / ٣٩١) ، الشوكاني : محمد بن علي ، فتح القدير (٥ / ٣٧٢ - ٣٧٣) .

(٣) الزرقاني : محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن (١ / ٥٦٥) بتصرف .

(٤) د. محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون (٢ / ٤٦٣) .

وغيرهم الدكتور كارم السيد غنيم في كتابه : الإشارات العلمية في القرآن بين الدراسة والتطبيق ^(١) .

العصر العلمي :

نعيش اليوم عصر التقدم العلمي على اختلاف تخصصاته وفروعه ، ونواكب قفزة البشرية في مجال العلم المادي بصنوفه وآلاته ، وتنوع وسائله ومخترعاته ، في عصر بلغ فيه الإنسان مبلغاً لم تحده فيه جاذبية الأرض التي درج عليها ، بل وظَّف ما سَخَّره الله له لينطلق إلى أطباق الفضاء ، ولينفذ من أقطار الأرض إلى عوالم أخرى ويمخر بآلاته عباب الكون الفسيح إلى كواكب ومجرات تبعد عنه مسافات شاسعة قد لا يتصورها العقل ^(٢) .

أجهزة العصر :

بتطور العلم والمعرفة واستخدام وسائل التقنيات الحديثة المطورة في المشاهدة وباستخلاص النتائج قد تنكشف بعض عناصر الكون ويظهر جانب من جوانب أسرار الكون وخباياه للإنسان الباحث عن الحقيقة . فيطلع الإنسان على تفسيرات علمية أدق وأوسع مدلولاً لآيات القرآن الكريم .

وعلى الرغم من النقلة الفكرية النوعية الهائلة التي تحققت في مختلف العلوم الطبيعية والتكنولوجية الإنسانية المعاصرة ، وما أنجزه الإنسان من تقدم هائل في مجال اكتشاف القوانين التي تتعلق بالسرعة والزمن والمسافة والكثافة والضوء والصوت والنسبية والاحتراق وتفتت الذرة ، فإن الإنسان كان ولا زال جهولاً ^(٣) . لذلك فقد حجب

(١) (ص ٢٥٥) .

(٢) إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، حقائق علمية في القرآن والسنة بهرت العالم (ص ١) .

(٣) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (١ / ٤٢ - ٤٤) بتصرف .

الكثيرون بعلومهم المادية عن الخالق جلّ وعلا وذلك نتيجة غرورهم بما اكتشفوا من الحقائق الكونية ، رغم أنها قليلة جداً بالنسبة لما مجهولونه عن هذا الكون وموجوداته .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

لقد كانت بالفعل قفزة هائلة للبشرية في مجال العلوم الكونية والمادية ، ولكن مع ذلك ازدادت النزعة العلمانية التي أفرزتها هذه الطفرة العلمية وخرجت بدعوى الفصل بين العلم والدين !^(١)

ولقد ثبت زيف تلك الادعاءات وخطأ تلك الشعارات بعد أن اكتشف العلماء في هذا العصر بمختلف تخصصاتهم - أن العلم طريق يوصل السالك فيه إلى الإيمان بالله تعالى عن طريق البراهين والآيات المشاهدة في الآفاق والأنفس . بل إن معجزة القرآن المتجددة عبر الأزمان تجلت بوضوح لكثير من الحقائق في هذا العصر بلسان يفقهه العلماء الربانيون الكونيون قبل غيرهم في شتى بقاع الأرض وفي كافة التخصصات العلمية

لقد حوى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كثيرا من الإشارات لعدد من العلوم الكونية عجزت الأفهام عن تفسيرها وإدراك حقيقة تأويلها ردحاً من الزمن ، حتى ظهرت في زمننا هذا البراهين على صدق الإشارات القرآنية والأدلة على صدق ما جاء في نصوص السنة النبوية في هذا العصر ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ سَرُّهُمْ ءَايَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] ^(٢) .

(١) منذ قيام الثورة الصناعية في أوروبا في العصور الوسطى حتى قيل إن الدين أفيون الشعوب .

(٢) إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، حقائق علمية في القرآن والسنة بهرت العالم (ص ١ - ٢) .

ولقد أطلق العلماء على تلك النصوص التي ذكرت تلك الحقائق الكونية اسم: (النصوص الكونية) كما أطلقوا على بيانها: (التفسير العلمي).

ولذلك لما كان التفسير العلمي موضع خلاف بين مؤيد ومعارض، فسأعرض أدلة كل من الطرفين حتى يتبين وجه الحق.

وقبل عرض الأدلة أشير إلى التفرقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي ومعنى المعجزة. (المعجزة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وهي إما حسية وإما عقلية)^(١).

ومعلوم أن أوجه إعجاز القرآن الكريم كثيرة ومحصلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه:

الوجه الأول: حسن تأليفه والتتام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين كانوا فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

الوجه الثاني: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم.

الوجه الثالث: ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن، فوجد كما ورد.

(١) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن (٣/٤)، القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (٦٩/١)، ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٨١/٦)، رقم الحديث (٣٥٧٧).

الوجه الرابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة والشرائع الدائرة كان لا يعلم القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيورده ﷺ على وجهه ويأتي به على نصه وهو أُمي لا يقرأ ولا يكتب...^(١) .

ما مدى الحاجة إلى التفسير العلمي؟ وصلته بإعجاز القرآن الكريم ؟

لم يُطرق موضوع الإعجاز العلمي في القرآن بشكل متميز وخاص إلا في الآونة الأخيرة ، ولهذا لم يستقر اصطلاح محدد لتعريف موضوعه آنفاً ، ولكن بعد ازدياد العناية به فقد أورد الباحثون في تعريفه ما يأتي :

١ - قيل في تعريف الإعجاز العلمي : (إنه أمر خارق لما توصل إليه العلم الوضعي من مفاهيم ونتائج) .

٢ - وقيل : (توسيع مدلول الآيات القرآنية وتعميق معانيها في الوجدان والفكر الإنساني، بالانتفاع بالكشوف العلمية المعاصرة في توسيع هذا المدلول ، وتعميق هذه المعاني عن طريق الاستئناس بالموافقات الدقيقة، والمقارنات العميقة الملحوظة للعلماء المتخصصين، والخبراء الباحثين في مجالات الكون والحياة في شتى علومها ومعارفها)^(٢) .

٣ - وقيل : (هو إخبار القرآن الكريم ، أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي أخيراً وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية ، في زمن الرسول ﷺ)^(٣) .

(١) القاضي عياض : أبو الفضل عياض بن موسى ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٣٨٢، ٣٥٨) ، ونقلها السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن باختصار (٢/ ٣٣٩) .

(٢) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص ٢٤) .

(٣) إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مجلة الإعجاز ، العدد الأول صفر ١٤١٦ هـ (ص ٣) .

التفسير العلمي وإعجاز القرآن :

القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة لا يزيدها التقدم العلمي إلى رسوخاً في الإعجاز^(١).

و التفسير العلمي له صلة وعلاقة وثقى في الكشف عن أوجه الإعجاز في حديث القرآن الكريم عن الآيات الكونية وله قدم سبق في الإخبار عنها .

وكما رأينا في تعريف التفسير العلمي بأنه : (الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية)^(٢) .

١ - وقيل : (هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ويجهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها) .

٢ - وقيل : (إنه تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية ، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية) .

٣ - وقيل : (هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن الكريم يدل على مصدره ، وصلاحيته لكل زمان ومكان) .

٤ - وقيل : (هو تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم على ضوء معطيات العلم الحديث ، بغض النظر عن صوابه وخطئه)^(٣) .

(١) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن (ص ٩) .

(٢) إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مجلة الإعجاز .

العدد الأول صفر ١٤١٦ هـ (ص ١٣) .

(٣) د. فهد الرومي ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/ ٥٤٥-٥٤٧) .

قلت : يظهر القدر المشترك الذي يلاحظ في التعاريف السابقة هو :

عرض النظريات العلمية الحديثة في مختلف العلوم على آيات القرآن الكونية ، فالنظريات التي بلغت درجة الحقيقة اليقينية ، تعتبر وجها من أوجه الإعجاز العلمي الذي سبق به القرآن الكريم، وإن كانت مجرد نظريات ووجد لها دليل مؤيد من القرآن والسنة فحسن ومقبول أن نعتبرها تفسيراً علمياً إذا انطبقت عليها ضوابط قبول التفسير العلمي .

وإذا كانت مجرد نظريات غير مستقرة ولا ثابتة فإنها لا تقحم في تفسير آيات القرآن الكونية وإذا كانت معارضة من باب أولى فالحكم هو رفضها وعدم الالتفات إليها قطعاً .

ويحسن القول بأن الموقف من التفسير العلمي والإعجاز العلمي. هو الموقف من الإسرائيليات فما وافق اعتقاد أهل السنة والجماعة، فهو حسن مقبول وما عارض فهو مرفوض وإلا كان التوقف حتى يظهر الدليل بالقبول أو الرفض^(١) .

وعلى ما سبق ذكره من التعريف يمكن القول في تعريف التفسير العلمي بأنه :

(هو اجتهاد المفسر المتمكن في كشف موافقة الحقائق والنظريات العلمية لآيات القرآن الكونية على وجه يظهر صدق القرآن وإعجازه) .

وبعد هذا التعريف أذكر بعضاً من جملة المعارضين للتفسير العلمي مع أدلتهم وهذا هو المبحث الأول .

كما تجدر الإشارة بأن من له حق الرأي في التفسير العلمي بالتأييد أو الرفض هو (المفسر فقط) الذي اكتملت فيه أهلية الاجتهاد في التفسير العلمي وذلك من خلال قيامه بالتوفيق بين معطيات العلم الحديث وما قد سبق به القرآن الكريم وأشار إليه .

(١) عطاء بن أبي رباح وجهوده في التفسير ، رسالة ماجستير للمؤلف ، ص ٥٥٢ .

وأما الذين تعرضوا فعلاً للتفسير العلمي مع كونه ليس من مجال تخصصهم فإن كتبهم وأبحاثهم تحتاج إلى دراسة وتمحيص جيد . وأرى أن تعرض كل كتب التفسير العلمي على هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة لتقويمها بحيث يكون لها حق القبول والرفض وذلك بحكم أنها تستقطب جمهور الباحثين في هذا الشأن من علماء العالم الإسلامي .

كما نؤيد من ينادي (بضرورة إنشاء موسوعة للعلوم الكونية ، كل العلوم في القرآن الكريم يتبع فيها أسلوب المفسرين الأوائل ، ثم يعرض فيها لوشائج الربط والانسجام والتوافق والوئام بين الآيات وحقائق العلوم الحديثة وبيان أوجه الإعجاز العلمي فيها) ^(١) ، أو يعقد مجمع علمي كل خمس أو عشر سنوات بمقر هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة لمناقشة القضايا العلمية المتعلقة بالآيات الكونية نظير ما يحصل في المجمع الفقهي ، فإذا أقر المجمع العلمي هذا التفسير العلمي لبعض الآيات الكونية . عند ذلك يسمح لهذا التفسير بأن يدرج في كتب التفسير الحديثة .

(١) د. كارم السيد غنيم ، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق (ص ٢٩٧) .

المبحث الأول : أدلة المعارضين

ليس الغرض من هذا المبحث ذكر جميع أسماء المعارضين لهذا اللون من التفسير وذكر أقوالهم وأدلتهم بالتفصيل ومناقشتها .

وإنما هو لعرض بعض أقوال العلماء القدماء ولوجاهة أقوال آخرين . وذكر أدلة المعارضين للتفسير العلمي تركز حول النقاط الآتية :

(١) أن القرآن الكريم كتاب هداية ، ولم ينزل ليحدث الناس عن العلوم الكونية ودقائق نظريات العلوم والمعارف .

(٢) أن نظريات التفسير العلمي ليست ثابتة وإقحامها في التفسير فيه تعريض القرآن الكريم للدوران معها لعدم ثبات المعاني .

(٣) فتح باب التأويل المتكلف وتحميل لنصوص القرآن بما لا تحتمله ألفاظه .

وسأذكر بعض أسماء المعارضين للتفسير العلمي في القديم والحديث مع ذكر أدلتهم ومناقشتها . فمن أسماء المعارضين المعاصرين :

(محمود شلتوت ، أمين الخولي ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ، د. محمد حسين الذهبي ، د. عبد المجيد عبد المحتسب)^(١) .

(١) انظر للتوسع : د. محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون (٢/ ٤٩٤-٤٩٥) ، د. عبد الغفار عبدالرحيم ، محمد عبده ومنهجه في التفسير (ص ٢٨٣-٢٨٦) ، محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (١/ ٢٠٧-٢١٠) ، د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب ، اتجاهات في التفسير في العصر الراهن (ص ٣١٤) .

ومن أسماء المعارضين للتفسير العلمي قديماً :

(١) أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) ^(١) :

يرى أبو حيان الأندلسي أن التفسير يعتمد على بعض العلوم ، وأشار إلى العلوم التي هي كالأداة لفهم القرآن الكريم والمعينة على التفسير ، ثم ذكر العلوم التي يحتاج إليها علم التفسير فذكر : علم اللغة والنحو والبيان والبديع ، وعلم الحديث ، وأصول الفقه وعلم الكلام والقراءات ، ثم قال : (فهذه سبعة وجوه لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله تعالى إلا من أحاط بجملتها غالبها من كل وجه ، ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته ، ولا يمتطي منه صهوته إلا من كان متبحراً في علم اللسان ، مسترقياً منه إلى رتبة الإحسان) ^(٢) .

كما يرى أبو حيان أن التفسير ضابطه اللغة العربية ، فلا تخرج الألفاظ العربية عن مدلولاتها في اللغة (فتفسر الآية على شيء لا يكاد يخطر في ذهن عاقل ، ويرى أن ذلك هو المراد من الآية) ^(٣) .

وقال : (كل قاعدة في علم من العلوم يرجع في تقريرها إلى ذلك العلم ونأخذها في علم التفسير مسلمة من ذلك العلم ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير فنخرج عن طريقة التفسير كما فعله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري ^(٤) فإنه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك حكى عن بعض المظرفين من العلماء أنه قال فيه كل شيء إلا التفسير ...) ^(٥) .

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي ، من كبار العلماء بالعربية والحديث والتراجم واللغات ، ولد في إحدى جهات غرناطة . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٧/ ١٥٢) .

(٢) لعل المعنى المراد : من كمل إيمانه بالقرآن يوصله إلى مرتبة الإحسان وهي أن تعبد الله تعالى كأنك تراه .

(٣) أبو حيان : محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط (١/ ٥) .

(٤) صاحب كتاب التفسير الكبير . المسمى (مفاتيح الغيب) .

(٥) أبو حيان : محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط (١/ ٣٤١) .

كما يدل أبو حيان تأكيداً على رفضه (منهج الرازي في التفسير) بالرواية عن شيخه :

(...) وكان أستاذنا العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي^(١) قدس الله تعالى تربته يقول ما معناه متى رأيت الرجل يتقل من فن إلى فن في البحث أو التصنيف فاعلم أن ذلك إما لقصور علمه بذلك الفن أو لتخليط ذهنه وعدم إدراكه حيث يظن المتغيرات متماثلات ، وإنما أمعنت الكلام في هذا الفصل ليتفجع به من يقف عليه ولئلا يعتقد أنا لم نتطلع على ما أودعه الناس في كتبهم في التفسير ، بل إنما تركنا ذلك عمداً واقتصرنا على ما يليق بعلم التفسير وأسأل الله تعالى التوفيق للصواب^(٢) .

وعلى رأي أبي حيان لا يمكن الاستعانة بالعلوم الكونية والفلكية في تفسير الآيات الكونية . وسأذكر الرد بعد قول الشاطبي .

(٢) قول أبي إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)^(٣) :

ذهب الشاطبي إلى أمية الشريعة^(٤) ، بمعنى أنها جاءت بما هو معهود عند العرب ومعروف وبما يوافق فطرتهم وما هو مألوف عندهم .

(١) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ، أبو جعفر : محدث مؤرخ ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس ، انتهت إليه الرئاسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول ، من كتبه (ملاك التأويل في المشابه اللفظ والتأويل) ، تحقيق د. محمود كامل أحمد . خير الدين الزركلي ، الأعلام (١/ ٨٦) .

(٢) أبو حيان : محمد بن يوسف ، البحر المحيط (١/ ٣٤١، ٧-٣٤٢) .

(٣) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ، الشهير بالشاطبي ، أصولي حافظ من أئمة المالكية . الزركلي ، الأعلام (١/ ٧٥) .

(٤) أمية الشريعة (هو أساس واه لوجوه ستة) ذكرها محمد الطاهر ابن عاشور في مقدمة تفسيره ، المقدمة الرابعة (ص ٤٤) .

فليس فيها من التكاليف والعلوم والأخبار وغير ذلك ما تعجز عقولهم عن إدراكه وتطبيقه :

... ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها - وهم العرب - ينبنى عليه قواعد :

(منها) أن كثيرًا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين : من علوم الطبيعيات ، والتعاليم^(١) ، والمنطق ، وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها ، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم^(٢) لم يصح^(٣) .

ثم استشهد بموقف السلف الصالح : (... وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلمومه وما أودع فيه ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى^(٤) ... ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر ، لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة ، إلا أن ذلك لم يكن ، فدل على أنه غير موجود عندهم . وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا .

(١) مثل علم هيئة العالم والحساب والهندسة وشبه ذلك .

(٢) ما قرره من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها من العرب .

(٣) الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (٢ / ٧٩) .

(٤) أي العلوم التي ليس تحتها عمل ، مع أنهم كانوا أعلم بمعنى العلم المطلوب . الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (١ / ٥٢) . وهي ما يتعلق بالعلوم الطبيعية وما يتعلق بالكون من علم الهيئة والنجوم مثل منهج الرازي في تفسيره .

نعم تضمن علومها هي من جنس علوم العرب ، أو ما يبنى^(١) على معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب ، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه والاستنارة بنوره ... فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه . ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة^(٢) ، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه ، وتقوّل على الله ورسوله فيه والله أعلم وبه التوفيق^(٣) .

كما أشار إلى العلوم المضافة إلى القرآن ، وما هو أداة لتفسير القرآن ووسيلة معينة لفهمه وغير ذلك لا يكون^(٤) ، ثم يقيم الدليل على رأيه فيقول :

(وشاهد ما بين الخصمين شأن السلف الصالح في تلك العلوم ، هل كانوا آخذين فيها؟ أم كانوا تاركين لها أو غافلين عنها؟ مع القطع بتحققهم بفهم القرآن الكريم يشهد لهم بذلك النبي ﷺ ، والجّم الغفير ، فلينظر امرؤ أين يضع قدمه؟).^(٥)

قلت : وبعد النظر في قوله أقول : هذا الرأي ليس مسلماً له على إطلاقه .

فليس كل ما جاء به القرآن الكريم كان مجارياً لما عند العرب ومطابقاً لما هو مألوف

(١) كاجدل المأخوذ فيه مقدمات معهودة للعرب ، ولغيرهم .

(٢) لو قال جمهور الناس لا خاصتهم لكان أحسن ، لأن الخطاب به لكل من بلغه ، فقد يفقه بعضه بغير ما يضاف إلى العرب كما ورد عن النبي ﷺ قوله : (بلغوا عني ولو آية فرب مبلغ أوعى من سامع) ، الشطر الأول من الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢١٤، ٢٠٢، ١٥٩) .

(٣) الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (٢/ ٧٩-٨٢) .

(٤)+(٥) المرجع السابق (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) .

ومعروف عندهم ، فقد تضمن أخبارا غيبية وقصصا وغير ذلك ، مما لا قبل لهم بها ولكن وسعتها عقولهم وأدركتها ، وطلب منهم الإيمان بها ، كما يلفت أنظارهم للتأمل في نظام الكون وسننه بما يعمق الإيمان في أنفسهم ، وللاستدلال بالصنعة على كمال قدرة الصانع القادر الحكيم^(١).

(...) وعلى ذلك نبه الله تعالى في كتابه أن تنظر فيه كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] ، ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [سورة ق : ٦] إلى تمام الآيات^(٢).

ولعل هذا مبني على معهودها من العلوم ، ومما يتعجب منه أولو الألباب وتدركه العقول الراجحة التي اهتمت بنور القرآن واستنارت به . كما أن الناس منازل ودرجات في الفهم والإدراك والمعرفة^(٣) ، فليس العامة كالخاصة ، وحيث هو يقول ما نصه :
(...) وقد كان الصحابة والتابعون ومن بعدهم خاصة وعامة .

(١) وهل كل ما تضمنه القرآن من أوصاف نعيم الجنة وعذاب النار من معهود العرب في الدنيا ؟ وهل الإسرائاء والمعراج من معهوداتهم ؟ أما أصل الموضوع فمسلم أنه لا يصح أن يتكلف في فهم كتاب الله تعالى بتحميله لما لا حاجة بالتشريع والهداية إليه من أنواع العلوم الكونية . ولكن قصره بطريق القطع على ما عند العرب في علمها ومألوفها فهذا ما لا سبيل إليه ولا حاجة له . الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة في هامش الصفحة (٨٠ / ٢) .

(٢) المرجع السابق (٤٠٥ / ٢) .

(٣) ومنه قول الإمام علي عليه السلام (... إلا فيها يعطاه الرجل في كتاب الله) صحيح البخاري ، (٣) كتاب العلم ، (٣٩) باب كتابة العلم ، ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢٠٤ / ١) رقم الحديث (١١١) .

وكان للخاصة من الفهم في الشريعة ما لم يكن للعامة وإن كان الجميع عرب وأمة أمية ، وهكذا في سائر القرون^(١) . وقوله ما نصه :

(... معلوم طلب النظر في الدلائل والمخلوقات فهذه وجوه على عموم الاستحسان في كل علم على الإطلاق والعموم)^(٢) . وقوله أيضا :

(... خوطبوا بدلائل التوحيد فيما يعرفونه من سماء وأرض وجبال وسحاب ونبات ، وبدلائل الآخرة والنبوة كذلك)^(٣) .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۚ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۚ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۚ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية : ١٧-٢١] .

أما استدلاله بموقف السلف الصالح فأقول :

شأن السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين أنهم لم يكونوا غافلين، بل إن تركهم للعلوم والأخذ منها راجع للزمن الذي عاشوا فيه ونفي العلم عنهم على إطلاقه بدعوى أنهم لم يتكلموا غير مسلم به .

والحقيقة الظاهرة أن القرآن الكريم أشار إلى كليات العلوم وأصول المسائل وترك للعقل البشري البحث والنظر عن الجزئيات ، والتعرض لتفسير الآيات الكونية بما يزيد قداسة القرآن الكريم ويكشف من وجوه إعجازه لا يعارضه مسلم^(٤) .

وإن هؤلاء العلماء السابقين مجتهدون والعصمة للأنبياء ، ولا يعترينا شك في طهارة قلوبهم،

(١) الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (١ / ٩١) .

(٢) المرجع السابق (١ / ٥٢) .

(٣) المرجع السابق (٢ / ٧٨) .

(٤) انظر إلى قبول التفسير العلمي (ص ٦٦) من الرسالة .

وفي مكانتهم العلمية في التفسير .

ولكن لا يخفى على عاقل تطور العلوم وتقدمها في العصر الحاضر وخاصة علوم الفضاء .

ولو كان هؤلاء العلماء موجودين في وقتنا الحاضر لا نشك في أن قدراتهم العقلية تستوعب العلوم العصرية حتى يصبحوا من العلماء فيها ، ولأظهروا لنا من أوجه إعجاز القرآن ما هو أكثر من عطاء علماء العصر الحديث ، لأن العطاء من هذا المنهل أساسه التقوى الذي تنفتح به عين البصيرة^(١) والتي نرى بها حقائق أسرار الوجود وتبرز لنا دلائل كمال القدرة في صنع هذا الكون الذي يشهد بوحداية الله سبحانه وتعالى القائل :

﴿...وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

قال ابن تيمية^(٢) :

(...) فلا ريب أن الله تعالى يفتح على قلوب أوليائه المتقين ، وعباده الصالحين ما لا يفتح به على غيرهم بسبب طهارة قلوبهم ، واتباعهم ما يحبه ...^(٣) ، (...) والله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله ، فيطلق نور بصيرته ، ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشف ، ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب)^(٤) .

(١) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، جواهر القرآن (ص ٣٣) ، ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله

محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن (ص ٢٢٨) . (بتصرف)

(٢) شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم ... الدمشقي الشهير بابن تيمية

(٦٦١-٧٢٨هـ) ، أحد العلماء ، الحافظ ، الفقيه الزاهد العابد . الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل

بن كثير ، البداية والنهاية (١٣٨ / ٧) .

(٣) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٤٥) . (بتصرف)

(٤) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، تفسير سورة النور (ص ١٦٧) .

ومن أدلة المعارضين للتفسير العلمي في العصر الراهن ما أورده الشيخ محمد دروزة في كتابه عن التفسير :

- رأي محمد دروزة ، وكتاب التفسير الحديث .

ونورد هنا ما قد تعرض له الدكتور عبد المجيد المحتسب للحديث عن منهجه في تفسيره بقوله :

(مؤلف هذا التفسير محمد عزة دروزة النابلسي الفلسطيني المولود سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م وهذا التفسير يقع في اثني عشر جزءاً ، والسور مرتبة حسب النزول . وللمؤلف مصنفات عدة منها : عصر النبي ﷺ ، وسيرة الرسول ﷺ من القرآن الكريم ، والدستور في شئون الحياة ، والقرآن المجيد ، وكان هذا بمثابة مقدمة لتفسيره) ^(١) . وينقل الدكتور المحتسب عنه سبب اختيار التفسير على حسب نزول سور القرآن (ولقد رأى أن يجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة ، بحيث تكون أولى السور المفسرة سورة العلق ثم القلم ثم المزمل إلى أن تنتهي السور المكية، ثم سورة البقرة فسورة الأنفال إلى أن تنتهي السور المدنية ، لأنه رأى هذا يتسق مع المنهج الذي اعتقد أنه الأفضل لفهم القرآن الكريم وخدمته ، إذ بذلك يمكن متابعة السيرة زمنياً بعد زمن ، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحلها بشكل أوضح وأدق ، وبهذا وذاك يندمج القارئ في جو نزول القرآن الكريم وجو ظروفه ومناسباته ومداه ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل ...) ^(٢) .

وتفسير القرآن الكريم حسب نزول آياته مخالف لمنهج جمهور المفسرين قاطبة، علاوة على أنه مخالف ترتيب آيات القرآن الكريم الذي أجمعت الأمة على قبوله، ومقصوده ومراده

(١) د. عبد المجيد المحتسب ، اتجاهات التفسير في العصر الراهن (ص ٥٤-٥٨) .

(٢) المرجع السابق (٥٤-٥٨) .

الوقوف على تاريخ السيرة وأحداثها والحكمة من التنزيل حاصل بما أفردته العلماء بالتصنيف في كتب السيرة والمغازي وتاريخ التشريع وغير ذلك .

موقفه من التفسير العلمي :

يؤكد الأستاذ محمد دروزة أن الآيات القرآنية التي تتحدث عن مشاهدة الكون ونواميسه ، إنما جاءت متسقة مع ما في أذهان السامعين : (... القرآن الكريم يصور الأرض مركزاً للكون وسخر الله تعالى للإنسان كل ما في السموات والأرض ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وسوّاه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكل ذلك متسق اتساقاً واضحاً ومفهوماً مع مشاهد ومدرجات مختلف فئات الناس الذي يوجه إليهم الكلام .

وإن المضامين القرآنية في الآيات الكونية متسقة مع ما في أذهان سامعي القرآن عن مظاهر الكون ومشاهده ونواميسه ، وهذه النقطة متصلة بالمبدأ العام الذي أكدناه ، وهو أن القرآن خاطب الناس بما يتسق مع ما في أذهانهم إجمالاً من صور ومعارف لما يكون من قوة أثر الخطاب فيهم بمثل هذا الأسلوب (...)^(١) .

كما يرى أن الغرض من الآيات الكونية والهدف (هو العظة والإرشاد ، دون أن تنطوي على قصد تقرير ماهيات الكون وأطوار الخلق والتكوين ونواميس الوجود من الناحية العلمية)^(٢) .

ويرى أيضاً التوفيق بين الآيات الكونية والحقائق العلمية ، تعسفاً في الفهم وتحميلاً للنص القرآني ما لا يحتمل ، وتعريضاً للقرآن الكريم للجدل والنقاش :

(... جل هذه الأقوال تخمينات وأقوال لا تخلو من مبالغات ومفارقات وتناقضات ،

(١) د. فريد مصطفى سليمان ، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن (ص ٣٦١) .

(٢) المرجع السابق (ص ٣٦١) .

وأن الذين حاولوا التوفيق بين ما عرف من الحقائق العلمية وبين ما ظنوه في القرآن بحسن نية ، وبقصد إظهار معجزة القرآن الكريم بإبراز أمور لم تكن معروفة من قبل ، وعرفت بعد تقدم العلوم وتطورها فكل هذه المحاولات لا تخلوا من تمحل وتجاوز وتعسف في الفهم والتطبيق وتحميل للآيات ما لا تحتل (...)^(١) . ثم يقول في موطن آخر يؤكد فيه رأيه فيقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ﴾ [القيامة : ٤] :

(ولقد قرأنا مقالا أراد كاتبه أن يجعل صلة بين اختصاص البنان بالذكر وبين ما ظهر حديثا من علم بصمات الأصابع ، وما صار له خطورة في إثبات شخصيات الناس ، تمشيا مع الفكرة التي سادت بعض الناس في استخراج النظريات العلمية والفنية والكونية من الكلمات والآيات القرآنية للتدليل على صدق القرآن الكريم وإعجازه ومعجزات الله تعالى المشار إليها فيه، وفي هذا في اعتقادنا تحميل لكلمات القرآن الكريم وآياته غير ما تتحمل وإخراج له من نطاق قدسيته وغايته وتعريض له للجدل والنقاش ، ولقد نزل القرآن بلسان العرب على قوم يفهمونه ، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بشرحه وتبينه . والنظريات الحديثة لم تكن معلومة ولا مكشوفة ، ولا يصح لمسلم مهما حسنت نيته أن يدعي أن النبي ﷺ لم يكن يعرف جميع ما تضمنته آيات القرآن)^(٢) .

كما يرى أن التفسير العلمي فيه تجاوز وخروج عن هدف نزول الآيات ومناسباتها وخطاب السامعين بما لا يفهمونه حيث يقول : (... وفي ذلك تجاوز للوقائع والظروف والروايات الموضحة لنزول الآيات وسياقها الذي يوضح هدف الآيات ومداهما ...) ^(٣) .

(١) د. فريد مصطفى سليمان ، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن (ص ٣٦٠) .

(٢) د. عبد المجيد المحتسب ، اتجاهات في التفسير في العصر الراهن (ص ٦٢-٦٣) .

(٣) د. فريد مصطفى سلمان ، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن (ص ٣٦٠) .

قلت :

قصر حديث القرآن الكريم على آيات الكون بقصد العظة والإرشاد دعوة لا دليل عليها؟

وخطاب القرآن الكريم للناس بما يتسق مع أذهان سامعيه هذا صحيح ، ولكن :

أذهان البشر تتسع بالمعرفة وتتطور باختلاف الأزمان والعصور .

والحجر على العقل البشري لا يقول به أحد .

وتفسير آيات الكون بضابطه وبما يكشف عن سنن الكون وتسخيرها لخدمة الإنسانية ، وبما

يبهر العقول ويوثق صلة العبد بخالقه لا يعارضه مؤمن .

بل هو تحقيق لقول الله تعالى : ﴿ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ

يَكُفَّ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

ولقد علم النبي ﷺ ما تضمنه القرآن الكريم ورأى ما في الآفاق من آيات ربه الكبرى

، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ

فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] ، وقال : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ ﴿٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ

ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٧-١٨] ، وقال : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ [الرحمن : ١-٢] .

وقد روى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : «زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها

ومغاربها» ^(١) .

والعلم والمعرفة بالكون وتفسير آيات الكون بضابطة مطلب من مسؤولية المؤمن في أداء

رسالة خلافته .

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الفتن [٩] ، باب ما يكون من الفتن .

مناقشة آراء وأدلة المعارضين للتفسير العلمي :

بعد عرض الأقوال السابقة يمكن القول : إنه بالبحث والنظر يمكن الانتفاع بالمكتشفات العلمية، والوصول إلى الحقائق الثابتة اليقينية مثل الدورة الدموية في جسم الإنسان والقول بكروية الأرض .

ولا يخفى على عاقل اتساع الدائرة العلمية ، والفارق الكبير بين الزمن الحاضر والزمن السابق وقت تنزل القرآن الكريم ، فقد تطورت العلوم في العصر العلمي المعاصر وكذلك الأجهزة العلمية الحديثة ، والتفسير لآيات الكون من منظور علمي صحيح بضوابطه ، وبما يزيد في قداسة القرآن الكريم وتعظيمه ويكشف من أوجه إعجازه لا يعارضه مؤمن .

كما يصل العقل البشري إلى معرفة بعض جزئيات العلوم المتعلقة بطبيعة هذا الكون فيستخدم النواميس المسخرة له ويتنفع بها على أوسع نطاق ، وهذا دور خلافته ومن طبيعة عمله الذاتي ونتيجة دراسة هذه العلوم تزيد في توثيق صلة العبد بربه وتعمق تعلقه بخالقه سبحانه وتعالى القائل: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩]، وقوله: ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤] .

والتوسع في مدلولات الآيات القرآنية والتعمق في الكشف عن معانيها ، منهج دعا إليه القرآن الكريم .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

وحتى لا ينجح العقل بمفهومه ، ويخطئ في تصوراته كان هناك ضابط صحيح^(١) يركز عليه فكره وعقله ، ومن تلك الضوابط أن لا يفسر القرآن تفسيراً علمياً على جهة القطع ، بحيث يجزم بأن هذا هو المعنى المراد من الآية .

وكذلك أن لا يخرج المفسر عن مدلول النص القرآني والمعنى المتبادر للفهم الصحيح، وإنما يعتبر قولاً ووجهاً من أوجه المعاني الذي قد يحتمله النص القرآني وأن يحدوه معرفة الصواب في اجتهاده ، والله تعالى أعلم .

وعلى هذا المعنى يكون (التفكير في معاني الآيات الكونية عبادة وتقديمها للناس دعوة إلى الله تعالى)^(٢)



(١) انظر بتوسع ضوابط قبول التفسير العلمي (ص ٦٦) من الرسالة .

(٢) إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مجلة الإعجاز العدد الأول صفر - ١٤١٦ هـ (ص ١٦) .

المبحث الثاني : أدلة المؤيدين

تأصيل العلماء للملاح التفسير العلمي في أقوالهم :

التفسير العلمي بابه وقاعدته التفكير والتدبر في كتاب الله تعالى ، والبحث والنظر المبني على طهارة القلب الذي استنار بنور الإيمان بالله تعالى .

جذور التفسير العلمي قديمة أشار إليها العلماء ، كما تحدث بعضهم عن دلائل الاعتبار في الخلق وعجائب المخلوقات .

أشار أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ^(١) في كتابه : الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير ، إلى مطلب التأمل في الكون بالمثل ، إذ لا يحسن المقام بدار لأناس لا يعرفون ما في دارهم من مظهر ومخبر وفرش وطعام ... إلا أن يكون أهلها بمنزلة العميان الذين لا يعلمون ما في دارهم . كما ذكر بأن معرفة الإنسان ما حوله وما في الكون من دلائل للاعتبار تقوية لعري للإيمان ودعوة له ، وتخيب لمكائد الشيطان .

كما يجب على من علم من دلائل القدرة وكمال الحكمة في الخلق والتدبير أن يذيعه وينشره حتى تبلغه الأسماع والأفهام فمن وثق بعون الله تعالى وتوفيقه له ، احتسب الأجر والثواب عند الله تعالى ، واقدم على هذا العمل لأنه في سبيل الدعوة إلى الله تعالى .

(إن ناسا حين جهلوا الأسباب والمعاني ، وقصروا في الخلقة عن تأمل الصواب

(١) الجاحظ (١٦٣-٢٥٥هـ / ٧٨٠-٨٦٩م) :

وهو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ، أبو عثمان الشهير بالجاحظ ، كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٥ / ٤٧) . وهو معتزلي المذهب خالف اعتقاد السلف الصالح في كثير من الأمور الاعتقادية ، الحافظ ابن كثير : أبوالفداء إسماعيل ابن كثير ، البداية والنهاية (٦ / ٢٢) .

والحكمة فيها خرجوا إلى الجحود والتكذيب حتى أنكروا خلق الأشياء ، وزعموا أن كونها بإهمال لا صنعة فيه ولا تقدير فكانوا بمنزلة عميان دخلوا دارا قد بنيت أتقن بناء ، وفرشت أحسن فرش ، وأعد فيها ضروب الأطعمة والأشربة والمآرب ، ووضع كل شيء من ذلك في موضعه على صواب وتقدير فجعلوا يسعون فيها محجوبة أبصارهم فلا يبصرون هيئة الدار وما أعد فيها ، وربما عثر الواحد منهم بالشئ قد وضع موضعه ، وأعد لشأنه وهو جاهل بالمعنى فيه فتذمر ، وتسخط وذم الدار وبانيها ...

فحق على من أنعم الله عليه بمعرفته ، وقَصَّةً لتأمل هذه الخلقة ، والوقوف على ما في خلقها من لطف التدبير وصواب التقدير بالدلائل القائمة فيها أن لا يقصّر في إظهار ما بلغه علمه من ذلك ، بل يجهد في نشره وإذاعته وإيراده على المسامع والأذهان لتقوى دواعي الإيمان ، وتخيب مكيدة الشيطان في (التضليل والوهم) محتسبا للثواب عند الله تعالى في ذلك ، واثقاً بعون الله تعالى وتأنيده إياه^(١) .

ثم عرض المؤلف أفكاره التي تتعلق بالمساء وطلوع الشمس والقمر ، والنجوم ، والأرض ، والجبال والمعادن ، والمطر والنبات ، وما يكون في فصل الربيع والحكمة في خلق الشجر والحيوان مثل النحل والعصافير والدجاجة والجراد والسمك .. وغيره .

وما يتعلق بخلق أعضاء الإنسان وما فيها من منافع وفوائد^(٢) .

وأصل الحديث عن آيات الكون بدأ مع نشأة علم التفسير ، ولقد تعرض العلماء لهذا اللون من التفسير بمقدار ما وصل إليه علمهم في الزمن الذي عاشوا فيه .

(١) الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (ص ١٧) .

(٢) المرجع السابق (ص ١٧) .

وإنه ليحسن بالعلماء المؤمنين أن يتعرفوا على مزيد من دلائل الوجدانية في الكون الذي يعيشون فيه ، والتي تنكشف لهم بالبحث والنظر في أقطار السموات والأرض وخاصة بعد تطور العلوم في العصر الراهن ، وإلى قيام الساعة .

قال ابن قيم الجوزية^(١) :

(ومن الآيات التي في الأرض مما يحدثه الله فيها كل وقت ما يصدق به رسله فيما أخبرت به، فلا تزال آيات الرسل وأعلام صدقهم ، وأدلة نبوتهم يحدثها الله سبحانه وتعالى في الأرض^(٢) ، إقامة للحجة على من لم يشاهد تلك الآيات التي قاربت عصر الرسل، حتى كأن أهل كل قرن يشاهدون ما يشاهده الأولون أو نظيره ، كما قال : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] . وهذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن ، بل لا بد أن يري الله سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أنه الله الذي لا إله إلا هو ، وأن رسله صادقون ، وآيات الأرض أعظم مما ذكر ، وأكثر ، فنبه باليسير منها على الكثير^(٣) .

والتفكر في تسخير الكون يفضي بصاحبه إلى إيمان أعمق (... والأفلاك مسخرة منقاد دائرة بما فيه مصالحه ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات جاريات بحساب أزمته

(١) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (٦٩١-٧٥١هـ) ، برع في علوم متعددة ، لازم شيخه في سنة ٧١٢هـ إلى أن مات الشيخ . الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية (٧/٢٤٦) .

(٢) ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة . ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ٧/٩ .

(٣) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن (ص ٣٠١) .

وأوقاته وإصلاح رواتب أقواته ، والعالم الجوي مسخر له برياحه وهوائه وسحابه وطيّره وما أودع فيه ، والعالم السفلي كلّ مسخر لمصالحه ، أرضه وجباله وبحاره وأنهاره ، وأشجاره ، وثماره ، ونباته ، وحيواناته وكلّ ما فيه ^(١) .

وآيات الله تعالى في خلق الأرض والسموات كثيرة عظيمة .

قال الله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم : ١٧-١٨] .

ثمرة قبول التفسير العلمي :

ملامح التفسير العلمي قديمة أشار إليها العلماء ، كما تحدث بعضهم عنها وصرحوا بتأييد هذا المنهج في التفسير . وجملته أدلتهم تبني على ما يأتي :

١ - أن في التفسير العلمي دلالة على عظمة الله تعالى الخالق لهذا الكون ، ودليل وشاهد على عالمية رسالة الإسلام الذي بعث به النبي الأمي محمد ﷺ .

٢ - دعوة الناس للإيمان من منظور علمي محسوس وتعميق للإيمان في قلوب المؤمنين ، وكذلك بإبراز أوجه الإعجاز في صنع هذا الكون وبيان لأسرار نظامه وسننه . وعلى هذا المنهج فإن التوسع لدائرة المعنى بما يتحملة النص القرآني إنما يحصل من خلال بحث ونظر أعمق في نوااميس الكون للانتفاع بما سخره الله تعالى للبشرية أجمع .

وعلى هذا المعنى يكون (التفكر في معاني الآيات الكونية عبادة وتقديمها إلى الناس دعوة إلى الله تعالى) ^(٢) .

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة (ص ٢٠١) .

(٢) إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مجلة الإعجاز ، العدد الأول صفر ١٤١٦ هـ (ص ١٦) .

أقوال المؤيدين للتفسير العلمي قديما وحديثا :

(١) قول أبي حامد الغزالي^(١)

أشار الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين^(٢) إلى أن تفسير القرآن الكريم يعتمد على النقل ، وهو التفسير بالمأثور ثم بعد ذلك يتسع العقل للفهم والاستنباط . كما ذكر أيضا بأن القرآن يشمل جملة علوم ومعارف .

(...) وقال ابن مسعود رحمته الله : من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن الكريم^(٣) ، وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر . وبالجمله فالعلوم كلها داخله في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن الكريم شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لا نهاية لها ، وفي القرآن الكريم إشارة إلى مجامعها ، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن الكريم .. فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط (...)^(٤) . كما ذكر بأن الناس يتفاوتون في درجة الفهم ، والراسخون في العلم هم الذين يقفون على بعض أسرارهِ (وإنما تنكشف للراسخين في العلم من أسرارهِ بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ...) ^(٥) .

كما أشار الغزالي إلى استطاعة العقل البشري الكشف عن بعض العلوم الكونية

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد حجة الإسلام (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م)

فيلسوف متصوف له نحو مائتي مصنف ، مولده بخراسان ، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد

فالحجاز فبلاد الشام فمصر وعاد إلى بلده . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٦/٣١٣) .

(٢) كتاب آداب تلاوة القرآن ، الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل (ص ٢٨٨) .

(٣) بنحو لفظه ، أسنده السيوطي إلى سعيد بن منصور في سننه ، الإكليل في استنباط التنزيل (ص ١١) .

(٤) ، (٥) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، إحياء علوم الدين (١/٢٨٨-٢٩١) .

وأن في قوة الآدمي استخراجها وذلك لمن صفت روحه وتطهرت بالإخلاص سريره :

(... أقول ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لا يُتَمَارَى فيها أن في الإمكان والقوة أصنافا من العلوم بعد لم تخرج من الوجود وإن كان في قوة الآدمي الوصول إليها كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه ... هذه العلوم جميعها من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى ، وهو بحر الأفعال ، ومنه تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان .

١ - قال تعالى : ﴿ وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ [يونس : ٥] .

٢ - وقال : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ [فاطر : ١٣] .

٣ - وقال : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس : ٣٨] .

٤ - وقال : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن : ٥] .

٥ - وقال : ﴿ وَجَمْعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ﴾ [القيامة : ٩] .

ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما ^(١) وولوج الليل في النهار وكيفية تكور أحدهما على الآخر ^(٢) إلا من عرف هيئات تركيب السموات والأرض وهو علم برأسه ^(٣) .

(واعلم) يقينا أن أسرار الملكوت محجوبة عن القلوب الدنسة بحب الدنيا التي

(١) وهو ما يعلن في الصحف المحلية من توقع حدوث كسوف للشمس وخسوف للقمر ، ويرجع هذا لعلم الفلك المعاصر .

(٢) وبهذا استدل على كروية الأرض ودورانها حول نفسها والذي بسببه جاءنا الليل والنهار .

(٣) ولا يزال العقل البشري في أبحاثه يكشف عن أسرار الكون وخفايا علوم الفضاء .

استغرق أكثرهما طلب العاجلة ، وإنما ذكرنا هذا القدر تشويقاً وترغيباً ، ولننبه به على سر من أسرار القرآن الكريم من غفل عنه لم تفتح له أصداف القرآن الكريم عن جواهره البتة ، ثم إن صدقت رغبتك شمרת للطلب واستعنت فيه بأهل البصيرة^(١) ، واستمددت منهم فما أراك تفلح لو استبددت فيه برأيك وعقلك^(٢) .

(٢) قول الفخر الرازي^(٣) :

لقد ذكر الرازي أدلة قوية تؤيد التفسير العلمي، منها أن التأمل في الكون هو امتثال لما أمر الله تعالى به من التفكير في خلق السموات والأرض ، وأن المعرفة الحاصلة من علم الهيئة والنجوم يعرف بها أوجه التسخير في الكون بما تقوم عليه مصالح البشر ومنافعهم ، كما يستدل بالنعمة على قدر وجلالة المنعم بها بما يقوي الإيمان بالله تعالى ، قال الرازي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٩]

أي سواهن على وفق مصالح هذا العالم ، وهو بكل شيء عليم ، أي هو عالم بجميع المعلومات (قلت) والله سبحانه عالم بكل شيء، (قلت) فيعلم أنه كيف ينبغي ترتيبها

(١) بمعنى من بلغ مرتبة الصلاح من التقوى وتمكن من علوم الفضاء تنكشف له عيون الحقائق وتشرق في قلبه شمس المعارف .

(٢) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، جواهر القرآن (ص ٢٦-٣٣) .

(٣) محمد بن عمر بن الحسن ، أبو عبد الله فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٦ هـ / ١١٥٠-١٢١٠ م) الإمام المفسر من العلماء والحكماء والمتكلمين ، صنف نحواً من مائتي مصنف .

الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية (٧/ ٦٠) ، خير الدين الزركلي الأعلام (٣/ ٣٠١) . ولقد استفاد الرازي من تفسير البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ هـ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) وتفسير النيسابوري المتوفى سنة ٧٢٨ هـ (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) . د. عبد المجيد عبد السلام اتجاهات التفسير في العصر الراهن (ص ٢٥٢) .

وتسويتها حتى تحصل مصالح هذا العالم ، فهذا أيضا نوع عجيب في تسخير الله تعالى هذه الأفلاك والكواكب ، فتكون داخلة تحت قوله ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف : ٥٤] وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله تعالى من علم الهيئة والنجوم ، وذلك على خلاف المعتاد .

فيقال لهذا المسكين إنك لو تأملت في كتاب الله تعالى حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته ، وتقريره من وجوه :

الأول : أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض ، وتعاقب الليل والنهار ، وكيفية أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم ، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى ، فلو لم يكن البحث عنها ، والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها .

والثاني : أنه تعالى قال : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّتْهَا وَرَزَّيْنَهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [ق : ٦]

فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحدة منها . قلت ومعرفة كيفية الخلق والتركيب على الحقيقة أمر غيبي لا تدركه عقول البشر ما لم يرد به الوحي عن النبي ﷺ بسند صحيح ومع هذا لا يمنع من معرفة العلوم الكونية المتعلقة بالبحث والنظر حيث إن القرآن الكريم أشار إلى كليات العلوم وأصول المسائل وترك للعقل البشري البحث عن الجزئيات .

والثالث : أنه تعالى قال : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ

أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر : ٥٧] فيبين أن عجائب الخلقة

وبدائع الفطرة في أجرام السموات أكثر وأكمل مما في أبدان الناس ، ثم إنه تعالى
 رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١]
 فما كان أعلى شأنًا وأعظم برهانًا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما
 أودع فيها من العجائب والغرائب .

والرابع : أنه الله تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ
 فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا ﴾ [آل عمران : ١٩١] ولو كان ذلك
 ممنوعًا منه لما فعل .

والخامس : أن من صنف كتابًا شريفًا مشتملًا على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا
 يساويه كتاب في تلك الدقائق ، فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان : منهم من
 يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق
 واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين ، ومنهم من وقف على تلك الدقائق
 على سبيل التفصيل والتعيين ، واعتقاد الطائفة الأولى وإن بلغ إلى أقصى
 الدرجات في القوة والكمال ، إلا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى
 وأوفى ، وأيضا فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفه أكثر كان
 اعتقاده في عظمة ذلك وجلالته أكمل .

فلكثر الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين وإزالة الشبهات ، فإذا كان الأمر كذلك
 ظهر أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار لا لتكثير النحو والغريب
 والاشتقاقات الخالية عن الفوائد والحكايات الفاسدة ، ونسأل الله تعالى العون والعصمة^(١) .

(١) الرازي : فخر الدين محمد بن عمر ، التفسير الكبير (١٤ / ١٢١ - ١٢٣) .

(٣) قول زكريا بن محمد القزويني^(١) :

أشار في أدلته إلى ما يهذب النفس بالأخلاق الفاضلة والعلوم الرياضية ، كما يظهر لمن أمعن النظر في ملك الله تعالى وملكوته إبداع الصانع الحكيم الذي أتقن صنع هذا الكون .
وأوجه الإتيان تلاحظه عين البصيرة التي تكشف حقائق أسرار الكون وسننه بما يزيد في العمق الإيماني :

(... لما حكم الله تعالى ببعد الدار والوطن ومفارقة الأهل والسكن ، أقبلت على مطالعة الكتب على رأي من قال ، وخير جليس في الزمان كتابي ، وكنت مستغرقا بالنظر في عجائب صنع الله تعالى في مصنوعاته ، وغرائب إبداعه في مبتدعاته كما أرشد الله سبحانه إلى ذلك حيث قال : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [ق : ٦] .

وليس المراد من النظر تقليب الحدة نحوها فإن البهائم تشارك الإنسان فيه ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ومن الأرض إلا غبرتها فهو مشارك للبهائم في ذلك ، وأدنى حالا منها وأشد غفلة .

كما قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

والمراد من هذا النظر التفكير في المعقولات والنظر في المحسوسات والبحث عن حكمها وتصاريفها لتظهر له حقائقها ، فإنها سبب اللذات الدنيوية والسعادات الأخروية .

(١) زكريا بن محمد بن محمود ، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري البخاري ، مؤرخ ، جغرافي ، من القضاة ، ولد بقزوين ، من كتبه (مفيد العلوم ومبيد الهموم) تحقيق وتقديم محمد عبد القادر عطا (٦٠٥-٦٨٢ هـ / ١٢٠٨-١٢٨٣ م) . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٤٦ / ٣) .

وكلما أمعن النظر ازداد من الله تعالى هداية و يقينا ونورا وتحقيقا .. بعد تحسين الأخلاق وتهذيب النفس ، فعند ذلك تنفتح له عين البصيرة ويرى كل شئ من العجب وما يعجز عن إدراك بعضها ...) ^(١) .

ثم تعرض لذكر السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من عجائب وعوالم المخلوقات التي تدل على وحدانية الله تعالى ، وأشار أيضا إلى الشمس والقمر وما فيهما من دلائل القدرة ، وذكر اختلاف مظاهر الأحوال الجوية وتغير أحوالها ، فذكر الرياح والبرق والرعد والصواعق : (...) وأما المدركات بالبصر كالسموات والأرض وما بينهما ، والسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها ودورانها والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها وبحارها وأنهارها ومعادنها ونباتها وحيوانها وما بين السماء والأرض وهو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف أرياحها ، فهذه أجناس المشاهدات من السموات والأرض وما بينهما ، وكل جنس منه ينقسم إلى أنواع ، وكل نوع ينقسم إلى أصناف ، وكل صنف ينقسم إلى أقسام ولانهاية لاستيعاب ذلك ، وانقسامها في اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وفي جميع ذلك مجال البصر فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض إلا تحركها حكمة .. وكل ذلك دليل على وحدانيته وكبريائه وعظمته ...) ^(٢) .

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْمَاءَ بَيِّنَتَهَا بِأَيِّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

... ثم لننظر إلى كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها .. ثم إلى مسير الشمس في فلکها مدة سنة وطلوعها وغروبها كل يوم لاختلاف الليل والنهار ومعرفة الأوقات وتمييز وقت

(١) القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (ص ٨) .

(٢) المرجع السابق (ص ١٨-١٩)

المعاش عن وقت الاستراحة .. ثم لننظر إلى جرم القمر وكيفية اكتساب النور من الشمس^(١) لينوب عنها بالليل . ثم إمالتها عن وسط السماء حتى وقع الصيف والشتاء والربيع والخريف .

... وعجائب السموات لا نستطيع إحصاء عشر عشرها لكن القدر الذي جرى في جرم القمر الذي ذكرناه تبصرة لكل عبد منيب ثم لننظر إلى ما بين السماء والأرض من انقضااض الشهب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والأمطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب وليتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع في جو صاف لا كدورة فيه ، وكيف حمل الماء وتسخير الرياح فإنها تتلاعب به وتسوقه إلى المواضع التي أرادها الله تعالى فترش وجه الأرض وترسله قطرات متفاضلة لا تدرك قطرة منها قطرة ليصيب وجه الأرض برفق ، فلو صبّه صبا لأفسد الزرع بخدشه وجه الأرض ويرسلها مقدارا كافيا لا كثيرا زائدا على الحاجة فيعفن النبات ولا قليلا ناقصا عن الحاجة فلا يتم به النمو ...^(٢) قلت نعم . الملاحظ لهذه الأحوال المتغيرة توقظ إحساسه من التبدل . وهذا وجه من الدلائل الكونية التي تدل على الصانع الخالق المدبر لشئون خلقه سبحانه وتعالى ﴿ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس : ٨٣] .

(٤) قول ابن قيم الجوزية :

يؤكد على تحقق طهارة سريرة العبد لينهل من معين القرآن الكريم الصافي وأن حلاوة القرآن الكريم ولذته وطعمه لا توجد إلا لمن قدسه وعظمه وأيقن صدقاً أنه كلام الله تعالى.

قوله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٩] .

(١) هذا دليل على سبق العلماء القدماء ببعض علوم الفضاء .

(٢) المرجع السابق (ص ١١-١٢-١٣) .

(... دلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا تفهمه إلا القلوب الطاهرة ، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال من معانيه وأن يفهمه كما ينبغي ... وهذا من إشارة الآية وتنبيهها ، وأنه لا يلتذّ به وبقرائه ، وفهمه وتدبره إلا من شهد أنه كلام الله تعالى ، تكلم به حقاً ، وأنزله على رسوله وحياً ولا ينال من معانيه إلا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه ...) ^(١) ... (ولا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن الكريم...) ^(٢) .

(٥) قول الزركشي ^(٣) :

في قول الزركشي تأكيد لقول العلماء السابقين بأنه لا بد من التبهر في العلوم حتى يصبح من الراسخين في العلم والتي بواسطتها يمكن التعرف على بعض نواميس الكون ومعرفة كنه حقائق أسرار وأوجه الإعجاز فيه ، وذلك يكون لمن فتحت له عين البصيرة بالتدبر والتفكير . وهذا حاصل لمن عامل الله بتقواه في السر والعلن حيث يقول ^(٤) :

(كتاب الله بحر عميق ، وفهمه دقيق ، لا يصل إلى فهمه إلا من تبهر في العلوم وعامل الله بتقواه في السر والعلانية ، وأجله عند مواقف الشبهات ... وبالجملة فالعلوم

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، التبيان في أقسام القرآن (ص ٢٠٧ ، ٢٢٩) .

(٢) قول البخاري في صحيحه (٩٧) كتاب التوحيد (٤٧) باب قول الله تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا ﴾ (٢١١ / ٤) .

(٣) بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بمصر ، تركي الأصل عالم بفقهِ الشافعية والأصول (٧٤٥-٧٩٤هـ / ١٣٤٤-١٣٩٢م) .

خير الدين الزركلي ، الأعلام (٦ / ٦٠) .

(٤) وقد استفاد الزركشي من قول الإمام الغزالي في كتابه الإحياء ولم يشر إلى ذلك ، فتنبه .

كلها داخلية في أفعال الله تعالى وصفاته وفي القرآن الكريم شرح ذاته وصفاته وأفعاله . فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ، ومتسعا بالغا ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي فيه الإدراك بالنقل ، والسماع لابد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط^(١) ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ، والغرائب التي لا تفهم إلا باستماع فنون كثيرة .

إذ الغرض ... أن فهم كلام الله تعالى لا غاية له ، كما لا نهاية للمتكلم فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه للبشر . ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئا .. وأصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكير^(٢) .

كما أشار إلى أنه بالفهم في كتاب الله تعالى يمكن استخراج علوم الأولين والآخرين ، وأن الذي يمنع من الفهم موانع ذكرها كما ذكر أسباب الفتوح والفهم والمعرفة في قوله :

(واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب ، أو في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا ، أو يكون غير متحقق بالإيمان ، أو ضعيف التحقيق ، أو معتمدا على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر ، أو يكون راجعا إلى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع ، وبعضها أكد من بعض ، إذا كان العبد مصغيا إلى كلام ربه ، ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه ، ناظرا إلى قدرته تاركا للمعهود من علمه ومعقوله ، متبرئا من حوله وقوته ، معظما للمتكلم ، مفتقرا إلى التفهم ، بحال مستقيم ، وقلب سليم ، وقوة علم ، وتمكن سَمْع لفهم الخطاب ، وشهادة غيب الجواب ، بدعاء وتضرع ، وابتئاس وتمسكن وانتظار للفتح عليه من عند الفتح العليم سبحانه .

(١) بمعنى لابد من معرفة ما ورد في التفسير بالمأثور ، مثل ما ورد من تفسير النبي ﷺ ومثل معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني

(٢) الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٥٣-١٥٥) .

وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم ، من الوعد بالتشويق ، والوعيد بالتخويف والإنذار بالتشديد ، وفي مثل هذا قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [البقرة: ١٢١] .

وهذا هو الراسخ في العلم جعلنا الله من هذا الصنف قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤] .

وفي القرآن علم الأولين والآخرين ، وما من شيء إلا يمكن استخراج منه لمن فهمه الله تعالى ^(١) . قال الله تعالى : ﴿ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] .

(٦) قول السيوطي ^(٢) :

في قول السيوطي موافقة على نهج سابقه من العلماء الذين ذهبوا إلى أن القرآن الكريم أشار إلى كليات العلوم وأصول المسائل وترك للعقل البشري البحث عن الجزئيات ، وأن عين البصيرة هي التي تكشف عجائب ملكوت السموات والأرض ، مستشهدا بقول الله تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

ثم ذكر من العلوم علم اللغة والنحو والتفسير وعلم الأصول والتوحيد ، ومن علوم الأوائل علم الطب والجدل والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك .

(وأما الهيئة (علم الهيئة) ففي تضاعيف سوره من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات

(١) المرجع السابق (٢/ ١٥٣-١٨١) .

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي - جلال الدين - إمام حافظ ، مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٣/ ٣٠١) .

والأرض وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات) ^(١) .

ثم أكد السيوطي على اشتغال القرآن الكريم على كثير من العلوم :

(وأنا أقول : قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء ، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن الكريم ما يدل عليها .

وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى وبدء الخلق) ^(٢) .

وقال في موطن آخر :

(ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك ، فاستخرجوا منه علم المواقيت) ^(٣) .

بعض أقوال المؤيدين للتفسير العلمي من الكتاب المعاصرين :

كُتِّبَ هذا العصر أغلبهم يميلون إلى مدرسة محمد عبده ومنهجيه في التفسير ^(٤) . ومن هذه الأقوال:

(١) قول مصطفى صادق الرافعي :

ذكر بأن القرآن الكريم يحتوي على المعجزات الفريدة وأنه بتطور العلوم واتساع آفاق العقل وباستكمال لآلات البحث يكشف عن دقائق الطبيعة ونظامها وتظهر بعض ملامح أوجه

(١) السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر ، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٤٨-٣٥٣) .

(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٤٨-٣٥٣) .

(٣) السيوطي : عبد الرحمن بن الكمال ، الإكليل في استنباط التنزيل (ص ١٥) .

(٤) د. عبد الغفار عبد الرحيم ، الإمام محمد عبده ومنهجيه في التفسير (ص ٣٢١) .

الإعجاز في القرآن الكريم ، وهذا يرسخ الإيمان ويعمقه في قلب المسلم :

(... إنه معجزة من معجزات التاريخ العلمي في الأرض لم يتفق له في ذلك شبيه من أول الدنيا إلى اليوم ، ولن يتفق ، وقد استخرج بعض علمائنا من القرآن الكريم ما يشير إلى مستحدثات الاختراع وما يحقق غوامض العلوم الطبيعية ، وبسطوا كل ذلك بسطا ، ليس هو من غرضنا فنستقصي فيه على أن هذا ومثله إنما يكون فيه إشارة ولمحة .

ولعل متحققا بهذه العلوم لو تدبر القرآن الكريم وأحكم النظر وكان بحيث لا يُعوزُهُ أداة الفهم ولا يلتوي عليه أمر من أمره لاستخرج منه إشارات كثيرة تومئ إلى حقائق العلوم وإن لم تبسط من أنبائها ، وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها ، بلى وإن في هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعونا على تفسير بعض معاني القرآن والكشف عن حقائقه .

وقد أشار القرآن الكريم إلى نشأة هذه العلوم وإلى تمحيصها وغايتها على ما وصفناه آنفا وذلك قوله تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝٥٥ .

[فصلت : ٥٣-٥٤].

وإن من أدلة إعجاز هذا الكتاب الكريم أن يخطئ الناس في بعض تفسيره على اختلاف العصور ، لضعف رسائلهم العلمية ولقصر حباهم أن تعلق بأطراف السموات أو تحيط بالأرض ، ... فكلما تقدم النظر ، وجمعت العلوم ، ونازعت إلى الكشف والاختراع ، واستكملت آلات البحث ، ظهرت حقائقه الطبيعية ناصعة حتى كأنه غاية لا يزال عقل الإنسان يقطع إليها ، ... فحسبك بذلك وحده برهانا على أن هذا الكتاب جملة من الأزل تحولت في معنى ومنطق ، وجاءت لغرض وغاية ، ولامتست الناس لتكون فيهم سببا لرسوخ الإيمان ، ثم نظاما للإيمان نفسه ، ومتى رسخ الإيمان فقد رسخ العالم كله في النفس الإنسانية ، وهذا عندنا من بعض السر فيما جاء في الكتاب الكريم من آيات

السموات والأرض والنظر والاستدلال.

ثم إن في ذكر الآيات الكونية والعلمية دليلاً على إعجاز آخر فهو بذلك يومئ إلى أن الزمن متجه في سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل^(١).

(٢) قول الدكتور محمد عبد الله دراز:

ذكر بأن القرآن الكريم يحتوي على أخبار غيبية ونواميس كونية ثابتة يدركها العقل بعمق التأمل وسعة الإدراك ، وهذه الحقائق العلمية تذكر بالخالق الحكيم القدير ثم ضرب الأمثلة على ذلك : (القرآن في دعوته إلى الإيمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها ، وإنما يستخدم في هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة ، ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة ، لا بغرض دراستها وفهمها في ذاتها^(٢) ، وإنما لأنها تذكر بالخالق الحكيم .

ونلاحظ أن هذه الحقائق التي يقدمها تتفق تماماً مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث ... مثل المراحل التي يمر بها الإنسان وهو في بطن أمه ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [الحج : ٥] ^(٣) .

ثم تعرض للطريقة المثلى لتفسير الآيات بحيث لا يخرج المفسر عن قواعد التفسير فيحمل ألفاظ القرآن الكريم معاني لا يسعها النص القرآني ، وهذا ربما يحصل

(١) مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن (ص ١٢٧-١٣٠) .

(٢) طلب التفكير لمن كملت فيه أهلية البحث والنظر ، فإن دلائل القدرة والتوحيد منصوبة في الكون والكشف عن أسرار التركيب التكويني لبعض المخلوقات بقدر الطاقة البشرية تعميق للإيمان .

(٣) د. محمد عبد الله دراز ، مدخل إلى علوم القرآن الكريم (ص ١٧٥-١٧٧) .

من المتحمسين للتفسير العلمي ، فيبالغون في تأول المفهوم من النص القرآني :

(عند اختيارنا للآيات التي استشهدنا بها في هذه الفقرة ، حرصنا على تلافي ما يعاب على الطريقة التوضيحية المعروفة (بالتأويل) ، والتي تتلخص في تفسير آيات القرآن الكريم بحيث تتفق نتائج التفسير مع النتائج العلمية المقررة ، ولكن الحماس دفع بعض المفسرين المحدثين إلى المبالغة في استخدام هذه الطريقة التوفيقية لصالح القرآن الكريم ، بحيث أصبحت خطرا على الإيمان ذاته ، لأنها إما تقلل من الاعتماد على معنى النص باستنتاجه ما لا تحتمله ألفاظه وجمله ، وإما أن نعول أكثر مما يجب على آراء العلماء ، وحتى على افتراضاتهم المتناقضة أو التي يصعب التحقق من صحتها ...

والقرآن الكريم ذاته يدعونا إلى البحث والكشف عن الدلائل المثبتة لربانيته ، وذلك بتدبره وبتأمل آيات الخالق التي أودعها في الكون وفي أنفسنا لنصل إلى الدليل القاطع على صدقها المطلق ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

﴿ سَتَرْنَاهُمْ عَيْنَيْنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

كما أشار إلى نتائج الدراسات العلمية التي تطابقت مع الحقائق التي أخبر بها القرآن الكريم، وهذا من الإعجاز ودليل على صدق رسالة محمد ﷺ فبعض تفسيرات القرآن الكريم (تتضمن تطابقا عجيبا بين التوضيح القرآني ذاته وبين التوضيح العلمي الذي ثبت بعد بحوث طويلة خلال العصور والأجيال التي انتهت إلى النتائج المقطوع بصحتها بفضل إسهام رجال متخصصين كل في فرعه المحدد .

هل في هذا مجرد صدفة؟ هل يمكن في عصر الجاهلية أن يتعرض رجل مجرد من أية معدات فنية ، ومعتمد على علمه الطبيعي الخاص ، وعلى مشاهداته المحدودة لعلوم

التشريح والأرصاء الجوية والكونية والنفسية للإنسان والحيوان وفروع أخرى كثيرة ، تتطلب إمكانيات فنية دقيقة ، وتجارب جماعية ، وأن يعطينا في كل موضوع حقائق علمية خالدة من غير أن يترك في أي مجال أثرا ولو طفيفا ينم عن عصره أو بيئته أو حتى خياله الشخصي؟^(١)

(٣) قول الشيخ محمد متولي الشعراوي :

أشار في قوله إلى أن المطلوب في الآيات الكونية هو البحث والنظر والتأمل للوصول إلى الحقائق والانتفاع بها .

وحيث إن القرآن الكريم ذو عطاء متجدد عبر الأزمان والتاريخ . فهو المعجزة الخالدة العامة للبشر أجمع ، وما جاء به هو الحق والصدق الذي نزل على قلب الصادق الأمين النبي محمد ﷺ .

ومن أوجه إعجازه أنه حدث عن أخبار الماضي وتحدث عما في نفوس الكفار وأشار إلى نوااميس كونية كشف عنها العلم حديثا .

وأنه لا تصادم بين حقيقة قرآنية وحقيقة كونية ، لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى والفاعل الخالق هو الله سبحانه وتعالى :

(... وآيات الله في الكون .. فالمطلوب أن أبحث فيها وأتأمل .. وأصل إلى حقائق أنتفع بها ...)

التحدي في القرآن ومعجزاته ليست للعرب وحدهم ، بل هي للعالم أجمع ، ومن هنا فقد كان إعجاز القرآن الكريم اللغوي هو تحديه للعرب فيما نبغوا فيه ، ولكن التحدي يأتي للعرب وحدهم ، والقرآن الكريم جاء لكل الأجناس وكل الألسنة فأين التحدي ،

(١) د. محمد عبد الله دراز ، مدخل إلى علوم القرآن الكريم (ص ١٧٥-١٧٧) .

لغير العرب ، ثم هذا الكتاب سيقى إلى أن تقوم الساعة ، فلا بد أن يحمل معجزة للعالم في كل زمان ومكان ، ومن هنا كانت هناك معجزات للقرآن الكريم وقت نزوله وفي خلال فترة نزوله ، وبعد نزوله ، وهي مستمرة حتى يومنا هذا ، ستستمر إلى قيام الساعة لتظهر لنا آيات الله تعالى في الأرض ، إذا قرأنا القرآن الكريم وجدنا أنه مزق حواجز الغيب الثلاثة .

مزق حجاب الماضي وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم ، وتحدى فيها .

ثم مزق حجاب المكان ، وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكفار والذين يحاربون الإسلام ، ولم تنطق به شفاههم ، ولم يجرؤ واحد منهم أن يكذب القرآن الكريم ويقول لم تهمس نفسي بهذا .

ثم مزق حجاب المستقبل البعيد ليعطي الأجيال القادمة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن الكريم ويسجدون لقائله وهو الله تعالى .

ويستمر الإعجاز .. جاء القرآن بنهايات النظريات ، بقمة نواميس الكون إذا تليت على المؤمنين في ذلك الوقت ، مرت عليهم ، ولم ينتهوا إلى مدلولها العلمي الحقيقي ، وإذا قيلت بعد ذلك على الأجيال القادمة ، عرفوا خافيتها من إعجاز وقالوا إن هذا الكلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين ، إذن لابد أن هذا القرآن الكريم حق من عند الله تعالى وأن قائله هو الله الخالق سبحانه جل ذكره .

... أما آيات الله تعالى في الكون فنلاحظ أنها لم تفسر تفسيراً كاملاً في عهد الرسول ﷺ حتى لا تكون ملزمة للمسلمين ، لماذا لأن لها عطاء يتجدد في كل الأجيال .

والقرآن الكريم أخبرنا بحقائق الكون بعد أن تحدى البشر أجمعين ، قال تعالى ﴿ سَتَرْنَاهُمْ عَنِ الْإِنسَانِ أَفْهَامَ الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ الْحَقَّ ﴾ [فصلت: ٥٣] لم يقل سنريهم

آياتنا في الأرض أو في الأفق بل قال في الآفاق ، حتى يتبين للناس أن هذا القرآن الكريم هو الحق . ذلك أن حقائق الكون التي سيصلون إليها بعد مئات السنين أو آلاف السنين بنشاطات الذهن سيجدون القرآن قد أشار إليها .. وهناك سيعرفون أن هذا القرآن الكريم هو الحق ، لأن الذي قال هو الله تعالى ، والذي خلق هو الله تعالى .. والعجيب أن الإنسان قد وصل إلى القمر ، وقد يصل إلى المريخ ، وقد يستكشف أبعد من ذلك، ولكنه عاجز عن أن يخلق جناح ذبابة حتى الآن، وهو طلب ضعيف جدا بالنسبة لقدرة الله سبحانه وتعالى في خلق ملايين الكائنات، ولذا قال الله: ﴿مُعْظَمُ الْأَطْلَافِ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] ^(١)

كما بين الشيخ محمد متولي الشعراوي الموقف من الحقائق العلمية الحديثة والذي يتمثل بالقبول أو الرفض ، فالذي يوافق نص القرآن ويحتمله هو المقبول وما عارضه مرفوض ^(٢):

(والقرآن الكريم لم يحى كتاب علم بمعنى أنه لم يأتني ليعلمني الكيمياء ولا ليعلمني الفلك ولا ليعلمني الجغرافيا ، إنما يمس حقائق الكون الموجودة بما يؤدي إلى مصداق قول الله تعالى : ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] .

ولا يمكن أن يرينا الآيات في الآفاق وفي أنفسنا ، إلا إذا اكتشفنا حقائق علمية ثم وجدنا قرآنا يؤيدها أي نخبرنا عن الحقيقة على أنها حقيقة ، وهذا غير تعليمنا إياها ، فتعليمها نشاط ذهني لكن إذا وصلت إليها تجد القرآن الكريم إما يؤيدها أو لا يعارضها ، وهذا ما يجب أن نلتفت إليه في بحث القرآن الكريم من ناحية الحقائق العلمية ^(٣) .

(١) محمد متولي الشعراوي ، المنتخب من تفسير القرآن الكريم - معجزة القرآن (١ / ٩ - ٣٥) بتصرف .

(٢) انظر إلى ضوابط قبول التفسير العلمي (ص ٨٥) من الرسالة .

(٣) محمد متولي الشعراوي ، على مائدة الفكر الإسلامي (ص ١٨٧) .

(٤) قول الدكتور كارم السيد غنيم :

حديث القرآن الكريم عن الكون مجاريا لاختلاف عقول البشر وأفهامهم في مختلف العصور، بما يظهر الغاية من الخلق ويدلل على عظمة الخالق وصفاته سبحانه وتعالى .

(لقد جاء الحديث في القرآن الكريم عن الكائنات كما جاء غيره من الأحاديث والأنباء مناسبة لجميع الناس على اختلاف درجات عقولهم وأفهامهم فكان ولا يزال لهم جميعا من ظاهرة معان واضحة وسهلة ، تصور لهم صنعة الخالق كما يشاهدونها وتبين لهم ما ميزنا من آيات القدرة العظيمة، ودلائل العلم الواسع مع التوجيه الحكيم إلى غايات محدودة، ورحمات مقصودة ، لكي يتعرفوا منها بالعقل والتبصر في غير عناء على خالق الخلق جل وعلا ، وعلى كمال صفاته وأفعاله ، إذ الصنعة دليل - لاشك فيه - على قدرة الصانع وصفاته ، ولكي يؤمنوا بعد التعرف عليه بصدق وعده ووعيده ، كان هذا ولا يزال هو الحكمة العامة المقصودة من ورود الحديث عن الكائنات والكونيات الأخرى في القرآن الكريم)^(١) .

(١) د. كارم السيد غنيم ، الإشارات العلمية في القرآن بين الدراسة والتطبيق (ص ٦٠) .

المبحث الثالث : ضوابط قبول التفسير العلمي

لقد بين العلماء السابقون الصفات التي يجب أن تتوفر في مفسري كتاب الله عز وجل ويتحلى بها المفسر ، وهذا ما يلزم أن يكون عليه حملة كتاب الله تعالى^(١) .

كما ذكروا أصول التفسير وقواعده والعلوم التي يحتاجها المفسر ، وفي مقدمتهم الإمام ابن جرير الطبري حيث أشار في مقدمة تفسيره إلى الوجوه التي من قبلها يتوصل إلى معرفة تأويل القرآن :

قال : (... فقد تبين ببيان الله جل ذكره ، أن مما أنزل الله تعالى من القرآن الكريم على نبيه ﷺ ما لا يتوصل إلى علم تأويله ، إلا ببيان الرسول ﷺ ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه ... وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار ، وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت الساعة ، والنفخ في الصور ، ونزول عيسى بن مريم ، وما أشبه ذلك ... وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن الكريم ، وذلك إقامة إعرابه ، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة ، غير المشترك فيها ، والموصوفات الخاصة بصفاتها دون ما سواها)^(٢) .

ومن الذين كتبوا في أصول التفسير الإمام الغزالي في كتابه الإحياء ، حيث تطرق إلى آداب تلاوة القرآن وذكر بأن المطلوب في التلاوة الفهم ، وأشار إلى النهي عن تفسير القرآن بالرأي^(٣) ،

(١) مثل كتاب : أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، أخلاق أهل القرآن ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، التبيان في آداب حملة القرآن .

(٢) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ٣٤) .

(٣) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، إحياء علوم الدين (١/ ٢٧٢-٢٩٣) .

وبنحوه ابن تيمية له مقدمة في أصول التفسير^(١) ، والزركشي كذلك في كتابه البرهان ، ومن ذلك نجد قوله في الجزء الثاني : (النوع الحادي والأربعون) في معرفة تفسيره وحاجة المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم ، وأن يكون من الراسخين في العلم^(٢) . ولقد جمع السيوطي الأقوال وضمها في كتابه الإتقان في علوم القرآن (النوع السابع والسبعون والثامن والسبعون) في معرفة تفسيره وتأويله ومعرفة شروط المفسر وآدابه^(٣) .

حيث ذكر أن من أول شروط المفسر صحة اعتقاد المفسر وصحة المقصد واعتماده على النقل عن النبي محمد ﷺ وعن الصحابة ومن عاصروهم ، ومعرفة اللغة العربية وأسرارها، كما ذكر العلوم التي يجب أن يجيدها المفسر وهي خمسة عشر علما أذكرها بإيجاز .

شروط أهلية المفسر للتفسير :

الأول : اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع .

الثاني : النحو ، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره .

(١) ومن العلماء الذين وضعوا للتفسير أصولا وقواعد ومبادئ راسخة ، على ضوءها يهتدي السالكون وعلى أصولها يقتفي العالمون الإمام ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ، وقد سبقه إلى ذلك (من أهل اللغة أبو عبيدة بن عمر بن المثنى ، ثم قطرب بن المستنير ، ثم الأخفش ، وصنف من الكوفيين الكسائي ، ثم الفراء) وغيرهم مثل : أبو جعفر النحاس ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، والزجاج ، وابن الأنباري .

أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، معاني القرآن ، المقدمة (١/ ١٢) ، الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٦-١٤٧) بتصرف .

(٢) الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٤٦-١٨١) .

(٣) السيوطي : عبد الرحمن بن الكمال ، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٤٨٩-٥١٠) .

الثالث : التصريف ، لأن به تعرف الأبنية والصيغ .

الرابع : الاشتقاق ، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافها كالمرسح هل هو من السياحة أو المسح .

الخامس ، والسادس ، والسابع : المعاني والبيان والبديع ، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام ، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم أركان المفسر ، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك بهذه العلوم .

الثامن : علم القراءات ، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن الكريم والقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما في القرآن الكريم من الآية الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى ، فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز .

العاشر : أصول الفقه ، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

الحادي عشر : أسباب النزول والقصص ، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه .

الثاني عشر : النسخ والمنسوخ ، ليعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه .

الرابع عشر : الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم .

الخامس عشر : علم الموهبة . وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم وإليه الإشارة

في الأثر (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)^(١) .
ومن العلوم التي يحتاجها المفسر (علم التاريخ وأحوال البشر الاجتماعية والسيرة النبوية وتاريخ الأديان والعلوم الكونية)^(٢) .
فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها ، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه^(٣) .

وبناء على ما سبق يمكن تلخيص ضوابط قبول التفسير العلمي بما يأتي :

١ - أهلية المفسر بحيث يكون من الراسخين في العلم^(٤) ، المتضلعين في علوم اللسان العربي والشريعة وعلوم القرآن الكريم ، المتمكنين من العلوم الحديثة مثل علوم الفضاء وعلوم الأرض .

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس بن مالك بلفظ (من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم) ، ثم قال : ذكر ابن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم عليه السلام ، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ ، فوضع هذا الإسناد عليه لسهولة وقربه ، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٥ / ١٠) ، وذكره الشوكاني في (الفوائد المجموعة) (ص ٢٨٦) رقم (٤٣٥) وقال : رواه أبو نعيم وهو ضعيف .

الإمام العلامة محمد بن سليمان الكافيجي ، التيسير في قواعد علم التفسير ، تحقيق ناصر محمد المطرودي (ص ١٤٧) .

(٢) د. محمد أبو شهبة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص ٣٧) بتصرف .

(٣) السيوطي : عبد الرحمن بن الكمال ، الإتقان في علوم القرآن (٢ / ٤٨٩ - ٥١٣) .

(٤) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحد الطوسي ، إحياء علوم الدين (١ / ٢٩٣) ، الشاطبي : إبراهيم ابن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (٣ / ٤٢٣) ، الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله البرهان في علوم القرآن (٢ / ١٨١) .

٢ - أن يعتمد المفسر ويعتقد أن حديث القرآن الكريم عن الكون هو الأصل والحق وأن علم القرآن الكريم هو المتبوع وليس تابعا^(١) كما يُردُّ كل قول يعارض النص القرآني والمعنى المتبادر للفهم الصحيح المبني على الدليل والبرهان الصادق^(٢).

٣ - كل ما وافق القرآن الكريم من حقائق علمية قطعية تصدق القرآن الكريم يكون هذا وجهها من أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، مثل القول بكروية الأرض ودورانها حول نفسها^(٣) ، ومثل الدورة الدموية في جسم الإنسان .

وأما النظريات العلمية الأخرى والتي هي محل النظر والبحث ولم يظهر ما يعارضها في القرآن الكريم والسنة، أو يؤيدها فيجب أن نتوقف^(٤) عن إقحامها في تفسير القرآن حتى يظهر الدليل الذي يرحب قبول هذا التفسير أو يرفضه ، لأن احتمال الخطأ قائم في تلك النظريات البشرية^(٥) ، ولا أحد يدعي تفسيراً معيناً ويجزم بأنه مراد الله تعالى^(٦) من

(١) إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مجلة الإعجاز (برابطة العالم الإسلامي) ، العدد الأول ، صفر ١٤١٦ هـ (ص ١٧) بتصرف .

(٢) عطاء بن أبي رباح وجهوده في التفسير ، رسالة ماجستير للمؤلف (ص ١٦) .

(٣) د. عبدالحليم خضر : المنهج الإيماني للدراسات الكونية (ص ٣١٣) .

(٤) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، مقدمة في أصول التفسير (ص ١٠٠) ، الشاطبي : إبراهيم بن موسى ،

الموافقات في أصول الشريعة ، الدليل الأول الكتاب العزيز ، المسألة العاشرة (٤ / ٤٠٤) ، ابن حجر

العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨ / ١٧٠) عند شرح الحديث رقم (٤٤٨٥) ، ورقم

(٧٣٦٢) ، ورقم (٧٥٤٢) .

(٥) د. محمد أبو شهبة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص ١٢٠) ، د. محمد حسين

الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث (ص ٤٨ - ٤٩، ٥٤) .

(٦) الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (٣ / ٩٩، ٤٢٤) .

كلامه ، أو تفسيره له ما لم يكن نصاً صريحاً^(١) صحيحاً عن النبي محمد ﷺ أنه من مراد الله تعالى . والله تعالى أعلم .

٤ - عدم إقحام العقل في معرفة الأمور المتعلقة (بالغيب)^(٢) فلا طريق لمعرفة بعض تفسيره إلا بما ورد تفسيره بطريق صحيح عن النبي محمد ﷺ والصحابه والتابعين^(٣) .

وعن أبي الزناد : قال : قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرف العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله^(٤) .

٥ - التركيز على الجانب اللغوي في معرفة دلالة الألفاظ على المعاني ، وعدم إخراج النص القرآني من الحقيقة إلى المجاز إلا بقريضة قاطعة مع معرفة معاني المفردات والتقيد بما ورد استعماله في لغة العرب إبان نزول الوحي^(٥) ، وما ذكره المفسرون من أوجه المعاني التي يستعمل فيها اللفظ في آيات القرآن الكريم^(٦) مع تطبيق المنهج المتبع

(١) الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن (٢ / ١٦٢) .

(٢) الغيب ثلاثة أقسام : ١ - من الغيب ما اختص بعلم الله تعالى .

٢ - من الغيب ما اعلم الله تعالى به أنبياءه .

٣ - غيب وقتي يمكن معرفة اكتشافه بقدر معرفة العقل البشري وترقيه في تحصيل العلوم .

(٣) د. أحمد عمر أبو حجر ، التفسير العلمي للقرآن في الميزان (ص ٥٠٥) بتصرف .

(٤) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن أي القرآن (١ / ٣٢) .

(٥) إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة ، وريقات للتعريف برسالة الهيئة (ص ٤) بتصرف .

(٦) مثاله كتاب : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، نزهة الأعين النواظر في معرفة علم الوجوه والنظائر

في التفسير الموضوعي عند دراسة الآيات الكونية وتفسيرها^(١).

٦ - تطبيق ضوابط قبول التفسير العلمي وأصول هذا التفسير وقواعده التي اعتمدها هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، (رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة) بصفتها هيئة متخصصة في هذا الميدان .

وبناء على هذه الضوابط يكون المتعرض لتفسير القرآن والآيات الكونية متكلفاً إذا لم تكتمل فيه أهلية الاجتهاد في تفسير القرآن الكريم بل إنه يأثم في هذه الجراءة على كتاب الله كما أنه قد عرض نفسه للإنذار الوارد عن النبي محمد ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي حيث قال : (اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) ، قال الترمذي : هذا حديث حسن^(٢) .

والمراد بالرأي المذكور في الحديث هو الرأي الفاسد الموافق لهوى (النفس)^(٣) والخارج عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين ، وعلماء الأمة^(٤) . وينسحب هذا الحكم على من تكلف فخاض في تفسيره دون تحقيقه بالعلم اللازم .

(١) د. كارم السيد غنيم ، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق (ص ٢٩٠) بتصرف

(٢) أخرج هذا الحديث : الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٦٩، ٣٣٣) ، والترمذي في أبواب تفسير القرآن ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه وقال : هذا حديث حسن ، تحفة الأحوزي (٨/ ٢٧٨) ، رقم الحديث (٤٠٢٣) ، والبيهقي في شعب الإبان (٢/ ٤٢٣) ، رقم الحديث (٢٢٧٥) وغيره .

(٣) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، إحياء علوم الدين (١/ ٢٩١) .

(٤) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ٤١) .

قال النووي^(١) في تفسير القرآن بالرأي :

ويحرم تفسيره بغير علم ، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها ، والأحاديث في تلك كثيرة والإجماع منعقد عليه^(٢) .

وقال الزركشي في تفسير القرآن بالرأي :

ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل ، لقوله تعالى : ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩] ، وقوله : ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]^(٣) . وقوله : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

وذكر السيوطي القول عن ابن النقيب^(٤)

(١) النووي (٦٣١-٦٧٦هـ / ١٢٣٣-١٢٧٧م) :

يحيى بن شرف بن مري بن حسن الخزامي الحوراني ، النووي ، الشافعي ، أبو زكريا ، محيي الدين : علامة بالفقه والحديث ، مولده ووفاته في نوا من قرى حوران ، بسورية ، وإليه نسبته خير الدين الزركلي ، الأعلام (١٤٩ / ٨) .

(٢) النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١٥٦) .

(٣) الزركشي : بدر الدين محمد بن عبدالله ، البرهان في علوم القرآن ، معرفة تفسيره وتأويله (١٦١ / ٢) .

(٤) ابن النقيب (٦١١-٦٩٨هـ / ١٢١٤-١٢٩٨م) محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي ، أبو عبدالله ، جمال الدين ابن النقيب : مفسر ، من فقهاء الحنفية ، أصله من بلخ ، ومولده في المقدس ، انتقل إلى القاهرة وأقرأ في بعض مدارسها وعاد إلى المقدس ، فتوفي بها ، له (تفسير) كبير حافل ، سماه التحرير والتحجير لأقوال أئمة التفسير ، قال المقرئ في سبعين مجلدا . خير الدين الزركلي ، الأعلام (١٥٠ / ٦) .

أوجه الرأي المنهي عنه في تفسير القرآن الكريم وهي :

(أحدها) : التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير .

(الثاني) : تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله .

(والثالث) : التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعا فيرد إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفا .

(الرابع) : أن مراد الله تعالى كذا على طريق القطع من غير دليل .

(الخامس) : التفسير بالاستحسان والهوى ^(١) .

- وذكر الزرقاني الأقوال في التفسير بالرأي المذكور في الحديث وقال : (فكل هذا محمول على ما لم يوافق تفسيره الأدلة الشرعية ولا قواعد اللغة العربية والمبني على الجهالة والضلالة) ^(٢) .

- وبعد الانتهاء من ضوابط قبول التفسير العلمي نشير إلى بعض مقاصد القرآن الكريم وخصائصه من خلال الآيات الكونية . وقبل ذلك دعوة القرآن إلى العلم والعمل .

(١) السيوطي : عبد الرحمن الكمال ، الإتيان في علوم القرآن (٢/ ٥١٦) .

(٢) الزرقاني : محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٥١٨-٥٢٧) بتصرف .

الفصل الثاني

دعوة القرآن إلى العلم والإيمان

المبحث الأول : فضل العلم والعلماء .

المبحث الثاني : مقاصد القرآن الكريم من خلال آيات الكون .

المبحث الثالث : خصائص منهج القرآن الكريم من خلال آيات الكون .

المبحث الأول : فضل العلم والعلماء

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء : ١٣٦] .

أصل الدين والعلم معرفة الله تعالى والإيمان به سبحانه وتعالى وهذه المعرفة هي أشرف العلوم وأفضلها على الإطلاق ومن هذه المعرفة معرفة أسماء الله تعالى وصفاته والدعاء بها وفهم معانيها وإحصاؤها .

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

والمعرفة بالله تعالى تورث محبة الله تعالى وخشيته والخوف منه كما يقوى يقين العبد ويزداد إيمانه بالله تعالى وثمرة هذا الإيمان محبة الله تعالى لعبده وإعائته وتوفيقه لطاعته ورضاه وذكره وشكره وحسن عبادته .

والمعرفة بالله تعالى هي عين نعيم سعادة العبد الصالح وهي قلب الحكمة وعينها وهي سبباً لطمانينة القلب وسروره وتذوق طعم الإيمان بالله تعالى وحلاوته .

— قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة : ٥٤] ^(١) .

(١) الشيخ : عبد الرحمن السعدى ، تفسير أسماء الله الحسنى ، جمعاً ودراسة ، إعداد : د. عبيد بن علي العبيد ، مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١١٢) بتصرف .

- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

- وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

- وقال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٢].

ولقد رفع الله سبحانه وتعالى قدر العلماء وأعلى درجاتهم ومنازلهم ، وقد شهد الملائكة وأولو العلم بوحدانية الله سبحانه ، كما بين العلماء هذه الشهادة بالدليل والبرهان والتوضيح والبيان من خلال آيات الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس ، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَالِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] .

في هذه الآية الكريمة (بين الله تعالى لجميع الخلائق وحدانيته .. وأنه المتفرد بالألوهية بالدلائل التكوينية والتصرفية في الآفاق والأنفس ، وأخبر الملائكة الرسل بهذا ، وشهدوا شهادة مؤيدة بعلم بدهي ، وكذلك أخبر أولو العلم بذلك ، وبينوه وشهدوا به شهادة مقرونة بالدليل والحجة ، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام ...) ^(١).

ودلائل الوحدانية والقدرة ظاهرة للعيان .. و(إن في إبداع السموات والأرض الأولى في ارتفاعها واتساعها ، والثانية في انخفاضها وكثافتها وصلاحتها للحياة ، وما فيها من نظام بديع وأفلاك وكواكب ومجرات ، وبحار وأنهار ، وزرع ونبات وأشجار مثمرة

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٣/ ١٧٨) .

وغير مثمرة ومعادن وثروات ، وتعاقب الليل والنهار مع الطول والقصر والاعتدال على مدار العام وبحسب الفصول والموقع ، لأدلة دالة على وجود الله تعالى وكمال قدرته وعظمته ووحدانيته ..^(١) .

وقال الله تعالى في فضل العلماء : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَآءِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[المجادلة : ١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَتٌ يُنَنِّتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ بِعَبَثِنَا إِلَّا

أَنظِلِّمُونُ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] .

كما أشار ابن قيم الجوزية إلى فضل العلم والعلماء وشرف التفكير والتدبر في كتاب الله تعالى قال الله تعالى : ﴿ لِيَذَّبَرُوا ءِبَانِيَهُمْ ﴾ [ص : ٢٩] ، والقرآن الكريم هو مصدر العلم

والمعرفة بالله سبحانه وأن هذا التدبر هو أفضل أعمال القلوب ، وهو أصل الخير وهو مفتاح لسعادة الدنيا والآخرة ، حيث يثبت قواعد اليقين ويرسخ أصول الإيمان ويثبت صفة الكمال المطلق لله تعالى من كل وجه ، فالقرآن الكريم يدعو إلى الإيمان وهو أفضل العلم وأشرفه ... فالخير كله في الإقبال على الله تعالى بـ (تدبر كلامه وما تعرّف به سبحانه إلى عباده على السنة رُسُله من أسائه وصفاته وأفعاله ، وما نزه نفسه عنه مما لا ينبغي له ولا يليق به سبحانه ، ... والله سبحانه وتعالى قد جعل العلماء وكلاء على دينه ووحية وارتضاهم لحفظه والقيام به والذب عنه .. وهذه منزلة شريفة ومنقبة عظيمة فتبارك الذي جعل كلامه حياة القلوب وشفاء لما في الصدور ، وبالجمله فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن والتفكير فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين ، وهو الذي يورث

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٤/ ٢٠٦) .

المحبة والصبر والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضاء والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكمالها فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من ختمه بغير تدبر وتفهم ، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وتذوق حلاوة القرآن الكريم والإيمان^(١) وهذا من نعمة الله تعالى وفضله ورحمته وذكرى للمؤمنين، قال الله تعالى :
 أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
 [العنكبوت : ٥١] .

ويجب على علماء الإسلام تحقيق السبق المتواصل بين الشرق والغرب في معرفة علوم الكون والفضاء ، وكل العلوم الحديثة فهم أولى برسالة العلم من غيرهم .
 والعلم يدعو إلى المعرفة ، والأولى أن تكون معرفة العبد بخالقه ، وخاصة بعد أن تمهأت للإنسان أسباب العلم والمعرفة ووسائلها ، وبذلك المعرفة تتجلى دلائل نعم الله تعالى على خلقه .

كما يترتب على تلك المعرفة الاعتراف بالفضل للمنعم وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك : ٢٣] ، وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفْهَتَيْنِ ﴾ [البلد : ٨-٩] .

ولقد هيأ الله سبحانه وتعالى هذا الكون للإنسان لكي يؤدي دور الخلافة على وجه الأرض بمنهج الله وشرعه . قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان : ٢٠] .

(١) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة (١/ ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٥٠ ، ٥٥٣) وانظر ص : (٣١١-٣١٣ ، ٤٥٦ ، ٤٧٧) بتصرف .

وقال الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾
 الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ [الرحمن : ١-٧] ،
 وقال الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّيْلَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق : ١-٥] .

فبالعلم يبحث في طبيعة الكون ونظام التكوين في السماء والأرض بما يحقق الخشية لله تعالى، ومزيدها من المعرفة بالخالق المدبر لشئون عباده ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزُ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر : ٢٨] ،

(أي إنما يخاف الله بالغيب العالمون به ، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة ، ومنها عظيم قدرته على صنع ما يشاء وفعل ما يريد ، فمن كان أعلم بالله تعالى، كان أخشاهم له ، ومن لم يخش الله تعالى فليس بعالم ، والمراد به العالم بعلوم الطبيعة والحياة وأسرار الكون ...) ^(١) .

وتلك العلوم تدلل على الإله الأعلى وتعلق القلوب بخالقها وبارئها .

(وللعلم الذي يدعو الإسلام إليه ويحض القرآن الكريم عليه أصول وضوابط مهمة، منها :

١ - أن يكون طالب العلم متميزاً بالشخصية الإسلامية (العبد الصالح) بصدق النية في المعاملة مع الله تعالى والناس جميعاً .

٢ - أن يكون على قدر المسؤولية في تحمل الأمانة العلمية وأدائها على وجهها الصحيح .

٣ - داعياً إلى الله تعالى وإلى كل خير ولا يصدر منه إلا الخير في القول والعمل والنفع للناس جميعاً .

(١)د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٢/ ٢٦٠) .

٤ - متوقفاً عن الخوض في الأمور والمسائل الغيبية .

٥ - مع الاستمرارية والزيادة في طلب العلم والمعرفة بما يقوي اليقين ويزيد في الإيمان بالله تعالى وخشيته والخوف منه سبحانه وتعالى مع الرجاء والطمع في فضله ورحمة الله تعالى .

٦ - مطلعاً على كافة العلوم والمعارف النافعة .

ويتقدم تلك الدعائم على (الإخلاص لله وحده) سبحانه وتعالى الذي تنبني عليه معرفة القلوب للعلوم والمعارف بهداية من الله وإجابة إليه جل وعلا^(١) .

وعلوم الكون وسائر العلوم والمعارف إنما هي في الحقيقة تخدم كتاب الله عز وجل ،
وبالتبحر فيها تتسع دائرة الحقائق العلمية وتظهر أوجه الإعجاز ودلائله في دقة صنع الكون وإتقانه . وحيث إنه من أعظم دلائل الدعوة للإيمان وتعميقه في قلوب المؤمنين فتسجد قلوب أهل الإيمان لله تعالى الخالق، فله الفضل والإحسان وعظيم القدر، كما تخضع لكمال قدرته وإرادته النافذة وعظيم سلطانه في ملكه الواسع الذي سخره لهم سبحانه وتعالى ﷻ^(٢) .

(فمن نظر في ملكوت السماوات والأرض، ونظر في ذلك بعقله ولبه، استفاد بذلك المعرفة بربه، و التعظيم لأمره، وليس للمتفكرين إلى غير ذلك سبيل، وكلما ردد العقل الموفق النظر والتفكر في عجائب الصنع وبدائع الخلق، ازداد معرفة ويقيناً، وإذعاناً لبارئه وتعظيماً، ثم الخلق في ذلك متفاوتون، فكل مثال على حسب ما وهبه الله تعالى له من نور العقل ونور الهداية، وأعظم شيء موصل إلى هذه الفوائد المشار إليها تلاوة الكتاب العزيز وتعظيم ما ورد فيه وتدبر آياته مع ملازمة تقوى الله سبحانه، فهذا هو باب المعرفة بالله تعالى

(١) د. كارم السيد غنيم ، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق (ص ٢١٣) بتصرف .

(٢) انظر للتوسع كتاب مفتاح الدار السعادة ومنتور ولاية أهل العلم والإرادة (٢ / ٢١٩) .

واليقين بما عند الله تعالى جل ذكره^(١) .

وبهذا التسخير تهيأت للبشرية أسباب الحياة والمنافع وعاشت في رفاهية ورخاء .
ومن هذا المنطلق كان ترجيح قبول التفسير العلمي بضوابط التي سبق الحديث عنها
في المبحث الثالث في الباب الأول .

ومن أقوى الأسباب المرجحة أيضا لقبول التفسير العلمي حديث القرآن الكريم عن
نظام الكون وسننه ، والذي هو من مقاصد القرآن الكريم من خلال عرض آيات الكون .
وسوف نتحدث عن تلك المقاصد في المبحث الثاني .

(١) الغزالي، أبو حامد بن محمد أحمد الطوسي: الحكمة في مخلوقات الله تعالى، (ص ١٣٨) .

المبحث الثاني: مقاصد القرآن الكريم العامة من خلال آيات الكون

المقصد الأول : هو التذكرة بالإيمان بالله تعالى ، ومعرفة الله تعالى ^(١) والإيمان به هو أصل الدين وهو أفضل العلم وأشرفه على الإطلاق :

بين يدي الحديث عن موضوع التذكرة بنعمة الإيمان بالله تعالى أذكر ما ورد في معنى (الذِّكْرُ) ، و(التَّذْكِرَةُ) ، و(التَّفَكُّرُ) ، و(الإِيَّانُ) .

(الذِّكْرُ) تارة يطلق ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ ، إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه ، و(الذِّكْرُ) يقال اعتباراً باستحضاره ، وتارة يقال لحضور الشيء في القلب أو القول ، ولذلك قيل (الذِّكْرُ) ذكران : ذكر بالقلب وذكر باللسان .. و(الذِّكْرَى) كثرة الذكر وهو أبلغ و(التَّذْكِرَةُ) ما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والأمرة ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [المائدة : ٤٩] ^(٢) .

و(التذكّر) تفعل من الذكر ، وضده النسيان ، وهو حضور صورة المذكور العليمة في القلب ، واختير له بناء الفعل لحصوله بعد مهلة وتدرج كالتبصّر والتفهّم والتعلّم .. و(التذكّر) يعتقل المعاني التي حصلت بالتفكر في مواقع الآيات والعبرة ، فهو يظفر بها بالتفكر ، وتنجلي له بالتذكر ... ، و(منزلة) (التذكر من) (التفكر) ^(٣) منزلة حصول الشيء

(١) والمقصود الأسمى من هذه المعرفة أن تحصل للعبد الدرجة والمكانة والمنزلة والرفعة والكرامة عند الله تعالى بالتقوى . قال تعالى : (إن أكرمك عند الله أتقاكم) [الحجرات : ١٣] .

(٢) الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن (ص ١٧٩) .

(٣) و(التذكر) و(التفكر) منزلان يثمران أنواع المعارف ، وحقائق الإيمان والإحسان ، والعارف لا يزال يعود بتفكره على تذكره ، وبتذكره على تفكره ، حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتح العليم ، قال الحسن البصري : (ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر ، وبالتفكر على التذكر ، ويناطقون القلوب حتى نطقن) . ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٤١-٤٤٤) .

المطلوب بعد التفتيش عليه ، ولهذا كانت آيات الله المتلوة والمشهودة ذكرى ، كما قال تعالى في الآيات المتلوة ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۖ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ [غافر: ٥٣-٥٤] ، وقال في آياته المشهودة ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسَى وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِهَيْجٍ ﴾ (٧) ﴿ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق: ٦-٨] ^(١) .

التبصرة والتذكرة طريق الإيمان ودليل عليه :

و(التبصرة) آلة البصر ، و(التذكرة) آلة الذكر ، وقرن بينهما وجعلهما لأهل الإنابة ، لأن العبد إذا أناب إلى الله تعالى أبصر مواقع الآيات والعبر ، فاستدل بها على ما هي آيات له ، فزال عنه الإعراض بالإنابة ، والعمى بالتبصرة ، والغفلة بالتذكرة ، لأن التبصرة توجب له حصول صورة المدلول في القلب بعد غفلته عنها . فالتبصرة التعقل والتذكرة ، والفكر باب ذلك ومدخله ، فإذا فكر تبصر ، وإذا تبصر تذكر ، فجاء في التذكير في الآية ﴿ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق: ٨] لترتيبه على العقل المرتب على الفكر ، فقدم الفكر لأنه هو الباب والمدخل ، ووسط العقل إذ هو ثمرة الفكر ونتيجة ، وآخر التذكر إذ هو المطلوب من الفكر والعقل ، فتأمل ذلك حق التأمل ^(٢) .

وتعريف الإيمان عند (أصول أهل السنة ورد بمعنى أن الدين والإيمان قول وعمل : قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة ^(٣) وينقص بالمعصية) ^(٤) .

(١) المرجع السابق (١/ ٤٤١) .

(٢) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٤٢) .

(٣) صحيح البخاري (٢) كتاب الإيمان (٣٣) باب زيادة الإيمان ونقصانه (١/ ١٦) .

(٤) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، العقيدة الواسطية (ص ٢٥) .

وموضوع التذكرة بالإيمان بالله تعالى هو تذكرة لما نسيه بنو آدم بعد أن أخذ الله سبحانه وتعالى العهد على بني آدم بالإيمان والإسلام وهم في عالم الذر ، وتندرج كل مواضع التذكرة تحت التذكرة بالإيمان .

- قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

- قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

- قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤١] .

- قال الله تعالى : ﴿ طه ١ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢ إِلَّا نَذِيرَةً لِمَنْ يَخْشَى ٣ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْفُلَى ٤ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ٥ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ [طه : ١-٦] .

- وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فُزِعَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾ .

[السجدة : ٢٢]

- وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٢٧] .

- وقال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان : ٥٨] .

- وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَذِيرٌ لِّلْمُنَاقِبِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٨] .

- وقال الله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ٤٩ كَانَهُمْ حُرُومُ شَتَابَةٍ ٥٠ فَأَوْرَثَ مِنْ قَسْوَرَةٍ ٥١ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً ٥٢ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ٥٣ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ٥٤ ﴾

[المدثر : ٤٩-٥٤] .

- وقال الله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٧] .

مواضع التذكرة في القرآن الكريم كثيرة ، نلاحظها من خلال عرض القرآن الكريم لآيات الكون . ولقد ألح العلماء إلى ما تتميز به الآيات الكونية من خصائص في الأسلوب والموضوع والتي تركز حول النقاط الآتية :

١ - التذكرة بالإيمان بالله تعالى وما يتعلق به من التصديق برسالة النبي محمد ﷺ وصدق ما نزل عليه من القرآن الكريم وما تضمنه من أخبار غيبية ومواعظ وقصص وأمثال وكذلك السنة النبوية .

٢ - التذكرة بالنظر في خلق الكون ونظامه .

٣ - التذكرة بالتبصر في خلق النفس وتسويتها .

٤ - التذكرة بالبعث والجزاء بعد الموت .

ومواضع التذكرة السابقة الذكر تبنى على حد قول الشاطبي بأن القسم المكي من الآيات مقرر لثلاثة معان كلها تعود إلى الدعاء إلى عبادة الله تعالى (الإيمان بالله تعالى) :

(...وغالبا المكي أنه مقرر لثلاثة معان ، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى :

أحدها : تقرير الوجدانية لله الواحد الحق ، غير أنه يأتي على وجوه ، كنفي الشريك بإطلاق ، أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة ، من كونه مقربا إلى الله زلفى ، أو كونه ولدا ، أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة .

والثاني : تقرير النبوة للنبي محمد ﷺ ، وأنه رسول الله إليهم جميعا ، صادق فيما جاء به من عند الله تعالى ، إلا أنه وارد على وجوه أيضا كإثبات كونه رسولا حقا ، ونفي ما ادعوه من أنه كاذب ، أو ساحر ، أو مجنون ، أو يعلمه بشر ، أو ما أشبه ذلك من كفرهم وعنادهم .

الثالث : إثبات أمر البعث والدار الآخرة وأنه حق لا ريب فيه ، بالأدلة الواضحة ، والرد على من أنكر ذلك بكل وجه يمكن الكافر إنكاره به ، فرد بكل وجه يلزم الحجة ، وبيكت الخصم، ويوضح الأمر ... فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن الكريم بمكة في عامة الأمر وما ظهر ببادي الرأي خروجه عنها فراجع إليها في محصول الأمر ، ويتبع ذلك الترغيب والترهيب والأمثال والقصص، وذكر الجنة والنار ووصف يوم القيامة وأشباه ذلك) ^(١) .

وينحو ما ذكر الشاطبي أشار عبد العظيم الزرقاني حيث يقول :

نذكر من خواص القسم المكي أنه قد كثف فيه ما يأتي :

(أولاً) أنه حمل حملة شعواء على الشرك والوثنية وعلى الشبهات التي تذرع بها أهل مكة .. ودخل عليهم من كل باب ، وأتاهم بكل دليل وحاكمهم إلى الحس وضرب لهم أبلغ الأمثال .

(ثانياً) أنه فتح عيونهم على ما في أنفسهم من شواهد الحق ، وعلى ما في الكون من أعلام الرشد ، ونوع لهم في الأدلة وتفنن في الأساليب ، وقاضاهم إلى الأوليات والمشاهدات ، ثم قادهم من وراء ذلك قيادة راشدة حكيمة إلى الاعتراف بتوحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته ، والإيمان بالبعث ومسئولية الجزاء العادل ودقته ، ثم التسليم بالوحي وبكل ما جاء به الوحي من هدى الله تعالى في الإلهيات والنبوات والسمعيات في العقائد على سواء) ^(٢) .

(١) الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (٣/ ٤١٦) .

(٢) الزرقاني : محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٩٥-١٩٦) .

وسأذكر بعض الآيات المكية مع عرض بعض أقوال المفسرين فيها والتي تتعلق بالتذكرة :

١ - التذكرة بالإيمان بالله تعالى .

٢ - وبالنظر في خلق الكون ونظامه .

٣ - وبالتبصر في خلق النفس وتسويتها .

٤ - وبالبعث والجزاء بعد الموت .

أولاً: -التذكرة بنعمة الإيمان والقرآن ويصدق رسالة النبي محمد ﷺ والتصديق بكل ما جاء به ، وأن الإسلام مستقر أصلاً في الفطرة السليمة:

قال أكثر أهل العلم بأن الإسلام هو أصل الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها يدل عليه قول الله تعالى: ﴿ فَأَقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُ وَلَكَ ﴾ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [الروم: ٣٠] .

وأيدوا قولهم بالحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول : (قال رسول الله ﷺ ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) ، ثم يقول أبو هريرة : (واقرؤا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الآية] ^(١) [الروم: ٣٠] لفظ الحديث لمسلم .

وقيل في معنى (الفطرة) هي ما أخذ عليهم في أصلاب آبائهم وإن الولادة تقع عليها

(١) الحديث أخرجه البخاري في (٢٣) كتاب الجنائز ، (٩٢) باب ما قيل في أولاد المشركين ، ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣/ ٢٤٥) ، رقم الحديث (١٣٨٥) ، وأخرجه مسلم (٤٦) في كتاب القدر ، (٦) باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/ ٢٠٤٦) رقم الحديث (٢٦٥٨) .

حتى يحصل التغير بالأبوين ، وقيل ما قضى عليه من سعادة أو شقاوة يصير إليها وقيل ما هيئ له ^(١) من الأسباب والظروف التي حولته عن الفطرة السليمة التي ولد عليها مثل (البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها وإنما يحدث فيها الجدد والنقص (في أذنها) بعد ولادتها) ^(٢) .

والفطرة على الإسلام هي الإقرار بالتوحيد وهو العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى من ظهور بني آدم وهم في عالم الذر ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غْفِيلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢]

قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية الكريمة :

(يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : واذكر يا محمد ربك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم ، فقررههم بتوحيده ، وأشهد بعضهم على بعض بذلك ، وإقرارهم به) ^(٣) .

وبنحوه نقل القرطبي عن شيخه : (وقال شيخنا في عبارته : إن الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق ، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات ، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدرك الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق) ^(٤) .

قال القرطبي :

(قلت وهذا القول مع القول الأول (أن الفطرة هي دين الإسلام) موافق في المعنى ، وأن ذلك بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا ، وتأكدت حجة الله تعالى عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة :

(١) ما هيئ له : مثل إتباعه لديانة أبويه ، وحكم الوضع الاجتماعي السائد ، والعصر والزمن الذي يعيش فيه .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٧ / ١٦) بتصرف .

(٣) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٠١ / ٩) .

(٤) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن (٢٩ / ١٤) .

من خلق السموات والأرض ، والشمس والقمر ، والبر والبحر ، واختلاف الليل والنهار ، فلما عملت أهواؤهم فيهم اتتهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية والنصرانية فذهبت بأهوائهم يميناً وشمالاً^(١) .

وبنحوه قال ابن كثير : (يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله تعالى ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه)^(٢) .

وبنحو ما سبق قوله أشار محمد الطاهر ابن عاشور إلى أن الإيمان مستقر في فطرة العقل إذا سلم من العوارض التي تدخل فتفسد فطرته .

(... وهذه الآية دليل على أن الإيمان بالإله الواحد مستقر في فطرة العقل لو خلى ونفسه ، وتجرد من الشبهات الناشئة فيه من التقصير في النظر، أو الملقاة إليه من أهل الضلالة المستقرة فيهم ، بقصد أو بغير قصد ...) ^(٣) .

كما أن نعمة الإيمان من أعظم النعم وأن من أحوال المؤمن ومظاهر كمال الإيمان السجود مع البكاء وقشعريرة الجلد خشوعاً لله تعالى إذا ذُكِرَ بآيات الله تعالى وبفضله وسابق إحسانه، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۚ﴾ [مريم: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ

(١) المرجع السابق (٢٩ / ١٤) .

(٢) الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٢ / ٢٦١) .

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٩ / ١٦٨ - ١٧٠) .

مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣] .

كما تكون التذكرة بصدق رسالة محمد ﷺ وصدق ما نزل عليه وهو القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْفُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ طه : ١-٦ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَذْكُرُ الْمُنْفِقِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٨] .

كما تكون التذكرة بنعمة الخلق وتيسير سبل العيش على الأرض ، والرزق من السماء ، قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُؤَفُّوْنَ ﴾ [فاطر : ٣] .

قال محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير الآية الكريمة :

(...) والمقصود من تذكّر النعمة شكرها وقدرها قدرها ... لأن المقصود التذكير بنعم الله تعالى ليشكروا ، ويكون ذلك كناية عن الاستدلال على انتفاء وصف الخالقية عن غيره تعالى لأنه لو كان غيره خالقا لكان رازقا إذ الخلق بدون رزق قصور في الخالقية لأن المخلوق بدون رزق لا يلبث أن يصير إلى الهلاك والعدم فيكون خلقه عبثا ينزه عنه الموصوف بالإلهية المقتضية للحكمة ، فكانت الآية مذكّرة بنعمتي الإيجاد والإمداد .

وزيادة (من السماء والأرض) تذكير بتعدد مصادر الأرزاق ، فإن منها سماوية كالمطر الذي منه شراب ، ومنه طهور ، وسبب نبات أشجار وكلاً ، وكالمن الذي ينزل على شجر خاص من أندية في الجو ، وكالضياء من الشمس ، والاهتداء بالنجوم في الليل ، وكذلك أنواع الطير الذي يصاد ، كل ذلك من السماء ومن الأرض أرزاق كثيرة من حبوب وثمار

وزيوت وفواكه ومعادن وكلاً وكماة وأسماك البحار والأنهار .

وفي هذا القيد فائدة أخرى وهي دفع توهم العُقل أن أرزاقا من غير الله من أنواع العطايا التي يعطيها بعضهم بعضا ، والمعاوضات التي يعاوضها بعضهم مع بعض فإنها لكثرة تداولها بينهم قد يلهمهم الشغل بها عن التدبر في أصول منابعتها ، فإن أصول موادها من صنع الله تعالى فآل ما يعطاه الناس منها إلى أنه من الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُؤَفَّكَوْنَ﴾ [فاطر : ٣] .

هذا نتيجة عقب ذكر الدليل إذ رتب على انفراده بالخلق والرزق انفراده بالإلهية لأن هذين الوصفين هما أظهر دلائل الإلهية عند الناس ... والاستفهام عن حالة انصرافهم هو المتعين هنا وهو استفهام مستعمل في التعجب عن انصرافهم عن الاعتراف بالوحدانية تبعا لمن يصرفهم وهم أولياؤهم وكبرائهم^(١) .

ثانياً:- التذكرة بالنظر في خلق الكون ونظامه :

قبل الحديث عن هذا الموضوع أشير إلى معنى النظر والفكر في القرآن .

معنى الفكر والنظر في القرآن الكريم :

التفكير هو قوة نظر العقل وهو خاص بالإنسان دون الحيوان . ويستعمل النظر في المحسوس المشاهد والبصيرة وهي النظر بعين القلب . وقد يراد بالنظر التأمل والفحص . والنظر والفكر هل هما مترادفان أم أحدهما أخص من الآخر؟ اختلف في ذلك . واستعمال القرآن الكريم النظر العقلي من مبادئ التفكير .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٥٦) .

قال الراغب الأصفهاني :

(فكر) : الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم ، و(التفكر) جولان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان ... و(النظر) تقلب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته وقد يراد به التأمل والفحص ، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الروية .. وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ [يونس ١٠١] . أي تأملوا .

واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة ، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة^(١)

ويقول ابن القيم : (والنظر في هذه الآيات وأمثالها نوعان : نظر إليها بالبصر الظاهري فيرى مثلاً زرقة السماء .. والنظر الثاني أن يتجاوز هذا إلى النظرة بالبصيرة الباطنة وتفتح له أبواب السماء فيجول في أقفارها وملكوها وبين ملائكتها .. فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقاً لهيبته خاشعاً لعظمته .. فهذا سفر القلب وفي وطنه وداره ومحل ملكه .. هو حياة الأرواح ومفتاح السعادة ..)^(٢)

(وقد اختلف علماء المعقول من المناطقة والمتكلمين في الفكر والنظر هل هما مترادفان أو أحدهما أخص من الآخر .

واستعمال القرآن يدل على أن النظر العقلي مبدأ من مبادئ الفكر والتفكير (وهو بمعنى التأمل في المعاني وتدبرها) كما أن مبدأه هو النظر الحسي في الغالب وأكثر ما استعمله التنزيل في آيات الله تعالى ودلائل وجوده ووحدانيته وحكمته ورحمته ... كقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا ﴾ [ق: ٦] ، وقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خَلَقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] ومنه النظر في عاقبة الأمم برؤية آثارها في عدة آيات

(١) الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات غريب القرآن (ص ٤٩٧، ٣٨٤) .

(٢) أنس عبد الحميد : تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق ، (ص ١٤٤ - ١٤٥) .

والشواهد على ذلك في التنزيل معروفة..^(١).

وذكر أهل التفسير أن (النظر) في القرآن على أربعة أوجه :

الوجه الأول :

(النظر - الرؤية والمشاهدة) ومنه قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿وَأَعْرِضْ عَنْ أَلِ بْنِ مَرْيَمَ وَابْنِ مَرْيَمَ وَأَنْتُمْ نُنَظِّرُونَ﴾ [الآية : ٥٠] .

الوجه الثاني :

(النظر - الانتظار) ومنه قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ [الآية : ١٠٤] .

الوجه الثالث :

(النظر - الرحمة) ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية : ٧٧] .

الوجه الرابع :

(النظر - التفكير - والاعتبار) ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ [الآية : ٩٩] ^(٢) .

فالتفكر في المعقول والنظر في المشاهد .

وسأذكر بعض أقوال المفسرين في تفسير آيات كريمة والتي حثَّ أصحاب الألباب على النظر في أقطار السموات والأرض ، والتعقل في أمر ما جاء به النبي محمد ﷺ ، وقبول دعوة الإيمان واليقين وخاصة بعد أن ذكرهم وأقام الأدلة القاطعة الساطعة

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٩/ ٤٦٠ - ٤٦١) بتصرف .

(٢) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص ٥٨٨ - ٥٨٩) .

التي تثبت وجوده وتصرفه في ملكه سبحانه وتعالى .

قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ

قَدْ أَقْرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

في هذه الآية الكريمة دعوة للمعرضين عن دعوة الحق والهداية ، بسبب غفلتهم لو أنهم حكّموا عقولهم وتأملوا ما في السموات والأرض من دلائل شاهدة بالحق وما في هذا الكون من الخلق الذي لا يمكن حصره ، لآمنوا .

ثم أوامأت الآية الكريمة إلى الأجل ، وذكرتهم بقرب نهايته وإن طال ، ولأن وقوعه حق لا يمكن إنكاره ، فيحتاطوا لأنفسهم ويراجعوا أنفسهم لقبول العظة والعبرة ، فإن لم يصدقوا بعد هذا الحديث فهذا دليل على أن الكفر متأصل في نفوسهم ومتمكن من قلوبهم فلن يهتدوا لشقاوتهم ، ولأنهم من أصحاب النار أعاذنا الله منها آمين .

وبنحو ما ذكر يقول المراغي في الآية الآنفة الذكر :

أي كذبوا الرسول الذي علموا صدقه وأمانته وقالوا إنه مجنون ، وهو الذي شُهر لديهم بالروية والعقل ، ولم ينظروا نظرة تأمل واستدلال في هذا الملكوت العظيم من السموات والأرضين، فيروا ذلك النظام البديع فيها وفي كل ما خلق الله تعالى وإن دق وصغر ، إنهم لو تأملوا في كل ذلك لرأوا آثار قدرته وعلمه وفضله ورحمته وأنه لم يخلق شيئاً من ذلك عبثاً ، ولا ترك الناس سدى .

إن كل ذرة فيها دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى التوحيد ، إنهم لو نظروا في شيء من ملكوت السموات والأرض لاهتدوا بدلائله إلى تصديق الرسول ﷺ ، كذلك لو نظروا في توقع قرب أجلهم ، وقدمهم على ربهم بسوء عملهم ،

لاحتاطوا لأنفسهم ، ورأوا أن من الحكمة أن يقبلوا إنذاره ﷺ ، فما جاءهم به لا ينكرون أنه خير لهم في الدنيا وخير لهم في الآخرة إذا صدق ما يقرره من أمر البعث والجزاء ، وهو صدق وحق لا شك فيه^(١) .

وبنحو ما ذكر من المعنى تكررت بعض آيات القرآن للعظة والاعتبار وإيقاظ لحواسهم من التبلد ، منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١] .

وبنحو هذا المعنى قال محمد الطاهر ابن عاشور :

(...) أي فادعهم إلى النظر في دلائل الوجدانية والإرشاد إلى تحصيل أسباب الإيمان ودفع غشاوات الكفر ، وذلك بالإرشاد إلى النظر والاستدلال بما هو حول الإنسان من أحوال الموجودات وتصاريدها الدالة على الوجدانية ، مثل أجرام الكواكب ، وتقادير مسيرها ، وأحوال النور والظلمة والرياح والسحاب والمطر ، وكذلك البحار والجبال ... والنظر هنا مستعمل فيما يصلح للنظر القلبي والنظر البصري ، ... فصار صالحا للمعنيين الحقيقي والمجازي ، وذلك من مقاصد القرآن^(٢) .

كما يقول ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

والآية في هذا الخلق ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ آية عظيمة لمن عرف أسرار هذا النظام وقواعد الجاذبية التي أودعها في سير مجموع هاته السيارات على وجه لا يعتريه خلل ولا خرق ...

(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٩/ ١٢٥) .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١١/ ٢٩٥) .

فوجه دلالة هاته الآيات على الوحدانية أن هذا النظام البديع في الأشياء المذكورة وذلك التدبر في تكوينها وتفاعلها وذهابها وعودتها كل ذلك دليل على أن لها صانعا حكيمًا متصفا بتمام العلم والقدرة والحكمة .

... ولا جرم أن يكون الإله الموصوف بهاته الصفات واحدا لاعتراف المشركين بأن نواميس الخلق وتسيير العالم من فعل الله تعالى ، إذ لم يدعوا لشركائهم الخلق ولذلك قال الله : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧] ^(١) . ونتيجة النظر والتفكير رفع لواء الحمد والشكر لله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة .

مقر العقل والفكر وصلته بالقلب والروح :

السؤال الذي يطرح نفسه : أين مقر العقل ؟ وما الفرق بينه وبين الفكر والنظر ؟ وماهية علاقة العقل بالقلب وأين مقره ؟

- العقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل ، ويراد به العلم ، ويراد به العمل . والبدن متعلق بقلبه . وقيل إن العقل مركزه في الدماغ ومنه مبدأ الفكر والنظر .

- ومنطلق الفكر والنظر من منبع الإرادة التي في القلب .

- والقلب يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل الموجود في جسم الإنسان ، والمعنى الثاني اللطيفة الروحانية في الإنسان والتي لها تعلق وثيق بالقلب والعقل ، والقلب والعقل والنفس من الألفاظ المشتركة في مسمى الروح .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١ / ٧٧ - ٨٨) .

قال الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين :

(لفظ القلب - وهو يطلق لمعنيين (أحدهما) اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه .

(والمعنى الثاني) هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني ، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته ، ...)^(١) .

قال ابن تيمية :

(والعقل قائم بنفس الإنسان التي تعقل ، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج: ٤٦] وقيل لابن عباس : بم نلت

العلم ؟ قال : (بلسان سؤول وقلب عقول) .

لكن لفظ (القلب) قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن ، التي في جوفها علة سوداء كما في الصحيحين عن النبي ﷺ : « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد »^(٢) .

وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقا، فإن قلب الشيء باطنه كقلب الخنطة واللوزة ونحو ذلك.

(١) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، إحياء علوم الدين (٣/٣) .

(٢) صحيح البخاري ، (٢) كتاب الإيمان ، (٣٩) باب فضل من استبرأ لدينه (١/١٩) ، ابن حجر

العسقلاني : أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/١٢٦) حديث رقم (٥٢) .

وعلى هذا فإذا أريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماعه أيضا ، ولهذا قيل : إن العقل في الدماغ ، كما يقوله كثير من الأطباء ، ونقل عن الإمام أحمد ، وقول طائفة من أصحابه : إن أصل العقل في القلب ، ... والتحقيق أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا^(١) . وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا ، لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ومبدأ الإرادة في القلب .

والعقل يراد به العلم ويراد به العمل ، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة وأصل الإرادة في القلب ، والمريد لا يكون مريدا إلا بعد تصور المراد ، فلا بد أن يكون القلب متصورا ، فيكون منه هذا وهذا ، ويبتدئ ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة إلى الدماغ فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء ، وكلا القولين له وجه صحيح^(٢) .

والقلب والعقل والنفس من الألفاظ التي تشترك في مسمى الروح^(٣) . وهي سارية في الجسد لا تختص بشيء منه^(٤) .

والقلب محل العقل وآلة التعقل والوعي والفقه والفهم وهذا قول أغلب المفسرين^(٥) ،

(١) لعل المعنى تعلق الروح بالقلب الصنوبري ومركز الدماغ في الرأس (المخ) .

(٢) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى (٣٠٣/٩ - ٣٠٤) .

(٣) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، إحياء علوم الدين (٣/٣) .

(٤) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى (٣٠٢/٩) .

(٥) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٩/١١٢) ، (١٧٧/٠٢٦) ، الرازي :

فخر الدين محمد بن عمر ، التفسير الكبير (٢٣/٤٥) ، الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير

القرآن العظيم (٤/٢٢٩) ، القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن (١٢/٧٧) ، الألوسي :

شهاب الدين السيد محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٧/١٦٧) .

(والفؤاد في وسط القلب ، كما أن القلب في وسط الصدر ، مثل اللؤلؤة في الصدف) ^(١) .

والقلب : محل النفس والعقل والعلم والفهم ^(٢) .

ثانياً التذكرة بالنظر والتفكير في نظام الكون وسننه ^(٣)

يلاحظ في الآيات الكونية دلائل وحدانية الخالق المتصرف في الخلق المستحق للعبادة وحده سبحانه وتعالى .

ومن مقاصد القرآن الكريم في عرض آيات الكون المشاهدة ، تذكير البشرية بدلائل التوحيد، وذلك بلفت أنظارهم إلى التأمل في خلق الكون ودقة نظامه ^(٤) الشاهد على كمال قدرة الله تعالى وعظمته وحيث أن خلق الكون مظهر كمال صفاته سبحانه وتعالى ودليل على حدوثه وأنه من صنع الله تعالى الذي أتقن كل شيء وأن وحدة النظام في الكون ومقومات الحياة فيه تدل على الخالق الواحد الأحد وأن من خلق أول مرة على غير مثال سابق قادر على البعث والجزاء بعد الموت ، كما تُكرَّرُ الأمثلة على الخلق والإعادة ، وذلك بين في الظواهر الكونية وخلق الإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك كثير ^(٥) .

(١) سليمان زيد اليامي ، القلب ووظائفه في الكتاب والسنة ، (ص ٥٨) .

(٢) ابن الجوزي : الوجوه والنظائر ، ص ٤٨٢ .

(٣) وهذا الموضوع هو موضوع الرسالة في الباب الثاني والثالث .

(٤) وهي : آيات التوحيد - قوانين الله وليست قوانين الطبيعة ، د. محمود سراج الدين عفيفي (ص ١) .

(٥) أنس عبد الحميد الطيار : تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق ، (ص ١٧٣ ، ١٩١ ، ٢٤١) ، كارم

السيد غنيم : الإشارات العلمية في القرآن الكريم (٦٠ ، ٦١ ، ٢٣١ ، ٢٥٥) بتصرف .

قال البخاري في صحيحه : (ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره فالرب بصفاته وفعله وأمره وهو الخالق المكوّن غير مخلوق وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكوّن)^(١) .

وآيات القرآن الكريم فيها تصحيح للعقائد الفاسدة والباطلة ، وخاصة ما حصل من ضلال في فترة ما قبل الإسلام ، حيث اتخذ الإنسان آلهة تعبد من دون الله تعالى ، واعتقد آخرون النفع والضر والخير والشر في النجوم وغيرها ، قال الله تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَادْعُنِي لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۚ ﴾ [البقرة: ٢١٠] .

ولهذا ... فالقرآن حين عرض لهذه الكونيات أشعرنا أنها مربوبة لله تعالى ومقهورة لمراده ، ونفى عنها ما علق بأذهان كثير من الضالين الذين توهموها آلهة وهي مألوهة ، وزعموها ذات تأثير وسلطان بينما هي خاضعة لقدرة الله تعالى وسلطانه .

وكان في جزيرة العرب من العقائد الفاسدة والعلم الخاطئ بالكونيات أضعاف ما كان منها لدى بني إسرائيل عندما أخرجهم موسى عليه السلام من مصر^(٢) ، فكان من الحكمة الإلهية أن يتنزل على محمد ﷺ ، في سبيل تصحيح تلك العقائد والمعلومات

(١) صحيح البخاري (٩٧) كتاب التوحيد (٢٧) باب ما جاء في تخليق السموات والأرض ... (١٨٧/٤) .

(٢) وهو (ما قرّره العقلية القديمة في بلاد مصر والإغريق ، وما بثته في جزيرة العرب وما حولها أساطير الآشوريين والبابليين والكلدانيين ...) . الزرقاني : محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن (٢٥٤/٢) .

أضعاف ما تنزل على موسى في سفر التكوين .. والحكمة البالغة في ذلك أن الدعوة إلى توحيد الخالق وتقرير الحق من العقائد وقبول ما يلي ذلك من الشرائع والأخلاق ...^(١) .

ثالثاً: - التذكرة بالتبصرة في خلق النفس وتسويتها :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْماً فَكَسَوْنَا الْوِطْنَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۝١٤ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢-١٤] .

لفت الله سبحانه وتعالى العقول إلى التفكير والتدبر في خلق نفس الذات الإنسانية من (علق)^(٢) وجعل فيها من دلائل القدرة التي تشهد بعظمة الخالق ، والتي تتمثل في جمال الخلقة وفي تناسق الأعضاء والحواس والقدرات ، وكذلك الأجهزة الدقيقة الموجودة في جسم الإنسان والتي تقوم بوظائفها تلقائياً ، إلى غير ذلك من أسرار مكنونة في النفس الإنسانية مثل الروح التي لا يعلم حقيقة كونها إلا الله تعالى .

ولقد ذكر الجاحظ في كتابه الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير أوجها من دلائل كمال قدرة الله تعالى في خلق الإنسان العجيب في تركيبه وتكوينه .

فتحدث عن مرحلة الجنين وهو في بطن أمه ، وكيف شملته الرعاية الإلهية بالغذاء من دم أمه حتى إذا اكتمل نموه خرج من بطن أمه بعد أن قوى بدنه على مباشرة الهواء ، وبصره على ملاقاته الضوء ، ثم ذكر المراحل التي يمر فيها فتغذيه أمه بلبنها ، حتى إذا قوى على أكل الطعام طلعت له الأسنان ليمضغ الطعام :

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٥٤) .

(٢) (العلق التشبث بالشيء ، يقال علق الصيد في الحباله ... والعلق الدم الجامد) . الراغب الأصفهاني :

أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن (ص ٣٤٣) .

(انصرف الآن إلى خلق الإنسان ، وما فيه من الحكمة وما فيه من الدلائل على التدبير والعمل ، فأول ذلك ما يدبر فيه من الجنين من الرحم حين لا حيلة عنده في تلمس غذاء ، ولا دفع أذى فإنه يجري إليه من دم أمه ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاءه حتى إذا كمل خلقه ، واستحكم بدنه وقوى أديمه على مباشرة الهواء ، وبصره على ملاقة الضوء هاج الطلق بأمه وأزعجه أشد إزعاج وأعنفه حتى يولد ، فإذا ولد صرف ذلك الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثديها فانقلب إلى ضرب آخر من الغذاء ، هو أشد موافقة للمولود من الدم أعني اللبن فيوافيه اللبن في وقت حاجته إليه ، ... فلا يزال يغتذي باللبن مادام رطب البدن رقيق الأمعاء ، حتى إذا تحرك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتد عظمه ولحمه ، طلعت عليه الطواحين التي هي الأسنان ليمضغ بها الطعام^(١) . ثم ذكر المرحلة التي يتميز بها الذكر عن الأنثى .

فإذا كان ذكرًا طلع له شعر اللحية والشارب ، وإذا كانت أنثى بقي وجهها نقيًا لتبقى لها البهجة والنضارة التي ترغب الرجال لما فيه دوام النسل : (... فلا يزال كذلك حتى يدرك فإذا أدرك ، وكان ذكرًا طلع الشعر في وجهه ، وكان ذلك هو علامة الذكر وعز الرجل الذي يخرج به من الصبي وشبه النساء ، وإن كانت أنثى بقي وجهها نقيًا من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجال لما فيه دوام النسل) .

- كما ذكر مواضيع متعددة ، أشار فيها :

أولاً : إلى المكانة التي تكون للطفل في القلب بسبب صغره وهذه من الرحمة به والفرح به .

ثانياً : ذكر المراحل التي يمر بها الطعام دخولا إلى المعدة وخروجا من مخرجه .

ثالثاً : ذكر عمل الأعضاء في البدن ، ثم فصل في ذكر الحواس التي زود بها الإنسان .

(١) الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (ص ٥٨) .

رابعاً : الصوت أثناء الكلام ، والذي هو (تنظيم للحروف) ليعبر الإنسان عما في ضميره منذ بداية نطقه حتى وفاته .

خامساً : ألمح إلى وجه الحكمة والتدبير إلى ما يصيب الناس من الآفات وما يبتلون به في أبدانهم ، فالصالح يحدوه هذا إلى الشكر والصبر والبعض الآخر يكون له تمحيصا وردعا له من الازدياد من المعاصي ، ومنهم ما يكون له راحة بالموت من مكاره الدنيا^(١) .

وقد ذكر القرآن الكريم حقائق تتعلق بخلق الإنسان لا يستطيع الكافر الطعن فيها ، وإلى ذلك أشار الشاطبي بقوله : (وبيان أصل التكوين للإنسان وتطوره الذي حصل له ، جاريا على مجاري الاعتبار ، بحيث لا يجد الطاعن إلى الطعن على من هذا حاله سبيلا)^(٢) .

وطلب التفصيل لجزئيات هذه العلوم مجاله علم (الطب) الذي يكشف عن بعض الحقائق الخفية الموجودة في بدن بني آدم ، ولقد كان من أوائل ما نزل من القرآن إعلام الرب سبحانه وتعالى أنه خلق الإنسان . قال الله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق : ١-٥] .

ولقد أفرد العلماء كتباً تتحدث عن الإعجاز العلمي في خلق الإنسان^(٣) ، ولا يزال علم الطب يكشف عن أوجه الإعجاز وأسرار التكوين في خلق جسم الإنسان والتي كان غافلاً عنها . قال الله تعالى : ﴿ سَرَّيْهِمْ عَائِتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۚ ۝١٠٠ ﴾

(١) الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (ص ٦٠-٨٥) .

(٢) الشاطبي : أبو إسحاق ، إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (٣/ ٤١٧) .

(٣) مثل كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة ، صادر عن هيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ [فصلت: ٥٣].

وقد أشار ابن قيم الجوزية إلى أوجه الجمال في تركيب أعضاء الجسد البشري وأظهر بعض دلائل الإعجاز والقدرة في تكوين خلق الإنسان من لحم وعظم وعروق وأعصاب من قطرة (ماء)، حيث يقول في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

(لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه دعاه خالقه وبارئه ومصوره، وفطره من قطرة ماء إلى التبصر، والتفكر في نفسه، فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل، فإنه إذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات، وأدلة التوحيد على ربه ناطقات، شاهدة لمدبره، دالة عليه، مرشدة إليه، إذ يحده مكونا من قطرة ماء: لحوما منضدة، وعظاما مركبة، وأوصالا متعددة، مأسورة مشددة بحبال العروق والأعصاب، قد قمطت^(١) وشدت وجمعت بجلد متين، مشتمل على ثلاث مئة وستين مفصلا ما بين كبير وصغير، وثخين ودقيق، ومستطيل ومستدير، ومستقيم ومنحن، وشدت هذه الأوصال بثلاث مئة وستين عرقا، للاتصال والانفصال، والقبض والبسط، والمد والضم، والصنائع والكتابة...) (٢).

ولقد أعلم الله سبحانه وتعالى الناس جميعا بأنهم خلقوا من تراب، ثم ذكر لهم المراحل التي مر بها الجنين وهو في بطن أمه، ثم خرج طفلا، ثم صار رجلا، والبعض يتوفى والبعض الآخر يرد إلى أرذل العمر، ونسأل الله تعالى العافية.

(١) القباط بالكسر حبل يشد به قوائم الشاة عند الذبح، وكذا ما يشد به الصبي في المهد. الرازي:

أبو بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مادة (قمط) (ص ٤٠٣).

(٢) ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن (ص ٣٠٢).

وهذا الخلق دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى ولم ينازعه أحد في الخلق والموت ،
فثبتت الحجة عليهم .

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج : ٥-٧] .

قال الدكتور وهبة الزحيلي في هذه الآيات الكريمة :

(بعد أن ذكر الله تعالى موقف المنكر للبعث ، ذكر الدليل على قدرته على المعاد بما يشاهد من بدئه الخلق ، فقال : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ﴾ أي يا أيها البشر المنكرون للبعث، إن كنتم في شك من إمكان البعث وحيثه ، يوم القيامة ، فانظروا إلى بدء خلقكم ، فمن قدر على البدء قدر على الإعادة بدليل المراحل والأدوار السبعة التي يمر بها الإنسان وهي :

١ - ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ﴾ أي خلقنا أصلكم من تراب ، وخلقنا الأغذية التي يتكون منها
المني من النبات المتولد من الماء والتراب .

٢ - ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ أي ثم صار التوالد المعتاد بواسطة المنى المتولد من الغذاء الناشئ من
التراب .

٣ - ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ أي ثم تتحول بإذن الله تعالى النطفة بعد أربعين يوماً إلى قطعة دم
مكثف أو جامد، أو علقه حمراء .

٤ - ﴿ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ ﴾ ثم تصبح العلقه قطعة لحم ، وتلك القطعة

إما أن تتم منها أحوال الخلق ، فتصير تامة الصورة والحواس والتخطيط لمعالم الجسد ، وإما ألا تتم ، وتسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط أو بعده ، أو تبقى ناقصة الصور والحواس والتخطيطات وتتم ولادتها ، قال الرازي :

(فيجب أن تحمل ﴿مُخَلَّقَةً وَغَيْرَ مُخَلَّقَةٍ﴾ على من سيصير إنسانا ، لأنه تعالى قال في أول الآية : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ﴾ وذلك يبعد حمل قوله ﴿وَعَبْرَ مُخَلَّقَةٍ﴾ على السقط ^(١) .

والخلاصة : أن المخلقة هي القطعة المسواة التي لا نقص فيها ولا عيب أي التامة الخلقة ، وغير المخلقة : هي القطعة غير المسواة التي فيها عيب .

﴿لَنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أي خلقناكم على هذا النحو من التدرج لنبين لكم كمال قدرتنا وحكمتنا ، لتستدلوا بها على إمكان البعث ، فإن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانياً – ولا تناسب بين الماء والتراب ، وقدر على أن يجعل النطفة علقه ، وبينهما تباين ظاهر ، ثم يجعل العلقه مضغه ، والمضغة عظماً ، قدر على إعادة ما بدأه .

٥ - ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أي نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً ضعافاً في البدن والعقل والحواس ، ثم ينمو كل طفل ويعطيه الله تعالى القوة شيئاً فشيئاً .

٦ - ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ ثم تتكامل قواكم البدنية والعقلية ، حتى تصلوا إلى حد الكمال في عنفوان الشباب .

٧ - ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤَوِّفُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ أي ومنكم من يموت قبل بلوغ الأشد أو في حال الشباب والقوة ، ومنكم من يعيش حتى يصل إلى سن الشيخوخة والهرم ، وضعف القوة والعقل والفهم ، والخرف ، حتى يعود إلى ما كان عليه

(١) الرازي : فخر الدين محمد بن عمر ، التفسير الكبير ، المسمى مفاتيح الغيب (٢٣/ ٨) .

حالة الطفولة ، سخيـف العقل ، قليل الفهم ، ينسى ما كان يعلمه ، كما قال تعالى

﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٨] .

والخلاصة : أن تدرج الأحوال على الإنسان دليل قاطع على وجود الخالق القادر المهيمن الذي يبدأ الخلق في مراحلـه المذكورة - ومنها طروء الموت وعوارض الخلق - ثم يعيده ، وهو أهون عليه في القياس والعقل .

كما قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤] ^(١) .

وبنحو ما سبق من إظهار عظمة الباري في خلق الإنسان قال محمد الطاهر ابن عاشور في قوله تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ :

(...) والاستفهام إنكاري ، أنكر عليهم عدم الإبصار للآيات والإبصار مستعار للتدبر والتفكر ، أي كيف تتركـون النظر في آيات كائنة في أنفسكم ، وتقديم ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ على متعلقه للاهتمام بالنظر في خلق أنفسهم وللرعاية على المفاضلة . والمعنى : ألا تتفكرون في خلق أنفسكم : كيف أنشأكم الله من ماء وكيف خلقكم أطوارا ، أليس هو إيجاد خلق لم يكن موجودا قبل .

فالموجود في الصبي لم يكن موجودا فيه حين كان جنينا .

والموجود في الكهل لم يكن فيه حين كان غلاما . وما هي عند التأمل إلا مخلوقات مستجدة كانت معدومة فكذاك إنهاء الخلق بعد الموت ، وهذا التكوين العجيب كما يدل على إمكان الإيجاد بعد الموت يدل على تفرد مـكونه تعالى بالإلهية إذ لا يقدر على إيجاد

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (١٧ / ١٥٧ - ١٥٩) .

مثل الإنسان غير الله تعالى ، فإن بواطن أحوال الإنسان وظواهرها عجائب من الانتظام والتناسب ، وأعجبها خلق العقل وحركاته واستخراج المعاني ، وخلق النطق والإلهام إلى اللغة ، وخلق الحواس وحركة الدورة الدموية واتساق الأعضاء ، وتفاعلها ، وتسوية المفاصل ، والعضلات ، والأعصاب والشرابين وحالها بين الارتخاء واليبس فإنه إذا غلب عليها التيبس جاء العجز ، وإذا غلب الارتخاء جاء الموت^(١) .

و بنحوه قال الدكتور وهبة الزحيلي :

في قوله تعالى ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي وفي أنفسكم آيات تدل على توحيد الله، وصدق ما جاء به الرسل ، أفلا تنظرون نظرة متأمل معتبر ناظر بعين البصيرة ، فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المنفرد بالألوهية ، فليست نفوسكم مخلوقة بالصدفة ولا بالطبيعة، وإنما خالقها الله تعالى القادر على كل شيء، وعلى البعث وإعادة الحياة ، ففي النفس والدماغ ذي الملايين من الخلايا ، وحواس السمع والبصر والإحساس واللمس والذوق ، ودورة الدم ، وأجهزة التنفس والهضم والبول ، كل ذلك أدلة مقنعة لمن يعقلها ، ولا يعلمها حقيقة إلا المؤمنون المتقون الله تعالى أما غيرهم فيفسرها على أنها حقائق طبيعية مادية^(٢) .

رابعاً:- التذكرة بالبعث والجزاء بعد الموت :

موضوع البعث من أهم الموضوعات التي تحدثت عنها الآيات المكية والقرآن الكريم أشار إلى من أنكروا الحياة والبعث بعد الموت ، وزعموا بأدلتهم بأنه لا حياة بعد أن يرم الجسد وينعدم ، ففند أدلتهم الباطلة وأقام الأدلة القاطعة . (والقرآن بين معاد النفس عند الموت

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٥٣-٣٥٤) .

(٢) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٧/ ١٩) .

ومعاد البدن عند يوم القيامة^(١) ولفت أنظارهم وعقولهم للتأمل في أنفسهم كيف خلقت، وإلى أقطار السموات والأرض وبين الدليل على قدرة الله سبحانه وتعالى على النشأة الآخرة لأنه المنشئ الأول .

ولكن قصر فهمهم وضاق إدراكهم عندما قاسوا قدرة الخالق بال مخلوق وقدرة الرب بالمربوب ، وذلك لأنه قد عميت عقولهم عن قبول الحق والتصديق بالبعث بعد الموت .
(والإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة ، والعقل والفطرة السليمة ، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز ، وأقام الدليل عليه ، ورد على منكروه في غالب سور القرآن)^(٢) .
وموضوع البعث والجزاء بعد الموت أفردته العلماء بالتصنيف^(٣) .

وسأعرض بعض الآيات الكريمة مع أقوال المفسرين فيها فيما يتعلق بالبعث والجزاء يوم القيامة ، والذي يوعظ به كل مؤمن ويذكر .

قال الله تعالى : ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ (٣٧) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [النحل :

[٣٧-٣٨]

قال المراغي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أي أنهم اجتهدوا في

(١) القاضي علي بن علي بن أبي العز الدمشقي ، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٩٠) .

(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٨٩) .

(٣) مثل كتاب البعث ، للحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني ، ومثل كتاب البعث والنشور للحافظ أبي بكر بن أحمد بن الحسين البيهقي .

الحلف وأغلظوا في الأيمان ، أنه لا يقع بعث بعد الموت ، وهذا استبعاد منهم لحصوله ، من جراء أن الميت يفنى ويعدم ، والبعث إعادة له ، وإعادة المعدوم مستحيلة .

وقد رد الله سبحانه وتعالى عليهم وكذبهم بقوله : ﴿ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٣٧]

أي بلى سيعثه الله تعالى بعد مماته ، وقد وعد بذلك وعدا حقا لا بد منه ، ولكن أكثر الناس لجهلهم بشئون الله تعالى وصفات كماله من علم وقدرة وحكمة ونحوها ، لا يعلمون أن وعد الله لا بد من نفاذه وأنه باعثهم بعد مماتهم يوم القيامة أحياء ، ومن قبل هذا جرءوا على مخالفة الرسل ، ووقعوا في الكفر والمعاصي ^(١) .

وفي آيات أخرى خاطب الله سبحانه وتعالى الناس جميعا وذكرهم بالبعث وضرب لهم المثل بالنظر في أنفسهم ، وفي بداية حياة النبات ومراحل نموه حتى يكتمل نموه ويعطي ثماره الياقة ، ثم بعد ذلك يتغير حاله فيصفر ويكون حطاما .

وبملاحظة بداية حياة النبات ونهايته يكون المثل للإنسان فليعتبر ويتعظ بذلك قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كَثُرَ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ تُرَابٍ ﴾ ،

وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنتَبَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ١٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ . [الحج : ٥-٧]

قال الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾

(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (١٤ / ٨٣-٨٤) .

أي وإذا تأملت أيها الإنسان ترى الأرض ميتة يابسة لا نبات فيها ولا زرع ، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر أو غيره ، تحركت بالنبات وحييت بعد موتها ، وازدادت وارتفعت وانتفخت بالماء والنبات ، ثم أنبتت من كل صنف من النبات والزرع ، ذي منظر حسن وبهاء ورونق وطيب ريح ، لاختلاف ألوان الثمار والزرع ، وطعومها ، وروائحها ، وأشكالها ، ومنافعها ، فمن قدر على إحياء الأرض الميتة الهامدة التي لا ينبت فيها شيء ، قادر على إحياء الموتى ، ونتائج ما ذكر هي الأمور الخمسة التالية :

١ - ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أي ذلك المذكور الذي بيته لكم من خلق الإنسان والحيوان والنبات ، وانتقال كل مخلوق من حال إلى حال ، بسبب أن الله تعالى هو الحق الموجود الثابت الذي لا شك فيه ، ولا يحول ولا يزول ، الخالق المدبر الفعال لما يشاء . وأما ما عداه من جميع المخلوقات فضعيف عاجز لا يقدر على فعل شيء مما ذكر . وهذا دال على وجود الصانع المتفرد بالخلق .

٢ - ﴿ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ أي وبأنه الإله القادر على إحياء الموتى ، كما أحيا الإنسان والحيوان والنبات ، فأنبت من الأرض الميتة ما فيه الحياة ، وهذا تنبيه على أن من لم يعجزه إيجاد هذه الأشياء ، فكيف يعجزه إعادة الأموات ؟ ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . [فصلت : ٣٩]

٣ - ﴿ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي وبأنه تعالى القادر على كل شيء ، فمن كان قادرا على ما ذكر وعلى جميع الممكنات قادر على كل شيء وعالم بكل شيء ، فهو قادر على إعادة الأجساد بعد الفناء ، وعالم بكل المعلومات . ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٩] .

- ٤ - ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي ولتعلموا أن من قدر على إحياء الموتى أو إعادتهم أحياء قادر على الإتيان بيوم القيامة ، فالساعة كائنة لاشك فيها ولا مرية كما وعدكم بها.
- ٥ - ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أي ولتتقنوا أن الله سيبعث أهل القبور أي يعيدهم بعدما صاروا في قبورهم ربما ، ويوجدتهم مرة أخرى أحياء ، ليوم المحشر والحساب ، والثواب والعقاب.

ثم لخص الدكتور ما سبق قوله بما يأتي حيث يقول :

{ بيان مراتب خلق الإنسان والحيوان ، والنبات ، دليل على أنه سبحانه قادر على كل الممكنات ، وعالم بكل المعلومات ، (الله سبحانه وتعالى قادر على كل شي وعالم بكل شيء) ، مما يثبت كون الإعادة ممكنة ، وأن المعاد مقدور عليه ... }^(١)

ولقد تهدد الله سبحانه وتعالى وتوعد الكافرين الجاحدين للبعث بأن يحشرهم الله سبحانه وتعالى على أسوأ الأحوال حيث يحشر الكافر على وجهه أعمى أبكم أصم . قال الله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكَّاءٌ وَصُمًّا مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَلَّمَا وَخَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء : ٩٧] .

قال محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير الآية الكريمة :

(والحشر : جمع الناس من مواضع متفرقة إلى مكان واحد ، ولما كان ذلك يستدعي مشيهم عدى الحشر بحرف (على) لتضمنه معنى (يمشون) ، وقد فهم الناس ذلك من الآية فسألوا النبي ﷺ كيف يمشون على وجوههم؟ فقال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم . والمقصود من ذلك الجمع بين التشويه والتعذيب

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (١٧ / ١٦١ - ١٧٥) .

لأن الوجه أرق تحملا لصلابة الأرض من الرجل .

وهذا جزاء مناسب للجرم ، لأنهم رَوَّجُوا الضلالة في صورة الحق ، ووسموا الحق بسمات الضلال فكان جزاؤهم أن حولت وجوههم أعضاء مشي عوضا عن الأرجل . ثم كانوا (عميا وبكما) جزاء أقوالهم الباطلة على الرسول وعلى القرآن ، و(صما) جزاء امتناعهم من سماع الحق ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصلت : ٥] ، وقال عنهم : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ (١٣٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طه : ١٢٥-١٢٦] ، وقال عنهم : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ [الإسراء : ٧٢] أي كان أعمى عن الحق فهو في الحشر يكون محروما من متعة النظر وهذه حالتهم عند المحشر ^(١) .

ومن التذكرة بقدرة الله تعالى على البعث والاستدلال بالصنعة على الصانع السير على الأرض بالنظر مرة بعد مرة مع عمق التأمل في مظاهر الكرة الأرضية من جبال وسهول ونبات وحيوان ... وتغير أحوال أهلها وتجدد المظاهر عليها ، وكذلك ملاحظة آثار من عمروا الأرض بالحياة ثم رحلوا عنها ، ثم تكون حياة أخرى مثل حياة النبات مرة أخرى . فكَذَلِكَ يكون النشور .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

قال محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير الآية الكريمة :

(اعتراض انتقالي من الإنكار عليهم ترك الاستدلال بما هو بمرأى منهم ، إلى إرشادهم للاستدلال بما هو بعيد عنهم من أحوال إيجاد المخلوقات وتعاقب الأمم وخلف بعضها

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١٥/ ٢١٦-٢١٧) .

عن بعض ، فإن تعود الناس بما بين أيديهم يصرف عقولهم عن التأمل فيما وراء ذلك من دلائل دقائقها على ما تدل عليه ، فلذلك أمر الله تعالى رسوله أن يدعوهم إلى السير في الأرض ليشاهدوا آثار خلق الله تعالى الأشياء من عدم فيوقنوا أن إعادتها بعد زوالها ليس بأعجب من ابتداء صنعها ، وإنما أمر بالسير في الأرض لأن السير يذني إلى الرائي مشاهدات جمة من مختلف الأرضين بجبالها وأنهارها ومحتوياتها ويمر به على منازل الأمم حاضرها وبائدها فيرى كثيراً من أشياء وأحوال لم يعتد رؤية أمثالها ... مما كان غائباً عن بصره جالت في نفسه فكرة الاستدلال ، فالسير في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة وجيء في جانب بدء الخلق بالفعل الماضي ، لأن السائر ليس له من قرار في طريقه فندر أن يشهد حدوث بدء مخلوقات ، ولكنه يشهد مخلوقات مبدوءة من قبل فيفطن إلى أن الذي أوجدها إنما أوجدها بعد أن لم تكن وأنه قادر على إيجاد أمثالها فهو بالأحرى قادر على إعادتها بعد عدمها^(١) .

كما أشار إلى أن الاستدلال بفعل النظر أبلغ في النفس وأقرب لاستحضار صورة البعث بعد الممات :

(والاستدلال بالأفعال التي مضت أمكن لأن للشيء المتقرر تحققاً محسوساً .

وجيء في هذا الاستدلال بفعل النظر لأن إدراك ما خلقه الله حاصل بطريق البصر وهو بفعل النظر أولى وأشهر ليتنقل منه إلى إدراك أنه ينشئ النشأة الآخرة .

وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تذييل ، أي تقدير على البعث وعلى كل شيء إذا أراد ، وإظهار اسم الجلالة لتكون جملة التذييل مستقلة بنفسها فتجري مجرى الأمثال^(٢) .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٠ / ٢٣٠) .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٠ / ٢٣٠) .

وبعد عرض الآيات الكريمة والمتعلقة بالرد على مزاعم الكافرين المنكرين للبعث والجزاء بعد الموت أختتم موضوع الحديث بقول الله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثَوْا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٧] ^(١) .

المقصد الثاني : ثبوت الحجة على الكافرين :

بناء على ما سبق من شرح مواضع التذكرة في القرآن الكريم والواردة في الآيات الكونية ، والتي اتضح فيها التأكيد على طاعة الرسول محمد ﷺ والإيمان به وبما جاء به ، وامتنال تعاليم الشريعة ، وخاصة بعد أن سلك القرآن الكريم كل طريق في دعوة الناس للإيمان وتذكيرهم بالعهد والميثاق الذي شهدوا به على أنفسهم . كما أقام لهم الأدلة العقلية والحسية، حيث لفت أنظارهم إلى عمق التأمل في أنفسهم وفي آفاق الكون ، فهل من خالق غير الله تعالى؟ كما وعظهم ليعتبروا وقص عليهم القصص وضرب لهم المثل ، وأخبرهم بأمور غيبية من الماضي والمستقبل ، وأخبرهم بما تكن ضمائرهم وتخفيه صدورهم، وتحداهم بكل أوجه التحدي ، ولم يبطلوا أي دليل أقامه القرآن فثبت عجزهم ، وكانت النتيجة ثبوت الحجة عليهم بعد اعترافهم بجرمهم وتكذيبهم ، وقد حكم الله سبحانه وتعالى عليهم بأنهم من أهل النار الخالدين فيها أعادنا الله منها آمين يا رب العالمين .

وذكر القرآن الكريم النار والتهديد والوعيد بها ليس قاصرا على أهل الكفر فقط وإنما يشمل عصاة المؤمنين ، وهم تحت مشيئة الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤-١٦٥] .

(١) أول سورة التغابن نزل بمكة ، ومن آية رقم ١٤ نزل بالمدينة . الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٨/ ١٢٥) .

وقال الله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا حَتَّىٰ لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٧٠] .

قال الله تعالى : ﴿ وَادْعِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِذْ نَادَىٰ مِنْهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٤-٤٥] .

ولقد ثبتت حجة الله تعالى على الكافرين واعترفوا بذنوبهم وظلمهم لأنفسهم وتكذيبهم ، فسحقا لأصحاب السعير . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُتَجَرِّمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ١٢] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴾ [الزمر : ٢٧] وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأَحْيَيْتَنَا آتَيْتِنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [غافر : ١٠-١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿٦﴾ إِذَا الْقُرْآنُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ٦-١١] .

أشارت هذه الآيات الكريمة إلى ثبوت الحجة على الكافرين بعد اعترافهم .

وذلك من أهم مقاصد القرآن وخاصة في الآيات المكية بعد تذكيرهم بالإيمان والذي أشار

إليه الشاطبي بأنه من خصائص ما قرره القسم المكي من سور القرآن الكريم بقوله :

(... إثبات أمر البعث والدار الآخرة وأنه لا ريب فيه ، بالأدلة الواضحة ، والرد على من أنكر بكل وجه يمكن الكافر إنكاره به ، فرد بكل وجه يلزم الحجة ، ويبكت الخصم ، ويوضح الأمر) ^(١) . وبراهين القرآن الكريم وأدلتها ساطعة ، قاطعة فلم يبطل أحد أي دليل أقامه القرآن الكريم .

وتفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ أي إنما نلوم أنفسنا ونندم على ما فعلنا ، فلو كنا نسمع ما أنزل الله من الحق سماع من يعي ، وسماع هداية ، أو نعقل عقل من يميز وينظر ويتفجع ، وعقل هداية ما كنا من أهل النار ، وما بقينا على ما كنا عليه من الكفر بالله تعالى والضلال ، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم ، والإيمان بما أنزل الله تعالى ، والاستماع إلى الرسول ﷺ .

وقدم السمع على العقل والتفهم ، لأن المدعو إلى شئ يسمع كلام الداعية أولاً ثم يتفكر فيه .

قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ أي فأقروا معترفين بما صدر عنهم من ذنب استحقوا به عذاب النار، وهو الكفر وتكذيب الأنبياء، فبعدا لهم من الله ومن رحمته. وهذا بيان بالجريمة ثم العقاب ^(٢) .

(١) الشاطبي : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (٣/ ٤١٦) ، الزرقاني : محمد

عبد العظيم ، مناهل العرفان (١/ ١٩٥) .

(٢) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٩/ ١٦) .

قال الله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ

أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ

بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ

جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴿الزُّمَر: ٧١﴾

المبحث الثالث : خصائص منهج القرآن الكريم ومقاصده

من خلال عرض آيات الكون

الملاحظ في آيات القرآن الكريم وخاصة الآيات المكية أنها تلفت أنظار الناس وتذكر المؤمنين وتعظمهم بالإشارة إلى ما تميزت به آيات الكون من خصائص في الأسلوب ودلائل واعتبار يقصد بها ما يأتي :

المقصد الأول : توثيق صلة العبد بربه وبلقائه ^(١) ، وهو الله الصمد الذي وهب للإنسان الحياة وسخر له أسبابها ووسائلها ، وهو وحده ﷻ النافع الضار الذي بيده أسباب السعادة والتوفيق والهداية للعمل الصالح ، وهو المستحق للعبادة والتي من مظاهرها شكر المنعم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، مثاله :

١ - قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٦) وَلَئِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْبَأْسُ فَلَا رَدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ

(١) وهذا هو المقصد الأسمى من آيات القرآن الكريم وبقية الخصائص والأغراض تندرج تحت أصله وتدل عليه . و(تعزير أركان الإيمان وخاصة الإيمان بالله واليوم الآخر : حيث وجد أن هناك علاقة وثيقة بين الإشارات العلمية وأركان الإيمان الستة (بنسبة حوالي ٩٢٪) من مجموع الآيات القرآنية التي فيها إشارات علمية .. وهي - كما يلي : آيات الإيمان بالله (٧٤٠) آية ، وآيات الإيمان باليوم الآخر (١٢٠) آية ، وآيات الإيمان بالملائكة (٢٤) آية ، وآيات الإيمان بالكتب السماوية (٥٣) آية ، وآيات الإيمان بالرسول والأنبياء (١٠٠) آية ، وآيات الإيمان بالقدر (٣٠) آية . د. محمد جميل الحبال ، د. مقداد مرعي الجواري ، العلوم في القرآن (ص ١٤) ، د. كارم السيد غنيم ، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق ، دعائم العلوم في المنظور الإسلامي (ص ٢٢١، ٢١٣) بتصرف .

﴿عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

٢ - وقول الله تعالى :

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَاسٍ لَّتَتَمَوَّهَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

٣ - وقول الله تعالى :

﴿أَفَ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْجُدُوا لِمَا خَلَقَ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا بِلَيْفِهِ إِلَّا يَسْقِي الْآفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَاللَّيْلَ وَالْيَوْمَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُثَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الْأَنْزَارَ وَالزُّيُوتَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَكُنِ الْفُلُكُ مَوَاقِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَّسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَزًا وَسْبَلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالْجَنِّ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[النحل: ١-١٨]﴾ .

٤ - وقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ... ﴿٥٢﴾ ثُمَّ تَوَكَّلْ عَلَى رُبِّكَ إِنَّكَ أَتَيْتَ بِشَيْءٍ نَكِيرٍ ﴿٥٣﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرُدَ لَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكَ ﴿٥٤﴾ أَفَبِمَا لَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿[الأنبياء: ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤-٦٧]﴾ .

٥ - وقال الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿[الحج: ١٨]﴾ .

٦ - وقول الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿[الكهف: ١١٠]﴾ .

٧ - وقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿[المؤمنون: ١٢-١٤]﴾ .

٨ - وقول الله تعالى :

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِتَاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

٩ - وقول الله تعالى :

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوْتِ ۝٣ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَدُّونَهُ عَلَىٰ مَا رَأَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا رَآغِ الْبَصَرُ وَمَا طَعَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝٢٢...﴾ ﴿وَابْتَهِمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٧ أَلَا نَزَرُ وَإِرْزَ ۝٣٨ وَذُرْ أُخْرَىٰ ۝٣٩ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٤٠ وَأَن سَعِيَّهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤١ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ۝٤٢ وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَن عَلَيْهِ النُّشَاءُ الْأُخْرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾ [النجم: ١-٢٢، ٣٧-٤٩].

١٠ - وقول الله تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ١-٦].

المقصد الثاني: علم الله تعالى المحيط بكل شيء وقدرته سبحانه على كل شيء ظاهرة في إتقان صنع الكون وتنوع المخلوقات في عالم الملك والملكوت مظهر كمال صفاته سبحانه :

(حينما يتناول القرآن كلاما عن الكون فإنه يضم أنواع النباتات كلها وأنواع الحيوانات كلها

وأنواع الظواهر كلها ، وأنواع الأشكال الجيولوجية والأرضية جميعها ...^(١) . مثاله :

١ - قول الله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

٢ - وقول الله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد : ١٦] .

٣ - وقول الله تعالى :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

٤ - وقول الله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

٥ - وقول الله تعالى :

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُءْيَا نَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢] .

(١) د. كارم السيد غنيم ، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق (ص ٢٢٨) .

٦ - وقول الله تعالى :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨] .

٧ - وقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس : ٨٢-٨٣] .

٨ - وقول الله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت : ٢١] .

٩ - وقول الله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِلْعَالَمِ أَنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

١٠ - وقول الله تعالى :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الحديد : ١-٦] .

١١ - وقول الله تعالى :

﴿لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَّى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن : ٢٨] .

المقصد الثالث: من دلائل عظمة الله تعالى الخالق وقدرته على خلق الذكورة والأنوثة والزوجية في الخلق، وليس الذكر كالأنثى .

الإشارة إلى الذكورة والأنوثة والزوجية في الخلق : مثاله :

١ - قول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٦] .

٢ - وقول الله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلِي فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] .

٣ - وقول الله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَتْنَمَهَا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد : ٣] .

٤ - وقول الله تعالى :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٣٦] .

٥ - وقول الله تعالى :

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ

الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِّسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ . [الزخرف: ١١-١٤]

٦ - وقول الله تعالى :

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: ٤٥-٤٦] .

٧ - وقول الله تعالى :

﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّيِّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَحَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَمَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُخْجِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣٧-٤٠] .

المقصد الرابع: إشارة القرآن الكريم إلى دقة نظام الحركة الدائبة في الكون لأجل مسمى:

(إذا كان الطواف أو (الدوران) مظهرا من مظاهر الديناميكية للكون ، فإنه من الأهمية بمكان .. ، فالطواف موجود في كل شئ في الكون حتى في الأمور التعبدية ، فإن الكعبة جعلها الله تعالى للناس مطافا في الحج وهي رمز التوحيد ووحدة قبة المؤمنين .

والطواف حول الكعبة أمر عجزت الأفهام عن إدراك سره وحكمته ، إلا أنه رمز عظيم لسر عظيم هو ظاهرة الطواف في الكون والتي نراها محققة في أدق الأشياء وأضخمها، نراها في الذرة وفي المجرة ، فإذا ما بدأنا بالذرة نجدها تتكون من نواه موجبة وإلكترونات سالبة ، وقضى الله تعالى أن يكون بين الضدين دائما تجاذب ، فكان الجذب الكهربائي بين الإلكترونات وبين النواة ، ولما كان لهذه الإلكترونات مسارات حددها الخالق سبحانه لا تفر من أطرافها ، فإن الأمر دعاها إلى الدوران المستمر أو الطواف الدائم ، وهكذا دارت العناصر في كل مكونات المخلوقات ، حية كالإنسان والحيوان والنبات ،

أو جامدة كالجبال والرمال وما أشبهها ... من عالم الذرة الصغير إلى عالم الأفلاك الكبير (...)^(١) .

مثاله :

١ - قول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

٢ - وقول الله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢] .

٣ - وقول الله تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٣] .

٤ - وقول الله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٣] .

٥ - وقول الله تعالى :

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠] .

(١) د. كارم السيد غنيم ، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق (ص ٢٢٩) .

٦ - وقول الله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم: ٨] .

٧ - وقول الله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ . [فصلت: ١١]

٨ - وقول الله تعالى :

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴾ . [الأحقاف: ٣]

المقصد الخامس : أشار القرآن الكريم إلى كليات العلوم وأصول المسائل وترك للعقل البشري البحث عن الجزئيات .

مثال ذلك : علم الطب والزراعة والهندسة والجبر والملاحة وعلوم الحساب ، كما ألمح القرآن الكريم إلى أصول الصنائع وأسماء الآلات .

(وعلم الفيزياء والكيمياء والأحياء والجغرافيا والرياضيات والإحصاء ، وعلم طبقات الأرض ، وعلوم البحار والأنهار ، ووسائل النقل ، ولغة الحيوان ..) ^(١) .

وقد أشار الغزالي إلى أن في إمكان قوة الآدمي الوصول إلى العلوم ومن العلوم الكثيرة (كعلم الطب ، والنجوم ، وهيئة العالم ، وهيئة الحيوان ، وتشريح أعضائه ...) ^(٢) .

قال السيوطي : (اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء ، أما أنواع العلوم فليس منها

(١) د. محمد جميل الحبال ، د. مقداد مرعي الجوارى ، العلوم في القرآن ، ص ١٣ .

(٢) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، جواهر القرآن ، (ص ٢٥ - ٢٦) .

باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن الكريم ما يدل عليها ، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى وبدء الخلق^(١) ، (ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك ، فاستخرجوا منه علم المواقيت)^(٢) .

و(القرآن الكريم ، حين يعرض لآيات الله في الكون لا يجعل الجانب العلمي بالمفهوم الاصطلاحي فيها ، أو كشف سننها وقوانينها هو الهدف الأساسي ، ذلك أنه كتاب هداية قبل كل شيء ، وهو كتاب حياة ، وإنما هو يدل ويشير تصريحاً أو تلميحاً ، إلى ما في الكون من علوم وسنن وقوانين ، بالقدر الذي يعين الإنسان على أداء رسالته في الحياة ويهديه إلى معرفة رب العالمين والإيمان به عن يقين)^(٣) .

وبالبحث والنظر تستغل نواميس الكون المسخرة لراحة البشرية ورفاهيتها وجميع العلوم تخدم كتاب الله تعالى وتفسره .

كما يلاحظ في أسلوب القرآن المعجز في عرض آيات الكون وتكرارها في مواطن متعددة على سبيل الإجمال والتفصيل ، وإفراد بعضها بالحديث عنها...^(٤) وهو (نهج القرآن في عرض هذه الآيات وبيان دلالتها القريبة والبعيدة منهجاً بلاغياً معجزاً ومقتضياً للحال ، فصاغها

(١) السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر ، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٤٨-٣٥٣) .

(٢) السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر ، الإكليل في استنباط التنزيل (ص ١٥) .

(٣) د. كارم السيد غنيم ، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق (ص ٢٣٢) نقلاً عن السعيد (راغب محمد) ، الإنسان والكون في القرآن الكريم ، مجلة الوعي الإسلامي بالكويت (٣٣٩) ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

(٤) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور أهل الولاية والإرادة (٢/ ٤٥) بتصرف .

بأسلوب يتواءم مع الأجيال والأزمان والبيئات والثقافات ، بالقدر الذي يفهمه الأمي من خمسة عشر قرناً فيكفيه ويهديه ، كذلك يقرؤه إنسان القرن العشرين وما بعده فيدله ويهديه ويجد فيه قناعة عقله ووجدانه بآيات الصدق والإعجاز التي تنكشف عنها يقينيات العلم آنأ بعد آن . وستقرؤه الأجيال من بعد ، فترى فيه كل جديد ومعجز ، وآيات الكون تلفت الأنظار إلى صفات الخالق سبحانه وقدرته وعلمه وحكمته ، وهذا هو الهدف الأساسي والغاية الكبرى ، لمعرفة الله وحبه وشكره على ما سخره وأنعم به سبحانه وتعالى^(١) القائل : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٩٣] .

المقصد السادس : إشارة القرآن الكريم إلى ما سوف يحصل من اضطراب نظام الكون وأنه دليل على قيام الساعة وأن مصير الإنسان إما للجنة وإما إلى النار أعادنا الله تعالى منها آمين يا رب العالمين .

مثاله :

١ - قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ ﴾ .

[الكهف : ١٠٧-١٠٨]

٢ - وقول الله تعالى :

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبُّكُمْ ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَقٌّ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا

(١)د. كارم السيد غنيم ، الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق (ص ٢٣٢) بتصرف

هُم يَسْكُرُونَ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَحْلَىٰ مَسْئَىٰ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُنَوِّفُ وَمِنْكُمْ مَّن يَردُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج: ١-٧] .

٣ - وقول الله تعالى :

﴿إِن أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَّاءٌ يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ . [يس: ٥٥-٥٧] .

وقال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنْفٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠] .

٤ - وقول الله تعالى :

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِيَامٍ يُنظَرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَأُوقِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قَسَّيْتُمْ

الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٧﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٨﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ [الرَّؤْيُ: ٦٨-٧٥]

(يقول الفلكيون: إن الأرض - في القرون الأخيرة - تقترب من الشمس اقترابا بطيئا وإنه سيصبح القمر من البعد عن الأرض بحيث يقع فريسة لقوة جاذبية الشمس تمهيدا لكي يجتمعا معا في مدار واحد ، وتشد الشمس القمر إليها شدا عنيفا ، فينشق ، ويكون ذلك مقدمة لانتهاء العالم وحدث يوم القيامة) ^(١) .

قال الله تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۚ ﴿٥﴾ يَسْتَلْ أَتَىٰ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَاذْهَبْ أَبْصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْفَرَجَ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْتَغُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَلَعَزَّ ﴿١٣﴾ ۝ ﴾

[القيامة : ٥- ١٣] .

(... وهذا ما يقرره العلم من أن القمر إذا اقترب من الأرض يحدث زلازل عنيفة مدمرة تزداد عنفا ، وتؤدي إلى انتهاء الحياة على سطح الأرض ، واشتداد هذه الزلازل سينتهي الأمر إلى انشقاق القمر وعندئذ تتأثر جاذبية الأجرام الأخرى التي تمسكها جاذبية القمر ، ويكون ذلك إيذانا حتميا باختلال بقية الكواكب القريبة فتتهاوى على الأرض ...) ^(٢) .

ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في آيات كثيرة والتي لفتت انتباه المشاهدين إلى التفكير في نظام الكون ونواميسه المبصرة وغير المبصرة .

(١) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص ٥٠) .

(٢) المرجع السابق (ص ٦١) .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة : ٣٨-٤٠] .

المقصد السابع : يستنتج من الدلائل في خلق الكون على وحدة النظام التي تدل على وحدانية الخالق^(١) وكمال صفاته ، وهو الله سبحانه وتعالى جلّ ذكره .

ولو أصغى المعرضون لدعوة الحق بأذانهم وتدبروا بما يشاهدونه من سعة ملك الله تعالى وما في ملكوته وما فيهما من دلائل ناطقة بالتوحيد . ودلائل شاهدة على كمال قدرة الله تعالى الخالق المبدع سبحانه وتعالى ، لأدركت أحلامهم الحق ، وانجلت ظلمة الباطل عن أعينهم ولاستنارت بنور الإيمان قلوبهم .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

كما ذكر الشاطبي بأن العرب (خطبوا بدلائل التوحيد فيما يعرفونه من سماء وجبال ، وسحاب، ونبات ، وبدلائل الآخرة والنبوة كذلك)^(٢) .

كما أشار إلى أن الكون مسخر للإنسان .

(١) وهناك وحدة في نظام الأجرام الكونية ، ووحدة في تركيب العناصر الأرضية والسمائية ، وكذلك

الوحدة في النظام في أسس الحياة للحيوان والنبات والكائنات الحية والجماد أيضا) .

وهذا الموضوع جدير أن يفرد بالدراسة ويطرح في رسالة علمية .

جمال الدين عياد ، الإسلام العظيم .. وحدانية الله .. دلائلها من العلم الحديث ، المقدمة (ص ٥) .

(٢) الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (٢ / ٧٨) .

ولقد هيأ الله تعالى له الحياة على الأرض وما يلزم عيشه عليها^(١) وأوضح له (بيان وجوه الإمداد من الخارج)^(٢) بما يليق به في التربية والرفق والإعانة على إقامة الحياة ، وأن ذلك له بتسخير السموات والأرض وما بينهما وكفى بهذا تشريفا وتكريما^(٣) ، ليقيم الحق والعدل ولعمارة الأرض^(٤) .

والتذكرة بنظام الكون وسنته ومظاهره فيه تفصيل في الباب الثاني والثالث وهما موضوع الرسالة .

(١) د. محمد عبد الله دراز ، مدخل إلى القرآن الكريم - فكرة الأسباب والمسببات (ص ٧٧).

(٢) لعل المعنى : أن الله تعالى خلق الإنسان وأمهده ويسر له كل سبل العيش والحياة فيشمل كل ما سخره الله تعالى في الدنيا .

(٣) الشاطبي : إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة (٣ / ٤١٧) .

(٤) أبو حيان : محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط (١ / ١٤٠) .

الباب الثاني

مناهج المفسرين في بيان آيات الكون

يشتمل هذا الباب على فصلين ، في الفصل الأول أربعة مباحث ، وفي الفصل الثاني ثلاثة مباحث في الفصل الأول ذكرت أقوال المفسرين المعاصرين ، وذكرت أقوال غيرهم لتمام الفائدة ، وقد عرضت تفسير آية في كل مبحث في (السماء) ، وتفسير آية في (الشمس) ، وتفسير آية في (القمر) ، وتفسير آية في (النجوم والكواكب) .

وكذلك عرضت في الفصل الثاني تفسير آية في (الرياح) ، وتفسير آية في (السحاب) ، وتفسير آية في (البرق والرعد والصواعق والبرد) ، وفي كل مبحث في الباب عرضت أقوال المفسرين ومناهجهم مع ذكر النتيجة ، والتي فيها معنى الآية ، مع إبراز الجانب العلمي في تفسير الآية الكريمة .

الفصل الأول : السماء وما فيها

المبحث الأول : السماء .

المبحث الثاني : الشمس .

المبحث الثالث : القمر .

المبحث الرابع : النجوم والكواكب .

الفصل الثاني : ما بين السماء والأرض .

المبحث الأول : الرياح .

المبحث الثاني : السحاب ، وماء المطر .

المبحث الثالث : البرق ، والرعد ، والصواعق ، والبرد .

الفصل الأول

السماء وما فيها

المبحث الأول : السماء .

المبحث الثاني : الشمس .

المبحث الثالث : القمر .

المبحث الرابع : النجوم والكواكب .

المبحث الأول : السماء

لقد ذكر لفظ السماء في القرآن الكريم بصيغة الجمع والمفرد . وقد ذكرت السماء (١٢٠) مرة، وذكرت (السموات) (١٩٠) مرة^(١) .

و(السماء في اللغة : اسم لكل ما علا وارتفع وهو مأخوذ من السمو وهو العلو . يقال سما بصره أي علا ، وسما لي شخص ، ارتفع حتى استتبته ، وسماؤه الهلال وكل شيء ...) ^(٢) .
(والسماء كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء) ^(٣) .

ولفظ السماء يذكر على خمسة أوجه من المعاني في بعض أقوال المفسرين:
الوجه الأول : السماء المعروفة في سورة البقرة :

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة : ٢٩] .

الوجه الثاني : سقف الجنة وسقف النار ومنه قوله تعالى في سورة هود :

﴿خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [الآية : ١٠٨] في قصة أهل الجنة وقصة أهل النار .

الوجه الثالث:سقف البيت ومنه قوله تعالى في سورة الحج :

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الآية : ١٥] .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٦٢-٣٦٦، ٣٦٤) .

(٢) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص ٣٥٨) .

عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، أبو الفرج ، علامة في عصره ، في التاريخ والحديث ، كثير التصانيف ، مولده ووفاته ببغداد ، ونسبته إلى (مشركة الجوز) من محالها . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٣/ ٢١٦) .

(٣) الرازي : محمد بن أبي بكر عبد القادر ، مختار الصحاح ، مادة (س-م-ا) (ص ٢٣٦) .

الوجه الرابع : السحاب ومنه قوله تعالى في سورة الحجر :

﴿ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ [الآية : ٢٢]

الوجه الخامس : المطر ومنه قوله تعالى في سورة نوح :

﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [الآية : ١١]^(١)

وسماء الجنة العرش^(٢) وسماء النار الطبق^(٣) .

وقد ثبت في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأن النبي محمد ﷺ عرج به^(٤) إلى السبع السموات^(٥) ،

(١) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجه والنظائر (ص ٣٥٨) .

(٢) ورد في الحديث (فإذا سألتكم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة) . صحيح البخاري (٩٧) كتاب التوحيد (٢٢) باب ﴿ وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ﴾ (٤/ ١٧٦) ولم أعثر على الحديث الذي يدل على أن سماء النار الطبق .

(٣) الدامغاني : الحسين محمد ، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (ص ٢٤٨) .
الدامغاني ، حسين بن محمد بن إبراهيم ، أبو عبد الله الدامغاني ، فقيه حنفي ، نسبته إلى دامغان (بين الري ونيسابور ، من كتبه أسواق العروس وأنس النفوس (مخطوط) ، والمجرد في الحكايات (مخطوط) . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٥٤ / ٢) .

(٤) صحيح البخاري (٩٧) كتاب التوحيد (٣٧) باب قوله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ (٤/ ٢٠٣) ، ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٧٨) رقم الحديث (٧٥١٧) . كما أورد الحافظ ابن كثير الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج وعلق عليها . تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣) .

(٥) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الإنسان (٢/ ٥١٠) ، (٤/ ٥٤٤-٥٧٩) ، وصحح الحديث ووافقه الذهبي .

كما ورد في الحديث ^(١) بأن (ما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام) ^(٢) .

قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ [الإسراء : ١] ،

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ

مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى

السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم ٨-١٨]

وهذه ... رحلة مباركة خرقت مقاييس الزمان والمكان وربطت بين الرسالة المحمدية ﷺ

ومقدسات الأرض ووثقت صلتها بوحى السماء ... و(طرحت) شكوك العقل وشبه

المعاندين والجاحدين) ^(٣) .

السماء بالمعنى العلمي :

يعلق محمد كامل عبد الصمد عند ذكر قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً

وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . [البقرة : ٢٢]

(١) ذكر السيوطي الأحاديث والآثار التي تتعلق بخلق السموات والأرض في كتابه الدر المنثور في

التفسير بالمأثور (١/ ١١٠) .

(٢) جامع الترمذي (٤٤) كتاب تفسير القرآن ، سورة الحديد ، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي

(٩/ ١٨٥) رقم الحديث (٣٣٥٢) ، وأخرج الحديث الحاكم في المستدرک على الصحيحين ، كتاب

التفسير ، تفسير سورة طه (٢/ ٣٧٨) ، وصححه ووافقه الذهبي على التصحيح . ابن حجر

العسقلاني : أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٤١٣) .

(٣) السيوطي : عبد الرحمن بن الكمال ، الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء ، تحقيق محيي الدين مستو ،

المقدمة (ص ٨) .

قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ . فقد أثبت العلم بما لا يقبل الشك أن السماء في معناها العلمي

الواقعي هي كل ما يحيط بالأرض من جميع أقطارها ، ابتداء من الغلاف الجوي الذي يرتفع بنحو ثلاثمائة كيلو متر فوق سطح الأرض ، وكأنه بحر من الهواء حول الكرة الأرضية .

ثم إنه بعد هذا الغلاف الجوي يوجد فراغ كوني تسبح فيه ملايين الأجرام السماوية في أعماقه السحيقة ، وهي تتجاذب فيما بينها ، وتحرك في تماسك واتزان في طبقة بعد طبقة وكأنها البناء المحكم ، أو كأنها السقف المبني فوق الأرض...^(١) .

(ويرجع لونها الأزرق إلى تشتت موجات الضوء بواسطة حبيبات الغبار والبخار ...) ^(٢) .

وبالتفكر في خلق السماء وسعتها ، والتأمل في دقة نظام الكون وسننه وجمال الإبداع فيه ، تتجلى دلائل كمال قدرة الله تعالى وسعة علمه وحكمته . وفي هذا تعميق للإيمان وزيادة له وتعظيم للخالق والتقدير لبعض قدره .

ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأن السماء في مرحلة (ما) من خلقها كانت (دخانا) وكانت السماء والأرض ملتصقتين فانفصلتا عن بعضهما ، وسأعرض لبعض أقوال المفسرين في تفسير (الدخان) والرتق والفتق فيها .

كانت السماء دخاناً :

قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾

[فصلت : ١١] .

(١) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص ٥٨) .

(٢) د. محمد جمال الدين الفندي ، الله والكون (ص ٣٠٥) بتصرف ، عبد الله محمد الأنصاري ، الفلك

وعلاقته بالعقيدة (١/ ٤٧) .

عرض أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾

ذكر بعض المفسرين وغيرهم بأن (الدخان) المذكور في الآية الكريمة مادة غازية - أشبه بالدخان أو السحاب أو السديم^(١) ، وأن لفظة الدخان توافق التعبير العلمي ، حيث تشير إلى الوجود الحراري والذي يعتبر من أهم صفات السديم في علم الفلك .

١ - قول القاسمي^(٢) :

قال بعض علماء الفلك في تفسير هذه الآية ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أي ذرات ، أي غازات ، أي سديم ، ثم تجاذبت كما يتجمع السحاب فصارت كتلة واحدة^(٣) .

٢ - قول المراغي^(٤) :

في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أي ثم دعا داعي الحكمة إلى خلق السماء وهي مادة غازية أشبه بالدخان ، أو بالسحاب ، أو بالسديم ، وتسمى في العلم الحديث (عالم السديم)^(٥) .

(١)السديم : الضباب الرقيق . الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، فصل السين ، باب الميم (١/ ١٢٨) .

(٢)محمد جمال الدين محمد سعيد بن قاسم الخلاق (١٢٨٣-١٣٣٢هـ/ ١٨٦٦-١٩١٤م) من سلالة الحسين السبط ، إمام الشام في عصره سلفي العقيدة ، مولده ووفاته في دمشق . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٢/ ١٣٥) .

(٣)محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦/ ١٤٦) .

(٤)محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي (١٢٩٨-١٣٦٤هـ/ ١٨٨١-١٩٤٥م) ، عارف بالتفسير ، مشارك في بعض العلوم ، من دعاة التجديد والإصلاح ، تلميذ للشيخ محمد عبده . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٧/ ١٠٣) .

(٥)أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢٤/ ١) .

٣ - قول محمد رشيد رضا^(١) :

ذكر الآية ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف : ٥٤]

وقال : (... إن المادة التي خلقت منها السموات والأرض كانت دخاناً أي مثل الدخان . وهذا يتفق مع المختار عند علماء الكون في هذا العصر من أن المادة التي خلقت منها هذه الأجرام السماوية وهذه الأرض كانت كالدخان ، ويسمونها السديم ...) ^(٢) .
(والسديم في اللغة الغمام والضباب ، واختاره علماء الفلك على الدخان وغيره ولا مشاحة في الاصطلاح) ^(٣) .

٤ - قول طنطاوي جوهرى^(٤) :

﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أي مادة غازية أشبه بالدخان أو بالسحاب أو السديم وتسمى اليوم في العلم الحديث (عالم السديم) ^(٥) .

(١) محمد رشيد رضا محمد شمس الدين محمد (١٢٨٢-١٣٥٤ هـ / ١٨٦٥-١٩٣٥ م) ، البغدادي الأصل ، الحسني النسب ، من العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ، لازم الشيخ محمد عبده . توفي ولم يكمل تفسيره ، وصل إلى تفسير آية رقم (٢٥) من سورة يوسف ، الجزء الثاني عشر . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٦/ ١٢٦) .

(٢) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٨/ ٤٤٧-٤٥٦) ، (١/ ٢١٠) .

(٣) المرجع السابق (١٢/ ٢٠) .

(٤) طنطاوي بن جوهرى المصري (١٢٨٧-١٣٥٨ هـ / ١٨٧٠-١٩٤٠ م) ، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة ، ألقى محاضرات في الجامعة المصرية . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٣/ ٢٣٠) .

(٥) طنطاوي جوهرى ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٩/ ٩٠) .

٥ - قول محمد الطاهر ابن عاشور^(١) :

(والدخان : ما يتصاعد من الوقود عند التهاب النار فيه ... ومعنى ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أن أصل السماء هو ذلك الكائن المشبه بالدخان ، أي أن السماء كونت من ذلك الدخان)^(٢) .

٦ - قول الدكتور محمد محمود حجازي :

(ثم استوى إلى السماء وقصد إليها ، ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ الله أعلم وحده بكنهه وحقيقته ، وكل ما وصل إلينا عن طريق الأخبار فشئ لا يجزم بصحته ، وما يقرره العلم كنظرية السديم فشئ ينقصه الدليل العلمي القاطع)^(٣) .

٧ - قول الدكتور وهبة الزحيلي :

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أي عمد وقصد وتوجه توجها كاملا إلى السماء حسبما تقضي الحكمة ، وهي كتلة غازية مظلمة تشبه الدخان أو السحاب أو السديم^(٤) .

١ - قول أحمد حنفي :

(في قوله تعالى ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ ... أن مادة السماء الأولية قبل خلقها كان لها من الصفات الهامة وما يشبه الدخان العادي الذي يتصاعد من النيران ، أي كانت مادة مظلمة بذاتها

(١) محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦-١٣٩٣هـ / ١٨٧٩-١٩٧٣م) ، رئيس المفتين المالكيين بتونس

وشيوخ جامع الزيتونة ، مولده ووفاته ودراسته بتونس . خير الدين الزركلي ، الأعلام (١٧٤/٦) .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٤٦/٢٤) .

(٣) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٣٢٨/٣) .

(٤) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (١٩٥/٢٤) .

مفككة الأجزاء ، خفيفة ومنتشرة في الفضاء .. ساخنة إلى حد ما إذ الدخان لا يصدر إلا من أصل ناري ...^(١).

٢ - قول يوسف مروّه :

(... الثابت في العلم والدين هو أن هذه العوالم بأسرها كانت مادة واحدة .. وهي (الماء) ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود : ٧] وأن هذا الماء قد تحول بعضه إلى مادة سماها الله تعالى (دخان) وفسره العلماء بأنه بخار مائي وسماها العلم (سديا)^(٢) .

٣ - قول محمد كامل عبد الصمد :

(... القرآن يصرح أن السماء كانت في بدء خلق الكون دخانا ، والعلم يقرر ذلك بعد أبحاثه المضنية في هذا الصدد)^(٣) .

٤ - قول الدكتور عبد العليم خضر :

(... وهكذا نجد أن نظريات الفيزياء تقرر وجود كتلة سديمية غازية أولى يغلب عليها الهيدروجين والهليوم ، كانت الأساس الذي تشكلت منه الأجرام السماوية ، وقال القرآن الكريم أن البدء كان دخانا . كانت بداية الكون - حينئذ - حسب رأي الجغرافية الكونية سحابة دخانية مخلخلة تحولت بالأمر (كن) إلى عمليات خلق مستمر تتجدد فيها صور الجسيمات الذرية التي كانت موجودة في السحابة الأولى)^(٤) .

(١) حنفي أحمد ، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن (ص ٢١١) .

(٢) يوسف مروّه ، العلوم الطبيعية في القرآن (ص ٥٢-٥٣) .

(٣) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام ، القرآن الكريم (ص ٥٩) .

(٤) د. عبد العليم خضر ، الإنسان في الكون بين القرآن والعلم (ص ١٦٨) .

(... وقصارى ما يقال : (إن النظرية الجغرافية الفلكية القائمة اليوم لا تتعارض مع المفهوم الإجمالي لهذا النص القرآني السابق عليها بأجيال) .

وحين نستعرض آيات القرآن نجد أن السموات قبل خلقها كانت مثل الدخان ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ ... والتخصيص في التشبيه بالدخان يشير إشارة قوية ودقيقة إلى أن مادة السماء الأولى تشبه الدخان العادي في أهم صفاته .. فكانت مفككة الأجزاء مظلمة وضعيفة ومنتشرة في الفضاء الكوني كالغاز أو السحاب المنتشر وساخرة إلى حد ما وتحتوي دقائق أنواع المادة ...) ^(١) .

٥ - قول الدكتور منصور حسب النبي :

أشار إلى أن لفظة (الدخان) من الإعجاز القرآني الذي توصل إليه العلم الحديث مؤخراً. قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ ... فلو جاءت كلمة (سديم) بدل (دخان) في الآية لما دلت على المعنى العلمي الدقيق الذي أشارت إليه كلمة (دخان) التي تؤكد وجود الحرارة التي تعتبر من أهم صفات السديم في الفلك كما أن الأخبار بأن السماء كانت كلها دخاناً قبل أن تتطور (تصل) إليه معجزة علمية تثبت صحتها من الأرصاد الحديثة التي كشفت عن انتشار السديم في الكون ...) ^(٢)

٦ - قول الدكتور عدنان الشريف :

(إن الكون كان في بدء نشأته كتلة غازية عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة .

(١) د. عبد العليم خضر ، هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم (ص ١٣٧) .

(٢) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ٣٣٢-٣٣٥) .

وبتأثير الضغط الهائل المتأني مع شدة الحرارة حصل انفجار هائل فتت هذه الكتلة وقذف بأجزائها في كل اتجاه ، فتكونت مع مرور الوقت الكواكب والنجوم والمجرات ^(١) .

٧ - قول الدكتور حسن أبو العينين :

(... إن السماء كانت خلال فترة من فترات تكوينها دخانا ... ولا تدل الآية الكريمة على أن أصل كينونة السماء دخانا ...) ^(٢) .

منهج المفسرين في بيان معنى قوله تعالى : (ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) [فصلت : ١١] .

من خلال العرض السابق لما ورد عن المفسرين نلاحظ أنه تتقارب أقوالهم في بيان معنى (الدخان) وأنه أشبه ما يكون ببخار الماء المتكاثف ذراته ، وأن لفظة (الدخان) تقارب معنى (السديم) في الاصطلاح (العلمي) الذي يظهر في بعض أقوالهم .

- قال القاسمي : قال بعض علماء الفلك في تفسير (الدخان) أي ذرات ، أي غازات ، أي سديم ، ثم تجاذبت كما يتجمع السحاب فصارت كتلة واحدة .

- وقال المراغي في قوله (دخان) وهي مادة غازية أشبه بالدخان ، أو السحاب ، أو بالسديم ، وتسمى في العلم الحديث (عالم السديم) .

- وقول محمد رشيد رضا : إن المادة التي خلقت منها السموات والأرض كانت دخانا أي مثل الدخان ، وهذا يتفق مع المختار عند علماء الكون في هذا العصر من أن المادة التي خلقت منها هذه الأجرام السماوية وهذه الأرض كانت كالدخان ، ويسمونها السديم .

- وقول طنطاوي جوهرى : (وهي دخان) أي مادة غازية أشبه بالدخان أو السحاب ،

(١) د. عدنان الشريف ، الثوابت العلمية في القرآن الكريم (ص ٣٠، ٢٩) .

(٢) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (١ / ٨٤) .

أو السديم، وتسمى اليوم في العلم الحديث (عالم السديم) .

- وقول محمد الطاهر ابن عاشور : ومعنى (وهي دخان) أن أصل السماء هو ذلك الكائن المشبه بالدخان ، أي أن السماء كونت من ذلك الدخان .

- وقال الدكتور محمد محمود حجازي في تفسير (الدخان) الله أعلم وحده بكنهه وحقيقته ، كما أشار إلى ما قيل في نظرية السديم (في نشأة الكون) ينقصه الدليل العلمي القاطع .

وبعد النظر في الأقوال السابقة في تفسير (الدخان) الوارد في الآية الكريمة
يمكن القول:

بأنه من الممكن أن يكون (الدخان) متولد من الماء ، وهو أشبه ما يكون بـ(بخار الماء) ^(١) الذي تكون منه هذا الكون .

وهذا القول مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أول ما خلق الله من شيء القلم فجري بما هو كائن ثم رفع بخار الماء ، فخلقت منه السموات ..) ^(٢)

ويشهد لهذا المعنى الحديث المروي عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أنه أنى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني فأنبئني عن كل شيء فقال كل شيء خلق من ماء ، قال فأنبئني بعمل إن عملت به دخلت الجنة ، قال : « أفسح السلام ،

(١) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحلیم ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، فصل آياته ﷺ المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع (٢/ ١٧٢) .

(٢) أبو جعفر ابن جرير الطبري ، جامع البيان ، (٢٩/ ١٤) ، وأخرجه الحاكم في كتاب التفسير (٤/ ٤٩٨) ، وانظر فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٦٩) .

وأطب الكلام ، وصل الأرحام ، وقم بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام» ^(١) .

كانت السموات والأرض رتقا ففتقناهما :

عرض أقوال المفسرين في قول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ . [الأنبياء : ٣٠]

ذهب بعض المفسرين في معنى الرق والفتق في السماء والأرض بأن السماء كانت لا تمطر والأرض لا تنبت، ففتقت السماء بالمطر وفتقت الأرض بالنبات، وهو أغلب قول السلف ^(٢) .

وذهب البعض الآخر إلى أن الكون في فترة من الأزمنة كان كتلة واحدة والخلق واحد ثم كان التخليق مختلفا في الكيفية والكمية وفي أزمنة طويلة

١ - قول القاسمي :

(...) ومعنى قوله تعالى ﴿ كَانَا رَتْقًا ﴾ أي لا تمطر ولا تنبت ﴿ فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ أي بالمطر والنبات ^(٣) .

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٩٣/٢) ، وذكر الحديث الحافظ ابن كثير عند تفسير الفتق

والرق ، سورة الأنبياء : آية ٣٠ ، وقال : (...) وهذا إسناد على شرط الصحيحين إلا أن أبا ميمونة من

رجال السنن واسمه سليم والترمذي يصحح له . تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٧/٣) .

وأخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب البر والصلة (١٦٠/٤) ، وصححه ووافقه الذهبي .

الموسوعة الحديثية ، تخريج أحاديث مسند الإمام أحمد (٣١٤/١٣) رقم الحديث (٧٩٣٢) .

(٢) الحافظ ابن كثير : أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم (١٧٧/٣) ، السيوطي :

عبدالرحمن بن الكمال ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١٧٢/٥) .

(٣) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي ، المسمى محاسن التأويل (١٥٠-١٥٢) .

٢ - قول المراغي :

(في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَنَقَّْنَهُمَا ﴾ أي ألم يعلم الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا مرتوقيتين أي ملتحمتين متصلتين ففصلناهما وأزلنا اتحادهما .

وهكذا يقول علماء الفلك حديثا ، إذ يثبتون أن الشمس كانت كرة نارية دائرة حول نفسها ملايين السنين ، وفي أثناء سيرها السريع انفصلت منها أرضنا ^(١) .

٣ - قول محمد رشيد رضا :

(في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَنَقَّْنَهُمَا ﴾ .. ألم يعلموا ما ينبغي أن يعلموه من أن السموات والأرض كانتا مادة واحدة متصلة لا فتق فيها ولا انفصال وهي ما يسمى في عرف علماء الفلك بالسديم وبلغه القرآن الدخان ^(٢) .

٤ - قول طنطاوي جوهرى :

(في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَنَقَّْنَهُمَا ﴾ ذواتي رتق أو مرتوقيتين ﴿ فَفَنَقَّْنَهُمَا ﴾ ففصلناهما وأزلنا اتحادهما ، كما ثبت عن أهل أوروبا في هذه العصور إذ هم قرروا هذا العلم ^(٣) .

٥ - قول محمد الطاهر ابن عاشور :

ذكر ابن عاشور في الرتق والفتق احتمالات متعددة منها :

(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (١٧/ ٢٣-٢٤) .

(٢) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الكريم الشهير بالمنار (١٢/ ١٧) ، (١/ ٢١٠) ، (٨/ ١٤٧) .

(٣) طنطاوي جوهرى ، الجواهر في تفسير القرآن (١٠/ ١٩٧-١٩٩) .

(الفتق هو ما يشاهده الرائي حين يرى المطر نازلا من السماء ، ويرى البرق يلعب منها ، والصواعق تسقط منها فذلك فتقها ، وحين انشقاق الأرض بهاء المطر وانبثاق النبات والشجر منها بعد جفافها .. ويحتمل أن يراد بالرتق والفتق حقيقتاهما أي الاتصال والانفصال ...) ^(١) .

٦ - قول محمد محمود حجازي :

أيد النظرية السديمية وأحكم مطابقتها مع نص الآية الكريمة.. وهذا قول فيه نظر، حيث يقول :

(في الآية ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾ أعموا ولم يروا أن السموات وما فيها والأرض وما عليها كانت رتقا ، وكانت السماء والأرض جزءا واحدا ففتقهما القادر المختار وجعل كل جزء في جهة ويدور في فلك ، ويؤدي مهمته على أكمل وجه .. من هذه نظرية السديم . فقد أثبت العلم أن الشمس والكواكب والأرض كلها كانت قطعة واحدة ثم انفصلت بكثرة الدوران وبقدرة الحكيم الخبير فصارت إلى ما نرى من الدقة والنظام بفعل الجاذبية الذي خَلَقَهُ اللهُ فِي الْكَوْنِ ...

أليس هذا هو عين ما يقوله القرآن الكريم ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ ^(٢) .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير (١٧ / ٥٤ - ٥٦) .

(٢) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢ / ٥٢٧ - ٥٢٨) .

٧ - قول الدكتور وهبة الزحيلي :

(... ألم يعلموا أن السموات والأرض كانتا متصلتين ببعضهما فتلاصقت أجزاءهما وتراكم بعضها فوق بعض ثم فصلناهما وجعلنا بين السماء الدنيا والأرض طبقة من الهواء) ^(١) .

(١) قول يوسف مروّه :

حيث قال : (... فقد فصل الله تعالى هذه المادة المتحدة تفصيلا ، وكون منها هذه العوالم وقد خلقها واحدة ، ثم خلقها تخليقا وكونها على ما قضته حكمته تكوينا ، منبثقا بعضها من بعض فالخلق واحد والتخليق مختلف في الكيفية والكمية والزمان) ^(٢) .

(٢) قول الدكتور منصور حسب النبي :

(... تأمل عظمة الإعجاز العلمي للقرآن حين أشار أن السموات والأرض كانتا رتقا أي شيئا واحدا متصل الأجزاء قبل انفصالهما) ^(٣) .

(٣) قول الدكتور حسن أبو العينين :

(... وينبها القرآن الكريم إلى أن الكون كله في فترة من الفترات كان كتلة واحدة ، وأن السموات بما فيها من سدم ومجرات وكواكب ونجوم وكواكب كانت جميعا ملتصقة ببعضها

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٧/ ٤٢-٤٥) .

(٢) يوسف مروّه ، العلوم الطبيعية في القرآن (ص ٥٢-٥٣) .

(٣) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ٣١٤) .

مع البعض الآخر . ثم في فترة لاحقة انفصلت كل منها عن الأخرى ^(١) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [الأنبياء : ٣٠] . وهكذا نرى من خلال ما عرض وسبق إيراده أنه :

- يجمع قولهم بيان المعنى اللغوي للرتق والفتق ، (فالفتق) هو الشق والفصل (للشيء) الملتئم الملتصق (المرتوق) ^(٢) كما ذكر بعضهم ما ورد في أغلب أقوال السلف وهو فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات وهو قول القاسمي ، وأشار البعض الآخر إلى ما قيل في (النظرية - أو - النظريات) العلمية التي قيلت في نشأة الكون ، مثل قول المراغي ومحمد رشيد رضا وطنطاوي جوهرري والدكتور محمد حجازي وذكر محمد الطاهر ابن عاشور القولين وقال الدكتور وهبة الزحيلي وجها من المعنى والمخ للآخر .

- قال القاسمي في قوله تعالى (كانتا رتقا) أي لا تمطر ولا تنبت (ففتقناهما) أي بالمطر والنبات .

- وقال المراغي : السموات والأرض كانتا مرتوقيتين ، أي ملتحمتين متصلتين ففصلناهما وأزلنا اتحادهما .

وهكذا يقول علماء الفلك حديثا ، إذ يثبتون أن الشمس كانت كرة نارية دائرة حول نفسها ملايين السنين ، وفي أثناء سيرها السريع انفصلت منها أرضنا .

- وقال محمد رشيد رضا : السموات والأرض كانتا مادة واحدة متصلة لا فتق فيها

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن (ص ٨٣-٨٤) .

(٢) الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، مادة (رتق) (ص ١٧٩) ، ومادة (فتق)

(ق) (ص ٣٦٢) بتصرف .

ولا انفصال وهي ما يسمى في عرف علماء الفلك بالسديم وبلغة القرآن الدخان .

- وقال طنطاوي جوهرى (ففتقناهما) ففصلناهما وأزلنا اتحادهما ، كما ثبت عن أهل أوروبا في هذه العصور إذ هم قرروا هذا العلم .

- وغلب محمد الطاهر ابن عاشور قول السلف : فمعنى (الفتق) هو ما يشاهده الرائي حين يرى المطر نازلاً من السماء ويرى البرق يلعب منها ، والصواعق تسقط منها فذلك فتقها ، وحين انشقاق الأرض بقاء المطر وانبثاق النبات والشجر منها بعد جفافها .. ويحتمل أن يراد بالفتق حقيقتها أي الاتصال والانفصال .

- وأيد النظرية السديمة الدكتور محمد حجازي وأحكم مطابقتها على نص الآية .

قلت : ما قيل في نظريات نشأة الكون قد يوافقها وجهاً من الصواب ولكن لم تبلغ درجة اليقين والقطع بها ، ولا يمكن لعقول البشر أن تصل لمثل تلك المعلومات إلا عن طريق الوحي الذي هو أعلى نطاقاً من العقل ، قال الله تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴾ [الكهف : ٥١] .

وقول حجازي في الآية الكريمة ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾ أعموا و لم يروا أن السموات وما فيها والأرض وما عليها كانت رتقا ، وكانت السماء والأرض جزءا واحدا ففتقها القادر المختار (الله سبحانه وتعالى) وجعل كل جزء في جهة ويدور في فلك ويؤدي مهمته على أكمل وجه ..

ثم إشارته إلى إعجاز القرآن الكريم وأنه لم يقتصر على جمال أسلوب وكمال نظامه وحسن ترتيبه ، وإنما يحمل في دلالاته على أمور علمية دقيقة ، لم تكن معروفة وقت تنزل القرآن الكريم ^(١) ،

(١) ثم يتساءل حجازي : فمن أعلم محمداً بهذا ، ومن الذي علمه ذلك ؟!! .

وقد آمنوا بها غيبا ، ثم عليهم أن يحملوا تلك الأمانة إلى الناس ، لأن يعرفوا علميا حقائق الكون .

ثم ضرب المثل بنظرية السديم بقوله : فقد أثبت العلم أن الشمس والكواكب والأرض كلها كانت قطعة واحدة ثم انفصلت بكثرة الدوران وبقدرة الحكيم الخبير فصارت إلى ما نرى من الدقة والنظام بفعل الجاذبية الذي خلقه الله في الكون .. ثم يطابق بهذه النظرية مع نص الآية بقوله : أليس هذا هو عين ما يقوله القرآن الكريم ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ .

قلت : لا أوافقه على قوله بأن هذه النظرية عين ما يقول القرآن الكريم .

كما ذكر الرأي الآخر : وقد ذكروا رأيا آخر في الآية : أن السموات والأرض كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات .

ولقد ذكر نظرية السديم (في نشأة الكون) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَبْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [هود : ٧] .

وإليك نص نظرية السديم التي ذكرها : (... وأما الماء الذي كان قبل خلق السموات

والأرض فهو الدخان الذي ذكر في الآيتين ٩ ، ١٠ من سورة فصلت وهي : ﴿ قُلْ أَبْئِنُّكُمْ

لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَسْأَلِينَ ١٠ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ٩ - ١١] .

ثم يقول حجازي : وهو الموافق لنظرية السديم ، ونظرية التكوين العلمية توافق القرآن في قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾

[الأنبياء : ٣٠] ، كما توافق خلاصة البحث العلمي .

قبل أن تتكون الكواكب والنجوم كان الفضاء مملوءا بذرات دقيقة تشبه الدخان والماء يقال لها السديم ، وكان لكل ذرة من هذه الذرات السديمية خاصيتان خلقهما الله تعالى في الذرة (الدوران حول النفس والجاذبية) ثم أخذت هذه الذرات في التجمع بسبب الجاذبية والدوران ، ونتج عن ذلك التجمع احتكاك تولد عنه الحرارة والالتهاب والضوء ، وهذه هي الصفات والخصائص التي تتصف بها الشمس وتميزها عن الكواكب المعتمدة المظلمة ، نشأ عن الاحتكاك وعن الحرارة تكوين قرص الشمس الرخو في التكوين في بداية الخلق ، ومن شدة الحرارة وسرعة دوران الشمس حول نفسها انفصلت أجزاء منها وَكُونَتْ ذلك الكوكب الذي نعيش عليه (الأرض) وأخذت الأرض تفقد حرارتها بالإشعاع إلى أن بردت وأمكن الحياة عليها بعد أن صار فيها الماء واليابس ، وظل باطنها كما هو (حار) بدليل البراكين والزلازل .

ولجميع الكواكب والنجوم التي انفصلت عن الشمس خواص الذرات السديمية، فالأرض مثلا تدور حول نفسها ، وتجذب ما فوقها وصدق الله تعالى :

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . [يس : ٤٠]

ثم بعد ذكره للنظرية يعلق ويقول : ويمكن أن نستنتج الحقائق العلمية التالية التي تؤكد ما جاء في القرآن :

١ - قبل خلق السماء والأرض كانت هناك ذرات تشبه الدخان والماء هي أصل ذلك الكون .

٢ - أن السموات وما فيها والأرض كانتا رتقا واحدا أي جزءا واحدا (فصلهما الله على النحو المذكور سابقا) ، وجعل بينهما الهواء الذي كان له الأثر الفعال في فقدان الأرض حرارتها لنعيش عليها ، وهذا الهواء المتحرك المتنقل على هيئة رياح سريعة هو سبب سقوط الأمطار وتكوين البحار والأنهار ، والماء أساس كل شيء حي ، ثم أشار إلى القول الآخر في تفسير الرق والفتق فالله تعالى فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات ﴿كَانَّا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمْ وَأَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وهذا رأي في تفسير الفتق غير الماضي .

٣ - ليس هناك جرم محسوس ملموس اسمه السماء بل السماء هي الفضاء اللانهائي الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ، ويحتوي على سائر الكواكب والنجوم التي ترتبط مع بعضها في أفلاك ومدارات محدودة ، وتشغل جانبا معلوما من الكون ، وهذه المجرات قد سواها الله تعالى في طبقات بعضها فوق بعض .

(كان من الأولى أن لا يذكر الفقرة الثالثة من الاستنتاج العلمي من النظرية والتي ذكر بأنها تؤكد ما جاء به القرآن الكريم والواقع خلاف ذلك ثم استدرك ورفض ما يستفاد من النظرية (بأن السماء ليس لها جرم محسوس ملموس) .

حيث يقول : تلك نظرية العلم وهذا رأيه - يقصد رأي صاحب النظرية - وإن كان ظاهر نصوص القرآن يفيد بأن السماء جرم وقد قلنا أن الأمور الغيبية يجب أن نتلقاها كما ورد في القرآن وليس من الدين في شئ البحث الدقيق في تكوينها وما هي عليه ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠٠﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة : ٢٠٠-٢٠١] .

وعلى المسلم أن يقف في أمر دينه عند نصوص قرآنه ، فإن أراد البحث الدقيق فليبحث وفي النهاية سيلتقي مع (نظرية القرآن)؟^(١)

قلت إن القرآن الكريم لا يتحدث عن نظريات بل عن حقائق نهائية أبدية ؟ وأصل العلم والمعرفة في شأن الكون هو طريق الوحي والذي هو أعلى نطاقاً من العقل . ومتى وصل العلم البشري بالبحث والنظر إلى تلك الحقائق فهذا هو وجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

- وقد وضع الدكتور حجازي موقفه من النظريات العلمية :

فقال : وإني أحب أن أقول : إن القرآن الكريم لم يأت كتاباً علمياً يفصل نظريات ويشرح قواعد علمية ، وإنما جاء يعالج أمة بل العالم كله ، يعالجهم من ناحية التشريع والحكم ، ومن ناحية العمل والفقه ، ومن ناحية السياسة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها . ولذلك من يتعرض لاستنباط النظريات العلمية الدقيقة من القرآن الكريم ، ويحاول أن يحمل الألفاظ ما لا تطيق ، إنما هو باحث عاطفي .

(١) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢/ ١٠٢-١٠٣ ، ٥٢٧) .

ولكن القرآن الكريم لا يتعارض مع الحقائق المستقرة أيضا وإن تعارض ظاهره فإن الواجب علينا أن نرجع إلى أنفسنا ونعيد الفهم والتحقيق في الحقائق أما النظريات ، وهي محل بحث ونظر وقد تعدل أو يرجع عنها فلا نجد في النهاية تعارضا ...^(١) .

- وقال الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير الرق والفتق أن السموات والأرض كانتا متصلتين ببعضهما متلاصقة الأجزاء متراكمة بعضها فوق بعض ، ثم فصلناها وكأنه يشير إلى تفسير مجاهد بن جبر رضي الله عنه^(٢) في قوله ﴿كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ قال : فتق من الأرض ست أرضين معها ، فتلك سبع أرضين بعضهن تحت بعض ، ومن السماء سبع سموات منها معها ، فتلك سبع سموات بعضهن فوق بعض ولم تكن الأرض والسماء مماسيتين أي على رأيه لم تكن السموات والأرض مفتوق بينهما بالهواء وهو قول الحسن البصري وقتادة^(٣) .

- وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول : يلاحظ أن الرق والفتق يحتمل أوجهها من المعاني ، فالرتق هو الالتصاق بين الشيئين ، فالاحتمال قائم بأن السماء والأرض كانتا ملتصقتين ففتق بينهما بالهواء .

ويحتمل بأن تكون السماء كانت مرتوقة ففتقت إلى سبع سموات ، وكذلك الأرض .
ويحتمل فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات^(٤) . والأرجح أن هذه الآية الكريمة من معجزات القرآن العلمية التي كشف عنها العلم الحديث مؤخراً .

(١) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢/ ١٠٢) .

(٢) السيوطي : عبد الرحمن بن الكمال ، الدر المنثور في التفسير بالماثور (٥/ ٦٢٦) .

(٣) المرجع السابق (٥/ ٦٢٦) .

(٤) البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود ، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل (٣/ ٢٤٣) .

قال محمد الطاهر ابن عاشور :

(والظاهر أن الآية تشمل جميع ما يتحقق فيه معاني الرق والفتق ، إذ لا مانع من اعتبار معنى عام يجمعها جميعا ، فتكون الآية قد اشتملت على عبرة تعم كل الناس وعلى عبرة خاصة بأهل النظر والعلم فتكون من معجزات القرآن العلمية)^(١).

وقد أفاد بنحو قوله ابن كثير في تفسيره وقد ذكر القولين في الفتق والرق كما أشار إلى عظمة الخالق القادر وعظمة هذا الكون المشاهد وتجدد الحوادث فيه والمخلوقات : (.. ألم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا أي كان الجميع متصلاً ببعضه ببعض متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعاً والأرض سبعاً وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمرت السماء وأنبئت الأرض ولهذا قال : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

أي وهم يشاهدون المخلوقات التي تحدث شيئاً فشيئاً عياناً وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء...)^(٢).

والملاحظ في نص الآية الكريمة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٠] أن (السموات) ذكرت بصيغة الجمع ، بينما (معنى الفتق) الذي ذكر في أغلب أقوال السلف يصح في اللفظ المفرد في (السماء) التي يشاهدها المخاطبون^(٣).

بقي احتمال فتق السماء إلى سبع وكذلك الأرض واحتمال الفتق بينهما بالهواء .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١٧ / ٥٦) .

(٢) الحافظ أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٣ / ١٧٦) .

(٣) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، بدائع الفوائد (١ / ١٢٤) بتصرف ، وبنحوه محمد الغمراوي ، الإسلام في عصر العلم (ص ٣٠٤) .

والأقوال الواردة في معنى (الرتق والفتق) احتمال قائم والجمع والتوفيق بين تلك المعاني والأخذ بها أولى وأقوى ويحتمله نص الآية الكريمة .

وإليك الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر (السماء) و(السموات) .

ذكر لفظ (السماء) في الآيات المكية (٩٨) مرة .

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكَرُّهُ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾	٦
٢	الأنعام	﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾	٣٥
٣	الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مُخْرِجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمُرَانَ مُشْتَبِهًا وَعَوَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	٩٩
٤	الأنعام	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٢٥

م	السورة	الآية	رقمها
٥	الأعراف	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحْ لَهُم أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾	٤٠
٦	الأعراف	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَبُوا فَآخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	٩٦
٧	الأعراف	﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾	١٦٢
٨	الأنفال	﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَانْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٣٢
٩	يونس	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٢٤
١٠	يونس	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا	٣١

م	السورة	الآية	رقمها
١١	يونس	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	٦١
١٢	هود	﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْأَلُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾	٤٤
١٣	هود	﴿ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾	٥٢
١٤	إبراهيم	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾	٢٤
١٥	إبراهيم	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾	٣٢
١٦	إبراهيم	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾	٣٨
١٧	الحجر	﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾	١٤
١٨	الحجر	﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴾	١٦

م	السورة	الآية	رقمها
١٩	الحجر	﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَوْحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾	٢٢
٢٠	النحل	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾	١٠
٢١	النحل	﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾	٦٥
٢٢	النحل	﴿ أَلَمْ يَرْوِ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	٧٩
٢٣	الإسراء	﴿ أَوْ شَقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلِلَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ فَبَيِّنَا ﴾	٩٢
٢٤	الإسراء	﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ دُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾	٩٣
٢٥	الإسراء	﴿ قُلْ لَوْ كَانِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُحُونَ مَطْمَئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾	٩٥
٢٦	الكهف	﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾	٤٠

رقمها	الآية	السورة	م
٤٥	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا ۖ ﴾	الكهف	٢٧
٥٣	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ۖ ﴾	طه	٢٨
٤	﴿ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۖ ﴾	الأنبياء	٢٩
١٦	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ۖ ﴾	الأنبياء	٣٠
٣٢	﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۖ ﴾	الأنبياء	٣١
١٠٤	﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۖ وَعَدًا عَلَيْنَا ۖ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ۖ ﴾	الأنبياء	٣٢
١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾	المؤمنون	٣٣
٢٥	﴿ وَيَوْمَ نَشَقُّ السَّمَاءَ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا ۖ ﴾	الفرقان	٣٤
٤٨	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيِّنَةٍ يَدَى رَحْمَتِيهِ ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ۖ ﴾	الفرقان	٣٥
٦١	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ۖ ﴾	الفرقان	٣٦

م	السورة	الآية	رقمها
٣٧	الشعراء	﴿ إِن دُشَا نُنَزِّلَ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾	٤
٣٨	الشعراء	﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾	١٨٧
٣٩	النمل	﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلِّغُكُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴾	٦٠
٤٠	النمل	﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قُلُّ هَاكُنَا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	٦٤
٤١	النمل	﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾	٧٥
٤٢	العنكبوت	﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	٢٢
٤٣	العنكبوت	﴿ إِنَّا مُنَزِّلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾	٣٤
٤٤	العنكبوت	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ ثَمَرٍ بِعَدِّ مَوَاقِعِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	٦٣
٤٥	الروم	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٢٤

م	السورة	الآية	رقمها
٤٦	الروم	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾	٢٥
٤٧	الروم	﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾	٤٨
٤٨	لقمان	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾	١٠
٤٩	السجدة	﴿ يُذِيبُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا تَعُدُّونَ ﴾	٥
٥٠	سبأ	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾	٢
٥١	سبأ	﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخِيفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾	٩
٥٢	فاطر	﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْفُكُوا ﴾	٣

رقمها	الآية	السورة	م
٢٧	﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾	فاطر	٥٣
٢٨	﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾	يس	٥٤
٦	﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ﴾	الصافات	٥٥
٢٧	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾	ص	٥٦
٢١	﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	الزمر	٥٧
١٣	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾	غافر	٥٨
٦٤	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	غافر	٥٩
١١	﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾	فصلت	٦٠

م	السورة	الآية	رقمها
٦١	فصلت	﴿ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝﴾	١٢
٦٢	الزخرف	﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُوهَا ۝﴾	١١
٦٣	الزخرف	﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ ۖ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝﴾	٨٤
٦٤	الدخان	﴿ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ۝﴾	١٠
٦٥	الدخان	﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝﴾	٢٩
٦٦	الجاثية	﴿ وَتَخْلِفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ۖ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَلَحَجَا بِهِ ۖ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفُ الرِّيحِ ۖ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾	٥
٦٧	ق	﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝﴾	٦
٦٨	ق	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَرَّكَاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ ۝﴾	٩
٦٩	الذاريات	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝﴾	٧
٧٠	الذاريات	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝﴾	٢٢
٧١	الذاريات	﴿ قُورَيْبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ۝﴾	٢٣
٧٢	الذاريات	﴿ وَالسَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝﴾	٤٧

م	السورة	الآية	رقمها
٧٣	الطور	﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾	٩
٧٤	الطور	﴿ وَإِنْ بَرَوْا كَسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾	٤٤
٧٥	القمر	﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثْمَرٍ ﴾	١١
٧٦	الرحمن	﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾	٧
٧٧	الرحمن	﴿ فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾	٣٧
٧٨	الحديد	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٤
٧٩	الحديد	﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾	٢١
٨٠	الملك	﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾	٥
٨١	الملك	﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾	١٦
٨٢	الملك	﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴾	١٧
٨٣	الحاقة	﴿ وَانْشَقَّتْ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾	١٦

م	السورة	الآية	رقمها
٨٤	المعارج	﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِ﴾	٨
٨٥	نوح	﴿يُرْسِلِ السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾	١١
٨٦	الجن	﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ ثَحْرٍ شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾	٨
٨٧	المزمل	﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾	١٨
٨٨	المرسلات	﴿وَلِذَا السَّمَاءُ فُتِحَتْ﴾	٩
٨٩	النبأ	﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾	١٩
٩٠	النازعات	﴿مَأْتِمُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنُنَهَا﴾	٢٧
٩١	التكوير	﴿وَلِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾	١١
٩٢	الانفطار	﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾	١
٩٣	الانشقاق	﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾	١
٩٤	البروج	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾	١
٩٥	الطارق	﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾	١
٩٦	الطارق	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾	١١
٩٧	الغاشية	﴿وَلِإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾	١٨
٩٨	الشمس	﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾	٥

وذكرت صيغة الجمع (السموات) في الآيات المكية (١٢٦) مرة :

رقمها	الآية	السورة	٨
١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾	الأنعام	١
٣	﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾	الأنعام	٢
١٢	﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنعام	٣
١٤	﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلُ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	الأنعام	٤
٧٣	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	الأنعام	٥
٧٥	﴿وَكَذَلِكَ رَأَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الأنعام	٦
٧٩	﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَافِيًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	الأنعام	٧

رقمها	الآية	السورة	م
١٠١	﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَنْجَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	الأنعام	٨
٥٤	﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَبِيبَاتُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	الأعراف	٩
١٥٨	﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مِثْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	الأعراف	١٠
١٨٥	﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَن عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَهُهُمْ ۖ فَإِنِّي حَذِيبٌ بِعَدُوِّ الْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴿	الأعراف	١١
١٨٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَاهَا إِلَّا هُوَ ثَلُثَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيفٌ عَنَّا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الأعراف	١٢
٣	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	يونس	١٣

م	السورة	الآية	رقمها
١٤	يونس	﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٦
١٥	يونس	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُوا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ، وَتَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	١٨
١٦	يونس	﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآلَاءُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٥٥
١٨	يونس	﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٦٨
١٩	يونس	﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠١
٢٠	هود	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾	٧
٢١	هود	﴿ خَلَدِيبَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾	١٠٧

رقمها	الآية	السورة	م
١٠٨	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَحْذُورٍ﴾	هود	٢٢
١٢٣	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	هود	٢٣
١٠١	﴿رَبِّ قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْفَى بِالصَّلَاحِينَ﴾	يوسف	٢٤
١٠٥	﴿وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾	يوسف	٢٥
٢	﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾	إبراهيم	٢٦
١٠	﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنْتُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾	إبراهيم	٢٧
١٩	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	إبراهيم	٢٨
٣٢	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً	إبراهيم	٢٩

رقمها	الآية	السورة	م
	فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٤٨﴾		
٤٨	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	إبراهيم	٣٠
٨٥	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الْصَفْحَ الْجَمِيلَ﴾	الحجر	٣١
٣	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	النحل	٣٢
٤٩	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾	النحل	٣٣
٥٢	﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾	النحل	٣٤
٧٣	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾	النحل	٣٥
٧٧	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	النحل	٣٦
٤٤	﴿تَسْجُدُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْحَقُ بِهِمْ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	الإسراء	٣٧

م	السورة	الآية	رقمها
٣٨	الإسراء	﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾	٥٥
٣٩	الإسراء	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾	٩٩
٤٠	الإسراء	﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأُظَنُّكَ يَنْفِرَعَوْتُ مُنْجُورًا﴾	١٠٢
٤١	الكهف	﴿وَرَبِّطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾	١٤
٤٢	الكهف	﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرَ بِهِ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾	٢٦
٤٣	الكهف	﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾	٥١
٤٤	مريم	﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾	٦٥
٤٥	مريم	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخُزُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾	٩٠
٤٦	مريم	﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا عَاقِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	٩٣

رقمها	الآية	السورة	م
٤	﴿ تَزِيلًا مِّنَ حَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَعْلَى ﴾	طه	٤٧
٦	﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾	طه	٤٨
١٩	﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾	الأنبياء	٤٩
٣٠	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾	الأنبياء	٥٠
٥٦	﴿ قَالَ بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾	الأنبياء	٥١
١٨	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾	الحج	٥٢
٦٤	﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ لَهُوَالْغَيْثِ الْحَكِيمُ ﴾	الحج	٥٣
٧١	﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴾	المؤمنون	٥٤

م	السورة	الآية	رقمها
٥٥	المؤمنون	﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾	٨٦
٥٦	الفرقان	﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ دُخِلَ فِي أَفْقَادِهِ ﴾	٢
٥٧	الفرقان	﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِي آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾	٣
٥٨	الفرقان	﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِرُوحِهِ خَيْرًا ﴾	٥٩
٥٩	الشعراء	﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴾	٢٤
٦٠	النمل	﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾	٢٥
٦١	النمل	﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَاقٍ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴾	٦٠
٦٢	النمل	﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾	٦٥

رقمها	الآية	السورة	م
٨٧	﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتُزْجَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنَ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ ذَاخِرِينَ ﴾	النمل	٦٣
٤٤	﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	العنكبوت	٦٤
٥٢	﴿ قُلْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	العنكبوت	٦٥
٦١	﴿ وَلَٰكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾	العنكبوت	٦٦
٨	﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾	الروم	٦٧
١٨	﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾	الروم	٦٨
٢٢	﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ السَّيِّدَ كُمْ وَأَلْوَيْكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	الروم	٦٩
٢٦	﴿ وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ فَخِينُونَ ﴾	الروم	٧٠
٢٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	الروم	٧١

رقمها	الآية	السورة	م
١٠	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسَى أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾	لقمان	٧٢
١٦	﴿ يَبْقَىٰ إِلَهُنَّاءُ إِنَّ تَكُ مِنْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾	لقمان	٧٣
٢٠	﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾	لقمان	٧٤
٢٥	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	لقمان	٧٥
٢٦	﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾	لقمان	٧٦
٤	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾	السجدة	٧٧
١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾	سبأ	٧٨
٣	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِنْقَالُ ذَرِّفْ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	سبأ	٧٩

رقمها	الآية	السورة	م
٢٢	﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْقَالِ ذَرْقُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾	سبأ	٨٠
٢٤	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾	سبأ	٨١
١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَٰئِكَ أَجْنَحُهُ مَتْنِي وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	فاطر	٨٢
٣٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ ذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	فاطر	٨٣
٤٠	﴿ قُلِ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾	فاطر	٨٤
٤١	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِنَّ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾	فاطر	٨٥
٨١	﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾	يس	٨٦
٥	﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾	الصافات	٨٧

م	السورة	الآية	رقمها
٨٨	ص	﴿ أَمَلَهُمْ ثَمَلُكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَزْنُفُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾	١٠
٨٩	ص	﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾	٦٦
٩٠	الزمر	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ الْبَلَدَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الْبَلَدِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾	٥
٩١	الزمر	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾	٣٨
٩٢	الزمر	﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٤٤
٩٣	الزمر	﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾	٤٦
٩٤	الزمر	﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	٦٣

م	السورة	الآية	رقمها
٩٥	الزمر	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٦٧
٩٦	الزمر	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِيَامٍ يُنْظَرُونَ ﴾	٦٨
٩٧	غافر	﴿ أَصْحَابُ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَى اللَّهِ مُوسِيًّ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كُذِّبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾	٣٧
٩٨	فصلت	﴿ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ مَمَلِكَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾	١٢
٩٩	الشورى	﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾	٤
١٠٠	الشورى	﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَنَّ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يَسْجُدُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	٥
١٠١	الشورى	﴿ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيَافِيَكُمْ فِيهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	١١
١٠٢	الشورى	﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	١٢

م	السورة	الآية	رقمها
١٠٣	الشورى	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۖ﴾	٢٩
١٠٤	الشورى	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئْنَا وَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ۖ﴾	٤٩
١٠٥	الشورى	﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۖ﴾	٥٣
١٠٦	الزخرف	﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۖ﴾	٩
١٠٧	الزخرف	﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۖ﴾	٨٢
١٠٨	الزخرف	﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۖ﴾	٨٥
١٠٩	الدخان	﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۖ﴾	٧
١١٠	الدخان	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ۖ﴾	٣٨
١١١	الجاثية	﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾	٣
١١٢	الجاثية	﴿وَسَخَّرَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۖ﴾	١٣

رقمها	الآية	السورة	م
٢٢	﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	الجاثية	١١٣
٢٧	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُعْصِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾	الجاثية	١١٤
٣٦	﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الجاثية	١١٥
٣٧	﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّاتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	الجاثية	١١٦
٣	﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾	الأحقاف	١١٧
٤	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَفَتُنَادِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُنْفِرُ مِنْ عَلِيمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	الأحقاف	١١٨
٣٣	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُخْسِيَ الْمَوْقِعَ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	الأحقاف	١١٩
٣٦	﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾	الطور	١٢٠
٢٦	﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾	النجم	١٢١
٣١	﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْأَلُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾	النجم	١٢٢

رقمها	الآية	السورة	م
٣	﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَنجِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾	الملك	١٢٣
١٥	﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾	نوح	١٢٤
٣٧	﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾	النبأ	١٢٥
٩	﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ^(١)	البروج	١٢٦

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٦٢-٣٦٤-٣٦٦) .

المبحث الثاني : الشمس

الشمس من آيات الله تعالى العظمى :

ذكرت الشمس في القرآن الكريم (٣٢) مرة ^(١) .

سخرها الله تعالى ، لتمد الكون بالحرارة والضوء ولها منافع عظيمة، فإذا أشرقت على أرضنا جاءنا نور النهار وإذا غربت جاءنا ظلام الليل لذلك، وقد أمرنا الله تعالى بالتسبيح والتحميد قبل طلوعها وغروبها ، يقول الله تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (٣٩) وَمِنْ أَيْلٍ فَسَبِّحْهُ وَأَذْبَرَ الشُّجُودِ ﴿ [ق : ٣٩-٤٠] ، أي ونزه الله ربك دائماً عن كل عجز ونقص واحمده دائماً ، قائلاً : سبحان الله وبحمده ، وقت الفجر ووقت العصر ، وبعض الليل ، وفي أعقاب الصلوات ^(٢) .

وقال بعض العلماء : إن المراد بالتسبيح الصلاة ^(٣) .

(وقد انبهر الإنسان ^(٤) بمكان الشمس وبهت بأثرها المباشر على حياته ومعيشته على سطح الأرض ، فسجد بعضهم لها وعبدها وأقام لها المعابد والهيكل وقدم لها القرابين وقادسها ، وقد كان البابليون والمجوس والفرعنة والهنود القدماء والإغريق يؤلهون عناصر الطبيعة وخصوصاً السماوية كالشمس والقمر ، ولما نشأ نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٨٧) .

(٢) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٦ / ٣١٦) .

(٣) يدل عليه الحديث (.. فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها..)

صحيح البخاري (٢٩) كتاب مواقيت الصلاة (١٦) باب فضل صلاة العصر (١ / ١٣٨) .

(٤) يُعْنَى بعض جنس الإنسان وليس كل الناس .

في مدينة (أور) وعاصر أفكار العبرانيين وسكان الرافدين وكشف خطأ مفهوماتهم الوثنية ، ورد عليها وفندها دون هوادة ، ونقل القرآن الكريم مناظرته معهم حول الكواكب ، وكيف أبطل ألوهيتها ...) ^(١) .

وحدوث ظاهرة كسوف الشمس وخسوف القمر من الظواهر الطبيعية التي تحدث في الكون وفيها موعظة للناس وتذكرة بخالق الكون ونظامه ، ولتلك الظاهرة شرعت الصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة ولهذا نورد في هذا السياق الحديث الشريف التالي :

عن عائشة أنها قالت : (خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ بالناس .. فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا** ») ^(٢) .

و(الكسوف) يكون عندما يقع ظل جسم القمر على الشمس وذلك (حين يقع القمر بين الشمس والأرض ويكون الجميع في مستوى خط واحد) ^(٣) .

ويحصل هذا (إذا تصادف مرور القمر بين الأرض والشمس ...

فيظهر قرص الشمس كله أو بعضه مكسوفاً ، أي عليه دائرة سوداء هي ظل جسم القمر

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (١ / ١٤٠) ، نقلا عن كاصد الزبيدي ، الطبيعة في القرآن الكريم ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨٠ م (ص ١٠٩) .

(٢) صحيح البخاري (١٦) كتاب الكسوف (٢) باب الصدقة في الكسوف ، ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، شرح الحديث رقم ١٠٤٤ (٢ / ٥٢٩) .

(٣) د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم (ص ٨٩) .

ويحدث (خسوف) القمر أثناء وقوعه في ظل الأرض التي تكون في هذه الحالة بين الشمس والقمر^(١) في مستوى خط واحد .

وبمعرفة حساب سير (الشمس والقمر) يمكن معرفة موعد الكسوف والخسوف ، ويرجع ذلك للعادة المطردة في دقة نظام الكون وسننه ، وليس ذلك من قبيل معرفة أمور الغيب^(٢) .

ويشير محمد كامل عبد الصمد إلى الدراسات العلمية في قول الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبا: ١٣] (يشير المفسرون إلى وصف القرآن للشمس بأنها ضياء ، لأن الضوء نور ذاتي ينبعث من الجسم المشع بفعل الحرارة ، ولذلك فإن الإشارة إلى (ضوئية الشمس) تعني أن الشمس مصدر الضوء من ناحية ... ومصدر الحرارة من ناحية ثانية ، لأن الضوء مشتمل دائما على الحرارة ... وتلكم إشارة قرآنية معجزة !!

ثم نلاحظ أن حديث القرآن عن الشمس يأتي دائما في إطار الحديث عن الحياة والكون .. ولا عجب فهي مصدر الحياة بضوئها الباعث على الحرارة التي تعيش عليها الأرض بما فيها من كائنات ، وأروع درجات التوافقية بين العلم عن الشمس كمصدر للحرارة والضوء وبين المفاهيم القرآنية تتمثل في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ فقد أشارت البحوث العلمية الحديثة إلى أن الشمس لها خاصية (المتوهجات) ..

(١) إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء ، إشراف د. منصور محمد حسب النبي (١/ ١٧١ / ١٧٦) .

وانظر الكشف الذي يوضح عدد أنواع كسوف الشمس والزمن الذي حدث فيه والمنطقة التي حصل فيها من تاريخ ١٩٩٦-٢٠٠٦م (ص ١٨٧) ، وخسوف القمر أيضا (ص ١٧٨) في نفس المرجع .

(٢) هيئة الإعجاز العلمي / مجلة الإعجاز العلمي ، العدد الرابع ، محرّم ١٤٢٠ هـ . (ص ٤٨) بتصرف .

والمتهوجة هي منطقة بالجزء الأسفل من الشمس ترتفع حرارتها وأن سبب هذا الارتفاع يرجع إلى وجود مجالات مغناطيسية تنتج جسيمات سريعة الحركة تصطدم ببادة جو الشمس العادية فتحيل هذه المنطقة من الشمس إلى متوهجات شمسية .

كما أشارت الدراسات العلمية إلى أنه يوجد في قلب الشمس (فرن نووي) يتخذ من (الأيدروجين) وقودا يحرقه ، وكلما احترق الوقود ونفذ من قلب الشمس إلى السطح ، ذهب إلى هذا القلب (أيدروجين) جديد ينتقل إليه من الطبقات السطحية ... وعندما يضاف جسيم (الأيدروجين) إلى أماكن (الأيدروجين) يحدث تفاعلات نشيطة منها تتكون نواة تحتوي على (بروتائين) و(نيوترون) يكونان ما يعرف باسم (الهليوم) .. هذه هي الشمس مصدر الإشعاع من ضوء وحرارة تحدث عنها القرآن منذ أربعة عشر قرناً^(١) .

(والشمس قرص غازي هائل الحجم ... لها حركة محورية لاستمرار تجمع غازاتها في باطنها ، ولحدوث التفاعلات النووية بينها لتتولد فيها الطاقة الحرارية لتصبح الشمس سراجا وهاجا مضيئاً في الفضاء إلى يوم الساعة .

وضوء الشمس ليس له لون خاص مميز به ، فهو ناصع البياض في حين أنه يتركب من جميع الألوان الموجود في قوس قزح)^(٢) .

(ويصل ضوء الشمس إلى كوكب الأرض بعد مرور ثمان دقائق وثمان عشرة ثانية)^(٣) .

(١) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص ٤٦) .

(٢) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن (ص ١٤٥-١٤٩) بتصرف .

(٣) أحمد العجوز ، معالم القرآن في عوالم القرآن (ص ٧٢) .

(ويتبع لحركة الشمس كل بقية كواكب المجموعة الشمسية التي تتأثر جميعا بجاذبيتها وتدور حولها في حركة انتقالية وفي مدارات إهليجية الشكل ...) ^(١) .

(وتدور حول نفسها مرة كل (٢٧) سبعة وعشرين يوما مرة واحدة في المتوسط ، وتجري في فلكها مرة واحدة في (٢٥٠) مائتين وخمسين سنة) ^(٢) ، كما (تبعد الشمس عن الأرض بما يقدر (١٥٠) مئة وخمسون مليون كيلو متر) ^(٣) .

كما (تفقد أربعة ملايين طن من وزنها في الثانية من احتراقها ولم تزل تجدد من وزنها ، وهي التي تبعث إلى العالم الخارجي طاقة تعادل خمسة آلاف مليون قبلة ذرية في كل ثانية .

هذه الشمس هي آية من آيات الخالق ، وإن هي إلا آية صغيرة تزخر السماء بملايين من النجوم أضخم منها حجما ، وأكبر سرعة وأكثر تألقا) ^(٤) .

(وللشمس فوائد ينتفع بها الإنسان والحيوان والنبات ، كما تتنوع الأقاليم المناخية ويعرف الزمن وعدد السنين والحساب) ^(٥) ، (وبدأ العالم يستفيد من الطاقة الشمسية المستخرجة لهذا الكون) ^(٦) .

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن (ص ١٦٠) .

(٢) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي في القرآن (ص ١١٦) .

(٣) د. عدنان الشريف ، من علم الفلك القرآني (ص ٩٢) .

(٤) عبد الرزاق نوفل ، الله والعلم الحديث (ص ٣٠) .

(٥) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن (١ / ١٣٩ - ١٤٨) بتصرف .

(٦) أ. عدنان السبيعي ، سنريهم آياتنا (ص ٤٨ - ٤٩ - ٥١) .

الشمس تجري لمستقر سجودها تحت العرش :

أخبر الله سبحانه وتعالى عن الشمس فقال : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [يس : ٣٨]

تدور الشمس سابحة في فلكها تجري لمستقر لها ساجدة تحت العرش .

وهذا المستقر له تأويل على ظاهرة وهو غيابها عن أعين الناظرين إليها عند الغروب .

وتأويل آخر هو استقرارها بانتهاء وظيفتها فتطفئ ويلف ضوءها كما قال الله تعالى :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١] .

وسأعرض أقوال المفسرين في تفسير قول الله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ .

(١) قول القاسمي :

(في قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ أي لحد لها مؤقت مقدر ينتهي إليه دورها اليومي أو السنوي .. وقيل مستقرها منقطع جريها عند خراب العالم) ^(١) .

(٢) قول المراغي :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ أي والشمس تجري حول مركز مدارها الثابت الذي تسير حوله بحسب وضعها النجمي ، فقد ثبت أن لها حركة رحوية حول هذا المركز تقدر بمائتي ميل في الثانية) ^(٢) .

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦ / ٤٥) .

(٢) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢ / ٩) .

(٣) قول طنطاوي جوهرى :

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ لحد لها مؤقت تنتهي إليه من فلكها وهي نهاية العالم أو نهاية ارتفاعها في زمن الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء .

وهذا لا ينافي قراءة ابن مسعود (لا مستقر لها) ^(١) ، أي لا قرار لها ولا وقوف . فهي جارية أبدا إلى يوم القيامة تنتهي كل يوم في مرأى العيون إلى المغرب وتنتهي مدة السنة وتنتهي مدة ارتفاعها ومدة انحطاطها ... ^(٢) .

(٤) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

(في قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ... واللام في (لِمُسْتَقَرٍّ) يجوز أن تكون لام التعليل على ظاهرها أي تجري لأجل أن تستقر ، أي لأجل أن ينتهي جريها ...

ويجوز أن تكون اللام بمعنى (إلى) أي تجري إلى مكان استقرارها وهو مكان الغروب ، شبه غروبها عن الأبصار بالمستقر والمأوى الذي يأوي إليه المرء في آخر النهار بعد الأعمال ...

وقد ورد تقريب ذلك في حديث أبي ذر الغفاري في صحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي بروايات مختلفة حاصل ترتيبها أنه قال (كنت مع رسول الله في المسجد

(١) قراءة تفسيرية بمعنى دوام جريانها فلا تستقر حتى تؤدي رسالتها ثم تنطفئ . (... لا مستقر لها) ظاهر هذا الموضع ظاهر العموم ، ومعناه معنى الخصوص ، وذلك أن (لا) هذه النافية الناصبة للنكرة لا تدخل إلا نفيا عاما وذلك أنها جواب سؤال عام . وهي قراءة ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبي جعفر محمد بن علي وأبي عبد الله جعفر بن محمد وعلي ابن حسين . أبو الفتح عثمان بن جني ، المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها (٢/ ٩٢) بتصرف .

(٢) طنطاوي جوهرى ، الجواهر في تفسير القرآن (١٧/ ١٤٤) .

عند غروب الشمس فسألته (أو فقال) : إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها ، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها : ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فذاك مستقر لها ومستقرها تحت العرش فذلك قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾^(١) .

ثم علق على الحديث حيث أشار ضمناً إلى مجيء النهار والليل لشروق الشمس على الجهة المقابلة للكرة الأرضية وهو منتهى سيرها اليومي وعنده ينقطع سيرها حتى تطلع من مغربها ، وسجودها تمثيل لتسخير الله إياها لمنفعة خلقه :

(وهذا تمثيل وتقريب لسير الشمس اليومي الذي يبدأ بشروقها على بعض الكرة الأرضية وينتهي بغروبها على بعض الكرة الأرضية ، ... وقد جعل الموضع الذي ينتهي إليه سيرها هو المعبر عنه بتحت العرش ... ، وهو منتهى مسافة سيرها اليومي ، وعنده ينقطع سيرها في إبان انقطاعه وذلك حين تطلع من مغربها ، أي حين ينقطع سير الأرض حول شعاعها لأن حركة الأجرام التابعة لنظامها ينقطع تبعاً لانقطاع حركتها هي (الشمس)

(١) صحيح البخاري ، (٦٥) كتاب التفسير ، (١) باب ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ (٣/ ٣٠) ،

ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٥٤١) رقم الحديث

(٤٨٠٢) .

صحيح مسلم (١) ، كتاب الإيمان (٧٢) باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/ ١٣٨) رقم الحديث (١٥٩-٢٥٠) .

وذلك نهاية بقاء هذا العالم الدنيوي .. وجعل سجود الشمس تمثيلا لتسخير الله إياها^(١) .

(٥) قول الدكتور محمد محمود حجازي :

(في قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي ﴾ وآية لهم الشمس ذلك الكوكب^(٢) النهاري الضخم تجري في فلكها لحد مؤقت مقدر تنتهي إليه ، ولا تتجاوزه أبدا ، فكأنها تجري لإدراكه حتى إذا انتهت إليه توقفت .. فالشمس تجري وتدور حول نفسها وفي فلكها ، والأرض أمامها تجري وتدور حول نفسها وحول الشمس فينشأ عن كل ذلك النهار والليل ، والنور والظلام ، والفصول الأربعة، أرأيت لو أن هذا النظام اختل في وقت ما ماذا يكون؟ أمن المعقول أن ذلك يحصل بطبعه بدون إله مدبر؟ تعالى الله عما يقولون)^(٣) .

(٦) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

في قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي ﴾ : (هناك قولان للمفسرين في تفسير المستقر :

١ - أن المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب ، وهي أينما كانت فهي وجميع المخلوقات تحت العرش .

٢ - والثاني : أن المراد مستقرها الزماني وهو منتهى سيرها وهو يوم القيامة) .

وقد أثبت علماء الفلك أنه زيادة على دوران الشمس الظاهري وسط النجوم بسبب دوران الأرض حول الشمس مرة في السنة .

للشمس حركتان أخريان : دورة حول محورها مرة في كل ستة وعشرين يوما تقريبا ،

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٣/ ١٩) .

(٢) الشمس نجم من النجوم النارية الملتهبة المضئية بذاتها ، والكوكب جرم جامد مظلم بذاته . أحمد حنفي ، التفسير العلمي للآيات الكونية (ص ١٥٨) بتصرف .

(٣) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٣/ ١٨٤) .

ودورة مع توابعها من الكواكب السيارة حول مركز النظام النجمي بسرعة تقدر بنحو مائتي ميل في الثانية .

والمستقر في رأي العلماء في الحالة الأولى : هو المحور الثابت ، وفي الثانية هو مركز النظام النجمي بأسره^(١) .

(١) قول محمد الغمراوي :

(أثبت علم الفلك الحديث أن حركة الشمس في الظاهر حول الأرض (كما هو معروف) هي حركة نسبية راجعة في الحقيقة إلى حركة الأرض حول محورها لها أمام الشمس من المغرب إلى المشرق مرة في اليوم .

ينشأ عنها النهار والليل ، كما ثبت للأرض حركة سنوية حول الشمس تنشأ عنها الفصول . كما ثبت أن الشمس ، على عظم كتلتها الهائلة ، تجري في الفضاء بسرعة اثني عشر ميلا في الثانية نحو النجم (فيجا) وفي الإنجليزية (النسر) الواقع في العربية^(٢)

(٢) قول الدكتور منصور حسب النبي :

(... والشمس تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ يوما ، ١٦ ساعة)^{(٣)(٤)} .

(ولكن الحقيقة أن الفعل (تجري) يعبر عن حركة واقعية أثبتتها العلم الحديث للشمس

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٣/ ١٥) .

(٢) محمد أحمد الغمراوي ، الإسلام في عصر العلم (ص ٢٧٨-٢٨٠) .

(٣) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ٢٨٠) .

(٤) هذا زمن تكمل الشمس فيه دورتها حول نفسها عند القطبين ، وتدور حول نفسها مرة واحدة كل

(٢٧) سبعة وعشرين يوماً في المتوسط عند المنطقة الاستوائية ، وبهذا يرفع الاختلاف بين القولين .

التي اتضح أنها تنتقل في الفضاء وتجرح معها (بالجاذبية) كواكبها التي تدور حولها
والفعل يدل ليس فقط على حركة انتقالية ذاتية ولكن يدل أيضا على عظيم تلك الحركة .
قوله تعالى ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ... إذ هو فيما يبدو يشير إلى وفاة الشمس والعلم الحديث لا
ينكر وفاة الشمس في المستقبل عند تحولها إلى عملاق أحمر في شيخوختها^(١) .

(٣) قول الدكتور عدنان الشريف :

(في قوله تعالى ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ مستقر الشمس هو أجلها المسمى والمقدر لها من
العزیز العليم، أي الوقت الذي فيه ينفذ وقودها فتتطفئ)^(٢) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨] .

في أقوالهم بيان لدور الشمس وهو جريانها في فلكها وحول نفسها ، واستقرارها عند
غروبها ، واستقرارها النهائي ، تنطفئ عند قيام الساعة . كما يتضح الجانب العلمي في قول
بعضهم وبالإشارة إليه عند آخرين ، وقد أشار القاسمي إلى جري الشمس اليومي
والسنوي وانقطاع سيرها عند اضطراب الكون ، وبنحوه أشار طنطاوي جوهرى إلى حركة
الشمس اليومية وارتفاعها في زمن الصيف وهبوطها في الشتاء ، كما ذكر قراءة ابن مسعود
والتي بمعنى جريها الدائم وهو دورها المؤقت المحدد الذي تنتهي إليه من فلكها .

- قال القاسمي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي لحد لها مؤقت
مقدر ينتهي إليه دورها اليومي أو السنوي .. وقيل مستقرها منقطع جريها عند خراب العالم .

وقال طنطاوي جوهرى (لمستقرها) أي لحد لها مؤقت تنتهي إليه من فلكها

(١) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ١١٥) .

(٢) د. عدنان الشريف ، من علم الفلك القرآني (ص ٧٥) .

وهي نهاية العالم أو نهاية ارتفاعها في زمن الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء . كما أشار إلى قراءة ابن مسعود^(١) وهي بمعنى ، لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً إلى يوم القيامة تنتهي كل يوم في مرأى العيون إلى المغرب وتنتهي مدة سنة وتنتهي مدة ارتفاعها ومدة انحطاطها .

- ويتضح الجانب العلمي في قول المراغي ومحمد الطاهر ابن عاشور والدكتور محمد محمود حجازي والدكتور وهبة الزحيلي .

- فقد أشار المراغي إلى حركة الشمس حول نفسها وجريها في فلكها بسرعة تقدر بـ (٢٠٠) ميل في كل ثانية .

- وأشار محمد الطاهر ابن عاشور إلى نظام حركة الأجرام ، ومنها جرى الشمس في فلكها وطلوعها على جانب وغروبها عن الجانب الآخر من الكرة الأرضية الذي يلزمه تعاقب مجيء الليل والنهار ، كما استشهد بالحديث الصحيح الذي فسر استقرارها وسجودها تحت العرش وكذلك طلوعها من مغربها عند قرب الساعة .. واستقرارها النهائي عندما تنطفئ ويكور ويلف ضوءها .

- كما وضح الدكتور محمد حجازي دور الشمس في جريانها في فلكها ، ودوران الأرض حول نفسها وما يترتب على ذلك من مجيء الليل والنهار وفصول السنة الأربعة .

كما أشار إلى أن في هذا النظام دلالة على الإله المدبر لهذا الكون .

- وذكر الدكتور وهبة الزحيلي ما ثبت عند علماء الفلك من دورة الشمس حول محورها كل ستة وعشرين يوماً تقريباً ودورة مع توابعها من الكواكب بسرعة تقدر بنحو (٢٠٠) ميل

(١) وهي أيضاً من قراءة ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي رباح ، أبو الفتح عثمان بن جني ، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/ ٢١٢) . راجع (ص ٢١٣) من الرسالة .

في الثانية .

وبعد النظر في الأقوال السابقة في تفسير قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾^(١) يمكن القول بأن الشمس تجري لمستقر سجودها طائفة منحنية بمرورها تحت العرش .

واستقرارها في المعنى الظاهر هو غيابها عن أعين الناظرين إليها عند الغروب^(٢) واستقرارها النهائي عندما تؤمر بالطلوع من جهة المغرب فينقطع سيرها ثم تنطفئ ويذهب ضوءها . وتفسير سجودها الوارد في الحديث الصحيح حقيقته الله أعلم به ولعله يكون بمعنى أن الشمس تطوف منحنية بفعل الجاذبية العامة، مسخرة في فلكها تجري طائفة لربها، ساجدة بمرورها تحت العرش) . والله تعالى أعلم .

وفي معنى آخر أن المستقر هو سجودها ، فالشمس تجري لمستقر سجودها .^(٣)

قال ابن حجر^(٤) : (قلت : وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري . والله أعلم)^(٥) .

كما اتضحت الناحية العلمية في أقوالهم مما يثبت أن الكون يسير بنظام محكم مقدر يدل على

(١) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص ٤٣) .

(٢) نظير الطواف بالبيت العتيق .

(٣) الحافظ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ابن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة ، حافظ الإسلام في عصره ، تصانيفه كثيرة جليلة منها فتح الباري شرح صحيح البخاري . خير الدين الزركلي ، الأعلام (١/ ١٧٨) .

(٤) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٥٤٢) رقم الحديث (٤٨٠٣) ، (٦/ ٢٩٩) رقم الحديث (٣١٩٩) .

عظمة وقدره خالقه المستحق للعبادة سبحانه وتعالى .

وإليك الآيات الكريمة التي ذكرت فيها (الشمس) .

ذكرت (الشمس) في الآيات المكية (٢٢) مرة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴾	٧٨
٢	الأنعام	﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾	٩٦
٣	الأعراف	﴿ إِنَّكَ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْرَوْنِي عَلَى الْغَرِيِّ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٥٤
٤	يونس	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحَسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	٥
٥	يوسف	﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾	٤
٦	إبراهيم	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾	٣٣
٧	النحل	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	١٢

م	السورة	الآية	رقمها
٨	الكهف	﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُورٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَدِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يُجَدِّ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾	١٧
٩	الفرقان	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾	٤٥
١٠	النمل	﴿وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾	٢٤
١١	العنكبوت	﴿وَلَمِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾	٦١
١٢	فاطر	﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾	١٣
١٣	يس	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾	٣٨
١٤	يس	﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٤٠

م	السورة	الآية	رقمها
١٥	الزمر	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝﴾	٥
١٦	فصلت	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝﴾	٣٧
١٧	فصلت	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝﴾	٣٧
١٨	ق	﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝﴾	٣٩
١٩	نوح	﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝﴾	١٦
٢٠	القيامة	﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝﴾	٩
٢١	التكوير	﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝﴾	١
٢٢	الشمس	﴿ وَالشَّمْسُ وَضَعَهَا ^(١) ۝﴾	١

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٨٧) .

المبحث الثالث : القمر

إن طبيعة تكوين القمر ونظامه ومنافعه من دلائل قدرة الله تعالى وعظمته ولذلك فإنه قد ورد ذكر القمر في القرآن الكريم (٢٦) مرة ، ولفظ (قمرًا) مرة واحدة^(١) ، ونور القمر انعكاس لضوء الشمس ، والقمر يسبح في فلكه وله منازل ينزل فيها وبواسطته تعرف أيام الشهر ، ونعلم عدد السنين والحساب .

وقد أشار ابن قيم الجوزية إلى قسم الله تعالى بالقمر : ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾ [المدثر : ٣٢] وأنه

مسخر بأمر الله تعالى ، يسير في فلكه بانتظام ، وهو آية من آيات الله تعالى الدالة على حكمته وعلمه وقدرته تعالى ذكره ، وأن هذه آية الليل وفيه من الآيات الباهرة على ربوبية خالقه وبارئه ... وهو الله سبحانه وتعالى .. وبواسطة القمر يعرف عدد حساب الأيام والشهور المترتب عليه كثيرًا من المصالح والمنافع للبشر ، وخاصة معرفة مواقيت العبادات والمعاملات ، كما أنه قد أشار إلى تأثير القمر على المياه والنبات وأبدان الحيوان وغير ذلك ، وأما تأثير القمر في ترطيب أبدان الحيوان والنبات ، وفي المياه ، وجزر البحر ومدّه وبُحُرانات^(٢) الأمراض وتنقلها من حال إلى حال وغير ذلك من المنافع ، فأمر ظاهر^(٣) .

وحديثاً فإن التقارير العلمية والأبحاث تفيد أن القمر (أقرب الأجرام السماوية للأرض وأقلها حجماً، وهو يدور حولها بمدار قمري بيضوي ، من الغرب إلى الشرق باعتباره تابعا لها مرة واحدة كل شهر^(٤) كأنها هو مشدود بجبل خفي هي جاذبية الأرض

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (ص ٥٥٣) .

(٢) بُحُرانات : جمع بحران ، وهو التغير الذي يحدث للليل في الأمراض الحادة .

(٣) ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن (ص ١٦٣ - ١٦٧) .

(٤) كل (٢٩) يوما و (١٢) ساعة و (٤٤) دقيقة و (٢٨) ثانية .

التي لا يستطيع الإفلات منها .. فهو يبدأ هلالا ، ثم بدرا^(١) ، ثم يعود كالعرجون القديم وهو في اللغة عود العذق ، الذي فيه الشواريح ، والعذق اليابس المنحني من النخلة الذي يحمل الرطب ، وهو مقوس كالهلال^(٢) ، (ثم يختفي ويشرق هلالا جديدا ، نعرف به مطلع الشهر ..)^(٣) .

وخسوف القمر يحدث عندما يقع تحت ظل الأرض أثناء دورتها بين الشمس والقمر^(٤) .

وقد (أشار القرآن الكريم إلى أن عدد السنين وحسابها على سطح الأرض مترتب على العلاقة بين الأرض والشمس أو بين الأرض والقمر ، وعلى الوحدة الزمنية التي يملؤها النهار والليل حتى يعقبها شروق شمس يوم جديد .. وفي ذلك إشارة خفية إلى دوران الأرض حول نفسها في أربع وعشرين ساعة أمام الشمس فيتج اليوم بنهاره وليله ، ودوران القمر حول الأرض في سبعة وعشرين يوما وربع يوم ، وخلال ذلك يدور القمر حول محوره مرة واحدة في الوقت الذي يستغرقه لإكمال مداره حول الأرض .. وقد أكد رواد الفضاء أنهم شاهدوا تعاقبا سريعا للظلام والنور على سطح الأرض بسبب دورانها المحوري أمام الشمس .. فالحركة سبب الزمن .. والزمن ناتج عن الحركة .. فالزمن إذن حركة .. والحركة زمن)^(٥) . فالزمن هو المقياس لعدد أيام عمر الإنسان وهو الذي يطوي صفحاته .

وقد أفادت تقارير الرحلات الاستكشافية إلى القمر (الكثير من المعلومات من خلال الدراسة والتحليل لـ (٤٠٠) كيلو جراما من الصخور القمرية وحوالي (٢٠٠٠٠) صورة

(١) وفي ذلك عبرة للإنسان ومثالا للقوة والضعف .

(٢) الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، مادة (ع رج ن) (ص ٣١٥) .

(٣) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق (ص ١٣٦-١٤٥) .

(٤) سبق الإشارة إلى الكسوف والخسوف (ص ١٨٩) .

(٥) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص ٥١-٥٢) .

جيدة لمعالم القمر المتعددة ، كذلك ترك الرواد على سطح القمر مراصد تدرس الذبذبات في القشرة القمرية وأثر أشعة الشمس على تربة القمر .. ومازالت هذه المراصد ترسل المعلومات العلمية لنا لنقوم بدراساتها وتحليلها ، ونتظر أن تستمر هذه المراصد في إرسال المعلومات لعدة سنوات أخرى ، ولقد دلتنا هذه المعلومات الكثيرة على أن هناك علاقة وطيدة بين الأرض والقمر .. عرفنا مثلا أن هناك علاقة وطيدة بين دوران القمر حول الأرض والزلازل على سطح القمر .. ووجدنا أن هذه الزلازل تحدث غالبا نتيجة للجذب بين الأرض والقمر ...^(١) .

(.. وقد لاحظ الفلكيون الذين حطوا على سطح القمر أن القمر جسم صخري صلابته قليلة على عمق ٢٠ كم وكلما تعمقنا اشتدت صلابته ، وصخور القمر بلون رمادي فهي تشبه البازلت والغرانيت في الأرض ، وتنوع تربة القمر التي تعكس ضوء الشمس في لونها من القاتم إلى الفاحم ، وتحتوي صخوره على بلّور شفاف له قابلية العكس مثل معدن المرو ، وهي مجموعة جسيمات دقيقة ومتوسطة كالصخور المسحوقة ، وهي عدة أنواع ، ومعادن مختلفة وصخور بلّورية وتحتوي صخور القمر و(غباره) على معادن مثل حديد المونازيت العضوي وكليנוبيركسين ...)^(٢) .

ومع تطور العلوم لم يعلم الإنسان عن الكون إلا الشيء القليل .

و(.. المهم في كل هذا أن العلم لم يستطع تفسير الكون وكل ما به من أسرار فالعلم مازال يحبو ، ولكن المهم أننا نحاول دائما أن نتعلم قدر طاقة عقولنا عن ما خلقه الله تعالى

(١) صلاح الدين أبو العينين ، القمر في الطبيعة (ص ١٠٤-١٠٧) ، وهو نص ما كتبه الدكتور فاروق الباز بخط يده عن (النتائج العلمية لرحلات أبوللو القمرية) نقلا عن (الصواريخ والفضاء) للأستاذ حسين الطنطاوي .

(٢) د. سيد وقار أحمد حسيني ، القرآن للعلوم الفلكية واستكشاف الأرض من الفضاء (ص ٧٣) .

في السموات والأرض، وكلما تعلمنا الجديد اتضح لنا أن قدرة الخالق عظيمة الشأن وأن الله تعالى هو المهيمن على الكون الفسيح ويسيره ، وكلما زاد علمنا اتضح لنا أننا لا نعلم إلا ذرات من علم الله تعالى^(١) .

والتأمل في الكون يلاحظ أن النجوم والكواكب تسير في فلكتها بنظام محكم فلا يلحق القمر بالشمس ولا يسبق النهار الليل . قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٥] ، وقال الله تعالى : ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان : ٦١] ، وقال الله تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] . ولقد أقسم الله تعالى بالقمر ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ ۝ ٣٣ وَالْأَيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ ٣٢ وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ ۝ ٣٤ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ﴾ [المدثر : ٣٢-٣٥] .

(ولقد^(٢) وصل الإنسان للقمر في ١١ يوليو عام ١٩٦٩م بسفينة أبوللو ١١ حين هبط رائدا الفضاء الأمريكيان (آرمسترونج وألدرين) لأول مرة على سطح القمر وعادا للأرض ومعهم عينات من صخوره .

ولقد شارك أول رائد فضاء عربي مسلم (الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود) رواد الفضاء في رحلتهم (المكوك دسكفاري عام ١٩٨٥م)^(٣) .

(١) مرجع سابق ، صلاح الدين أبو العينين ، القمر في الطبيعة (ص ١٠٩) .

(٢) نشر د. منصور حسب النبي في كتابه (ارتياذ الفضاء بين العلم والقرآن) الجداول التي تبين الفترات الزمنية التي أرسل فيها رواد الفضاء إلى عالم الفضاء مع أسائهم (ص ٩٢-٩٩) من عام ١٩٦١م إلى عام ١٩٧٢م .

(٣) المرجع السابق (ص ١١٦) .

ومن طبيعة القمر وطبيعة تكوين صخوره نجد أنه :

(تتميز صخور القمر باللون الرمادي الداكن .. والقمر يعكس الضياء ويقدم للبشر معرفة السنين والحساب .. ويسبب المد والجزر في البحار والمحيطات لمنفعة البشر ، ويساهم مع الجبال في ضبط توازن الأرض حتى لا تميد بهم .

والقمر يدور حول الأرض دورة كاملة يقطعها في مدة ٢٩.٥ يوما ، وهو أقرب الكواكب من الأرض فالمسافة بينه وبين الأرض حوالي ٢٤٠٠٠٠ ميل)^(١) .

(ومن المعروف علميا أن قانون الجاذبية يرغم الأجرام السماوية على الدوران حول بعضها البعض ، فالأرض مثلا تدور حول الشمس ، والقمر يدور حول الأرض . قال الله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ﴾ [الرحمن : ٥] ، حقا إنه ميزان إلهي محسوب ﴿مُحْسَبَانِ﴾ ، ... التوازن بين الجاذبية والقوة الطاردة المركزية ... وهذا التوازن هو أساس الحسابات الرياضية التي تستخدم في إطلاق الأقمار الصناعية في مدار معين)^(٢) .

و(يدور القمر حول نفسه دورة كاملة كما يدور حول الأرض ، وتقدر حرارة سطحه بين (١٢٠) درجة فوق الصفر و(١٨٠) درجة تحت الصفر . يستمد نوره من الشمس . أما نصفه الآخر فهو غارق في الظلام ، أي غير مرئي بالنسبة لنا^(٣) ، ليس له جو غازي ، وهو خال من الماء ، ومن أي أنواع الحياة)^(٤) .

(١) د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية (ص ١٥٩، ١٥٧، ١٥٣) .

(٢) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي (ص ٦٢-٦٣) .

(٣) د. عدنان الشريف ، من علم الفلك القرآني (ص ٩٣) بتصرف .

(٤) حنفي أحمد ، التفسير العلمي للآيات الكونية (ص ٦١) .

وسأذكر أقوال المفسرين في تفسير آية كريمة أشارت إلى التفرقة بين ضياء الشمس ونور القمر .

(١) قول القاسمي :

- في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥] .

- قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً ﴾ للعالمين بالنهار ﴿ وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ أي لهم بالليل والضياء أقوى من النور^(١) . والذي يلحظ أن القاسمي في هذه الآية لم يبرز التفرقة العلمية بين ضوء الشمس ونور القمر .

(٢) قول المراغي :

أشار إلى الناحية العلمية في تفسير قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ :
(... والضوء أقوى من النور .. وقيل : الضوء لما كان من ذاته كالشمس والنار ، والنور لما كان مكتسبا من غيره ، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾ ، وشعاع الشمس مركب من ألوان النور السبعة التي ترى في قوس السحاب فهو سبعة أضواء ، وقد كشف ترقى العلوم الفلكية عن ذلك وكان الناس يجهلون في عصر التنزيل .

وخلق الله تعالى الشمس ذات ضياء تفيض أشعتها على كواكبها التابعة لها فتنبعث الحرارة في جميع الأحياء وبها يبصر الناس جميع المبصرات ويقومون بأمور معاشهم وسائر شئونهم ، وخلق الله تعالى القمر ذا نور مستمد من الشمس تنتفع به السيارة في سيرهم وقدره منازل يعرف الناس السنين والشهور ...) (٢) .

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٢٣/٤) .

(٢) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (١١/٦٦-٦٨) .

(٣) قول محمد رشيد رضا :

في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ بنحو قول المراغي وأضاف قائلا : (...). وقيل الضوء لما بالذات كالشمس والنار ، والنور لما بالعرض والاكتساب من الغير .. وشعاع الشمس مركب من ألوان النور السبعة التي يراها الناس في قوس السحاب^(١) فهو سبعة أضواء لا ضوء واحد ... فهذا التعبير من مفردات القرآن الكثيرة التي كشف لنا ترقى العلوم الطبيعية والفلكية من المعنى فيها ما كان الناس أو العرب يجهلون في عصر التنزيل^(٢) .

(٥) قول طنطاوي جوهرى :

في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ بعد استطراد في تفسيره يقول : (أنتقل بك من مسألة الدوران وما يتبعها إلى منافع نورها في صحة أجسامنا وتقوية قواها ..) .

ثم تحدث عن جمال الشمس وجمال الشجر والزهر :

(جوهرة سنية في جمال الكواكب من عوالم الجنات عجلت في هذه الحياة ... وكل جمال لاحظناه في شجر أو زهر .. ولذلك تجد أن لكل أمة من الأمم الراقية حدائق عامة وبساتين ومنتزهات تسر الجمهور .. فهي بساتين أرضية .

أما أنتم أيها الخاصة الذين أعددتكم لجواري والقرب مني بالعلم والحكمة فلئن ابتهج العامة والجهلاء بمنظر زهرة في شجرة فأنتم تبتهجون بكل زهرة بكوكب مشرق في ظلمات الليالي) .

(١) وهو قوس قزح .

(٢) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (١١ / ٣٠٢) .

(۱) طنطاوی جوهری، الجواهر فی تفسیر القرآن (۶/ ۲۶، ۲۷، ۳۳، ۳۴، ۴۲).

(٦) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

أشار في تفسيره إلى المنافع التي يتنفع بها الناس من خلق الشمس والقمر ، وما في خلقهما من دقة نظامهما المحكم :

- (في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ .. وهذا الدليل قد تضمن أشياء يأخذ المخاطبون بحظ عظيم من التمتع بها وهو خلق الشمس والقمر على صورتها وتقدير تنقلاتها تقديرا مضبوطا ألهم الله تعالى البشر للانتفاع به شؤون كثيرة من شؤون حياتهم .. والضياء : النور الساطع ، وهو النور الذي يوضح الأشياء ، فالضياء أقوى من الضوء . والنور : الشعاع ، وهو أعم من الضياء .. ولما جعل النور في مقابلة الضياء تعين أن المراد به نور ما) ^(١) .

وقول محمد الطاهر ابن عاشور (نور ما) إيماء إلى أن هناك فرقا بين نور الشمس وضوء القمر ، وهو التفسير العلمي لأن نور القمر هو انعكاس ضياء الشمس ، فنور القمر ليس نابعا من ذاته بخلاف ضياء الشمس .

(٧) قول الدكتور محمد محمود حجازي :

في تفسير قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً ﴾ تتضح الناحية العلمية حيث يقول : (هو الله (سبحانه) الذي جعل الشمس ضياء للكون ، ومصدر للحياة ومبعثا للحرارة والحركة للكائن الحي من حيوان ونبات ، وجعل القمر نورا يستضيء به الساري في الليل . ولقد كان للعلماء أبحاث عن الضوء والنور ، وآراء لسنا في حاجة إلى ذكرها بعدما ثبت علميا أن الشمس مصدر النور ، فالشعاع الواقع منها على الأرض مباشرة هو ضوءها،

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١١ / ٩٣ - ٩٤) .

والواصل إلينا بعد انعكاسه على القمر (وهو جسم مظلم) يسمى نورا ، فنور القمر من الشمس عن طريق الانعكاس كالمرآة .

والقرآن فرق بين الشمس والقمر في كثير من الآيات ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح : ١٦] .

وعلى العموم فالواجب معرفته واعتقاده أن تعبير القرآن الكريم لأسرار إلهية قد تخفى علينا حيناً من الدهر ، ويكشف عنها العلم والبحث^(١) .

(٨) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

ذكر الناحية العلمية بنحو قول سابقه حيث يقول في تفسير قوله (ضياء) ذات ضياء أي نور (نورا) أي ذا نور ، وسمي نورا للمبالغة ، وهو أعم من الضوء وقيل : ما بالذات ضوء ، وما بالاكْتِسَاب من غيره نور ، وقد نبه تعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بالاكْتِسَاب من الشمس^(٢) . وهذا المعنى العلمي نبه إليه الباحثون .

(٩) قول محمد إسماعيل :

(كشفت هذه الآية الكريمة عن حقائق لم تكن معروفة للناس قبل نزولها ، كشفت عن أن الشمس نجم تنبعث منه حرارة وضوء كما هو شأن سائر النجوم التي هي أجرام ملتهبة ومضيئة في آن واحد ، وأن القمر كوكب أي جسم بارد مظلم يستمد ضوؤه وحرارته من الشمس ...) ^(٣) .

(١) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢ / ٤١) .

(٢) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (١١ / ١٠٩ - ١١٠) .

(٣) محمد إسماعيل ، القرآن وإعجازه العلمي (ص ٧٨) .

(٢) قول حنفي أحمد :

(...) وجعل الله تعالى القمر ذا نور ، فهو إذاً (من تخصيص معنى النور) فهو كتلة مظلمة وضوء مكسب ومعكوس منه ^(١) .

(٣) قول فوزي حميد :

(...) قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ﴾ يذكر الله تعالى بعض نعمه ، وهي مما يستدل بها على وجوده ووحدانيته ، وقدرته وعلمه وحكمته ، بإتقانه صنعه ، فهو الذي جعل الشمس ذات ضياء ، والضياء هو ما كان بالذات ، وجعل القمر نوراً . والنور هو ما كان بالعرض .. ولذلك قال العلماء : إن نور القمر مستمد من الشمس .. وقد تلازم ذكر القمر مع الشمس في مواضع كثيرة من آيات الله تعالى ، لأن القمر يستمد نوره من الشمس ، ولولاها لكان معتماً ^(٢) .

(٤) قول الدكتور منصور حسب النبي :

(ضوء الشمس الذي ينشأ من توهجها بالإشعاعات الناتجة من الاندماج النووي وليس باحتراقها .

نور القمر الذي ينشأ من انعكاس ضوء الشمس على صخوره السطحية الزجاجية .
ويفرق القرآن الكريم بين الضوء الأصلي والنور المنعكس في إعجاز علمي رائع كما يتضح من الآية الكريمة ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ﴾

(١) حنفي أحمد ، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن (ص ١٦٢) .

(٢) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية (ص ٩٣) .

والفرق بين الضياء والنور يكشف عنه العلم الحديث بأن الشمس نجم تنبعث منه حرارة وضوء كما هو شأن سائر النجوم التي تتكون من أجرام ملتهبة ومضيئة ذاتيا . أما القمر فهو جرم بارد يستمد الضوء من الشمس ويعكسه إلى أبصارنا تماما كما تفعل المرأة^(١) .

(٥) قول الدكتور عدنان الشريف :

(نلاحظ هنا عمق البعد العلمي القرآني الذي فرق بين أشعة الشمس وقد وصفها التنزيل بالضياء، وأشعة القمر وقد وصفها بالنور ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ [يونس : ٥]

فالنور الذي يأتي من القمر ما هو إلا انعكاس لأشعة الشمس المرئية المتساقطة على سطحه . أما ضوء الشمس فهو مؤلف من أشعة مرئية وغير مرئية ، إلا أن الإنسان استطاع أن يدرس الأشعة غير المرئية ويستعملها بواسطة آلات التصوير بالأشعة المجهولة التي يستخدمها الطب اليوم في تصوير مختلف أعضاء الجسم ، وآلات التصوير بالأشعة ما تحت الحمراء وما فوق البنفسجية التي يستعملها علماء الفلك والفيزياء والأحياء^(٢) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس : ٥] .

يتضح الجانب العلمي في أغلب أقوالهم حيث إنهم فرقوا بين ضياء الشمس ونور القمر الذي هو انعكاس لضوء شعاع الشمس .

- فقد ذكر المراغي بأن ضوء الشمس نابع من ذاتها بخلاف نور القمر المكتسب من ضياء الشمس . كما أشار إلى الألوان السبعة التي يتركب منها شعاع الشمس والذي يلاحظ عند ظهور قوس السحاب ، ولم تعرف مثل هذه العلوم إلا عند ترقى العلوم الفلكية ، وذلك لاتساع المعرفة في العقل البشري .

(١) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ٢٤٥) .

(٢) د. عدنان الشريف ، من علم الفلك القرآني (ص ٧٦) .

- وبنحو هذا القول قال محمد رشيد رضا : وقيل الضوء لها بالذات كالشمس والنار ، والنور لما بالعرض والاكتساب من الغير .. وشعاع الشمس مركب من ألوان النور السبعة التي يراها الناس في قوس السحاب .. فهذا التعبير من مفردات القرآن الكثيرة التي كشف لنا ترقى العلوم الطبيعية والفلكية من المعنى فيها ما كان الناس أو العرب يجهلونه في عصر التنزيل .

- ونحا طنطاوي جوهرى منهجاً خاصاً حيث خرج بمفهومه عن أقوال المفسرين حيث أشار إلى أن ما في الكون من جمال يفهمه الخواص وعامة الناس منه محرومون .

- وبملاحظة التفرقة في لفظ القرآن الكريم قال محمد الطاهر ابن عاشور : (لما جعل النور في مقابلة الضياء يعني أن المراد به نور "ما") .

وهذا ما وضحه الجانب العلمي ، حيث أن نور القمر هو انعكاس لضوء الشمس .

- وبنحو هذا المعنى أشار الدكتور محمد محمود حجازي إلى أن القرآن يخبر عن أسرار علمية في خلق الكون وقد تخفى علينا وقتاً من الزمن ويكشف عنها العلم الحديث ، فقد ثبت علمياً بأن الشمس مصدر النور والواصل إلينا بعد انعكاسه على سطح القمر .

- وكذلك قول الدكتور وهبة الزحيلي (وقد نبه تعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيراً بالاكتساب من الشمس) .

قال الله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ

تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿البقرة : ١٨٩﴾ .

والمعنى : (يسألونك يا محمد عن سبب اختلاف حجم الأهلة نقصاً وإتماماً ، وهذا لا فائدة بالسؤال عنه ، لأن النبي ﷺ لم يبعث معلماً لعلوم الفلك وأحوال النجوم ،

وإنما الأولى أن يوجه السؤال عن الحكمة أو الغاية من الأهلة ، فأجابهم عن ذلك ، بأن الأهلة معالم للتوقيت والحساب في شؤون الزراعة والتجارة وآجال العقود والديون ، ومعالم أيضا لتوقيت العبادات من صوم وإفطار وصلاة وحج وعدة وغير ذلك .

والتوقيت بالشهر القمري والسنة القمرية سهل في الحساب ومناسب للعرب...^(١) .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

تتضح الناحية العلمية ، وهي إبراز التفرقة بين ضوء الشمس ونور القمر الذي هو انعكاس لضوء الشمس وهو ما سبق به القرآن وأشار إليه وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

كما ذكر بعضهم من فوائد القمر ومنافعه والتي تساعد الإنسان على دوره في تأدية الخلافة على وجه الأرض ، ومنها معرفة أيام الشهر ، وأداء العبادات والمعاملات في الأوقات المخصصة .

ذكر لفظ (القمر) في الآيات المكية (٢٢) مرة .

وإليك الآيات الكريمة التي ذكر فيها (القمر) .

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾	٧٧
٢	الأنعام	﴿ قَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾	٩٦

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢/ ١٧١) .

م	السورة	الآية	رقمها
٣	الأعراف	﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾	٥٤
٤	يونس	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾	٥
٥	يوسف	﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأُمِّهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝﴾	٤
٦	إبراهيم	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝﴾	٣٣
٧	النحل	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾	١٢
٨	الأنبياء	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝﴾	٣٣
٩	العنكبوت	﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝﴾	٦١

م	السورة	الآية	رقمها
١٠	فاطر	﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴾	١٣
١١	يس	﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴾	٣٩
١٢	يس	﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٤٠
١٣	الزمر	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾	٥
١٤	فصلت	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	٣٧
١٥	فصلت	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	٣٧
١٦	القمر	﴿اقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾	١

م	السورة	الآية	رقمها
١٧	نوح	﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾	١٦
١٨	المدثر	﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾	٣٢
١٩	القيامة	﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾	٨
٢٠	القيامة	﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾	٩
٢١	الانشقاق	﴿وَالْقَمَرَ إِذَا انشَقَّ﴾	١٨
٢٢	الشمس	﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾	٢

ذكر لفظ (قمرًا) مرة واحدة :

قال الله تعالى : ﴿نَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان : ٦١] ^(١) .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٢٥٣) .

المبحث الرابع : النجوم والكواكب

ذكر لفظ (النجم) في القرآن الكريم أربع مرات ، وذكرت صيغة الجمع (النجوم) في تسعة مواضع ، وذكر لفظ (كوكب) مرة واحدة ، وذكر لفظ (كوكبا) و(الكواكب) مرتين^(١).

المعنى اللغوي لـ(النجم) و(الكوكب) :

((النجم) مأخوذ من نَجَمَ الشَّيْءُ ظَهَرَ وَطَلَعَ ، و((النَّجْمُ) الوقت المضروب ومنه سمي ((النَّجْمُ))^(٢) من ينظر فيها بحسب مواعيدها وسيرها ، و((الكَوْكَبُ) الجماعة^(٣) و((النَّجْمُ) من النبات ما لا ساق له ، و((نَجَمْتُ) المال عليه إذا وزَّعْتُهُ ، والقرآن المنَّجَمُ المنزَّلُ قَدْرًا فَقَدْرًا . وجمع (نجم) نجوم ، والنَّجْمُ الكَوْكَبُ^(٤) .

ويلاحظ في تعريف أهل اللغة : أنهم لم يفرقوا بين ((النَّجْمُ) و(الكَوْكَبُ) .

وذكر أهل التفسير أن (النجم) في القرآن يطلق على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : الكوكب ، ومنه قوله تعالى في سورة النحل :

﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَا لَنَجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الآية : ١٦] .

الوجه الثاني : النبات الذي لا ساق له ، ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن :

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الآية : ٦] .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٦٨٩، ٦٢٢) .

(٢) الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، مادة (نجم) (ص ٤٧٣) .

(٣) الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، فصل النون ، باب الميم (٤ / ١٧٩) و فصل

الكاف ، باب الباء ، (١ / ١٢٥) .

(٤) الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن (ص ٤٨٣) .

الوجه الثالث : ما كان ينزل من القرآن متفرقا ، ومنه قوله تعالى في سورة النجم

﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ [الآية : ١٧] ^(١) .

ولقد بين الله سبحانه وتعالى بأنه وحده الرب المعبود ، قال الله تعالى :

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى﴾ [النجم : ٤٩] .

(أي وأنه رب هذا النجم الوقاد المضيء الذي يطلع خلف الجوزاء في شدة الحر ، ويقال له : مرزم الجوزاء أو العبور ، كانت خزاعة وحمير تعبد ، وفي هذه النجوم شعريان : إحداهما يمانية والأخرى شامية ، والظاهر كما قال الرازي ^(٢) أن المراد اليمنية ، لأنهم كانوا يعبدونها ، لذا خصت بالذكر ، وأول من سن عبادتها أبو كبشة من أشرف العرب ، وكانت قريش تطلق على الرسول ﷺ (ابن أبي كبشة) ^(٣) تشبيها له به ، لمخالفته دينهم كما خالفهم أبو كبشة ، وكان من أجداد النبي ﷺ من جهة أمه ، قال أبو سفيان يوم فتح مكة حين شاهد عساكر المسلمين تمر عليه : لقد أمر ^(٤) أمر ابن أبي كبشة ، وقال مشركو قريش :

(١) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص ٥٨١)

(٢) الفخر الرازي : محمد بن عمر ، التفسير الكبير (٢٩ / ٢٢) .

(٣) ... وأما الذي كانت كفار قريش تذكره ، وتنسب النبي ﷺ إليه وتقول : قال ابن أبي كبشة ، فقليل فيه أقوال ،

قليل : إنها كنية أبيه لأمه ، وهب بن عبد مناف ، وقيل : كنية أبيه من الرضاعة ، الحارث بن عبد العزى ، وقيل إن

سلمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها : أبا كبشة ، وهو عمرو بن لبيد ، والأشهر من هذه الأقوال كلها عند

الناس ، أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشعري وحده دون العرب فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه . ابن هشام :

أبو عبد الله محمد عبد الملك ، السيرة النبوية لابن هشام ، الهامش (١ / ٤٧٨) .

(٤) (أمر) كثر وتم ، الفيروز أبادي : محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، باب الراء ، فصل الهمزة

مادة (الأمر) (١ / ٣٦٥) .

ما لقينا من ابن أبي كبشة^(١) .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسُفِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنُفِ ﴾ [التكوير : ١٥ ، ١٦] .

في هذه الآية يقسم الله سبحانه بالنجوم حال ظهورها ليلا واختفاء ضوئها عند طلوع الشمس ، وفي ذلك دليل على قدرة الله تعالى ... (ولما كان للنجوم حال ظهور وحال اختفاء، وحال جريان ، وحال غروب ، أقسم سبحانه بها في أحوالها كلها ... فتضمن القسم طلوعها ، وغروبها وجريانها ، واختفاءها وذلك من آياته ودلائل ربوبيته ...) ^(٢) .

معرفة الإنسان للنجوم :

عرف الإنسان مطالع النجوم ومغاربها منذ القدم ، وبعضها يحمل الطابع العربي ، و(لقد لاحظ الأقدمون منذ فجر التاريخ تشكيلات النجوم واستفادوا منها في التعرف على فصول السنة^(٣) المختلفة ، وعلى الوقت وفي الاستدلال على الجهات الأربع ، وخاصة في الصحارى والبحار ، فأصبحت القبة السماوية تقوياً أزلياً ثابتاً .

كما استطاع الأقدمون أن يتعرفوا على عدد كبير من النجوم اللامعة لتمييزها عن بعضها البعض .. أطلقوا على هذه التشكيلات من النجوم (البروج) .

ولقد ساهم السومريون والإغريق والعرب الأقدمون في هذه التسميات فأعطوها

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٧/ ١٣١) .

(٢) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله ، محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن (ص ١١٩-١٢٠) .

(٣) الناتج عن دورة الأرض حول الشمس على مدار عام واحد دورة واحدة .

أسماء معينة، ولا يزال الكثير من هذه البروج ... أو النجوم يحمل الاسم العربي الذي سمي به منذ القدم ، حتى يومنا هذا^(١) وهي (برج الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان، الأسد ، السنبله ، الميزان)^(٢) .

والتبحر في (علم النجوم) موضوعه علم الفلك ، وليس من مقاصد القرآن الحديث عن جزئياته .

ولقد تحدث الجاحظ عن فوائد النجوم ومنافعها فقال : (فَكَّرْتُ) لم صار هذا الفلك بشمس وقمر ونجومه وبروجه يدور على العالم هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن إلا لما في اختلاف النهار والليل ، وهذه الأزمان الأربعة على الأرض ، وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بيَّنا ولخصنا آنفا وهل يخفى على ذي لب أن هذا التقدير مقدر لصواب وحكمة من مقدر حكيم)^(٣) .

ولقد أقسم الله سبحانه وتعالى بمواقع النجوم ، وهذا دليل على عظيم شأنها ودورها في الفضاء الواسع . كما يستدل بدقة نظامها على تعظيم صانعها المستحق للعبادة و(مواقعها) : منازلها الثابتة ومسارها في فلكها المرسوم لها بحيث لو خرجت عن أماكنها التي وضعت فيها لا يتأتى منها الفائدة المرجوة منها .

(١) حسين أحمد سليم ، علم الفلك ، نجوم الفصول للكشافه (ص ١٦) .

(٢) إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر ، إشراف د. منصور محمد حسب النبي ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء (١ / ٣٢) .

(٣) الجاحظ : أبو عثمان بن بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (ص ٢٥) .

واضطراب نظامها خبر من الله واقع لا محالة ، قال الله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ ﴾ [التكوير : ١-٢] ، وقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۝٢ ﴾ [الانفطار : ١-٢] .
ومن فوائد النجوم أنها علامات يهتدى بها في البر والبحر وزينة للسماء ورجومًا للشياطين .
قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۝١ ﴾ [الأنعام : ٩٧] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝١ ﴾ [الصافات : ٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝١ ﴾ [الملك : ٥] .
ولقد فرق الله تعالى في آيات القرآن الكريم بين الضياء ، والنور فسمى الضوء الذاتي ضياءً ، والمكتسب المعكوس نورا .

الفرق بين النجم والكوكب :

(فرق تعالى في آيات الضياء والنور فيسمى الضوء الذاتي ضياءً والمكتسب المعكوس نورا ، وفرق في آيات النجوم والكواكب فبين أن النيرات منها ما ضياؤه ذاتي وأسمائها نجوما ومنها ما ضياؤه مكتسب ومعكوس منها وأسمائها كواكب فوضح بذلك ما كان مبهما في عرف اللغة التي لم يتوافر لأهلها العلم الكافي الذي يميزون به نوعي الضوء ويعرفون به نوعي النيرات ، فالقرآن يصف الكائنات وصفا علميا دقيقا يثبت لأهل العلم من الناس أنه صادر من لدن من يعلم حقيقة الأشياء ، لأنه جاء بأنباء علمية دقيقة وصحيحة من قبل أن يظهر العلم بقرون عديدة)^(١) .

(والنجوم هي كرات غازية متوهجة مثل الشمس ، وهذه ساخنة جدا وتلمع بأشعتها

(١) حنفي أحمد ، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن (ص ١٥٦-١٥٧) .

الخاصة وهي تبدو صغيرة وشاحبة لأنها بعيدة جدا ليس إلا .

لكن الكواكب تشبه الأرض التي نعيش عليها ، وهي ليست ساخنة ... فنحن نراها بسبب أشعة الشمس التي تنعكس عليها وهي تبدو منيرة جدا لأنها أقرب إلى الأرض ... ويعرف الإنسان حاليا تسعة كواكب تدور حول الشمس هي : عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشترى ، زحل ، أورانوس ، نبتون ، أفلوطن^(١) .

والسما مليئة بجموع من النجوم (الشموس) تحيط بها الكواكب ، وحول الكواكب أقمار والكل يسير في بروج هي المدارات ، وأن هذه البروج عالية مرتفعة شاحبة متينة التصميم ، والنجوم لا حصر لأعدادها في الكون^(٢) .

وسأعرض أقوال المفسرين في قوله تعالى ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾^(٣) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّا تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿ [الواقعة : ٧٥-٧٦] .

(١) قول القاسمي :

في تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ ذكر أن القسم بالنجوم يتناول منازلها وأوقات مغاربها والتي قد تغيب عن أبصار الناس ، كما أن القسم يشعر بعظيم القدرة وكمال الحكمة : ﴿ فلا أقسم ... ﴾ أي منازل الكواكب ومراكزها في السماء أو بمساقطها ومغاربها ، وهي أوقات غيبتها عن الحواس ... لما في القسم من الدلالة على عظيم القدرة، وكمال الحكمة^(٢) .

(١) مفيد عبد الخالق ، اكتشاف الفضاء والكواكب والنجوم (ص ١٥) .

(٢) د. عبد العليم خضر ، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن (ص ٨٨-١٩١) .

(٣) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (١٦/٧) .

(٢) قول المراغي :

في تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ... ﴾ ذكر مناسبة القسم بأنه دليل على صدق القرآن وصدق رسالة محمد ﷺ ، لأن في القسم أمراً مشاهداً وهو مواقعها ودقة نظامها ، وهذا يدل على المدبر لها وهو الله سبحانه وتعالى :

(﴿ فَلَا أُقْسِمُ ... ﴾ أي أقسم بمساقط النجوم ومغاربها ، وإنما خص القسم بهذه

الحالة لما في غروبها من زوال أثرها ، والدلالة على وجود مؤثر دائم وفي هذا دلالة على عظيم مبدعها ... وفي هذا تفخيم للمقسم به ، لما فيه من دلالة على عظيم القدرة ، وكمال الحكمة وفرط الرحمة ...) ^(١) .

(٣) قول محمد رشيد رضا :

بنحو ما يتعلق بآية النجوم نقلت قوله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ [البقرة: ٢٢] حيث أشار في تفسيره إلى الجاذبية التي تحكم نظام الكواكب .

وأن هذا من مظهر كمال قدرة الله تعالى الخالق المبدع الذي أتقن كل شيء سبحانه وتعالى .

حيث يقول في قوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ متماسكا لكيلا تقع على الأرض فتسحقكم ،

السماء مجموع ما فوقنا من العالم والبناء وضع شيء على شيء بحيث يتكون من ذلك شيء بصورة مخصوصة ، وقد كون الله تعالى السماء بنظام البناء ، وسوى أجرامها على هذه الصفة المشاهدة وأمسكها بسنة الجاذبية فلا تقع على الأرض ، ولا يصطدم بعضها ببعض ، إلا إذا جاء يوم الوعيد وبطل نظام هذا العالم ليعود في خلق جديد ،

(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢٧ / ١٤٩ - ١٥٠) .

والواجب ملاحظته في هذا المقام هو تصور قدرة الله تعالى وعظمته وسعة فضله ورحمته^(١).

(٤) قول طنطاوي جوهرى :

بين أهمية القسم بمواقع النجوم الذي يشعر بعظمها ولما لها من آثار نافعة :

(في تفسير قوله تعالى ﴿يَمَوْقِعَ النُّجُومِ﴾ أي بمساقطها في مغاربها أو منازلها ، ولما كان أمر النجوم في مواقعها عظيماً شأنه أعقب ما تقدم بجملته معترضة ... بين القسم والمقسم به إشعاراً بعظمتها وآثارها النافعة فقال ﴿وَلِئَلَّهٖ لَنَقَسُّ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٢) .

(٥) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

أشار في تفسيره بما يفيد تعظيم أمر القسم والمقسم به ، حيث يذكر بالنظام البديع لسير الكواكب المحكم ، وبما يشعر بتعظيم الخالق ودليل على كمال قدرته :

(في قوله تعالى ﴿يَمَوْقِعَ النُّجُومِ﴾ (والمواقع) جمع موقع يجوز أن يكون مكان الوقوع، أي محال وقوعها من ثوابت وسيارة . والوقوع يطلق على السقوط أي الهوى ، فمواقع النجوم مواضع غروبها فيكون في معنى قوله تعالى ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم : ١] ، والقسم بذلك مما شمله قوله تعالى ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ [المعارج : ٤٠] .

جعل ﴿يَمَوْقِعَ النُّجُومِ﴾ بهذا المعنى مقسماً به لأن تلك المساقط في حال سقوط النجوم عندها تذكر بالنظام البديع المجعول لسير الكواكب كل ليلة لا يختل ولا يتخلف، وتذكر بعظمة الكواكب وبتداولها خَلْفَةً بعد أخرى ، وذلك أمر عظيم يحق القسم به الرجوع إلى القسم بمبدعه ... فالمواقع محال وقوعها وخطوط سيرها فيكون قريباً من قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ

الْبُرُوجِ﴾ [البروج : ١]

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بالمنار (١/ ١٨٧-١٨٨) .

(٢) طنطاوي جوهرى ، الجواهر في تفسير القرآن (٢٤ / ٨١-٨٢) .

والمواقع هي : أفلاك النجوم المضبوطة السير في أفق السماء وكذلك بروجها ومنازلها^(١) .

(٦) قول الدكتور محمد محمود حجازي :

بنحو ما سبق قوله قال في تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ أي مساقطها عند الغروب .. وذهاب أثرها ، فلأنها والحالة هذه تكون أكثر دلالة على وجود خالقها والمؤثر فيها ، وأن هذا النجم بزغ بعد غروب الشمس لا يصح أن يعبد بل أن يكون هو دليلا على وجود الله تعالى ، ولذا قال : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾^(٢) .

(٧) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

بنحو قول سابقه قال في تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ... ﴾ هذا قسم في كلام العرب .. ﴿ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ مساقط الكواكب ومغاربها ، وتخصيص المغارب للدلالة على وجود مؤثر ، لا يزول تأثيره (وإنه) أي القسم بها من الدلالة على عظيم القدرة ، وكمال الحكمة ، وفرط الرحمة^(٣) .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۚ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ .

[الواقعة : ٧٥-٧٦]

(١) قول الدكتور محمد جمال الفندي :

(...) فمواقع النجوم إذن شئ يستحق القسم به ، ولو عرفناها عن طريق العلم لاستطعنا أن نلمس معنى القسم وقيمة ذلك التوكيد بقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ هذا الكون الفسيح بما فيه من مجرات ، ونجوم ، وكواكب ، ومذنبات ، وشهب ونيازك ..

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٧ / ٣٢٩-٣٣١) .

(٢) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٣ / ٦٠٥-٦٠٦) .

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور ، التفسير المنير (٢٧ / ٢٧٥) .

كلها تسبح بانتظام في خضم الفضاء الكوني المترامي الأطراف ، منطلقة في مساراتها إلى ما شاء الله ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس : ٨٠] خاضعة لنظام واحد وسنة ثابتة لا تتغير هي خير دليل على إله واحد . ويهتدي الناس ويتعرفون في أسفارهم وفي أسفار الفضاء بالنجوم ...^(١) .

(٢) قول الدكتور منصور حسب النبي :

(مما يدل على عظمة السر المودع في هذا القسم ، فمواقع النجوم تحدد المسافات الشاسعة بينها ، وبهذا فإن القسم يقصد بالتأكيد عظمة هذه المسافات من ناحية ، وأهمية المسافة الفاصلة بين النجوم التي تحدد قوة التجاذب من ناحية أخرى كما أن ذكر النجوم يشير إلى الكتل الهائلة من المادة الموجودة في أي نجم والتي بزيادتها تزداد قوة الجاذبية زيادة هائلة ، وكأن الآية الكريمة تشير إلى الناحية الكمية لقانون نيوتن للجذب العام ...

من المعروف علمياً أن قانون الجاذبية يرغم الأجرام السماوية على الدوران حول بعضها البعض ، فالأرض مثلاً تدور حول الشمس ، والقمر يدور حول الأرض ، وهكذا كما في قوله تعالى ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٣] ، وصدق تعالى بقوله : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن : ٥-٧] .

حقاً إنه ميزان إلهي محسوب (بحسبان) ولولا التوازن بين قوة الجاذبية والقوة الطاردة المركزية لوقعت السماء على الأرض ، وهذا التوازن هو أساس الحسابات الرياضية التي تستخدم في إطلاق الأقمار الصناعية في مدار معين. وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ فقد يكون إشارة إلى أن كل شئ في الكون يسير في مسارات منحنية نتيجة الجاذبية العامة ،

(١) د. محمد جمال الدين الفندي ، الله والكون (ص ٢٧٥) .

معبرا عن السجود والخضوع لله تعالى^(١) . قلت هذا قول حسن.

(٣) قول محمد كامل :

(في قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾^(٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿﴾ لقد أثبت علم الفلك أن القرآن هو أول كتاب في العالم أشار إلى أهمية النجوم كعلامات يهتدي بها السيارة في البر والبحر .. بل لقد أصبحت دراسة النجوم من أهم ما تعني به معاهد الملاحة، ومن أهم ما يقوم به المشتغلون بشئون السفر والرحلات . ولأهمية مواقع النجوم أقسم الله بها لبيان مدى أهميتها ، لاسيما وأن المسافات بين النجوم تبلغ حدودا لا يتصورها الخيال ، فمثلا نجد أن أقرب نجم إلينا في مجرتنا وهي الشمس تبعد عنا بمقدار عدد من السنين الضوئية^(٢) .

ثم إن هناك مدلولاً علمياً آخر عن مواقع النجوم ، مثل موقع الأرض الذي يعد موقعا بالغ الدقة في وضعه^(٣) .

(٤) قول فوزي حميد :

مواقع النجوم : أدرك العلماء أن بعض النجوم متحرك ، وأطلقوا عليها اسم (النجوم المتحولة) كما أدركوا أن بعض النجوم ثابتة ، لا تتنقل ولا تجري ، فهي لا تتبدل في مواقعها وأسموها (الثوابت) .

(١)د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ٦٣) .

(٢)السنة الضوئية تدل على مدى المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة ، علما بأن سرعة الضوء تساوي ٣٠٠ كيلو في الثانية ، محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص ٥٧) .

(٣)المرجع السابق (ص ٥٧) .

ولكن العلم الحديث أكد أنها ليست بثوابت فهي تجري لمستقر لها في مجريين مختلفين ، يتداخل أحدهما في الآخر ، وهذا الجري يتم ويستمر في مواقع ومدارات ثابتة لا تتغير ولا تتبدل بنسبة بعضها إلى بعض على مر الدهور بذلك النظام الذي كان موضع القسم العظيم حين أقسم الله تعالى بمواقع النجوم قائلا ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ .

فمواقع النجوم هي مساقطها أو منازلها ، أو وقوعها وانتشارها عند قيام الساعة .

وتعد النجوم ومواقعها من الأسرار الإلهية^(١) .

لقد أقسم سبحانه وتعالى بمنازل النجوم وأفلاكها ، وهو قسم عظيم جدا عند الله .. إذ يعتقد علماء الفلك بأن المسافات بين هذه النجوم ، وسرعتها ، وحجومها ، وشدة إشعاعها ، تصل إلى درجة حد الخيال ولذلك فهي جديرة بأن يقسم بها خالقها ، ومسيرها في الكون ، ومدبر أمرها ، لعظمها ، ودقة نظامها^(٢) .

(٥) قول إبراهيم فواز عراجي :

في قوله تعالى ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ وتفسيره أن الله تعالى يقسم بمواقع النجوم لما لهذه المواقع من أهمية كبيرة ستعلمونها يا أهل العلم من بعد ، وبالطبع لا يقسم ربي إلا بعظيم لأن هذه النجوم والشمس واحدة منها لها مواقع محددة وأفلاك تدور عليها في نظام محكم متقن الصنع لا ينبغي لها أن تحيد عنه قيد أنملة

(١) لعل المقصود الإشارة إلى أن كثيرا من علم النجوم اختص الله بعلمه فهو غيب عن إدراكنا ولا تحيط به عقول البشر .

(٢) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية (ص ٧٤-٧٦) .

لأن لها أحجاما معينة وأوزانا معينة ، وجاذبية كبيرة كل حسب حجمه ووزنه وسرعة دورانه ، ونتيجة لهذه الجاذبية يطيع الصغير الكبير ويدور حوله وينقاد له ، هذا مع وجود المسافات الهائلة والشاسعة بين نجم وآخر أو بين الشمس وكواكبها، ونظرا لأهمية هذه المواقع والمحاور . فلو حدث أن نجما اقترب من نجم آخر متعديا مسافته المحدودة ، لجذب أحدهما الآخر أو اصطدما ببعضهما ، وعلى نفس هذا القياس أحكام النظام الشمسي فلو أن كوكبا خرج عن مداره وتعدى مسافته المحدودة وبعده عن الشمس لأدى ذلك لكارثة على كوكب الأرض ، وأقرب هذا الفهم أكثر فأقول لو أن الشمس هبطت من موقعها قدر متر واحد لتغيرت درجات الحرارة على الأرض واختلفت الجاذبية وتغير الضغط الجوي ، وأثر ذلك على الحياة كلها وبالمقابل فإن الأرض لو قربت أو بعدت عن الشمس أكثر مما هو مقرر لها لاختل نظام الحياة ، ولو أن نجما آخر أكبر من الشمس اقترب من الشمس قليلا فجذب منها حرارتها وأشعتها فكذلك اختل نظام الحياة على الأرض...^(١) .

(٦) قول الدكتور عبد العليم خضر :

لقد وضع الله تعالى في القانون الإلهي العام للكون معادلات نهائية وثابتة وكلية ومطلقة ومنها المعادلة التي تقول :

(إن تأثير قوى التجاذب = تأثير طاقة الحركة ويكون مضادا له) .

ووفق هذه المعادلة ، كانت مواقع النجوم والأجرام السماوية الأخرى موضوعة

(١) إبراهيم فواز عراجي ، القرآن وعلوم العصر الحديث (ص ٤٨) .

في الخريطة الكونية على أبعاد ثابتة بين بعضها وبعض بصورة تضمن عدم السقوط والتصادم والاضطراب في الأفلاك إلا بإذنه ... وإذا حدث العكس أي لو قلت قوى التجاذب عن طاقة الحركة لتباعدت الأجرام السماوية بالانفلات من أفلاكها حول شمسها .. ولسارت على غير هدى .. حتى تصطدم بمجموعات نجمية وكوكبية انفلتت هي الأخرى من أفلاكها المحددة لها ...

وأثبت العلم اليوم أن حركة النجوم والأجرام السماوية والكواكب في بروج مرسومة بدقة مطلقة أمر لا شك فيه .. دليل ذلك ما أخذه العلماء من صور فوتوغرافية متتالية للنجوم بينها فترات قد تبلغ بضع سنين ، ووجدوا أن مواضع النجوم بالنسبة لبعضها البعض قد تغيرت وهذا يدل على أنها في حالة حركة مستمرة ، ولكن رؤيتنا لها بالعين المجردة في حالة ثبات لا يبرر عدم حركتها إذ أن أبعادها الرهيبة من الأرض تجعلها ترى في بروجها حتى بأقواس التلسكوبات في رأس الدبوس . ومن ثم كان من المستحيل رؤيتها تتحرك عبر منازلها وأبراجها .

ويقدر العلماء حركة النجوم في مساراتها بسرعة متوسطة مقدارها حوالي ٢٠ ك.م في الثانية الواحدة ، وأن لكل منها سرعة خاصة بالنسبة لبعضها البعض الآخر^(١) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿ فَلَا أَسْأَلُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ [الواقعة : ٧٥]

- ذكروا في أقوالهم ما يفيد عظيم أمر النجوم من حيث الاستدلال على حكمة المبدع في تقدير مواقعها وسيرها في أفلاكها بنظام محكم تدل على عظمة الله تعالى وكمال قدرته

(١) د. عبد العليم خضر ، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن (ص ١٤٧-١٤٨-١٥٢) .

وفرط رحمته بخلقه، فسبحانه المعبود بحق ، كما يتضح الجانب العلمي في قول محمد رشيد رضا حيث أشار إلى قوة الجاذبية التي تمسك النجوم وتجعلها في فلكها تسير طالعة مشرقة ، غاربة مختفية .

- قول القاسمي : في قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ أي منازل الكواكب ومراكزها في السماء أو بمساقطها ومغاربها ، وهي أوقات غيبتها لما في القسم من الدلالة على عظيم القدرة ، وكمال الحكمة .

- وقول المراغي: ﴿ فَلَا ... ﴾ أي أقسم بمساقط النجوم ومغاربها ، وإنما خص القسم بهذه الحالة لما في غروبها من زوال أثرها ، والدلالة على وجود مؤثر دائم ، وفي هذا دلالة على عظيم مبدعها .. وفي هذا تفخيم للمقسم به ، لما فيه من دلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة .

- وذكر محمد رشيد رضا (النجوم) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَاءً ﴾ [البقرة : ٢٢] . وأشار إلى قوة الجاذبية التي تربط النجوم بمواقعها ، قوله (وقد كون الله السماء بنظام البناء ، وسوى أجرامها على هذه الصفة المشاهدة وأمسكها بسنة الجاذبية فلا تقع على الأرض ولا يصطدم بعضها ببعض ، إلا إذا جاء يوم الوعيد وبطل نظام هذا العالم ليعود في خلق جديد ، والواجب ملاحظته في هذا المقام هو تصور قدرة الله تعالى وعظمته وسعة فضله ورحمته واحسانه سبحانه وتعالى .

- وقول طنطاوي جوهرى : ﴿ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ أي بمساقطها في مغاربها أو منازلها ، ولما كان أمر النجوم في مواقعها عظيماً شأنه .. بين القسم والمقسم به إشعاراً بعظمتها وآثارها النافعة .

- وقول محمد الطاهر ابن عاشور : (وجعل ﴿ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ بهذا المعنى مقسماً به لأن تلك المساقط في حال سقوط النجوم عندها تذكر بالنظام البديع المجعول لسير الكواكب

كل ليلة لا يختل ولا يتخلف ، وتذكر بعظمة الكواكب وتداولها خِلقةً بعد أخرى .

- وذكر الدكتور محمد حجازي بأن في القسم دلالة على خالقها المستحق للعبادة . ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ أي مساقطها عند الغروب .. وذهاب أثرها ، فلأنها والحالة هذه تكون أكثر دلالة على وجود خالقها والمؤثر فيها ، وأن هذا النجم بزغ بعد غروب الشمس لا يصح أن يعبد بل أن يكون هو دليلا على وجود الله تعالى .

- وينحوه قال الدكتور وهبة الزحيلي : ﴿ بِمَوْجِجِ الْجُورِ ﴾ مساقطها ومغارها ، وتخصيص المغارب للدلالة على وجود مؤثر ، لا يزول تأثيره ، والقسم بها من الدلالة على عظيم القدرة ، وكمال الحكمة وفرط الرحمة .

بعد النظر في الأقوال السابقة لاحظت أن في أقوال بعض الباحثين أنهم أشاروا إلى ناحية علمية جديرة بالاهتمام وهي قوة الجاذبية (وغيرها) ^(١) التي تحكم النجوم والكواكب فتجعلها تسبح باستمرار في فلكها بدقة ونظام محكم فتؤدي دورها وتتم الفائدة منها وينتفع الخلق بها ، ولا تستحق أن تعبد من دون الله تعالى ، وأن النافع الضار هو الله وحده سبحانه وتعالى .

وهذا دليل مشاهد على كمال قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه الخالق الصانع المبدع الحكيم الذي قدر مواقع النجوم والكواكب وجعلها تسير في الفضاء الواسع بلا خلل ولا اضطراب .

وهذا بنحو قول أغلب المفسرين .

(١) تربط هذا الكون ثلاثة قوى رئيسية هي : القوة النووية ، القوة الكهرومغناطيسية ، قوى الجاذبية .

د. علي موسى ، د. مخلص الرئيس ، علم الفلك ، مفاهيمه وأساسه (ص ٤٩) .

وجه المناسبة بين ذكر النجوم وبين المقسم عليه وهو القرآن الكريم

النجوم	القرآن الكريم
١ - علو مكان النجوم .	١ - القرآن الكريم حق وصدق وهو كلام
٢ - النجوم رجوماً للشياطين .. وحفاظاً على الوحي والدين والشرع .	الله تعالى عالي القدر والمكانة وهو الوحي المنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ ، وهو
٣ - النجوم مضيئة وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر .	النور المبين الذي تستنير به القلوب الطاهرة من الظلمات المعنوية .
٤ - في القسم بالنجوم دلالة على كمال قدرة الخالق وعظمته الشاهدة في سعة الكون ونظامه (دلالة الأثر على وجود المؤثر) . ^(١)	٢ - القرآن الكريم شفاء من الأدواء الحسية والقلبية .
	٣ - القرآن نجم يهوي على أصحاب الضلالة والغواية والبدع ، وكذلك في الرد على أصحاب الشبهات .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْيَلَّ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل : ١٢] .

(١) ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله ، محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن ، ص ٢١٩ ، بتصرف .

وإليك الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ (النجم) و(النجوم) و(الكواكب) و(كوكبا):

ذكر لفظ (النجم) في الآيات المكية (٣) مرات .

م	السورة	الآية	رقمها
١	النحل	﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَا نَجْمِ هُمْ يَسْتَدُونَ﴾	١٦
٢	النجم	﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	٤
٣	الطارق	﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾	٣

وذكرت (النجوم) (٨) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٩٧
٢	الأعراف	﴿إِنَّكَ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ﴾	٥٤
٣	النحل	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	١٢
٤	الصفات	﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾	٨٨
٥	الطور	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَاحَهُ وَمَادَبَرَ النُّجُومِ﴾	٤٩
٦	الواقعة	﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ﴾	٧٥

م	السورة	الآية	رقمها
٧	المرسلات	﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾	٨
٨	التكوير	﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾	٢

وذكر لفظ (الكواكب) (٢) مرتين :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الصفات	﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾	٦
٢	الانفطار	﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴾	٢

وذكر لفظ (كوكبا) (٢) مرتين :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾	٧٦
٢	يوسف	﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ^(١)	٤

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٦٢٢-٦٨٩) .

الفصل الثاني

ما بين السماء والأرض

المبحث الأول : الرياح .

المبحث الثاني : السحاب ، وماء المطر .

المبحث الثالث : البرق ، والرعد ، والصواعق ، والبرد .

المبحث الأول : الرياح

فوائد الرياح ومنافعها :

الله سبحانه وتعالى الذي سخر الرياح بين السماء والأرض ، فهي تحمل السحاب وتسوقه وهي سبب في التآليف بينه ومن ثم تبسطه في السماء . قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الروم : ٤٨] .
ولقد ذكرت الرياح في عشرة مواضع من كتاب الله تعالى ^(١) .

والرياح (من الظواهر الطبيعية التي تعبر عن نفسها تعبيرا واضحا في البيئة الصحراوية والجبلية ، وترتبط بحياة أهلها ارتباطا وثيقا بما تحمل من خير أو خطر .. ومن هنا كان اهتمام العرب بها : عرفوا مهابها وأوقاتها ، ودرجات مرورها ، وآثارها ، فأطلقوا عليها الألفاظ التي تعبر عن مظاهر هذا الاختلاف ، وكان هذا موضع اهتمام العلماء الذين قاموا بجمع اللغة وتدوينها .. والرياح جمع كثرة لـ(رياح) .

والريح : نسيم الهواء ، وحركته من أية جهة كانت الحركة ، وعلى أية درجة كان المرور . وسميت الريح ريحا ، لأن الغالب عليها في هبوبها المجيء بالروح والراحة وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم والأذى ، ويسبب الاكتئاب والضيق ، وهي مأخوذة من الروح ^(٢) .
(والياء التي في (الريح) منقلبة عن (واو)، والأصل: روح، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها) ^(٣) .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٢٦) .

(٢) د. حسين محمد شرف ، مقدمة تحقيق رسالة (الريح) لابن خالويه (ص ١٧-٢٢) .

(٣) ابن خالويه ، الحسين بن أحمد ، الريح (ص ٥١) .

(والرَّوْحُ والرُّوْحُ في الأصل واحد . وجعل الروح اسما للنفس ... والريح معروف وهي فيما قيل الهواء المتحرك) ^(١) .

ولفظ المفرد في (الريح) يأتي للخير والشر . كما ورد النهي عن سب الريح وسؤال الله تعالى من خيرها والاستعاذة من شرها ، عبودية لله تعالى وتعرضا لفضله وإحسانه ، ووجه النهي في سب الريح لأن الله تعالى خالقها وأمرها .

عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا الريح فإنها من روح الله تبارك وتعالى وسلوا الله خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وتعوذوا بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » ^(٢) ، وبنحو لفظه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ^(٣) .

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلِكَتْ عَادُ بِالْدَّبُورِ » ^(٤) قال ابن حجر : قوله (بِالصَّبَا) بفتح المهملة بعدها موحدة مقصورة يقال لها (القبول) بفتح القاف لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس ، وضدها الدبور وهي التي أهلكت بها قوم عاد ، ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول وكون الدبور أهلك أهل الأدبار ، وأن الدبور أشد من الصبا لما سنذكره في قصة عاد أنها لم يخرج منها إلا قدر يسير ومع ذلك استأصلتهم ، قال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقٍ ﴾ [الحاقة : ٨] .

ولما علم الله تعالى رافة نبيه ﷺ بقومه رجاء أن يسلموا سلط عليهم الصبا فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين لما أصابهم بسببها من الشدة ، ومع ذلك فلم تهلك منهم أحدا

(١) الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن (ص ٢٠٥-٢٠٦) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٢٣/٥) .

(٣) جامع الترمذي ، أبواب الطب ، (٥٦) باب ، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح . انظر تحفة الأحوذى (٥٢٧/٦) رقم الحديث (٢٣٥٣) .

(٤) صحيح البخاري (١٥) كتاب الاستسقاء (٢٦) باب قول النبي ﷺ (نُصِرْتُ بِالصَّبَا) (٢٢/١) .

ولم تستأصلهم ، ومن الرياح أيضا الجنوب والشمال ، فهذه الأربع تهب من الجهات الأربعة وأي ريح هبت من بين جهتين منها يقال لها النكباء بفتح وسكون الكاف بعدها موحدة ومد ، ... ^(١) .

والعلة في النهي عن سب الرياح لأنها (تهب عن إيجاد الله تعالى وخلقه لها وأمره ، لأنه هو الذي أوجدها وأمرها ، فمسببتها مسببة للفاعل ، وهو الله تعالى . والعلة في التعوذ من شرها "عبودية الله وطاعة له ولرسوله ، واستدفاع للشرور به سبحانه وتعالى، وتعرض لفضله ونعمته وهذه حال أهل التوحيد والإيمان" ^(٢) .

ولفظ الجمع (الرياح) يطلق في الغالب للخير والرحمة . قال الراغب الأصفهاني : (وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الرياح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة ، فمن الرياح ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدْرِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت : ١٦] ، وقال في الجمع : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَادِرِينَ ﴾ [الحجر : ٢٢] ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَجَعَلَهُ كِسْفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الروم : ٤٨] . ولقد سخر الله سبحانه وتعالى الرياح لنبيه سليمان عليه السلام .

(١) ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢ / ٥٢) ، رقم الحديث (١٠٣٥) ، وشرح الحديث برقم (٣٢٠٥-٣٢٠٦) في (٦ / ٣٠٠) .

(٢) عبد الرحمن بن حسن ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٤٧٨-٤٧٩) .

(٣) الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن (ص ٢٠٥-٢٠٦) .

قال الله تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُفَاةٌ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص : ٣٦] . (والمعنى أنها ريح لينة لا تزعزع ولا تعصف مع قوة هبوبها وسرعة جريها .. (حيث أصاب) حيث أراد) ^(١) .

كما تحدث الجاحظ في كتابه (الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير) عن الهواء والريح أنها وسيلة لنقل الأصوات والروائح ونقل السحاب كما تقوم بدور تلقيح الأشجار وتسيير السفن وتبريد الماء ، وتساعد على وقود النار وتجفف الأشياء الندية وتروح عن الأجسام وهي سبب لحياة الكائنات وصلاح الخلق ^(٢) .

كما ألف ابن خالويه ^(٣) رسالة في (الريح) ذكر فيها أصل الاشتقاق ، والتذكير والتأنيث ، وصفات الريح وأسماءها وخصائصها وغير ذلك .

وتحدث أيضا أبو حامد الغزالي في كتابه : (الحكمة في مخلوقات الله) عن فوائد الهواء ، فذكر أن الهواء يعدل حرارة الحيوان باستنشاقه ، وبدوره ينقل السحاب إلى مكان الزراعة . وقال بأن حركة الهواء ولطافته التي تدخل أجزاء العالم هي التي تجدد الهواء فتزول الروائح الكريهة وعفن المساكن ، وبها أيضا تنساق سحب الأمطار ويقذف البحر بالعنبر وغيره ^(٤) .

وألّف زكريا بن محمد القزويني كتابه (عجائب المخلوقات) ذكر فيه الرياح وأنواعها وفوائدها وأفاد بأن حركة الرياح تحدث بتأثير حرارة الشمس وغيرها . ومن فوائدّها أنها ترطب الزرع

(١) الشوكاني : محمد بن علي ، فتح القدير (٤/ ٤٣٣) .

(٢) الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر (ص ٦٥) .

(٣) الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م) ، أبو عبد الله ، لغوي ، من كبار النحاة ، توفي في حلب . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٢/ ٢٣١) .

(٤) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد (ص ٤٨) .

وتغير من طبائع الحيوان ، ومنها ما يصحح القوى ويصفي البشرة ، ويذكي الحواس ^(١) .

(والرياح من أهم الظواهر الجوية وقد كانت موضع ملاحظة قدماء علماء اليونان وذلك قبل ٦٠٠ عام قبل الميلاد) ^(٢) .

ولقد صنف العلماء أنواع الرياح حسب اختلاف سرعتها (فتبدأ بحالة الهواء الساكن (درجة الصفر) وتنتهي بحالة الإعصار (الدرجة ١٢) وسرعتها أكثر من (٧٥) ميلاً في الساعة تحدث تحريبا عاما) ^(٣) .

والله ﷻ الذي سخر (الهواء) الذي يحيط بالكرة الأرضية منذ تكوينها . وجعل من فوائده أنه يحميها من الإشعاعات فوق البنفسجية الضارة بالكائن الحي . وحيث يتكون الهواء من مزيج من الغازات ، وهو غاز لا طعم له ولا لون ولا رائحة وفيه غازات متبدلة ومواد صلبة أخرى مثل : الغبار والدخان والرماد والأملاح . وتركيب الهواء على النحو التالي ^(٤) :

م	الغاز	الحجم	الوزن
١	الأزوت	%٧٨.٠٩	%٧٥.٥٤
٢	الأكسجين	%٢٠.٩٥	%٢٣.١٤
٣	غازات خاملة	%٠.٩٥	%١.٢٧
٤	ثاني أكسيد الفحم	%٠.٠٣	%٠.٠٥

(١) القزويني : زكريا بن محمد ، عجائب المخلوقات (ص ٢٦) .

(٢) إصدار هيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، إعجاز القرآن في وصف أنواع الرياح ، والسحاب ، والمطر (ص ٥٧) .

(٣) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ٢٠٤-٢٠٥) .

(٤) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية (ص ١٧٦-١٧٩) بتصرف .

ويلاحظ في هذه النسب دقة التركيب في تكوين الهواء . وصدق الله تعالى القائل : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد : ٨] ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۖ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة :

[٣٩-٣٨]

ومن وظائف الغلاف الجوي الهوائي أنه يحفظ الكرة الأرضية من الشهب ، وهو موصل للضوء من السماء ، وبواسطته ترى زرقة السماء . كما يتأثر بحرارة الشمس يقول د. منصور حسب النبي : (إن سمك الغلاف الجوي مضبوط بدرجة تسمح باحترق معظم الشهب قبل وصولها للأرض عند احتكاكها بالهواء عقب دخولها للجو الأرضي الذي لا يخترقه سوى النيازك الكبيرة النادرة .. والهواء الجوي مائع^(١) يتأثر فوراً بالحرارة والضغط مما يؤدي إلى سهولة تحركه ، وحدوث ما ينتج عن هذه الحركة من رياح وعواصف وأعاصير تثير أمواج البحر وتحمل أبخرته التي تتكاثف إلى سحب وأمطار ، كما أن وجود بخار الماء في الجو بفعل حرارة الشمس يعتبر من العوامل الهامة في تكوين السحب والأمطار وإحداث عملية التوازن الحراري على سطح الأرض . والهواء شفاف يسمح بوصول الضوء من السماء ويقوم أيضاً بتشتيت هذا الضوء فيحدث النهار وتحدث زرقة السماء والشفق وغير ذلك من ظواهر ضوئية^(٢) .

(١) لعل المعنى أن في الهواء سهولة وليونة أشبه ما يكون بذررات بخار الماء .

(٢) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي (ص ١٨٢-١٨٣) .

وسأعرض أقوال المفسرين في بيان معنى قوله تعالى ﴿ وَصَرِيفَ الرِّيحِ ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ وَخِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَصَرِيفِ الرِّيحِ ءَايَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الحاثية : ٥] .

أغلب المفسرين ذكروا في أقوالهم فوائد الرياح واتجاهاتها وأحوالها المختلفة من باردة وحارة بسبب حرارة الشمس وغير ذلك .

(١) قول القاسمي :

في تفسير قوله تعالى ﴿ وَصَرِيفَ الرِّيحِ ﴾ تقلبها في مهاها قبولا^(١) ودبورا^(٢) وجنوبا وشمالا ، وفي أحوالها حارة وباردة ، وعاصفة ولينة ، فتارة مبشرة بين يدي السحاب ، وطورا تسوقه وآونة تحمله ووقتا تفرقه ، وحينما تصرفه كما نقل عن الثعالبي^(٣) أسماء الرياح وصفاتها^(٤) .

(٢) قول المراغي :

أشار إلى منافع الرياح واختلاف جهات مهاها وقد سخرها الله تعالى بنظام محكم قوله تعالى

(١) القبول من أسماء الرياح . وهي تهب مستقبل القبلة . وقبولا تصريف . قبلت الريح تقبل بفتح عين الماضي وضم عين المضارع قبولا - بضم القاف . ابن خالويه ، الريح (هامش ص ٦٦) ، وفي مختار الصحاح للرازي : القبول : الصبا وهي ريح تقابل الدبور (ص ٣٨٢) .

(٢) الدبور من أسماء الرياح ، وتأتي للعذاب . وقيل هي التي تأتي من خلفك . ابن خالويه ، الريح (ص ٥٨-٦٦) ، وقال اليعقوبي في مشارق الأنوار : الدبور بفتح الدال وهي ريح غربية (ص ٢٥٣) .

(٣) أبو زيد الثعالبي (٧٨٦-٨٧٥هـ / ١٣٨٤-١٤٧٠م) ، عبد الرحمن بن محمد مخلوف الثعالبي ، أبوزيد، المفسر ، من أعيان الجزائر ، من كتبه (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٣/ ٣٣١) .

(٤) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (١/ ٤٢٢) .

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] . أي توجيه الرياح وتصريفها بحسب الإرادة ووفق النظام

على السنن الحكيمة ، فمنها الملقحة للنبات ^(١) . كما أشار إلى لفظة علمية بما يقصد من الآيات الكونية وما يتبين فيها من دلائل عظمة الخالق ووحدانيته ، كما تستغل المنافع المستخراة في نظام الكون للإنسانية . قوله تعالى : ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

[الجنائية : ٥] ، وتصريف الرياح لمنافعكم شمالية مرة وجنوبية وصبا ^(٢) ودبوراً ^(٣) أخرى .. لأدلة وحججاً لله تعالى على خلقه الذين يعقلون عنه حججه ويفهمون ما وعظهم به من الآيات والعبر .

وقصارى ما سلف أنكم إذا تأملتم الحكم المنبثة في السموات والأرض آمتتم بوحدانية خالقها وقدرته ، فإذا ازددتم علماً ، ازداد تثبتكم وفهمكم ، فصرتم موقنين بها لأن الإيقان يكون بتوافر الأدلة وتكاثرها ، ومتى أيقنتم بجمال هذا الكون وحسن نظامه أصبحتم من ذوي العقول الناضجة ، والأفكار النافذة في أسرار هذا الكون وبديع صنعه ، فتستطيعون أن تنتفعوا بها فيه وتسخره لمنافعكم في هذه الحياة المليئة بالمطالب .

وإجمال ذلك إن أول المراتب الإيذان بالله تعالى ، فإذا ازداد المرء علماً وحكمة وبحثاً في دقائق الأشياء وعظائمها أصبح موقناً به ، وكلما ازداد بحثاً ازداد عقله دراية وفهما لأسرار هذا الكون ، فسخره لمنافعه ، واستفاد من نظمه التي وجد عليها وعرف أنه لم يخلق عبثاً ،

(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٣٧/٢) .

(٢) الصبا من أسماء الرياح . والصبا لإلقاح الأشجار ، وهي الرياح المعروفة ، تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ، وإذا هبت من تلقاء الفجر ، فهي الصبا تقابل القبلة . ابن خالويه ، الرياح (ص ٥٧-٦٦) .

(٣) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (١٤١-١٤٢ / ٢٥) ، (٣٧/٢) .

بل خلق للانتفاع بما في ظاهره وباطنه ، علويه وسفليه ، أرضه وسماؤه ، نوره وظلامه ، فكأنه يقول : إنا أمرناكم بالنظر في العالم لتؤمنوا ، فإذا ازددتم علما أيقنتم بي ، وذلك كله مما يربي عقولكم ، ويكملها إلى أقصى حدود طاقتها البشرية^(١) . قلت قول حسن وجميل .

(٣) قول محمد رشيد رضا :

نقلت قوله عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] حيث ذكر أن تحرك الرياح وفق إرادة الله تعالى المدبر

لنظامها بالحكمة التي تتعلق بمنافع البلاد والعباد حيث يقول : (الرياح هي التي تثير السحاب وتسوقه في الجو .. وتصريفها تدبيرها وتوجيهها على حسب الإرادة ووفق الحكمة والنظام ، فهي تهب في الأغلب من إحدى الجهات الأربع)^(٢) .

ثم استطرد بالتفسير والبيان العلمي في موضع آخر تحت عنوان (نعم الله على الخلق بالهواء والرياح) .
(والهواء) هو جسم لطيف مما عبر عنه علماء الكيمياء بالغاز لا لون له ولا رائحة ، مركب تركيباً مزجياً من عنصرين غازيين أصليين (يسمون أحدهما (الأكسجين) وخاصيته توليد الاحتراق والاشتعال وإحداث الصدأ في المعادن وهو سبب حياة الأحياء كلها من نبات وحيوان ، وثانياً (الأزون أو النيتروجين) .. والهواء محيط بالأرض إلى مسافة (٣٠٠) كيلو متر بالتقريب .. كما أشار إلى لطف الله تعالى وتدبيره للهواء وأسباب اختلاف الحرارة في مناطق الأرض وقوة الرياح وفوائدها : (ومن حكم ولطف تدبيره في الهواء واختلاف بقاع الأرض في الحر والبرد وما يحدثه هذا الاختلاف من الرياح .. ومالها من المنافع للأحياء ، ولاسيما الناس .. ومن المعلوم أن حرارة الأرض تكون على أشدها

(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢٥ / ١٤١ - ١٤٢) .

(٢) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٢ / ٦٣ - ٦٤) .

في خط الاستواء وهو خط وسط عرض الأرض . وما يقرب منه حيث تكون أشعة الشمس عمودية فيكون تأثير حرارتها في الأرض على أشده .. كما أن لقوة الرياح في البحار والأقطار أوقاتا تختلف باختلاف مواقعها من الأرض كالرياح الموسمية التي تشتد في فصل الصيف في المحيط الهندي .. والأسباب معروفة للبشر في الجملة تبعا لعلمهم بسنن الله في الحرارة والبرودة وبهيئة الأرض وحركتها وفصولها .. ومن أعظم فوائد الرياح نقلها لمادة اللقاح من ذكور النبات إلى إناثه^(١) .

(٤) قول طنطاوي جوهرى :

تعرض لذكر الرياح عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَتَذَكَّرُ فِيهَا مَنَاسِكُ اللَّهِ يُعَلِّمُهُمَّ وَأَن رَّيَاهُمْ يُذَكِّرُ﴾

[الأعراف : ٥٧] وعند قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ

وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر : ٢٢] حيث ذكر سبب إثارة الرياح وفائدتها : وأن الرياح

تهب تبعا لحركات الشمس وسير الرياح لتفرق المطر على اليابسة .. (ألم تروا إلى الرياح كيف جرت الحكمة دبرناها وآية بينها؟ فهي تحمل السحاب وتلقح الأشجار وما الرياح إلا الهواء أثارته الحرارة الشمسية ... أفلمست ترى أن سرعة الرياح لو كانت أشبه بالعواصف في البلاد الحارة لم يستقر الحيوان والإنسان^(٢) ، ولساءت الحالة ولم يتم العمران ، أولست ترى إن بقى الهواء ساكنا لم يتم لقح النبات ولم ينتظم ولم تجر السفن ولم يسعد الناس)^(٣) .

كما ذكر الجوهرى أن من علم بعضا من فوائد الرياح كان حريا به أن يشكر الله تعالى ويحبه ويخلص له في العبادة : (فإنه لم يترك الرياح وسحبها بلا نظام متقن فمثل هذا يحدث

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٨ / ٤٨٢ - ٤٨٨) .

(٢) كان من الأولى تقديم ذكر الإنسان على الحيوان .

(٣) طنطاوي جوهرى ، الجواهر في تفسير القرآن (٨ / ٣١ - ٣٩ ، ٣٢) .

في القلب حبا للخالق وإخلاصا لعبادته^(١) ، كما أشار إلى الناحية العلمية في قوله عن الرياح (تحمل الماء واللقاح والأصوات لتصل إلى الأرض والأزهار والأذان)^(٢) .

(٥) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

عند تفسير قوله تعالى ﴿وَصَرِيفَ الرِّيحِ ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أشار في قوله أن الملاحظ

للتواهر الجوية وحوادثها ومنها الرياح من صنع الله تعالى في الكون وهي دليل على قدرة الله تعالى ووحدانيته والتي هي مرتكزة في النفس الإنسانية (الذين يعقلون دلالة الآثار على المؤثر ونظروا النظر الصحيح في شواهد السموات والأرض فعلموا أن لا بد لها من صانع وأنه واحد فأيقن بذلك العاقل منهم الذي كان مترددا وازداد إيمانا من كان مؤمنا فصار موقنا .. وقَدِمَ المتصفون بالإيمان لشرفه ، ولأن دلالة الخلق كائنة في نفس الإنسان وما يحيط به من الدواب ، وجعل اختلاف الليل واختلاف حوادث الجو آية للذين اتصفوا بالعقل لأن دلالتها على الوحدانية بواسطة لوازم مترتبة بإدراك العقل)^(٣) .

وتظهر الناحية العلمية في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿وَصَرِيفَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ

بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] حيث وضح في قوله ما تشير إليه الآية الكريمة من

دلائل القدرة في دورة الرياح وماها من أوجه فوائد ومنافع للكائنات الحية .

كما ذكر أن العامل الرئيسي في حرارة الهواء هي الشمس والتي بدورها يكون بخار الماء المتكون من مياه البحار والمحيطات وغيرها ثم تحمله الرياح وتسوقه

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن (٤/ ١٨٢) بتصرف .

(٢) المرجع السابق (٨/ ٣٩) بتصرف .

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير (٢٥/ ٣٢٦-٣٢٨) .

إلى حيث يشاء الله تعالى ثم ينزل على شكل قطرات مائية تقوم بها حياة الإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك ﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ﴾ من آيات وجود الخالق وعظيم قدرته لأن هبوب الريح وركودها آية ، واختلاف مهابها آية ، فلولا الصانع الحكيم الذي أودع أسرار الكائنات لما هبت الريح أو لما ركدت ، ولما اختلفت مهابها بل دامت من جهة واحدة وهذا موضع العبرة ، وفي تصريف الرياح أيضا موضع نعمة وهو أن هبوبها قد يحتاج إليه أهل موضع للتنفيس من الحرارة أو لجلب الأسحبة أو لطرد حشرات كالجراد ونحوه، أو لجلب منافع مثل الطير .. ومن فوائد هاته الرياح الإعانة على تكوين السحاب ونقله من موضع إلى موضع وتنقية الكرة الهوائية مما يحل بها من الجراثيم المضرة ، وهذان الأمران موضع عبرة ونعمة لأهل العلم^(١) .

كما أشار ابن عاشور إلى (تركيب الهواء المحيط بالكرة الأرضية) ودور الشمس في حرارته وبرودته ودور ذلك في اتجاهات الرياح وأنواعها ، ونسيم الهواء منها يعطي النفس بهجة وسرورا لها . قوله (وقد يحتاج أهل مكان إلى اختلاف مهابها لتجئ ريح باردة بعد ريح حارة أو ريح رطبة بعد ريح يابسة ، أو لتهب إلى جهة الساحل فيرجع أهل السفن من الأسفار أو من الصيد فكل هذا موضع نعمة وهذا هو المشاهد للناس كلهم ولأهل العلم في ذلك أيضا موضع عبرة أعجب وموضع نعمة ، وذلك أن سبب تصريف الرياح أن الله تعالى أحاط الكرة الأرضية بهواء خلقه معها ، به يتنفس الحيوان^(٢) وهو محيط بجميع الكرة بحرها وبرها متصل بسطحها ويشغل من فوق سطحها ارتفاعا لا يعيش الحيوان لو صعد إلى أعلاه وقد خلقه الله تعالى مؤلفا من غازين هما (النيتروجين والأكسجين) وفيه جزء آخر عارض فيه وهو جانب من البخار المائي المتصاعد له من تبخر البخار ورطوبة الأرض

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢/ ٨٥-٨٦) .

(٢) الأولى ذكر الإنسان ثم الحيوان .

بأشعة الشمس وهذا البخار هو غاز دقيق لا يشاهد ، وهذا الهواء قابل للحرارة والبرودة بسبب مجاورة حار أو بارد وحرارته تأتي من أشعة الشمس ومن صعود حرارة الأرض حين تسخنها الشمس وبرودته تجيء من قلة حرارة الشمس ... ولما كانت الحرارة من طبعها أن تمد أجزاء الأشياء فتتلطف بذلك التمدد كما تقرر في الكيمياء والبرودة بالعكس ، فإذا كان هواء في جهة حارة كالصحراء وهواء في جهة باردة كالمجمد وقع اختلاف بين الهواءين في الكثافة فصعد الخفيف وهو الحار إلى الأعلى وانحدر الكثيف إلى أسفل ، وبصعود الخفيف يترك فراغا يخلفه فيه الكثيف طالبا للموازنة فتحدث حركة تسمى ريحا ، فإذا كانت خفيفة لقرب التفاوت بين الهواءين سميت الحركة ، وإذا اشتدت الحركة وأسرعت فهي الزوبعة^(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن محمد الطاهر ابن عاشور ألمح إلى وجه الإعجاز اللفظي والعلمي فيما يحتمله نص الآية في القرآن الكريم .

فقوله يشمل ما ثبت علميا في الرياح وأنواعها ومنافعها وكل ما يتعلق بها يندرج في النص الحكيم وهو قوله تعالى ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ .

(وقد اختير التعبير بلفظ (التصريف) هنا نحو لفظ التبديل أو الاختلاط لأنه اللفظ الذي يصلح معناه لحكاية ما في الأمر من حال الرياح لأن تفعيل من الصرف للمبالغة وقد علمت منشأ الريح هو صرف بعض الهواء إلى مكان وصرف غيره إلى مكانه الذي كان فيه ... ولأن التصريف اقتضى التعدد لأنها تغير مهبها فقد صارت ريحا غير التي سبقت)^(٢) .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢ / ٨٥) .

(٢) المرجع السابق (٢ / ٨٦) .

(٦) قول الدكتور محمد حجازي :

أشار إلى اتجاهات الرياح وأحوالها المختلفة من حارة إلى باردة . (تقلبها من حارة إلى باردة ، ومن شمالية إلى جنوبية ، تأتي بالحرارة ، وتارة بالبرودة ومرة شمالية وأخرى جنوبية أو غربية ، فمن الذي صرف هذا كله؟ ومن الذي سخر هذا كله وكيف؟ لاشك أن النظر إلى هذا والوقوف على سره العجيب لا يتأتى إلا لمن له قلب يعقل وعين تبصر) ^(١) .

(٧) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

ذكر في تفسيره (تقلب الرياح وتغيرها من جهة إلى أخرى ، ومن حال إلى حال ، مرة من الجنوب ومرة من الشمال ، كل ذلك أيضا لأدلة عظيمة وحجج باهرة دالة على وجود الله تعالى ووحدانيته .. وهكذا يترقى المتأملون في تلك الآيات من إثبات الإيمان في قلوبهم إلى اليقين ، إلى كمال العقل والنظر ، وهو الترقى من حال إلى ما هو أعلى منها ، وهذه سمة المؤمنين أسمى الغايات وأمثل الحالات) ^(٢) .

والذي يلاحظ قول الدكتور وهبة يرى أنه أشار إلى ما ينبغي للمؤمنين من استغلال طاقاتهم الفكرية في التأمل والنظر في جمال الكون ودقة نظامه والانتفاع بما سخره الله تعالى من الظواهر الجوية في الكون لبني آدم ، ودعوة لغيرهم بالدخول في الإيمان .

(١) قول الدكتور محمد جمال الفندي :

ذكر بعض الأسباب المباشرة في تحرك الرياح والعوامل المؤثرة فيها ، منها اختلاف الضغط الجوي ودوران الكرة الأرضية حول نفسها وهبوب الرياح الباردة القادمة من القطبين ، فقلوله عن (الرياح هي الهواء المتحرك والذي يدفع الهواء للحركة بتأثير

(١) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢٥/ ٤٢٣-٤٢٤) .

(٢) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٥/ ٢٥١-٢٥٤) .

فروق الضغط الجوي ، لأن الهواء يندفع بصفة عامة من مناطق الضغط العالي متجها نحو مناطق الضغط المنخفض ، ولكن دوران الأرض حول محورها ومن ثم دوران الغلاف الجوي معها بنفس الطريقة ، يجعل الرياح أيضا تلف وتدور أثناء تحركها . فبسبب هبوب الرياح هو الدفع تحت تأثير فروق الضغط الجوي وتنشأ هذه الفروق بسبب اختلاف أشعة الشمس على سطح الكرة الأرضية ومن ثم اختلاف معدلات التسخين ... ومن البدهي أن توجد درجات الحرارة العظمى في المناطق الاستوائية عموما ، كما توجد درجات الحرارة المنخفضة في المناطق الباردة وخاصة داخل القارات في الشتاء وحول القطبين^(١) .

(٢) قول الدكتور منصور حسب النبي :

ذكر بأنّ الرياح من مظاهر قدرة الله تعالى ، كما أشار إلى أنواع الرياح واختلاف سرعتها : (شدة الرياح يحدد نوعها حسب سرعتها ، فقد تكون الرياح نسيما أو رياحا خفيفة معتدلة أو نشطة أو شديدة أو رياحا تصل إلى مستوى العاصفة أو الزوبعة أو الإعصار .

ومن المعروف علميا أن السحاب يتكون من بخار الماء الموجود في الهواء والناجم من تسخين الشمس لمياه المحيطات والبحار والأنهار .. وسوف يظل إرسال الرياح وتوجيه السحاب مظهرين عظيمين من مظاهر القدرة الإلهية يتحديان الإنسان مهما أوتي من العلم وصدق الله تعالى بقوله :

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

[البقرة : ١٦٤]^(٢)

(١) محمد جمال الدين الفندي ، الله والكون (ص ١٢٩-١٣١) .

(٢) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي (ص ١٧٨-١٨٨) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ [البقرة : ١٦٤]

إن القدر المشترك في أغلب أقوال المفسرين يتمثل في ذكرهم فوائد الرياح ، واختلاف اتجاهاتها بسبب حرارة الشمس وغير ذلك ، وتغير أحوال الرياح دليل على قدرة الله تعالى الخالق المدبر لشئون خلقه سبحانه وتعالى ، وفي قول المراغي والقاسمي اتفاق في ذكر أسماء الرياح وجهات مهامها ، وذكر المراغي ومحمد رشيد رضا أن تصريف الرياح وفق النظام والسنن الكونية ويتضح الجانب العلمي في قول محمد الطاهر ابن عاشور ومحمد رشيد رضا بأن الهواء مركب غازي لا لون له ولا رائحة ، ومن عناصره أنه مركب من الأكسجين والأزوت . وذكر محمد رشيد رضا أن سبب مهام اتجاهات الرياح يعود لحرارة الشمس على بقاع الكرة الأرضية ، وذكر محمد الطاهر ابن عاشور من فوائد الرياح أنها تنقي الهواء المحيط بالكرة الأرضية ، كما أن اختلاف اتجاه الرياح وحوادث الجو دليل على أن للكون إلهام مدبراً ، وهي دلالة الوحداية المركزة في النفس الإنسانية والمترتبة بإدراك العقل . كما وضح بأن لفظ التصريف في النص القرآني ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ يحمل أوجه التفسير المتضمن لأحوال الرياح وتغير مهامها ومنافعها الكثيرة والتي هي موضع عبرة ونعمة لأهل العلم كما ألمح إلى وجه الإعجاز اللفظي والعلمي فيما يتحمله نص الآية في القرآن الكريم .

كما ذكر طنطاوي جوهرى أن من فوائد الرياح أنها وسيلة لنقل الأصوات وقال : (من علم بعضاً من فوائد الرياح كان الأحرى به أن يشكر الله تعالى المنعم ، وهذا الشكر يدل على حب الخالق والإخلاص له في العبادة) .

وقول الدكتور محمد حجازي والدكتور وهبة الزحيلي بنحو قول سابقه بذكر فوائد الرياح واختلاف أحوالها ، إلا أن الزحيلي أشار إلى مقصد مهم وهو أنه يجب على أفراد الأمة الإسلامية أن يسخروا طاقاتهم الفكرية في التأمل في نظام الكون وجماله واستغلال أوسع لنواميس الكون المسخرة للإنسان البشري لكي يؤدي دور الخلافة على أكمل صورها ،

وهذه سمة المؤمنين . وهو قول المراغي ^(١) .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول : أن الهواء من آيات الله تعالى في الكون وهو يحيط بالكرة الأرضية ، ويتنفس منه الإنسان وغيره وحياته متوقفة عليه ، يحس بأثره ولا يمكن رؤيته وله منافع كثيرة ، وحرارة الشمس والضغط الجوي ودوران الأرض حول نفسها من الأسباب المباشرة في تغير حركة الرياح واتجاهاتها المختلفة ، وهذا دليل على دقة النظام الذي يحكم حركة الرياح التي تحمل السحاب وتثيره ، والهواء قد استغله الإنسان ، واستخدمه لمنافع وفوائد كثيرة ، كما شارك الإنسان الطير في طيرانه ، ... إنها قدرة الله تعالى القائل ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل : ٨٨] ، ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ

فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَتُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ اللَّهُ شُورُ﴾ [فاطر : ٩] .

والأقوال العلمية التي ذكرت في تفسير الآية الكريمة ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ أشار إليها كل مفسر بسهمه وأدلى بدلوه وهذا وجه من المعاني الذي يحتملها النص القرآني وهو مظهر من أوجه التفسير العلمي في القرآن الكريم .
وإليك الآيات الكريمة التي ذكرت فيها الرياح .

ذكر لفظ (رياح) في الآيات المكية (١٢) مرة .

م	السورة	الآية	رقمها
١	يونس	﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْأَلْبَاءِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	٢٢
٢		رِيحٌ طَوَّيَتْهُ وَقَرَّحُوا بِهَا جَهَنَّمَ رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ أُنْجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	

(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢ / ١٤١ - ١٤٢) .

م	السورة	الآية	رقمها
٣	يوسف	﴿ وَلَمَّا فَصَلَ الْيَعْقُوبَ قَالَ أَبُوهُمَ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۚ لَوْلَا أَن تُقِنْدُونِ ۚ ﴾	٩٤
٤	إبراهيم	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاقُ الْبَعِيدُ ۚ ﴾	١٨
٥	الإسراء	﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يُجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ نَبِيعًا ۚ ﴾	٦٩
٦	الأنبياء	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۚ ﴾	٨١
٧	سبأ	﴿ وَلِسَلَامُنَ الرِّيحِ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۚ وَمِنَ الْجِبِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَرْجُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُنْزِلُ لَهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ۚ ﴾	١٢
٨	ص	﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۚ ﴾	٣٦
٩	الشورى	﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۚ ﴾	٣٣
١٠	الأحقاف	﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ ﴾	٢٤
١١	الذاريات	﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۚ ﴾	٤١
١٢	الحاقة	﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۚ ﴾	٦

وذكر لفظ (ريحا) (٣) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الروم	﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾	٥١
٢	فصلت	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾	١٦
٣	القمر	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾	١٩

وذكر لفظ (الرياح) (٩) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأعراف	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَنِّ مَيْمَنٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	٥٧
٢	الحجر	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾	٢٢
٣	الكهف	﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا﴾	٤٥

م	السورة	الآية	رقمها
٤	الفرقان	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا تَبْتَكَ يَدَي رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾	٤٨
٥	النمل	﴿ أَمْ نَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْوَىٰ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا تَبْتَكَ يَدَي رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٦٣
٦	الروم	﴿ وَمَنْ أَيْنَهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْأَنْفُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	٤٦
٧	الروم	﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴾	٤٨
٨	فاطر	﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَتْهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾	٩
٩	الجاثية	﴿ وَتُخَلِّفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفُ الرِّيحِ ءَايَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(١)	٥

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٢٦) .

المبحث الثاني : السحاب وماء المطر

فوائد الماء ومنافعه :

ذكر لفظ (السحاب) في خمسة مواضع من كتاب الله تعالى ، ولفظ (سحابا) في أربعة مواضع ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَتْهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيَّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْفُشُورُ ﴾ [فاطر : ٩] .

إن الله سبحانه وتعالى هو الذي سخر السحاب بين السماء والأرض ، والسحاب أصله بخار الماء الناتج عن أشعة الشمس الساطعة على مسطحات مياه البحار والمحيطات والأنهار ورطوبة الأرض وغير ذلك . وهكذا فإن الرياح مسخرة لحمل السحاب ، فهي التي تؤلف بينه وتبسطه في السماء وتسوقه إلى حيث مناطق المطر بإذن الله تعالى القائل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الروم : ٤٨] . ودوران الكرة الأرضية حول نفسها واختلاف مناطق الضغط الجوي عامل رئيسي في تحريك الرياح واتجاهاتها المختلفة .

(وعندما يتكثف السحاب ينزل ماء المطر . وتتم عملية تكثيف بخار الماء في الطبقات الجوية العليا بسبب هبوب الرياح الباردة القادمة من القطبين الشمالي والجنوبي ، وكذلك المصطدمة بسفوح الجبال الجليدية) ^(٢) .

ويحصل انتقال الحرارة عبر خطوط العرض ، ودوران الأرض ،

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٤٦) .

(٢) محمد أحمد الغمراوي ، الإسلام في عصر العلم (ص ٣٩٤) ، حنفي أحمد ، التفسير العلمي للآيات الكونية (ص ٣٨٠) بتصرف .

بالإضافة إلى الاختلافات في سطح الأرض في الأماكن المختلفة ، يقدم الإشعاع الشمسي الطاقة لدورة الرياح ، إذ يسقط الإشعاع الشمسي بكمية أكثر وشكل مباشر على منطقة الاستواء منه على القطبين ... فيتزايد الإشعاع الشمسي قرب خط الاستواء ، ويتناقص قرب القطبين، وينتج عن ذلك عامة حركة صاعدة قرب خط الاستواء ، وحركة هابطة قرب القطبين ... وبسبب الفروق في الحرارة بين اليابس والمحيط ، تكون المحيطات مناطق للضغط المنخفض شتاءً، بينما يكون في الأرض مناطق للضغط الأقل في الصيف لأن الهواء الساخن أخف كتلة نسبياً بالمقارنة بالهواء البارد ، وبما أن الهواء الساخن يرتفع فإن ضغطاً أقل يوجد . وينجذب الهواء البارد إلى مناطق الهواء الساخن ، وتخلق هذه الفروق في الضغط القوة المحركة الرئيسية للرياح على الأرض إذ ينساب الهواء من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض .. فمثلاً يكون الهواء دافئاً ورطباً فوق المحيطات المدارية ، ويكون حاراً جافاً فوق الصحارى بارداً وجافاً فوق المناطق القطبية . وكنيجة لهذه التداخلات والاختلافات في اتجاهات الرياح والحرارة في الكتل الهوائية المختلفة ، تخلق الأعاصير ، وتتكون السحب .. فإذا كان هناك قدر كاف من الرطوبة وكانت درجات الحرارة في الهواء المحيط باردة بالقدر اللازم ، فقد تتكون سحب حملية .. (والعامل الأخير في تكون السحاب : هو تبريد الكتلة الهوائية الرطبة . فالهواء الرطب الذي يضم نوايا سحب (أو تكاثف) لابد من تبريده بدرجة كافية حتى تتحول حالة الرطوبة الكيميائية من بخار إلى سائل) ^(١) .

(١) إصدار هيئة الإعجاز العلمي ، إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح ، السحاب ، المطر

(ص ٤٠، ١٧، ١٦، ١٢) بتصرف .

وبحسب شدة البرودة وقوة الرياح واتجاهاتها تكون سرعة نزول قطرات ماء المطر^(١) الذي تقوم به حياة البلاد والعباد ، فيعم الخير والنفع للإنسان والحيوان والنبات وكل الكائنات الحية ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ، وفي حياة النبات وخروجه من باطن الأرض دليل شاهد على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء بعد الموت ، وهذا من أهم مقاصد القرآن الكريم في السور المكية ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَتْهُ لِبَنَادٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنْتُهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر : ٩] .

وسأعرض أقوال المفسرين في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَافِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴾ [النور : ٤٣] .

(١) قول القاسمي :

ذكر في تفسيره أن السحاب يتألف برفق ويضم بعضه إلى بعض حتى يصبح السحاب متراكما بعضه فوق بعض حتى يصبح أمثال الجبال ويخرج من فروجه قطرات الماء :

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ... ﴾ أي يسوقها برفق .. ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ﴾ بضم بعضه إلى بعض ، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا ﴾ أي متراكما بعضه فوق بعض ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ ﴾ أي المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ وهي فرجه ومخرج القطر منه^(٢) .

(١) قدرت بنحو ١٨ ميلا في الساعة ، د.حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

(٢) (٢٤١ / ٢) .

(٢) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٥ / ٣٢١) .

(٢) قول المراغي :

بين بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي سخر السحاب تحمله الرياح وتسوقه بقدرته سبحانه قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْزِلُ اللَّهُ يُنْزِلُ سَحَابًا﴾ انظر أيها الرسول الكريم إلى السحاب ، يسوقه الله تعالى بقدرته أول ما ينشئه ، ثم يجمع بين ما تفرق من أجزائه ، ثم يجعل بعضه متراكما فوق بعض ، فينزل المطر من فتوقه ^(١) .

(٣) قول محمد رشيد رضا :

ذكر تفسير الآية الكريمة عند قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف : ٥٧] .

في بيانه للآية الكريمة أشار إلى التذكرة بنعم الله تعالى التي تستوجب الحمد والشكر عليها ، وخاصة نزول ماء المطر لما فيه من الفوائد والمنافع للبشر وغيرهم . كما يعتبر ماء المطر من مصادر العيش والرزق وخاصة لأهل المزارع ، وفي نزول الغيث الذي يحيي النبات دليل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء بعد الموت :

(بعد أن بين الله تعالى جده أن رحمته العامة قريب من المحسنين في عبادتهم وفي سائر أعمالهم ، ذكرنا بما نغفل عنه كثيرا من التفكير والتأمل في أظهر أنواع هذه الرحمة وهو إرسال الرياح وما فيها من منافع الخلق ، وإنزال المطر الذي هو مصدر الرزق ، وسبب حياة كل حي في هذه الأرض ، وما فيه من الدلالة على قدرته تعالى على البعث ، وما يستحقه عليه من الحمد والشكر) .

(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (١٨ / ١١٧) .

والناحية العلمية تظهر في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ حَقَّ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا نَقَالًا ﴾ والسحاب الغيم .. والثقال منه المتشعبة ببخار الماء . والمعنى أن الرب المدبر لأموال الخلق وهو الذي يرسل الرياح بين يدي رحمته لعباده بالمطر ﴿ سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ أي سيرناه وسقناه بها إلى بلد ميت أي أرض لا نبات فيها وإنما حياة الأرض بالنبات الحي فيها) .

ثم استشهد بالآية الكريمة في سورة فاطر (٩) : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْنُّشُورُ ﴾ .. قوله ﴿ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ أي إلى أرض ليس فيها نبات ولا مرعى فنخرج ذلك بالمطر فترعاه أنعامهم ، فأطلق الموت على عدم النبات والمرعى وأطلق الحياة على وجودهما) .

كما ذكر أصل السحاب هو المتبخر من سطح البحر وغيره ، والذي سقط لثقله بعد تكثفه في الطبقات العليا الجوية :

قوله تعالى ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ أَمْئَاءً ﴾ أي فأنزلنا بالسحاب الماء .. ، أو بالرياح ، والمختار هنا كون الباء للسببية فإن الريح هي التي تثير السحاب من سطح البحر وغيره من المياه أو الأرض الرطبة وترفعه في الجو ، وهي سبب تحول البخار إلى ماء بتبريدها له ، فبذلك يصير البخار ماء أثقل من الهواء فيسقط من خلاله إلى الأرض بحسب سنة الله تعالى في جاذبية الثقل .. كما استشهد بآيتين كريمتين الأولى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ [الروم : ٤٨] ، والآية الثانية وهي موضوع البحث ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ [النور : ٤٣] . الودق المطر أي يخرج من خلال السحاب وأثنائه^(١) .

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٨ / ٤٦٧) .

(٤) قول طنطاوي جوهرى :

في تفسيره اللفظي يقول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَزِيغُ سُبُلَ اللَّهِ﴾ ألم تر أن الله يسوق سحباً ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يضم بعضه إلى بعض ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُمُ زَكَاةً﴾ متراكماً بعضه فوق بعض ﴿فَرَى الْوَدَّكَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ من فتوقه^(١).

ومن المعاني التي يتصورها عقله والخواطر التي انقدحت في نفسه وقد أطلق عليها جواهر قوله (الجوهرة الثانية) والتي أشار فيها إلى الجانب العلمي . كما ذكر أثر الأمطار في تخريب المنازل وتدمير الحقول ليتنبه الناس ، حيث يقول :

(اللهم إنك أنت ذو الجلال وذو الجمال ، خلقت الإنسان من الجمال على الجمال في الجمال فعالمنا كله جمال ولكننا غافلون ، فماذا يفعل الله معنا؟ هو بر رحيم فتح لنا أبواباً كثيرة ، وهدانا إلى كل سبيل عسى أن نرى ذلك الجمال . أذكر أنني بعدما كتبت هذا الموضوع خرجت للرياضة مساء على شاطئ النيل فلمحت الدراري الحسان لامعات في جو السماء ترقص وهي في جلايب لازوردية مشرقة اللون فماذا خطري؟ قلت في نفسي عجباً وألف عجب أنت يا الله حكيم ورحيم أحطتنا بكرة سمينها سماء وكلها مرصعة بالدراري وهي أئمن من الدر فلم ندرك الجمال وأغلبنا غافلون ، فأخذت تفتح لنا أبواب النظر ، ومنها أنك عمدت إلى بخار الماء في الجو فجمعت بالبرودة وصنعت منه حجارة لامعة سمينها برداً وأخذت تكسر بها الشبابيك والسقوف في المنازل وتقتل بها البهائم في مراعيها ، لماذا؟ لأنك لم تخلق هذا العالم إلا للبحث والعلم . هذا نتيجة هذه الدنيا وإذا خربت بيوت وماتت نفوس وهلكت حقول ، فذلك باب العلم . لولا هذه المزعجات ما تنبه الناس لهذه الحوادث)^(٢).

(١) طنطاوي جوهرى ، الجواهر في تفسير القرآن (١٢ / ٢١) .

(٢) المرجع السابق (١٢ / ٤٦) .

ثم يستطرد كعادته فيقول : (بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَجْرُ الْكَافٍ يُسَمَّى سَجًّا﴾ خرجت من المنزل صباحا للرياضة منذ شهور هذه السنة ١٩٢٨م وكانت المطبعة لم تصل في طبع التفسير إلا إلى (سورة الإسراء) فوقفت على شاطئ نهر النيل بالقرب من (جزيرة المنيل) وكان نظري مبتهجا بالأنوار الشمسية المشرقة على سطح ماء النهر المنعكسة على الشاطئ القريب من سطح الماء ، فكنت أرى الضوء المنعكس وقت الصباح يعطي ضوء الشمس الأصلي ضوءا أظهر بياضا وأحسن إشراقا ، فأما فكري فقد كان مبتهجا) .

ومن أقواله السابقة يتضح انصرافه عن المعاني السامية التي يدل عليها نص القرآن الكريم مثاله قوله (...) وأخذت تكسر بها الشبابيك والسقوف في المنازل وتقتل بها البهائم في مراعيها .. لولا هذه المزعجات ما تنبه الناس لهذه الحوادث) ، (سر من أسرار القرآن) ، (فوقفت على شاطئ نهر النيل وكان نظري مبتهجا بالأنوار الشمسية فأما فكري فقد كان مبتهجا ...) ^(١) .

(٥) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

في تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَجْرُ الْكَافٍ يُسَمَّى سَجًّا﴾ وضع وجه الدلالة من النص القرآني بما يستدل على قدرة الله تعالى الذي يُسَيِّرُ الجهاد بقوانين ثابتة وبنظام محكم ، ومن مظاهر ذلك (حوادث الجو) وهي أيضا دلائل على عظيم القدرة وسمو الحكمة وسعة العلم الإلهي : (أعقب الدلالة على إعطاء الهدي في قوانين الإلهام في العجاوات بالدلالة على خلق الخصائص في الجهاد بحيث تسير على السير الذي قدره الله لها سيرا لا يتغير فهي بذلك أهدى من فريق الكافرين الذين لهم عقول وحواس . لا يهتدون بها إلى معرفة الله تعالى

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن (١٢ / ٤٧) .

والنظر في أدلتها ، وفي ذلك دلالة على عظيم القدرة وسعة العلم ووحدانية التصرف . وهذا استدلال بنظام بعض حوادث الجو .. على عظيم القدرة وسمو الحكمة وسعة العلم الإلهي^(١) .

كما تتضح الناحية العلمية في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ

الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] حيث ذكر أوجه المنة في

السحاب وفي تكوينه من الأبخرة المتصاعدة من مياه البحار والمحيطات ودور الشمس في ذلك . وتسخير الرياح لدفعه وتنقله إلى حيث يشاء الله تعالى ، ثم يتكثف في برودة الطبقات العليا الجوية ثم ينزل على شكل قطرات الماء في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ ﴾ عطف على ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ﴾ أو على ﴿ الرِّيْحِ ﴾ ويكون التقدير : وتصريف السحاب المسخر أي نقله من موضع إلى موضع .

وهو عبرة ومنة . أما العبارة ففي تكوينه بعد أن لم يكن وتسخيره وكونه في الفضاء ، وأما المنة ففي جميع ذلك فتكوينه منه وتسخيره من موضع إلى موضع وكونه بين السماء والأرض منة لأنه ينزل منه المطر على الأرض من ارتفاع فيفيد اختراق الماء في الأرض ، ولأنه لو كان على سطح الأرض لاختنق الناس ، فهذا مما يبدو لكل أحد ، وفي ذلك أيضا عبرة ومنة لأهل العلم فتكوينه عبرة وذلك أنه يتكون من تصاعد أبخرة البحار ورطوبة الأرض التي تبخرها أشعة الشمس ، ولذا لم يخل الهواء من بخار الماء .. وبخار الماء شفاف غازي فإذا جاور سطحاً بارداً ثقل وتكاثف فصار ضباباً أو ندى أو سحاباً ، وإنما تكاثف لأن أجزاء البخار تجتمع فتقل قدرة الهواء على حمله ، ثم إذا تكامل اجتماعه نزل مطراً ، ولكون البخار الصاعد إلى الجو أكثر بخار البحر ، لأن البحر أكثر سطح الكرة الأرضية كانت السحب أكثر ما تتكون من جهة البحار ،

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير (١٨ / ٢٦٠) ، (٢ / ٨٨) .

وكانوا يظنون أن المطر كله من ماء البحر...

فلولا الرياح تحمله من موضع إلى موضع لكان المطر لا ينزل إلا في البحار وموضع المنة في هذا في تكوينه حتى يحمل الماء ليحيي الأرض ، وفي تسخيره ليتقل ، وفي كونه بين السماء والأرض فهو مسخر بين السماء والأرض حتى يتكامل ما في الجو من الماء فيثقل السحاب ، فينزل ماء إذا لم تبقى في الهواء مقدرة على حمله ،

قال تعالى : ﴿ وَيُسَوِّغُ الْمَسَّابُ الْغُفَالُ ﴾ [الرعد : ١٢] ^(١) .

(٦) قول الدكتور محمد حجازي :

في تفسيره قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ ذكر تكوين السحاب وتكثفه ونزوله مطراً ، وأشار إلى تكرار الظواهر الجوية فيه تذكراً للحس الإنساني من التبدل ، لأن حدوثها فيه دلالة على قدرة الخالق العظيم فالكون ناطق بلسان حاله على تصديق الكتاب المقروء .

(إذا كان الله أحكم كتاب الكون الناطق بلسان الحال على قدرته وحكمته ، أفلا يكون هذا دليلاً على إحكام كتابه الناطق المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه ﷺ وهذا دليل آخر من أدلة العظمة الإلهية ، التي نراها ونلمسها في كل وقت وحين ، ألم تر أن الله يزجي سحاباً أي يسوقه بعضه إلى بعض ، ولا غرابة فهو يتكون من البخار الذي يخرج من البحار ، ويرتفع إلى أعلى منساقاً بعضه إلى بعض ، ثم يؤلف الله بين أجزائه ويجمعها حتى يتكون منها سحاب عال مرتفع في طبقات الجو الباردة، وهذا معنى قوله ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا ﴾ .

﴿ فَتَرَى الْوَدَّكَ ﴾ أي المطر أو البرق يخرج من خلال . وهذه السحب المتجمعة في السماء تشبه الجبل وتراها وقد أنزل منها المطر والبرد ..

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير (٢/ ٨٧-٨٨) .

وإن منظر السحاب في تراكمه ، ثم نزوله مطرا أو ثلجا أو بردا يوقظ النفوس الغافلة وينبهاها إلى الأدلة الحسية التي تثبت وجود القادر المهيمن على العالم ^(١) .

(٧) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

في تفسيره قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَزِجُ سَحَابًا﴾ بين معنى الآية الكريمة ، حيث ذكر مراحل تكون السحاب علميا ، وبين بأن في المظاهر الجوية دليل على قدرة الله تعالى المتصرف في ملكه ، المنزل للرحمة ، وهو الذي يحجبها ويمنعها بإرادته النافذة في كونه ، المدبر لشؤون خلقه بالحكمة ، وهو المصرف للرياح التي تحمل ماء المطر حيث يشاء سبحانه وتعالى .

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَزِجُ سَحَابًا﴾ أي ألم تعلم أيها النبي وكل مخاطب كيفية تكوين المطر وإنزاله ، إنه تعالى يسوق بقدرته السحاب أول ما ينشئه بعضه إلى بعض ، بعد أن يتكون من بخار الماء الصاعد من البحار التي هي أربعة أخماس المعمورة ، ثم يجمع ما تفرق من أجزائه في وحدة متضامة ، ثم يجعل بعضه متراكما فوق بعض ، حتى يتكون منه سحاب عال في طبقات الجو الباردة ، ثم يسوق ذلك السحاب بالرياح اللوابع إلى المكان الذي يريد إنزال المطر فيه ، ثم ينزل المطر من خلال السحاب ، أي من نتوقه وشقوقه التي تتكون بين أجزائه .

وهكذا يُنزلُ الله المطر من طبقات السحاب المتكاثفة التي تشبه الجبال ، كما ينزل الثلج والبرد بحسب نسبة تأثير البرودة في الأبخرة المتصاعدة .. وهذا المعنى تؤيده بعض النظريات الحديثة التي تثبت أن في طبقات الجو ما يشبه الجبال مكونة من برد ، وقد تنزل زيادة على ما يصعد من بخار البحار ، وتتحكم إرادة الله تعالى وقدرته وتصرفه في كيفية إنزال المطر ، فيصيب بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد من يشاء من عباده رحمة لهم ^(٢) .

(١) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢/ ٦٨٤-٦٨٩) .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور ، التفسير المنير (١٨/ ٢٦٥-٢٦٦) .

(١) قول محمد الغمراوي على قوله تعالى ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ :

أشار في قوله إلى دور الرياح في تكوين السحاب وإظهاره بعد خفائه، فهي تحمل بخار الماء إلى المناطق الباردة العلوية فيتكثف فيصبح سحاباً . كما ذكر بأن الرياح والسحاب من المظاهر التي تدل على أن لهذا الكون خالقاً .

(إظهار واحد يجب أن تحمل عليه الإثارة هو إظهار التكوين أي تسبب التكاثف ، وإذا تذكرت أن السحاب هو بخار كان قبل كامناً في الهواء غير المشبع أو في الهواء فوق المشبع الخالي من الأيونات أو الغبار ، ثم ظهر بالتكاثف لما انقلبت حالة الهواء من حيث التشبع أو من حيث نسبة الأيونات ، وتذكرت أن هذا الانقلاب لا يكون إلا بفعل الرياح سواء أكان ذلك بحملها البخار إلى المناطق الباردة العلوية أو بحملها الغبار والأيونات إلى تلك المناطق ، اتضح لك أن المراد بإثارة الرياح للسحاب هو أثر تكوين السحاب ..

ومن أجل ذلك نسب إثارة السحاب إلى الرياح ، ونسب إلى نفسه الله سبحانه وتعالى إرسال الرياح وسوق السحاب إلى حيث يشاء سبحانه من البلاد . ولا يزال هذان مظهران لإرادته سبحانه يدلان الإنسان مهما أوتي من العلم على أن من وراء هذا الكون إلهاً يدبره) ^(١) .

(٢) قول حنفي أحمد على قوله تعالى ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ :

(فالمقصود إذن من إثارة الرياح للسحاب ليس نقل السحاب من مكان إلى مكان ، بل المقصود منه تحريك وتهيج الأصل الذي يكون منه السحاب والموجود في الهواء بحالة يتعذر معها رؤيته ، ثم إظهار هذا الأصل بحالة وصورة يمكن معها كشفه . بعبارة أخرى يدل قوله ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ على أن الهواء فيه ماء بصورة أجزاء غازية ومنتشرة فيه

(١) محمد أحمد الغمراوي ، الإسلام في عصر العلم (ص ٤٠٣-٤٠٥) .

بحيث لا ترى (ويسمى في هذه الحالة ببخار الماء الغازي) فإذا ما تكاثف هذا البخار ظهر في صورة سحابة تراها العين . ولم يذكر تعالى كيف تحرك الرياح بخار الماء غير المرئي فيها وتظهره سحباً ولكنه أشار إليه .. وترك أمر تفصيله للبحث والنظر تبعاً لسنته الحكيمة .. إنه يرسل الرياح فتثير أو تظهر بخار الماء الغازي فيها على صورة سحب يرى من دقائق مائية ، ثم ينشر هذا السحاب ثم يجمعه كسفاً أو قطعاً كبيرة فينزل الماء من خلاله^(١) .

(٣) قول فوزي حميد عند قوله تعالى ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مَنَاجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ :

(فالله جلت قدرته يسوق سحباً رقيقاً إلى حيث يشاء ، ثم يجمع بعضه فوق بعض كالجبال ، فترى المطر والبرق من ثناياه وينزل المطر) .

كما أشار فوزي إلى أن السحاب من المظاهر الجوية له صور متنوعة وأشكال جذابة ، وأن دقة نظامه وسيره يترك أثراً في النفس وإحساساً صادقاً بإتقان الصانع الخالق سبحانه وتعالى . (إن السحب التي نراها تمخر عباب الفضاء بصورة متنوعة ، وأعداد هائلة ، وأشكال خلابة جذابة ، تثير كوامن الإحساس في النفوس والتفكر في خلقها وتكوينها ، وتنظيمها ، فهي تسير وفق نواميس منظمة كأبي قانون رياضي ، بل أدق من ذلك ، لأنها صنعت بإحكام ، وسيرت بدقة إلى حيث يشاء لها صانعها الذي أتقن كل شيء .. وقد وضع المختصون أسماء وتصانيف خاصة لهذه السحب كما وضعوا لها ألقاباً كثيرة تطلق عليها ضمن حدود صفات وميزات خاصة ، فهي تختلف عن بعضها في شكلها ، ولونها ، وفي آثارها ، وما يرافقها من ظاهرات جوية ، وفي ارتفاع مستواها عن سطح الأرض ، فمنها السحب العالية الرقيقة الشفافة ، ومنها المنخفضة ، القائمة العاتمة) ، كما ألمح إلى أنه من الممكن أن يتكون السحاب بدون نوى التكاثف .

و(قد ثبت علمياً أن السحب يمكن أن تتكون بدون نوى التكاثف ،

(١) حنفي أحمد ، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن (ص ٢٦٧، ٢٦٦) .

وهذه النوى عبارة عن جسيمات من ملح الطعام الذي تذروه الرياح من فوق البحار على شكل رذاذ البراكين أو ما ينتج من مركبات الأزوت في أعقاب البرق وغير ذلك^(١).

(٤) قول الدكتور عدنان الشريف :

عند قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد : ١٢] :
ذكر المؤثر المباشر في تكوين ماء المطر :

(تلعب الشمس والرياح ودوران الأرض المائلة حول نفسها دورا رئيسيا في تكوين السحب وتوزيعها ، فحرارة الشمس التي تضرب الأرض بصورة مختلفة بين المناطق الاستوائية والمعتدلة والقطبية تحول قسما من مياه الأرض إلى بخار غير منظور كما تسخن الهواء الذي يكبر حجمه ويقل وزنه فيرتفع في الجو حاملا معه بخار الماء فيحل هواء المناطق العليا الباردة من الجو مكانه ، وهكذا تنشأ الرياح . وعندما تصل الرياح الحارة المشبعة ببخار الماء إلى المناطق العليا الباردة من الجو يتكثف بخار الماء فيها ويتحول إلى غيوم مرئية، وما الغيوم في الحقيقة إلا قطيرات مائية صغيرة جدا ، قطر الواحدة منها لا يتجاوز عشرة أجزاء من الألف من المليمتر يمكنها العوم في الهواء)^(٢).

فيزياء تكون السحب :

تضم فيزياء تكون السحب ارتباط الرطوبة ونويات السحب مع عمليات التبريد لإنتاج سحابة ، والعنصر الإضافي لتكوين السحب هو نويات السحب ، وهو عبارة عن جزئيات صغيرة تقوم بدورها كما لو كانت المواقع المفضلة لبدء تكوين قطرات السحب ، ونويات السحب : هي مركبات لها جاذبية كيميائية لبخار الماء

ويعتقد الآن أنها غالبا سلفات الأمونيا ، أو الكتل الهوائية البحرية : بعض أملاح البحر ،

(١) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية (ص ٢١٧-٢٢٠) .

(٢) د. عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية (ص ٩٢) .

وبعض الجزئيات العالقة الأخرى تقوم أيضا بدور نويات السحب ، والرياح لها دور هام في نقل هذه النويات من مواقعها الأصلية إلى أماكن تكون السحب^(١) .

(وقد قسم العلماء النوى التي يحدث حولها التكاثف إلى نوعين : نوى متميعة (مماثلة) ونوى غير متميعة (صلبة) ، والنوى المتميعة تكون على صورة قطرات من محلول (ما) ، ولها قدرة على اجتذاب الماء جذبا كيمياويا يساعد على تكاثف بخار الماء عليها ، وهي تتفوق في ذلك على النوى الصلبة (ذرات الغبار))^(٢) .

كما وضع د. منصور حسب النبي الدور الرئيسي في عملية تكثيف السحاب وحمل الرياح لجزئياته :

(فلقد ثبت أن جسيمات الغبار الخفية والمرئية ليست هي كل ما يتكاثف عليه بخار الماء في الهواء ، بل إن الأيونات (الذرات المشحونة كهربيا) هي أيضا أنوية تكاثف هامة . وتتولد الأيونات في الهواء الجوي بتأثير الأشعة البنفسجية القادمة من الشمس وأشعة (جاما) المنطلقة من العناصر المشعة في القشرة الأرضية أو بتأثير الاحتكاك بين الرياح والجسيمات المحمولة مما يؤدي إلى تأين بعضها)^(٣) .

(ولقد اكتشف العلماء حديثا أن الرياح علاوة على حملها لبخار الماء فإنها تحمل معها أنوية التكثف على اختلاف أنواعها من جسيمات صغيرة تنتشر في الهواء بكميات وفيرة أشبه

(١) إصدار هيئة الإعجاز العلمي ، إعجاز القرآن في وصف أنواع الرياح ، السحاب ، المطر (ص ٣٩) .

(٢) المهندس جمال عبد المنعم ، الماء .. سائل الحياة (ص ٧٦) .

(٣) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي (ص ١٩٥) .

ما تكون بالذرات أو حطام المواد الذي نراه يسبح في حزمة من أشعة الشمس قوامه جسيمات من التربة ، وأتربة المصانع ، ودخان الأفران ، وحبوب اللقاح والبكتريا ، وأملاح البحر التي تتطاير مع رذاذ الأمواج ، وغازات البراكين ، ورماد احتراق الشهب ، وكل هذه الجسيمات صغيرة غالبا لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، وبطبيعة الحال يزداد تلوث الهواء بمثل هذه الجسيمات داخل المدن ويقل في الأرياف . وهذه الجسيمات تعمل على تماسك أو تجمع جزئيات الماء العالقة في الهواء مع بعضها البعض لتكون نقط الماء أو بلورات الثلج^(١) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرِجُ مِنْ خِلَالِهِ... ﴾ [النور: ٤٣]

- من خلال عرض أقوال المفسرين لم تظهر الناحية العلمية في قول القاسمي والمرافي وطنطاوي جوهري .

- كما يتضح الجانب العلمي في قول محمد رشيد رضا ومحمد الطاهر ابن عاشور والدكتور محمد محمود حجازي والدكتور وهبة الزحيلي حيث اتفقوا في بيان تكوين السحاب وأنه ناتج من أبخرة مياه البحار . كما أشاروا إلى دور الرياح في حمله وبسطه حيث مناطق المطر ، وذلك مظهر دال على إرادة الله تعالى النافذة في ملكه سبحانه وتعالى .

- وكثيرا ما اقترن (الماء) بنزوله من (السماء) في آيات القرآن الكريم .

- ذكر محمد رشيد رضا بأن (السحاب) أصله بخار الماء المتكثف في الجو والذي حملته الرياح وسقط (لثقله ولسنة الجاذبية) على وجه الأرض

(١) إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء ،

إشراف د. منصور حسب النبي (ص ٣٥٨) .

حيث مناطق المطر بإذن الله تعالى وإرادته سبحانه وتعالى المستحق للشكر على الحقيقة .

- وقال محمد الطاهر ابن عاشور بأن في (المظاهر المتغيرة والحوادث الجوية) دليلاً على عظيم القدرة وسمو الحكمة وسعة العلم الإلهي والదال على وحدانية المتصرف سبحانه وتعالى . كما ذكر بأصل السحاب هو بخار الماء الناشئ من مياه البحار ، والتي هي أكثر سطح الكرة الأرضية .

- كما أشار الدكتور محمد محمود حجازي إلى أن في تكرار ذكر الظواهر الجوية مثل نزول المطر تذكرة للحس البشري من التبدل وكل ذلك مظهر من دلائل عظمة الخالق القادر المهيمن على العالم . وبنحوه أشار الدكتور وهبة الزحيلي التالي :

- قول الدكتور وهبة الزحيلي في تعريف (السحاب) هو (بخار الماء) الناشئ من مياه البحار التي هي أربعة أخماس المعمورة ، وأن (بخار الماء) بعدما يتكثف في طبقات الجو ، ينزل المطر والثلج والبرد بحسب تأثير البرودة في الأبخرة المتصاعدة ، وأن هذا المعنى تؤيده النظريات الحديثة .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

القدر المشترك في الأقوال السابقة أنهم وضحوا أثر الرياح في تكوين السحاب وحمله إلى حيث مناطق المطر بإذن الله تعالى . كما ذكروا العوامل المؤثرة في تكوين السحاب :

١ - حرارة الشمس المتسببة في تبخر مياه المحيطات والبحار والأنهار .

٢ - البرودة الجوية والتي بدورها تتم عملية تكثيف جزئيات السحاب

فينهمر الماء من السماء .

ومن البيان العلمي في تكوين السحاب دور الرياح في ظهور السحاب المتكون من بخار الماء العالق في الهواء ، والذي لا تراه العين المجردة .

وكذلك دور الرياح في اتحاد ذرات نوايا السحب المشحونة كهربيا وهي على قسمين :

١ - نوايا متميعة (سائلة) تكون على شكل قطرات من محلول (ما) .

٢ - الجزيئات الدقيقة المختلفة العالقة في الهواء مثل جزيئات التربة وتربة المصانع ودخان الأفران وأملاح البحر ورماد احتراق الشهب .

بقي الإشارة إلى ذكر بعض الآيات الكريمة التي فيها دلائل القدرة والعظمة والمنة في نزول الماء الذي تقوم عليه الحياة . كما سجلت عجز البشر عن معرفة وقت ومكان نزول ماء المطر، وعجزهم عن الإتيان بالماء الذي منه يشربون إذا غار في باطن الأرض وذهب .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨]

(وبعض هذه المياه المتساقطة إما تجري على سطح الأرض في المجاري النهرية ، وإما تنساب إلى جوف الأرض مرة أخرى لتظهر هنا وهناك على شكل ينابيع أو نافورات حارة أو تحتزن في الخزانات المائية الجوفية في داخل قشرة الأرض ليستغلها الإنسان جيلا بعد جيل) ^(١) .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان :

٣٤] ، قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾

[الواقعة : ٦٨ - ٦٩] ، قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠] ،

قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبا : ١٤] .

(١) حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢ / ١٦٥) .

وفي الحديث (ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله) ^(١) .

وقد شرعت صلاة الاستسقاء عند امتناع القطر من السماء بسبب ذنوب بني آدم ومعاصيه ((... إذا انتهكت محارم الله)) ^(٢) .

كما سجلت عمليات استمطار السحب عجز الإنسان عن السيطرة على الظواهر الجوية ، وهذا دليل على إرادة الله تعالى الخالق المدبر لشؤون خلقه ، (أن الإنسان لم يستطع حتى الآن من استدرار كافة محتويات السحب السماوية ، وذلك لعدة أسباب : بعضها اقتصادي والآخر علمي وتقني ...) وهذا دليل على أن (الأحداث الجوية .. ظواهر سماوية إلهية لا يجوز للإنسان التفكير بمحاولة تغييرها) ^(٣) .

ولقد كان من معجزات النبي ﷺ نبع الماء من بين أصابعه ^(٤) .

(١) صحيح البخاري (٦٥) كتاب التفسير ، (١) باب: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ ﴾

(٢) (٢١٩/٣) ، ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري

(٨ / ٣٧٤-٣٧٥) ، رقم الحديث (٤٦٩٧) .

(٢) صحيح البخاري (١٥) كتاب الاستسقاء (٥) باب انتقام الرب جلّ وعزّ من خلقه إذا انتهكت محارم الله (١/١٦) .

(٣) د. علي حسن موسى ، الاستمطار (ص ٦٥، ٥٩) .

(٤) (... رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ) . صحيح البخاري (٦١) كتاب المناقب (٢٥)

علامات النبوة في الإسلام (٢/٢٧٢) ، رقم الحديث (٣٥٧٩) .

وإليك الآيات الكريمة التي ذكر لفظ (السحاب) و(سحاب) في الآيات المكية مرة واحدة :

ذكر فيها لفظ (السحاب) .

م	السورة	الآية	رقمها
١	النمل	﴿ وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	٨٨
٢	الطور	﴿ فَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾	٤٤

ذكر لفظ (سحاباً) (٣) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأعراف	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا طَقَالًا سَفَقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	٥٧
٢	الروم	﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۚ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾	٤٨
٣	فاطر	﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَخْرَجْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ اللَّهُشُّورُ ۚ ﴿١﴾	٩

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٤٦) .

المبحث الثالث : البرق والرعد والصواعق والبرد

مظاهر وأحوال وقت نزول المطر: إن تكرار حدوث الظواهر الجوية واختلاف أحوالها هو تذكير بموجدها ومدبرها المستحق للمجد ، فالشكر لله وحده سبحانه وتعالى على ما في هذه الظواهر من منافع عظيمة وفوائد للبشر تقوم بها حياتهم وتيسر بها أمورهم وصالح عيشهم ، وظاهرة نزول المطر يصاحبها البرق والرعد والصواعق والبرد مثال على ذلك .

وقد ذكر (البرق) مرة واحدة ، و(الصاعقة) (٤) مرات في الآيات المكية ،

وذكر الـ (رعد) (٢) مرتين والـ (برد) مرة واحدة في الآيات المدنية^(١) .

(١) قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْصِعُهُمْ فِيْءَآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٩-٢٠] .

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣] .

(٣) قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدَقَ ﴿٢﴾﴾

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ١١٧-٤٠٨، ٣٢٢، ١١٨) .

(٢) ((الودق) : قيل ما يكون من خلال المطر كأنه غبار ، وقد يعبر به عن المطر قوله تعالى : ﴿فَرَى الْوَدَقَ يَخْرُجُ مِنْ

خَلِيلِهِ﴾ [النور : ٤٣] ، ويقال لما يبدو في الهواء عند شدة الحر وديقة) . الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين

بن محمد ، المفردات في غريب القرآن (ص ٥١٧ ، و(الودق) المطر وبابه وعد ، الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد

القادر ، مخار الصالح ، مادة (ودق) (ص ٥٢٢) ، و((الودق) المطر ، ودق كوعد قطر) الفيروز آبادي ، محمد

بن يعقوب ، القاموس المحيط ، باب القاف ، فصل الواو ، مادة (الودق) (٣/ ٢٨٨) ، فالودق هو (المطر) وهو

قول جمهور المفسرين ، القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، الشوكاني : محمد بن علي ،

فتح القدير (٤/ ٤١) .

يَخْرُجُ مِنْ خَلْقِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ [النور: ٤٣].

ومن التفسيرات العلمية للبرق والرعد والصواعق :

البرق : هو عبارة عن وميض الضوء الذي يحدث نتيجة عمليات الشحن الكهربائي في الغلاف الجوي ^(١) . وقدّر بعض العلماء القوة الضوئية الناتجة عن البرق بخمس مليون وات ^(٢) .

والرعد : عبارة عن الصوت الذي يحدث بعد حدوث البرق مباشرة وبفعل التمدد للهواء الذي ارتفعت حرارته بدرجة كبيرة وبصورة فجائية بفعل البرق .

والصواعق : بعد حدوث البرق مباشرة تنساب من السحب المشحونة كهربائياً موجات وراء موجات متتالية ذات شحنات كهربائية سالبة تتجه صوب سطح الأرض في خطوط متكسرة بسرعة تقترب من سرعة الضوء ، وعندما تصبح هذه الموجات الكهربائية على ارتفاع ٣٠ متراً من سطح الأرض تتأثر أعالي المباني والمنشآت العمرانية العالية بالمجال الكهربائي لهذه الموجات وتدخل في نطاقه ، وعلى ذلك تتفاعل الموجات السالبة الهابطة مع تلك الموجبة الصاعدة من سطح الأرض مع الهواء الساخن وينتج عن ذلك حدوث الصاعقة) .

ومن أخطار الصواعق :

(ينتج عن الصواعق إتلاف الدوائر الكهربائية في المنشآت العمرانية واشتعال الحرائق فيها وكذلك في الغابات والمصانع ، وقد يلقى بعض الناس مصرعهم إذا ما تصادف وجودهم

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢ / ٢٣١) .

(٢) د. عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية (ص ٨٧) .

خارج المنازل وضربتهم الصاعقة بصعقة كهربائية مباشرة .. ولحماية المباني من أخطار الصواعق يوضع عمود حديدي مثبت في أعالي المباني يعمل على امتصاص الشحنات الكهربائية السالبة الهابطة أثناء حدوث البرق وسريانها إلى الأرض مباشرة ، وكذلك عند مد خطوط كهرباء الضغط العالي تزود أعمدة الكهرباء بأسلاك أرضية لامتناس الشحنات الكهربائية السالبة عند حدوث الصواعق وإرسالها إلى الأرض مباشرة^(١) .

(والبرد) يتركب من حبات كروية الشكل (تشبه تركيبة البصلة) تتألف الحبة الواحدة من نواه ثلجية شديدة التجمد وتغطيها عدة طبقات من الثلج أقل تجمدا^(٢)

ونشأة البرد ترتبط بحركة التيارات الهوائية الصاعدة في مناطق تكوين السحب الركامية ، كما أن البرد قد يكون سببا في توليد البرق^(٣) .

وسأعرض أقوال المفسرين في تفسير البرق والرعد والصواعق والبرد والتي لوحظ فيها الناحية العلمية المواكبة للعصر العلمي .

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِفَتِهِ ۖ وَيُرْسِلُ الْغَوَاقِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ۝ ﴾ [الرعد : ١٢-١٣] .

(١) قول القاسمي :

في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا ﴾ أي من الصواعق ، ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ أي يسبح سامعوه من العباد الراجين للمطر متلبسين بحمده

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ٢٣٧، ٢٣٥، ٢٣١) .

(٢) إصدار هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة ، إعجاز القرآن في وصف الرياح ، السحب ، المطر (ص ٧٩) .

(٣) د. عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية (ص ٨٧) .

أو يسبح الرعد نفسه ، بمعنى دلالته على وحدانيته تعالى وفضله ، المستوجب لحمده) ثم ذكر تفسير الظواهر الجوية فقال : (... ذكر في العلم الطبيعي : أن الصواعق شرارات تنطلق دفعة واحدة من تموجات السحب ومصادمتها لبعض ، فيحصل في الهواء اهتزاز قوي ، وأما الرعد فهو الصوت الذي يحصل من ذلك الانطلاق ويصل إلينا ببطء على حسب بعد السحب الحاملة للصواعق وعلى حسب اتساع السحب ، بطول سماعنا لصوت الرعد .

وإذ لمع البرق من السحابة ، فقد تمت نتائج الصاعقة ، فمتى مضت برهة لطيفة بين لمعان البرق وسماع الرعد ، فقد أُمنَ ضررها . وأما سبب انفجار الصاعقة فقالوا : من المعلوم أن انطلاق الكهربائية إنما يحصل باتحاد كهربائية الأجسام مع بعضها ، فإذا اقترب السحاب من الأجسام الأرضية طلبت الكهربائية السحابة أن تتحد بالكهربائية الأرضية فتنبجس بينهما شرارة كهربائية هي البرق ، وحينئذ يقال إن الأجسام الأرضية صعقت : هذا مجمل ما قالوه) .

كما ذكر القاسمي دون تعليق ما ذهب إليه الرازي^(١) في التوفيق بين ما روي في قول السلف وبين ما ثبت في التفسير العلمي الطبيعي حيث يقول : (وقد حاول الرازي الجمع ما بين ما روي عن بعض السلف : أن الرعد ملك ، وبين ما ثبت في العلم الطبيعي بما يدفع المنافة فقال : (اعلم أن المحققين من الحكماء يذكرون أن هذه الآثار العلوية إنما تتم بقوى روحانية فلكية ، فللسحاب روح معين من الأرواح الفلكية يدبره ، وكذا القول في الرياح وفي سائر الآثار العلوية .

قال : وهذا عين ما نقلنا من أن الرعد اسم ملك من الملائكة يسبح الله ، فهذا الذي قاله

(١) الفخر الرازي : محمد بن عمر ، التفسير الكبير (١٩/٢٦) .

المفسرون بهذه العبارة هو عين ما ذكره المحققون من الحكماء . فكيف يليق بالعاقل الإنكار)؟^(١) .

قلت : لاشك في أن الله سبحانه وتعالى أوكل بهذا الكون ملائكة تدبر شؤونه ، قال الله

تعالى : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات : ٥] ، فالمدبرات هي الملائكة ، قاله الجمهور ... تدبر ما

أمرت به وما أرسلت فيه ... وتدبر ما وكلت فيه من الرياح والأمطار)^(٢) ، ونقل الشوكاني

(الإجماع) (على أن المراد هنا الملائكة)^(٣) . وما قيل في تفسيرات الرعد من أنه ملك أو غير

ذلك) لم يثبت في تلك الأقوال شيء صحيح عن النبي محمد ﷺ ، وبعضها روايات

(إسرائيلية باطلة) موقوفة على أصحابها ، ممن دخلوا في الإسلام^(٤) ، أو قول (الزنادقة الذين

أرادوا أن يظهروا الإسلام بمظهر الدين الخرافي الذي ينافي العلم ، أو السنن الكونية)^(٥) .

(٢) قول المراغي :

ذكر تعريف البرق : ما يرى من النور لامعا خلال السحاب ، والرعد : هو الصوت

المسموع خلال السحاب وسببها على ما بين في الطبيعة : أن البرق يحدث من تقارب

سحابتين مختلفتي الكهربية ، حتى يصير ميل إحدهما للاقتراب من الأخرى أشد من قوة

الهواء على فصلهما فتعجم كل منهما على الأخرى بنور زاهر وصوت قوي شديد ، فذلك

النور هو البرق . والصوت هو الرعد الذي نشأ من تصادم دقائق الهواء الذي تطرده

كهربية البرق أمامها .

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٤/ ٤٣٨-٤٣٩) .

(٢) أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي : النكت والعيون (٤/ ٣٩١) .

(٣) محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير (٥/ ٣٧٣) .

(٤) إصدار هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة ، إعجاز القرآن في وصف الرياح ، السحاب ، المطر (ص ٦٣) .

(٥) د. محمد بن محمد أبو شهبة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص ٢٩٢) .

والصواعق : واحدها صاعقة وسببها أن السحب قد تمتلئ بكهربائية ، والأرض بكهربائية أخرى والهواء يفصل بينهما ، فإذا قاربت السحب وجه الأرض تنقض الشرارة الكهربائية منها فتتزل صاعقة تهلك الحرث والنسل .

كما قال في تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَسَّحُجُ الرِّعْدُ بِمَحْمَدٍ ﴾ أي إن في صوت الرعد دلالة على خضوعه وتنزيهه عن الشريك والعجز ، كما يدل صوت المسبح وتحميده على انقياده لقدرة ذلك الحكيم الخبير^(١) .

واستشهد المراغي بما روي في الحديث بما يقال عند سماع صوت الرعد : كان رسول الله ﷺ إذا سمع صوت الرعد والصواعق يقول : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك »^(٢) .

(٣) قول محمد رشيد رضا :

نقلت قوله في الرعد والبرق عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَّجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩] :

ذكر محمد رشيد رضا أنه لم يصح شئ فيما روي عن الصحابة والتابعين في تفسير الرعد والبرق والصواعق ، كما بين أن التعمق في بيان مثل هذه العلوم والمتعلقة بالظواهر الطبيعية ليس من أغراض القرآن الكريم ومباحثه ، وإنما كان ذكر الظواهر الكونية من أجل الاعتبار والاستدلال وصرف العقل إلى البحث الذي يقوى به الفهم والدين .

(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (١٣ / ٨٠ - ٨٢) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي ، أبواب الدعوات ، ٥١ باب ما يقول إذا سمع الرعد ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٩ / ٤١٢) ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ١٠٠) ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وأخرجه أيضا الحاكم في المستدرک عن ابن عمر في كتاب الأدب وصححه ووافقه الذهبي على ذلك (٤ / ٢٨٥) .

ثم أشار إلى التفسير العلمي في ظاهرة البرق والصواعق حيث ذكر أن الكهرباء موجودة في النظام الكوني ، وذكر بأن البرق (يتولد من اتصال نوعيها الموجب والسالب بقدرة الله تعالى كما يتولد في الأرض بعمل الإنسان .. والصاعقة من أثر الكهربائية وهي تفرغ السحاب طاقة منها في مكان لجاذب في الأرض يجذبه) ^(١) .

كما ذكر بأن معرفة مثل هذه المسائل معلوم عند أكثر الناس بدليل وضع القضيب الحديدي فوق الأبنية الشاهقة لامتصاص أثر الكهرباء الهابطة إلى الأرض .

(٤) قول طنطاوي جوهري :

وقد أشار إلى أثر تقلبات الظواهر الجوية وحوادثها في النفس ، وأن فيها تذكيراً وشكراً لمسديها فقال في كتابه - الجواهر - مايلي :

(اعلم أن أعظم الأشياء أثراً في النفوس حوادث الجو من مطر ورعد وبرق ، فكم فيها من نعمة وكم فيها من إهلاك وذلك الكهرباء المحدث للصواعق) .

ثم استطرد في حديثه عن الكهرباء يقول : (فمن هذا نفهم حدوث البرق والرعد . (فالبرق) يحدث من تقارب سحابتين مختلفتي الكهربائية حتى يصير ميل الكهربائية الواحدة للاقتراب من كهربائية الأخرى أشد من قوة الهواء على فصلهما فتتجهجم كل منهما على الأخرى بنور زاهر وصوت قوي شديد ، فالنور هو البرق والصوت هو الرعد يحدث من تصادم دقائق الهواء الذي تطرده كهربائية البرق أمامها .

وتفسيره لقوله تعالى ﴿ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ أي سامعوه من العباد الراجين

للمطر فيصيحون : سبحان الله والحمد لله ، أي يسبحون متلبسين بحمد الله أو الرعد نفسه يدل على وحدانية الله وتنزيهه متلبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته .

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (١/ ١٧٤ - ١٧٧) .

وبعد استطراد قال : (إن التسييح والتحميد هنا إيضاح لقوله ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ
الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] ، وذلك أن هذا العالم الذي نعيش فيه عالم طبيعي ،
والعالم الطبيعي امتزج خيره بشره وضره بنفعه) .

ثم استطرد يقول :

(أنت يا الله محمود على المطر وإن كان فيه ضرر ههنا امتزج التسييح بالتحميد ، تنزه الله تعالى
عن إرادة السوء والضرر بالمطر .. وإنما خص الرعد باسم التسييح لأنه صوت والتسييح
يكون بلفظ واللفظ صوت . بما أنذر الرعد؟

أنذر بقرب هطول المطر لنستعد له) . ثم قال : (تسييح الرعد وتسييح كل مخلوق لا
يعقله إلا أولوا الأبواب بالحكمة والعلم ، ولا جرم أن هذا المعنى تسييح متلبس بحمد ،
فالخير محمود عليه والشر قد نزه الله عنه .. إذن كل العالم مسبح بحمد الله ، ولا كمال لتسييح
الناس إلا بتفهم تسييح الرعد والسموات والأرض ، ولكن لا كمال لهم إلا بدراسة هذا
النظام وفهم الخير والشر والاعتناء بأن الشر تابع لا أصل .

فهذا هو تسييح الرعد وتسييح ما في السموات والأرض^(١) .

كما تطرق أثناء تفسيره إلى عروج النبي محمد ﷺ إلى الملأ الأعلى واعتبره بمثابة لفظة علمية
لدراسة علوم الأرض والفضاء^(٢) .

(٥) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

قال في تفسير البرق والرعد : (والرعد أصوات تنشأ في السحاب . والبرق : لامع ناري

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨٢/٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١) ،
(١٦٦-١٦٤/٦) .

(٢) المرجع السابق (١٤٥/٧) ، (١٦/٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦) .

مضيء يظهر في السحاب ، والرعد والبرق ينشآن في السحاب من أثر كهربائي يكون في السحاب، فإذا تكاثفت سحابتان في الجو إحداهما كهرباءؤها أقوى من كهرباء الآخر وتحاكنا جذب الأقوى منهما الأضعف فحدث بذلك انشقاق في الهواء بشدة وسرعة فحدث صوت قوي هو المسمى الرعد . وهو فرقة هوائية من فعل الكهرباء ، ويحصل عند التقاء الكهربائين وذلك يسبب انقذاح البرق^(١) .

(والبرق آية انذار وبشارة معا لأنهم كانوا يسمعون البرق فيتوسمون الغيث وكانوا يخشون صواعقه) . كما أشار ابن عاشور إلى أن الرعد من آيات الله تعالى الدالة على تنزيهه وكذلك تخويفا وإنذارا ودليلا على قدرة الله تعالى على العقاب والهلاك . (ولما كان الرعد صوتا عظيما جعل ذكره عبرة للسامعين لدلالة الرعد بلوازم عقلية على أن الله منزّه عما يقوله المشركون من ادعاء الشركاء .. واقتصر في العبرة بالصواعق على الإنذار بها لأنها نعمة فيها لأن النعمة حاصلة بالسحاب ... وأما الرعد فآلة من آلات التخويف والإنذار)^(٢) .

(٦) قول الدكتور محمد حجازي :

قال في تفسير (البرق) شرارة كهربائية تظهر في السماء من اتصال سحابتين مختلفتين في كهربتهما . (الرعد) هو صوت احتكاك الهواء الناشئ من تفرغ جزء منه بسبب احتراقه بالشرارة . (الصواعق) جمع صاعقة وسببها أن السحب قد تمتلئ بكهربة شديدة والأرض بكهربة أخرى مخالفة . فإذا اقتربت السحب من الأرض حصل احتكاك كهربائي تنشأ عنه صاعقة إذا صادفت شيئا أحرقته ، ثم ألمح إلى التفسيرات الواردة بالآثر بأنها لا تتفق مع التفسير العلمي : (وللبرق والصاعقة تفسيرات أخرى لا تلتئم في ظننا مع القواعد العلمية الحديثة) ثم قال عند التفسير: (هو الله سبحانه وتعالى الذي يريكم البرق الخاطف ، والنور اللامع الذي يظهره فجأة ويختفي من تقارب سحابتين مختلفتين في الكهرباء) .. (ويسبح الرعد بحمده تسبيحا بلسان الحال

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير (١/ ٣١٨) .

(٢) المرجع السابق (١/ ١٠٤-١٠٥) .

لا بلسان المقال) ثم ذكر الحديث المروي عن النبي محمد ﷺ قوله عند سماع الرعد والصواعق «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك» (١)(٢).

(٧) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

قوله في تفسير ((البرق) شرارة ضوئية تظهر في السماء بسبب تصادم الأجرام السحابية .(الرعد) الصوت المسموع خلال السحاب بسبب احتكاك الأجرام السماوية ، أي أنه ينشأ عن احتراق الهواء بالشرارة وظهور البرق ، الذي يحدث من تصادم سحابتين مختلفتي الشحنة الكهربائي، ثم ينشأ عن تفريغ جزء من الهواء الذي يحدثه البرق احتكاك الهواء الذي يطرده البرق وظهور الرعد .

(الصواعق) جمع صاعقة وهي التي تحدث بسبب الاحتكاك الكهربائي بين السحب وكهربة الأرض عند تقارب السحب من الأرض ، فتنشأ عنه صاعقة تحرق ما تقع عليه .

قوله تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ أي الرعد بلسان الحال لا بلسان المقال ينزه الخالق عن الشريك والعجز ويعلن خضوعه له ، وانقياده لقدرته وحكمته) .

كما استشهد بالحديث الذي فيه إشارة إلى كثرة الصواعق عند اقتراب الساعة عن النبي محمد ﷺ قال : « **تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم ، فيقول : من صعق قبلكم الغداة فيقولون : صعق فلان وفلان** » (٣) وهذا الخبر من الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة .

(١) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢/ ٢٢١-٢٢٢) .

(٢) الحديث سبق تخريجه (ص ٢٨٥) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري (٣/ ٦٤-٦٥) ، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ، كتاب الفتن والملاحم ، باب تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤/ ٤٤٤) .

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (١٣/ ١٢٩-١٣٣) .

وعند ذكر مناسبة الآية الكريمة أشار إلى إرادة الله تعالى وقدرته وحكمته وأن هذه الظواهر الجوية تحمل وجها من النعم والإحسان وإظهارا للعذاب والقهر والنقمة من وجه آخر^(١).

(١) قول حنفي أحمد :

على قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي تخويفا لكم من عذابه وإطماعا لكم في رحمته . قوله تعالى ﴿وَيَسْجِعُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ أي ويحدث الرعد وفق أمره وعلى مقتضى سننه الحكيمة في الخلق فيكون لسان حاله بذلك منزها خالقه عما لا يليق به وحامدا له قضاءه وقدره^(٢).

وعن سبب حدوث البرق والرعد والصواعق : قال :

(إن سبب حدوث ظواهر البرق والرعد والصواعق مع تكوين السحاب الثقال أي المؤلف الضخم في الجو العاصف هو اجتماع الحالتين المتضادتين المتجاذبتين تجاذبا شديدا في السحاب عندما يقرب بعضه من بعض ، ثم يجتمعان .. فالسبب العام في تولد البرق والرعد والصواعق هما التكهربان الموجب والسالب في السحاب .

ويبين العلم أن البرق شرارة كهربية عظيم الحرارة شديد الضوء مفرط السرعة ، ويحدث بمرور الكهرباء في الهواء بين كتل السحاب الرعدي ، فيسخن الهواء من مقاومته لمرور الكهرباء بإخلاله إلى درجة عظيمة ويتمدد بسرعة كبيرة ، ولكنه يبرد ويرجع إلى حالته الأصلية بسرعة أيضا فتتولد من تمدده وانكماشه السريعين موجات اهتزازية عظيمة السعة تنتشر في الهواء بين السحاب والأرض فتنشأ عنها صوت الرعد وقصفه .

(البرد) قد تبرد قطرات الماء المطرية في الجو العاصف قبل سقوطها إلى درجة التجمد

(٢) حنفي أحمد ، التفسير العلمي للآيات الكونية (ص ٣٦٤-٣٦٥) .

أو أقل منها فتتجمد وتسقط على هيئة قطع مائية متجمدة مختلفة الأحجام تسمى البرد^(١) .

(٢) قول عبد المنعم عشري :

(من الحقائق العلمية المسلم بها الآن أن معظم السحب التي نراها فوقنا مشحونة بالكهرباء . فإذا اقتربت سحابة من سحابة أخرى مشحونة بشحنة كهربائية مخالفة لشحنة الأولى حدث تفريغ كهربائي بين السحابتين يظهر على هيئة شرارات كهربية ذات وميض هي ما نسميه بالبرق . وعقب رؤية البرق يسمع عادة صوت قوي هي ما نسميه (بالرعد)) .

وعند تعريف الرعد قال : عندما (تنشأ الشرارات الكهربائية المكونة للبرق ترفع درجة حرارة الهواء الذي تمر فيه فجأة فيتمدد الهواء تمددا فجائيا مما يسبب حدوث تفريغ جزئي في المكان .. ولذا سرعان ما يندفع الهواء من كل صوب ليملأ موضع التفريغ والصوت الذي يصحب اندفاع الهواء ، هو الذي نسمعه ونسميه رعدا .

والصاعقة : هي تفريغ كهربائي يحدث بين سحابة والأرض .

قوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ أي ويسبح الرعد بدلالته على وحدانية الله بحمده

وتقديسه، والرعد يسبح الله سبحانه لأن التسبيح والتقديس وما يجري مجراها هو التلفظ بالألفاظ الدالة على حصول التنزيه والتقديس لله سبحانه وتعالى فلما كان حدوث الرعد دليلا على وجود متعال عن النقص متصف بالكمال والقدرة كان ذلك في الحقيقة تسبيحا وهو معنى قوله ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤]^(٢) .

(١) حنفي أحمد ، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن (ص ٣٧٨-٣٧٩) .

(٢) عبد المنعم عشري ، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم (ص ٥٥-٦٥-٧٤) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝١٣ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ۝١٤ ﴾ [الرعد : ١٢-١٣] .

يظهر الجانب العلمي في قول القاسمي والمراغي ومحمد رشيد رضا وطنطاوي جوهرى ومحمد الطاهر ابن عاشور والدكتور محمد محمود حجازي والدكتور وهبة الزحيلي .

وتجتمع أقوالهم في تفسير (البرق) بأنه اللامع الناري ، وهو نتيجة لاحتكاك السحب بعضها مع البعض الآخر . وأن (الرعد) هو صوت الهواء المحتبس بين السحاب ، و(البرد) هو تجمد قطرات الماء نتيجة للبرودة العالية ، و(الصواعق) تحدث نتيجة للجذب الكهربائي واتحاد (السالب مع الموجب) فإذا قرب التيار الكهربائي من سطح الأرض تجذبه كهرباء الأرض فتحدث الصاعقة .

- قال القاسمي : ذكر في العلم الطبيعي أن الصواعق شرارات تنطلق دفعة واحدة من توجات السحب ومصادمتها لبعض ، فيحصل في الهواء اهتزاز قوي ، وأما (الرعد) فهو الصوت الذي يحصل من ذلك الانطلاق ويصل إلينا ببطء على حسب بُعد السحب الحاملة للصواعق وعلى حسب اتساع السحب ، بطول سماعنا لصوت (الرعد) .

وإذا لمع (البرق) من السحابة ، فقد تمت نتائج الصاعقة ، فمتى مضت برهة لطيفة بين لمعان البرق وسماع الرعد ، فقد أُنْزِلَ ضررها . وأما سبب انفجار (الصاعقة) فقالوا : من المعلوم أن انطلاق الكهرباء إنما يحصل باتحاد كهربائية الأجسام مع بعضها ، فإذا اقترب السحاب من الأجسام الأرضية طلبت الكهربائية السحابية أن تتحد بالكهربائية الأرضية فتنبجس بينهما شرارة كهربائية هي البرق ، وحيث يقال إن الأجسام الأرضية صعقت .

- وقول المراغي في تعريف (البرق) ما يرى من النور لامعا خلال السحاب ، و(الرعد) : هو الصوت المسموع خلال السحاب وسببها على ما بين في الطبيعة : أن (البرق) يحدث من تقارب سحابتين مختلفتي الكهربية ، حتى يصير ميل إحدهما للاقتراب من الأخرى أشد من قوة الهواء على فصلهما فتتجهجم كل منهما على الأخرى بنور زاهر وصوت قوي شديد ، فذلك النور هو (البرق) ، والصوت هو (الرعد) الذي نشأ من تصادم دقائق الهواء الذي طرده كهربية البرق أمامها .

و(الصواعق) واحدها صاعقة وسببها أن السحب قد تمتلئ بكهربية ، والأرض بكهربية أخرى والهواء يفصل بينهما ، فإذا قاربت السحب وجه الأرض تنقض الشرارة الكهربية منها فتتزل صاعقة تهلك الحرث والنسل .

- وذكر محمد رشيد رضا أن الكهرباء موجود في النظام الكوني ، وأن (البرق) يتولد من اتصال نوعيها الموجب والسالب بقدرة الله تعالى كما يتولد في الأرض بعمل الإنسان .. و(الصاعقة) من أثر الكهربية وهي تفريغ السحاب طاقة منها في مكان لجاذب في الأرض يجذبه .

كما أشار إلى أن التوسع في مثل هذه العلوم والمتعلقة بالظواهر الطبيعية ليس من أغراض القرآن ومباحثه وذكرها من أجل الاعتبار والاستدلال وصرف العقل إلى البحث الذي يقوى به الدين والفهم الصحيح لعلوم الكون ...^(١) .

كما ذكر بأن ما روي عن الصحابة والتابعين في تفسير مثل هذه الظواهر لم يثبت فيها قول صحيح عن النبي ﷺ وإنما هي روايات إسرائيلية باطلة .

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (١/ ١٧٦) .

- وذكر طنطاوي جوهري في قوله بأن للظواهر الجوية أثراً في النفوس تذكر بمنعمها ، وتحدث عن الكهرباء الجوية .. (فالبرق) يحدث من تقارب سحابتين مختلفتي الكهربائية حتى يصير ميل الكهربائية الواحدة للاقتراب من كهربائية الأخرى أشد من قوى الهواء على فصلها كل منهما على الأخرى بنور زاهر وصوت شديد فالنور هو (البرق) والصوت هو (الرعد) يحدث من تصادم دقائق الهواء الذي تطرده كهربائية البرق أمامها .. كما تطرق أثناء تفسيره إلى عروج النبي محمد ﷺ إلى الملأ الأعلى واعتبره إشارة علمية لدراسة علوم الفضاء .

- وفي تفسير محمد الطاهر ابن عاشور يتضح الجانب العلمي ، وذلك عند تفسير (البرق) حيث يصفه بأنه : لامع ناري مضيء يظهر في السحاب ، و(الرعد) و(البرق) ينشآن في السحاب من أثر كهرباء يكون في السحاب ، فإذا تكاثفت سحابتان في الجو إحداها كهرباءؤها أقوى من كهرباء الأخرى وتحاكتا جذب الأقوى منهما الأضعف فحدث بذلك انشقاق في الهواء بشدة وسرعة فحدث صوت قوي هو المسمى (الرعد) وهو فرقعة هوائية من فعل الكهرباء ، ويحصل عند التقاء الكهرباءين وذلك انفداح البرق .

- وبنحوه قول الدكتور محمد محمود حجازي في تعريف (البرق) شرارة كهربائية تظهر في السماء من اتصال سحابتين مختلفتين في كهربتهما و(الرعد) هو صوت احتكاك الهواء الناشئ من تفريغ جزء منه بسبب احتراقه بالشرارة ، و(الصواعق) جمع صاعقة وسببها أن السحب قد تمتلئ بكهربة شديدة والأرض بكهربة أخرى مخالفة ، فإذا اقتربت السحب من الأرض حصل احتكاك كهربائي تنشأ عنه صاعقة إذا صادفت شيئاً أحرقته . كما ألمح إلى التفسيرات الأخرى والتي لا تنسجم مع القواعد العلمية الحديثة ، ثم ذكر الحديث الذي يقال عند سماع الرعد.

- وكذلك قال الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير (البرق) شرارة ضوئية تظهر في السماء بسبب تصادم الأجرام السحابية ، و(الرعد) الصوت المسموع خلال السحاب بسبب احتكاك الأجرام السماوية ، أي أنه ينشأ عند احتراق الهواء بالشرارة وظهور البرق ، الذي يحدث من تصادم سحابتين مختلفتي الشحنة الكهربائية ، ثم ينشأ عن تفريغ جزء من الهواء الذي يحدثه ، و(البرق) احتكاك الهواء الذي يطرده الهواء الذي يطرده البرق وظهور الرعد . و(الصواعق) جمع صاعقة وهي التي تحدث بسبب الاحتكاك الكهربائي بين السحب وكهربة الأرض عند تقارب السحب من الأرض ، فتنشأ عنه صاعقة تحرق ما تقع عليه .

كما أشار إلى الحديث الذي يخبر بكثرة الصواعق عند قرب الساعة ، وقال إن في الظواهر الكونية إظهاراً لحكمة الله وإرادته ، وتحمل وجهاً من النعم ، وإظهاراً للعذاب والنقمة من وجه آخر .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

تجدد وتكرار حدوث الظواهر الجوية وأحوال الطقس المختلفة تدل على محدثها وأن للكون خالقاً مقدرًا لشئون خلقه بميزان يغيب عن عقول البشر والإحاطة به من كل وجه .

عند تلاطم السحاب وتجاذبه كهربائياً يسمع صوت الرعد .

وهو في الحقيقة صوت فرقة الهواء المحتبس والمختنق بين السحاب ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (الرعد : ريح^(١) تختنق تحت السحاب فيكون منه تصاعد ذلك الصوت) . وقيل : (الرعد اصطكاك أجرام السحاب)^(٢) وهو عند احتكاك السحاب

(١) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ١٥١) .

(٢) أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط في علم التفسير (١/ ٨٣) ، وانظر ابن عطية الأندلسي : محمد عبدالحق ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٠٣) .

يظهر اللامع الناري وهو البرق . عندما يقترب اللامع الناري من كهرباء سطح الأرض يحصل التجاذب الكهربائي بين (السالب والموجب) فتحدث الصاعقة . وأما كرات البرد الثلجية المختلفة الأحجام فنتيجة عن قوة البرودة الجوية .

ومثل هذه العلوم كشف عنها العلم الحديث ، وهو ما أشار إليه القرآن وسبق به . وهذا وجه من أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

ومن الحقائق التي كشف عنها العلم : الكهرباء^(١) ، وقد استغلها الإنسان لمنفعته وراحته . فالكهرباء هي المحرك الأول للمصانع ولكل وسائل النقل الإتصال وكل المستلزمات الصناعية .

فهي قوة جبارة أدرك الإنسان فوائدها . لها دور كبير في حدوث البرق والرعد والصواعق وتكوين البرد والتي أوضح عن بعض معالمها علم الأرصاد الجوية (وما قيل في تفسيرات الرعد بأنه صوت ملك وغيره ، لم يثبت في تلك الأقوال قول صحيح عن النبي محمد ﷺ .

وأكثر الأخبار الواردة في هذه الظواهر الجوية التي تصاحب نزول المطر وردت موقوفة على أصحابها وبعضها روايات إسرائيلية باطلة) .

وحقيقة (تسبيح) الرعد الله أعلم به حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ

السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٤] . وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ

(١) توجد الكهرباء في كل شيء ، وتكون الكهرباء مخفية في قطعة المادة ، ولا تظهر إلا إذا حدث ما يظهرها ... (استخدمت) هذه القوة لإنارة المنازل (و أخص خصوصية الإنسان كهرباء) .

إيرام فريمان ، كل شيء عن الكهرباء ، ترجمة كرم كامل إبراهيم (ص ١) .

صَفَّيْتُ كُلَّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ [النور: ٤١].

ولعل المعنى والله تعالى أعلم : حدوث الرعد واقع بأمر الله تعالى ، وأن الرعد نفسه يسبح لله تعالى تسبيح لا نعرفه ولا نفقهه من حيث أنه مخلوق مسخر ويشهد بالوحدانية ويدل عليها، وهو مظهر لتذكير سامعيه بتسبيح الله تعالى الذي خضع لعظمته وقهره وإرادته كل شيء في الوجود .

عن أبي هريرة ، رفع الحديث (أنه كان إذا سمع الرعد قال : سبحان من يسبح الرعد بحمده)^(١) ، ومثل هذه الظواهر الجوية فيها وجه من النعمة والرحمة بالعباد وقد تكون وجهها من العقاب والعذاب ، فقد كان رسول الله ﷺ يقول : «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»^(٢) ، وإذا اشتد المطر يقول: «اللهم حوالينا لا علينا»^(٣).

(١) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣/ ١٢٤) ، وينحو لفظه أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كتاب الدعاء (١١) ، الرعد ما يدعى له رقم الأثر (٢٢٩٢١) ، (٦/ ٢٦-٢٧) . روى مالك في الموطأ عن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال : (سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) . مالك بن أنس ، الموطأ ، كتاب الكلام (١) باب القول إذا سمع الرعد رقم الحديث (٢٦٦) (٢/ ٩٩٢) .
(٢) سبق تخريج الحديث (ص ٢٨٥) .

(٣) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (٦٦) ما كان النبي ﷺ يقول إذا اشتد المطر ، رقم الحديث (٢٩٥٧١) (٦/ ٧٣) ، وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٥) كتاب الاستسقاء ، (١٤) باب الدعاء إذا كثرت المطر (حوالينا ولا علينا) (١٩/ ١) ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري (٢/ ٥١٢) رقم الحديث (١٠٢١) .

كما سبقت الإشارة إلى الحديث الذي يشير إلى كثرة الصواعق عند اقتراب الساعة^(١) .
 وإليك الآيات الكريمة التي ذكر فيها : البرق والرعد والصواعق والبرد .
 ذكر لفظ (البرق) مرة واحدة و(الصاعقة) (٤) مرات في الآيات المكية .
 (البرق) :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الروم	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٢٤

(الصاعقة) :

م	السورة	الآية	رقمها
١	فصلت	﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾	١٣
٢	فصلت	﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	١٧
٣	الذاريات	﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾	٤٤

وذكر لفظ (رعد) مرتين :

م	السورة	الآية	رقمها
١	البقرة	﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي هَآذِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾	١٩
٢	الرعد	﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ	١٣

	فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿٤٣﴾	
--	---	--

وذكر لفظ (برد) مرّة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	النور	﴿الَّذِينَ اللَّهُ يُزَيِّجُ سَعَابًا ثُمَّ يَقُولُ يَبْنَؤُا ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ (١)	٤٣



(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ١١٧-٣٢٢، ١١٨-٤٠٨).

الباب الثالث

مناهج المفسرين

في بيان المدخرات الطبيعية وظواهرها

يشتمل هذا الباب على فصلين ، في الفصل الأول ثلاثة مباحث ، وفي الفصل الثاني أربعة مباحث .

في الفصل الأول ذكرت أقوال المفسرين المعاصرين ، وذكرت أقوال غيرهم لتمام الفائدة ، وقد عرضت تفسير آية في مبحث في (الأرض) ، وتفسير آية في (الجبال) ، وتفسير آية في (البحار والأنهار) .

وكذلك عرضت في الفصل الثاني تفسير آية في (الليل والنهار) ، وتفسير آية في (الدواب والطيور) ، وتفسير آية في (النبات والحرث) ، وتفسير آية في (الزلازل) . وفي كل مبحث في الباب عرضت أقوال المفسرين ومناهجهم ، مع ذكر النتيجة ، والتي فيها معنى الآية ، مع إبراز الجانب العلمي في تفسير كل آية عرضت في كل مبحث .

الفصل الأول : المدخرات الطبيعية

المبحث الأول : الأرض .

المبحث الثاني : الجبال .

المبحث الثالث : البحار والأنهار .

الفصل الثاني : من الظواهر الطبيعية

المبحث الأول : الليل والنهار .

المبحث الثاني : الدواب والطيور .

المبحث الثالث : النبات والحرث .

المبحث الرابع : الزلازل والبراكين .

الفصل الأول

المدّخرات الطبيعية

المبحث الأول : الأرض .

المبحث الثاني : الجبال .

المبحث الثالث : البحار والأنهار .

المبحث الأول : الأرض

ذكر لفظ (الأرض) في القرآن الكريم (٤٥٣) مرة ^(١).

تأمل وتدبر هذه الآيات الكريمة ، قال الله تعالى :

(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ١١٦].

(٢) وقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمُ الْغُدُوءُ﴾ [الرعد: ١٥].

(٣) وقوله تعالى : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَنْهَمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦].

(٤) وقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحُهُمْ مَتْنًى وَثُلُثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

(٥) وقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

(٦) وقوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣].

(٧) وقوله تعالى : ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ [الرحمن: ٣٣].

(٨) وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٢٦-٣٢).

وذكر بعض أهل التفسير أن (الأرض) في القرآن على سبعة عشر وجهاً:

الوجه الأول : أرض (الأردن) ومنه قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية : ٦٠] .

الوجه الثاني : أرض (القبر) ومنه قوله تعالى في سورة النساء :

﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [الآية : ٤٢] .

الوجه الثالث : أرض (مكة) ومنه قوله تعالى في سورة النساء :

﴿قَالُوا فِيْمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية : ٩٧] .

الوجه الرابع : أرض (المدينة) ومنه قوله تعالى في سورة النساء :

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [الآية : ٩٧] .

الوجه الخامس : أرض (التيه) ومنه قوله تعالى في سورة المائدة :

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية : ٢٦] .

الوجه السادس : أرض (الإسلام) ومنه قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ

مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية : ٣٣] .

الوجه السابع : أرض (مصر) ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ

اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية : ١٢٨] .

الوجه الثامن : أرض (الشام) ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ

كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الآية : ١٣٧] .

الوجه التاسع : (الأرضون السبع) ومنه قوله تعالى في سورة هود :

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [الآية : ٦] .

الوجه العاشر : أرض (الحجر) ومنه قوله تعالى في سورة هود :

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾ [الآية : ٦٤] .

الوجه الحادي عشر : (القلب) ومنه قوله تعالى في سورة الرعد : ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَرَقٍ كَذَلِكَ يُضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الآية : ١٧] .

قال مقاتل : الماء المذكور في هذه الآية (القرآن) ، فعلى قوله الأرض المذكورة القلوب^(١) . وأرى في هذا الوجه تأويل بعيد .

الوجه الثاني عشر : أرض (الغرب) ومنه قوله تعالى في سورة الكهف :

﴿إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية : ٩٤] .

الوجه الثالث عشر : أرض (الجنة) ومنه قوله تعالى في سورة الأنبياء :

﴿أَنْتَ الْأَرْضُ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الآية : ١٠٥] .

الوجه الرابع عشر : أرض (الروم) ومنه قوله تعالى في سورة الروم :

﴿الَّذِينَ غَلِبَتْ الرُّومُ﴾ ① ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ ② [الآية : ١-٣] .

الوجه الخامس عشر : أرض (بني قريظة) ومنه قوله تعالى في سورة الأحزاب :

﴿وَأَوْزَكْنَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَبْدُرْهُمْ﴾ [الآية : ٢٧] .

(١) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص ١٦٨-١٧٢) .

الوجه السادس عشر : أرض (فارس) ومنه قوله تعالى في سورة الأحزاب :

﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْشُوهَا ﴾ [الآية : ٢٧] .

الوجه السابع عشر : أرض (القيامة) ومنه قوله تعالى في سورة الزمر :

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الآية : ٦٩] .

السبع الأرضون في نفس الأرض ولمحة من تاريخ الأرض ومنافع الأرض والحكمة من خلقها :

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

في الآية الكريمة دلالة (على كمال (قدرة الله تعالى) وأنه يقدر على البعث والمحاسبة) ^(١) .

ولعل المثلية المذكورة في الآية هي سبع طبقات وهي التي تتكون منها الأرض (وقد خلق الله تعالى سبع أرضين ، بعضهن فوق بعض ، كما ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال : « من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين » ^(٢) .

(أرضين) سبع طبقات (بعضهن فوق بعض ... وقد ذكر أبو بكر الأنباري ^(٣) الإجماع على ذلك وأراد به إجماع أهل الحديث والسنة) ^(٤) .

(١) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ١٧٤) .

(٢) ذكرت رواية الحديث التي عند البخاري (٥٩) كتاب بدء الخلق (٢) باب ما جاء في سبع أرضين (٧٣ / ٢) . شرح الحديث ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، فتح الباري (٦ / ٢٩٣) رقم الحديث (٣١٩٥) .

(٣) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر الأنباري (٢٧١-٣٢٨هـ / ٨٨٤-٩٤٠م) ، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة ، ولد بالأنبار (على الفرات) وتوفي ببغداد ، من كتبه (عجائب علوم القرآن) . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٦ / ٣٣٤) .

(٤) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى (٦ / ٥٩٥) .

واختلف علماء الجيولوجيا في عدد طبقات الأرض فذكر بعضهم (أن الأرض مكونة من ثلاث طبقات) ^(١) ، و(كان تعداد طبقات الأرض في بعض المراجع يصل إلى تسع طبقات) ^(٢) .

ورجح الأستاذ حسن أبو العينين القول بأن عدد طبقات الأرض (سبع) ، (وقد توصلت نتائج البحوث الجيوفيزيقية إلى وجود طبقات للكرة الأرضية تتعاقب إحداها فوق الأخرى ولكل منها دوره المهم في الحفاظ على استمرار الحياة ومعيشة الإنسان على سطح الأرض ، وفي بقاء الأرض في الفضاء بالصورة التي عليها اليوم ، وتمثل هذه الطبقات الأرضية السبع في الآتي : ...) ^(٣) . وهذا قول (الجمهور) ^(٤) من العلماء (القدامى والمعاصرين) ^(٥) ويرى بعض العلماء أن الأرض تكونت في حالة الفتق ^(٦) عند انفصال جزء من الشمس أو السديم ^(٧) الأول ، ثم حدثت الزلازل والبراكين وخرج بخار الماء من باطنها في فترة زمنية لاحقة ، وعند برودة القشرة تكثف بخار الماء المحيط بها فتكونت مياه البحار والمحيطات ^(٨) ، واتضح معالم سطح الكرة الأرضية من جبال وهضاب وسهول وتلال ^(٩) . وأدرك بعض العلماء منذ القدم كروية الأرض التي نعيش عليها وأنها معلقة

(١) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي (ص ١٦٣) .

(٢) د. عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية (ص ٢٢) .

(٣) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢ / ١٠٠ - ١٠١) .

(٤) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن (٢٨ / ١٧٤) .

(٥) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٨ / ٢٩٩) .

(٦) انظر (ص ١٢٨ - ١٣٥) .

(٧) سبق تعريفه (ص ١٤٢) .

(٨) د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم (ص ٢٥١ - ٢٥٣) .

(٩) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢ / ١٣٩) .

في الفضاء تسبح في فلكها . وأكد فلاسفة الإغريق ذلك ووجدت لهم كتابات ودراسات (٣٨٤-٣٢٢) قبل الميلاد . وقد حظيت هذه المسألة باهتمام الجغرافيين المسلمين^(١)

مثل: أ- الاصطخري ، ب - وابن حوقل ، ج - والإدريسي ، د - وياقوت الحموي ،

(١) ومنهم :

أ - الاصطخري : توفي (٣٤٦هـ / ٩٥٧م) إبراهيم بن محمد الفارسي ، أبو إسحاق الإصطخري ويقال له الكرخي : جغرافي ، رحالة ، من العلماء ، من أهل اصطخر (بإيران) قام بسياسة طاف بها بلاد العرب وبعض بلاد الهند ، واستعان بكتاب (صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي ، فألف كتابه (صور الأقاليم) على كتاب البلخي ، و(مسالك الممالك) . خير الدين الزركلي ، الأعلام (١ / ٦١) .

ب - ابن حوقل : توفي بعد ٣٦٧هـ / ٩٧٧م ، محمد بن حوقل البغدادي الموصل ، أبو القاسم رحالة ، من علماء البلدان ، رحل من بغداد سنة ٣٣١هـ ودخل المغرب وصقلية ، وجاب بلاد الأندلس وغيرها ، له كتاب (المسالك والممالك) . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٦ / ١١١) .

ج - الإدريسي (٤٩٣-٥٦٠هـ / ١١٠٠-١١٦٥م) ، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالب ، أبو عبد الله ، مؤرخ ، من أكابر العلماء بالجغرافيا ، من أدارسة المغرب الأقصى ، ولد في سبتة ونشأ وتعلم بقرطبة ، ورحل رحلة طويلة انتهى بها إلى صقلية ، له كتاب سباه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) .

خير الدين الزركلي ، الأعلام (٧ / ٢٤) .

د - ياقوت الحموي (٥٧٤-٦٢٦هـ / ١١٧٨-١٢٢٩م) ، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي أبو عبد الله ، شهاب الدين ، مؤرخ ثقة من أئمة الجغرافيين ، ومن العلماء باللغة والأدب ، أصله رومي ، من كتبه (معجم البلدان) .

خير الدين الزركلي ، الأعلام (٨ / ١٣١) . انظر للتوسع : د. حربي عباس عطيتو محمود ، د. حسان حلاق ، العلوم عند العرب ، أصولها وملاحمها الحضارية (ص ٣٥٧) .

ومن العلماء مثل :المسعودي^(١) والمقدسي^(٢) وابن خلدون^(٣) وابن القيم^(٤) وابن حزم^(٥) ونقل ابن تيمية^(٦) إجماع العلماء على كروية الأرض(.. وكذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة)^(٧).

(١)المسعودي (توفي ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ، علي بن الحسين بن علي ، أبو الحسن المسعودي ، من ذرية عبد الله بن مسعود مؤرخ ، رحالة ، بحاث ، من أهل بغداد ، أقام بمصر وتوفي فيها ، كان معتزليا ، من تصانيفه (مروج الذهب) .خير الدين الزركلي ، الأعلام (٤/ ٢٧٧) .

(٢)المقدسي (٣٣٦ نحو ٣٨٠هـ/ ٩٤٧ نحو ٩٩٠م) ، محمد بن أحمد بن أبي بكر البنا المقدسي ، ويقال له البشاري ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، رحالة جغرافي ، هيا له المعرفة بغوامض أحوال البلاد ، فطاف أكثر بلاد الإسلام ، وصنف كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) .
خير الدين الزركلي ، الأعلام (٥/ ٣١٢) .

(٣)ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ/ ١٣٣٢-١٤٠٦م) ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ، الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعي البحاثة ، أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس ، توفي فجأة في القاهرة .
خير الدين الزركلي ، الأعلام (٣/ ٣٣٠) .

(٤)سبق ترجمته (ص ٤٥) .

(٥)ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ/ ٩٩٤-١٠٦٤م) ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد ، عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الإسلام . كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل (مطلب في كروية الأرض) .

خير الدين الزركلي ، الأعلام (٧/ ٢٥٤) .

(٦)ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ/ ١٢٦٣-١٣٢٨م) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحرائي ، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية ، الإمام شيخ الإسلام .
خير الدين الزركلي ، الأعلام (١/ ١٤٤) .

(٧)ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٤٢، ١٩٥) ، (٦/ ٥٨٦-٥٨٨) ، د. حسن أبو العنين ، من الإعجاز العلمي في القرآن (٢/ ١٥) .

وأفرد الشيخ الصابوني الأدلة من القرآن الكريم على حركة الأرض ودورانها^(١) وأظهرت صور الأقمار الفضائية يقينا أن الأرض كروية الشكل .

يقول الرائد الفضائي السوفييتي تيتوف في ٦ / ٨ / ١٩٦١ م في سفينة مستوك ٢ (لقد رأيت الأرض معلقة في الفضاء وتساءلت من يمسكها فلا تقع)^(٢) .

قال الجاحظ في وصف الأرض : (خلقت راتبة ركدة لتكون وطاء ومستقرا للأشياء ويتمكن الناس والأنعام من السعي عليها في مآربهم والجلوس لراحتهم والنوم لهدوئهم والإتقان لأعمالهم ، فإنها لو كانت رجراجة منكفئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء ، والتجارة ، والحداة ، والصياغة والحياكة ، بل كانوا لا يتهنون بالعيش)^(٣) .

وبنحو ذلك ذكر الغزالي في سياق بيان الحكمة في مخلوقات الله تعالى حيث ذكر أن من حكمة الله في خلق الأرض (ذلها لينتقل فيها الخلق لطلب مآربهم ، وكذلك هي موضوعة لبقاء النسل)^(٤) . كما خلق الله تعالى فيها المعادن وجعلها رخوة لزراعة الأقوات والثمر)^(٥) .

وقد بين ابن قيم الجوزية من الآيات العظيمة المشاهدة فذكر بعض دلائل كمال قدرة الله سبحانه وتعالى (في خلق الأرض)^(٦) وتلك الدلائل ناطقة بالوحدانية والعبودية للخالق (... آيات الأرض أنواع كثيرة ، منها خلقها وحدوثها بعد عدمها ،

(١) محمد علي الصابوني ، حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن (ص ١١) .

(٢) د. منصور حسب النبي ، ارتياد الفضاء بين العلم والقرآن (ص ٢٢) بتصرف .

(٣) الجاحظ : أبو عثمان ، عمر بن بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (ص ٢٩) .

(٤) بقاء النسل من أجل عبادة الكون .

(٥) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، الحكمة في مخلوقات الله (ص ٣٢-٣٤) .

(٦) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، الفوائد (ص ٣٦) .

وشواهد الحدوث والافتقار إلى الصانع عليها لا تجحد ، فإنها شواهد قائمة بها ، ومنها بروز هذا الجانب فيها عن الماء ، مع كون الطبيعة أن يكون مغمورا به ومنها سعتها وكبر خلقها ، ومنها تسطيحها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية : ٢٠] ولا ينافي كونها كرية ، فهي كرة في الحقيقة لها سطح يستقر عليه الحيوان .. وطحائها فمدها وبسطها ، ووسعها ودحاها ، فهيأها لما يراد منها بأن أخرج منها ماءها ومرعاها وشق فيها الأنهار ...

ثم ذكر أوجه النعمة المستفادة من الأرض ، فذكر استقرارها بوضع الرواسي عليها وجعل في باطنها من خيرات المعادن الشيء الكثير ، كما يستنبت الزرع فيها ، ويأكله الإنسان والحيوان فالحمد لله والشكر له سبحانه .. (فياها من آية تكفي وحدها في الدلالة على وجود الخالق ، وصفات كماله وأفعاله) .

ثم أكد مكررا بأن في الأرض (دلالة على أنها مخلوقة ، مصنوعة ، مربوبة ، مدبرة ، حادثة بعد عدمها فقيرة إلى موجد غني عنها مؤثر غير متأثر تنقاد المخلوقات كلها لقدرته ، وتجب داعي مشيئته ، وتلبي داعي وحدانيته وربوبيته ، وتشهد بعلمه وحكمته ، وتدعو عباده إلى ذكره وشكره وطاعته وعبوديته ومحبته ، وتحذرهم من بأسه ونقمته ، وتحثهم على المبادرة إلى رضوانه وجنته .. فياها من آية تكفي وحدها في الدلالة على وجود الخالق .. وعلى صدق رسله فيما أخبروا به عنه ، بإخراج من في القبور ليوم البعث والنشور) ^(١) .

ودوران الكرة الأرضية بثقلها حول نفسها سابحة في فلكها حول الشمس تحكمها جاذبيتها ، بتقدير من الله العليم الحكيم ، لما في ذلك من منافع تقوم بها حياة الكائنات ، من تعاقب الليل والنهار ، ودورة الفصول الأربعة كل عام .

(والأرض بعدها عن الشمس ١٥٠ مليون كم ومساحتها ٥١٠ مليون كم .

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن (ص ٢٩٥-٢٩٩) .

تدور حول الشمس مرة واحدة كل ٣٦٥ يوما فتحدث فيها الفصول الأربعة ، وتدور حول محورها المائل مرة كل ٢٤ ساعة تقريبا فيحدث الليل والنهار فيها ٧١٪ من سطحها مياه ، و٢٩٪ من سطحها يابسة ، وهي الكوكب السيار الوحيد الذي جعله الله صالحا للحياة فقربها من الشمس معتدل ، والحرارة التي تصل إليها معتدلة وجعل لها قمرا منيرا يدور حولها ، وهي تمتاز بوجود الماء والهواء الصالحين للحياة .. وذكرت الأرض في القرآن كثيرا لما فيها من مظاهر (مختلفة) تدعو إلى الإعجاب والتفكير في خلق الله تعالى ، للوصول إلى معرفته ، والإيمان به ، ولما خصها الله تعالى من موقع ملائم لظهور الحياة عليها ، بدورائها المنتظم ، وجاذبيتها المستقرة ، وكثافتها الملائمة^(١) .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى مناخ سطح الأرض متنوعا حتى تتنوع الكائنات النباتية والحيوانية من مكان لآخر^(٢) .

(وقشرة الأرض مكونة من مواد بنسب مختلفة ولذلك نجد منها الرخوة والصلبة والرملية والسبخة^(٣) والحررة^(٤) .. وإن بقاع الأرض التي تشكل القشرة الأرضية منها قد تكون ذات اللون الأحمر والأبيض والأسود)^(٥) .

وقد ذكر في القرآن الكريم خلق الأرض ، وكان الخلق في يومين وتقدير أقواتها في يومين أيضا . وذهب بعض المفسرين إلى أن اليومين المراد بهما زمن مقدر يختلف عن أيام الدنيا . وقدر ذلك اليوم بألف عام وبخمسین ألف عام .

(١) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق (ص ٩٨-١٠٩) بتصرف .

(٢) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ١٩٥) .

(٣) أرض سبخة أي ذات ملح ، الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، مادة (س ب خ) (ص ٢١٤) .

(٤) تعريف الحررة ذكر (ص ٥٩٠) .

(٥) د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم (ص ٣٨٢) بتصرف .

وذكر بعض أهل التفسير أن (اليوم) في القرآن على ستة أوجه :

الوجه الأول : يوم يعني (طلوع الشمس من مغربها) قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْدِيكُمْ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا أَنَا مُنْظَرُونَ﴾ [الآية : ١٥٨] . يعني يوم طلوع الشمس من مغربها^(١) .

الوجه الثاني : يوم بمعنى (حين) فذلك قوله تعالى في سورة مريم :

﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [الآية : ١٥] .

الوجه الثالث : يوم يعني يوم (غلبت الروم فارس) وقيل (يوم الحديبية) قوله تعالى في سورة الروم : ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية : ٤٠، ٥] .

الوجه الرابع : (يوم يعني يوما من أيام الدنيا) قوله تعالى في سورة السجدة :

﴿يَذَرُ الْأُمَرَاءَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الآية : ٥] .

الوجه الخامس : يوم يعني (يوم القيامة) قوله تعالى في سورة يس :

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الآية : ٦٥] .

الوجه السادس : يوم يعني من الأيام (الستة التي خلق الله تعالى فيها الدنيا) قوله تعالى في

سورة فصلت : ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية : ٩] .

(١) الدامغاني : الحسين بن محمد ، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم

وسأعرض لك أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى ﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١٠٠ ﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِيسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ [فصلت : ٩-١٠] .

(١) قول القاسمي :

﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ أي مقدارهما .

وبين هذا المقدار عند تفسير قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ [الأنبياء : ٣٠] أي كتلة واحدة . فدارت ثم تقطعت وتفصلت بالقوة الدافعة فتكونت الأرض والسموات تصديقا لقوله ﴿ فَفَنَقَّصْنَاهُمَا ﴾ أي فصلناهما ، فصارت كرات من الماء في يومين ، أي ألفي سنة لقول تعالى : ﴿ وَلَئِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] ^(١) .

(٢) قول المراغي :

في تفسير اليوم (النوبة) :

﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ كيف تكفرون بالله الذي خلق الأرض التي تقلكم في نوبتين؟ فتقولوا إنه لا يقدر على حشر الموتى من قبورهم . ثم بين حالة الأرض عند الخلق في نوبتين نوبة جامدة بعد أن كانت كرة غازية ، ومرة جعلها ستا وعشرين طبقة أطوارا كما بين ذلك علماء الأرض ^(٢) .

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦ / ١٤٥-١٤٦) .

(٢) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢٤ / ١١٠) .

(٣) قول محمد رشيد رضا :

ذكر خلق الأرض عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] وبين أن الأيام التي خلقت فيها السموات والأرض ، وبين الأيام التي مرت بها الأرض حالة تكوينها . (قد وصف تعالى خلقها وخلق السماء في سورة (حم السجدة) بما يدل على هذه الأيام فقال : ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَيَتَحَدَّثُونَ لَهُمْ أُنَادَاً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٩) وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ١٠ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ [فصلت: ٩-١٢] .

ووصف أصل تكوينها وحال مادتها في سورة الأنبياء الآية (٣٠) بقوله : ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ثم ذكر ما يستفاد^(١) من هذه الآيات .

وقد أبرز الناحية العلمية حيث بين على التفصيل الأيام التي مرت بها مراحل تكوين الكرة الأرضية (فيعلم من هذا أن اليوم الأول من أيام خلق الأرض هو الزمن الذي كانت فيه كالدخان حين فتقت من رتق المادة العامة التي خلق منها كل شيء مباشرة أو غير مباشرة ، وأن اليوم الثاني هو الزمن الذي كانت فيه مائية بعد أن كانت بخارية أو دخانية ، وأن اليوم الثالث هو الزمن الذي تكونت فيه اليابسة ونبأت منها الرواسي فتماسكت بها ، وأن اليوم الرابع هو الذي ظهرت فيه أجناس الأحياء من الماء وهي النبات والحيوان . فهذه أزمنة لأطوار من الخلق قد تكون متداخلة ...) .

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٨/ ٤٤٦) .

وبعد هذا العرض ذكر ما يستفاد من الآيات الكريمة التي ذكرت أطوار تكون الأرض في الأيام الأربعة السابقة الذكر قال : (هذا يتفق مع المختار عند علماء الكون في هذا العصر من أن المادة التي خلقت منها هذه الأجرام السماوية وهذه الأرض كان كالدخان ، ويسمونها السديم ، وكانت مادة واحدة رتقا ثم انفصل بعضها من بعض ، .. فهم يقولون أن تلك المادة السديمة كانت مؤلفة من أجزاء دقيقة متحركة ، وأنها قد تجمع بعضها وانجذب إلى بعض بمقتضى سنة الجاذبية العامة ، فكان منها كرة عظيمة تدور على محور نفسها ، وأن شدة الحركة أحدثت فيها اشتعالا فكانت ضياء ، أي نوراً ذا حرارة وهذه الكرة الأولى من عالمنا هي التي نسميها الشمس ، ويقولون أيضا أن الكواكب الدراري التابعة لهذه الشمس فيما نشاهد من نظام عالمنا هذا قد انفثقت من رتقها ، وانفصلت من جرمها ، وصارت تدور على محاورها مثلها . ومنها أرضنا هذه فقد كانت مشتعلة مثلها ، ثم انتقلت من طور الغازات المشتعلة إلى طور المائية في زمن طويل بنظام مقدر بكثرة ما فيها من العنصرين اللذين يتكون منهما بخار الماء ، فكانا يرتفعان منها في الجو فيبردان فيكونان بخارا فماء ينجذب إليها ثم يتبخر منها حتى غلب عليها طور الغازات المشتعلة إلى طور المائية في زمن طويل بنظام مقدر بكثرة ما فيها من العنصرين اللذين يتكون منهما بخار الماء فكانا يرتفعان منها في الجو فيبردان فيكونان بخارا فماء ينجذب إليها ثم يتبخر منها حتى غلب عليها طور المائية . ثم تكونت اليابسة في هذا الماء بتجمع موادها أجزاء المادة وتجمع بعضها على بعض بنسب ومقادير مخصوصة ، وقد ظهرت بالبحث والحفر أن بعض طبقات الأرض خالية من آثار الحيوان والنبات جميعا فعلم أن تكونها كان قبل وجودهما فيها^(١) .

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٨ / ٤٤٧) .

ثم أشار محمد رشيد رضا إلى أن من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم أنه ذكر حقائق عن نشأة الكون وتكوينه ونظامه ولم يكن يعرفها المخاطبون وقت نزول القرآن الكريم ، وبتلقي العقل البشري في العلوم والفنون أدرك بعض معالم ما أشار إليه القرآن الكريم .

وقوله هذا ينبني على من يرى أن القرآن الكريم أشار إلى كليات العلوم وأصول المسائل وترك للعقل البشري البحث عن الجزئيات . كما أشار أيضا إلى مقصد هام من مقاصد السور المكية من خلال عرض آيات الكون ، وهو بيان (دقة نظام الكون) ، وهذا أكبر دليل على عظمة الخالق ، حيث يظهر ذلك في نظام الخلق وسننه ، وهذا شاهد على الإرادة والاختيار والعلم والحكمة ووحدانية نظام الكون تدل على وحدانية الرب الخالق سبحانه وتعالى^(١) .

كما تحدث محمد رشيد رضا عن خلق الأرض عند قوله تعالى : ﴿لَيْسَ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف : ٥٤] . وبين أن الأيام التي خلقت فيها السموات والأرض ليست مثل أيامنا (هذه الأيام الستة من أيام الله تعالى التي يتحدد اليوم منها بعمل من أعماله يكون فيه . قال الله تعالى : ﴿لَيْسَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج : ٤٧] ، ووصف القيامة بقوله : ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة : ٥] .

ولا يعقل أن تكون هذه الأيام الستة من أيام أرضنا التي يحد ليل اليوم ونهاره منها بأربع وعشرين ساعة من الساعات المعروفة عندنا ، فإن هذه الأيام إنما وجدت بعد خلق هذه الأرض (فكيف خلقها في أيام منها) . كما ذكر الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بيدي فقال خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٨ / ٤٤٤ - ٤٤٩) بتصرف .

يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل^(١).

وقد ذكر محمد رشيد رضا ضعف الآثار والأخبار المروية في أيام الدنيا وأنها روايات إسرائيلية ، وأن هذا الحديث المروي عن أبي هريرة في صحيح مسلم مردود* لمخالفة نص كتاب الله تعالى ، وأن هذا الحديث برواية عن حجاج بن محمد الأعور المصيصي^(٢) ، ثبت أنه حدث بعد اختلاطه ، وقد تكلم في هذا الحديث من الحفاظ الإمام البخاري وغيره ، وجعلوا من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ، ليس مرفوعا ، فيكون رفع الحديث عن أبي هريرة من خلط حجاج بن محمد الأعور^(٣) . وقد سبق بالتعليق على هذا الحديث ابن كثير بقوله : (فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج ، وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رحمته الله عن كعب الأحبار وهو الأصح)^(٤) ، كما يؤيد محمد رشيد رضا القول بكروية الأرض^(٥) (ثبت من كون الأرض كروية الشكل تدور على محورها تحت الشمس فيكون نصفها مضيئا بنورها

(١) صحيح مسلم (٥٠) كتاب المنافقين (١) باب بدء الخلق وخلق آدم (٤/٢١٤٩) ، رقم الحديث (٢٧٨٩) ، صحيح مسلم بشرح النووي (١٦-١٣٣-١٣٤) .

* سيأتي التعليق والرد على تضعيف الحديث الصحيح انظر: (ص٣٢٦).

(٢) حجاج بن محمد المصيصي - بكسر ميم وشدة صاد مهملة أولى ويقال بفتح ميم وخفة صاد - الأعور ، أبو محمد مولى سليمان بن مجالد ، ترمذي الأصل ، كان ثقة صدوقا إن شاء الله وكان قد تغير في آخر عمره . ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب (٢/٢٠٥) .

(٣) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٨/٤٤٩) .

(٤) الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٤/٩٤) .

(٥) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (١/٢١١) .

دائماً والنصف الآخر مظلماً .. ومسألة الليل والنهار معلومة بالقطع في هذا العصر فيمكن تحديد ساعات الليل والنهار في كل قطر^(١) .

(٤) قول طنطاوي جوهرى :

في قوله تعالى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ في نوبتين ، خلق الأرض في نوبتين : نوبة جعلها جامدة بعد أن كانت كرة غازية ومرة جعلها طبقة في ستة أدوار ظاهرة في علوم طبقات الأرض ، فجمودها نوبة ونظام طبقاتها نوبة^(٢) . كما يرى أن تقدير ذلك اليوم بألف عام . (.. فإذا قرأنا في القرآن ﴿وَلَيْكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج : ٤٧] وقرأنا :

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج : ٤] قلنا إن اليوم قد يكون آلاف الآلاف من

السنين ، وإذن تكون تلك الأيام المذكورة في القرآن لتفتح العقول إلى البحث .. ثم أشار إلى بعض ملامح الأرض أثناء مراحل تكوينها^(٣) .

(٥) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

ذكر مناسبة بدء السورة وأنها مترابطة الأغراض ، وفيها تذكير بوحدانية الخالق ، قوله تعالى : ﴿لَيْكَ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف : ٥٤]

(جاءت أغراض هذه السورة متناسبة متماسكة ، فإنها ابتدئت بذكر القرآن الكريم والأمر باتباعه ، ثم الاستدلال على وحدانية الله والامتنان بخلق الأرض والتمكن منها بخلق أصل البشر وخلقهم .. فلا جرم تهيأت الأسماع والقلوب لتلقي الحجة على أن الله إله واحد

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٨ / ٤٤٤ - ٤٥٦) .

(٢) طنطاوي جوهرى ، الجواهر في تفسير القرآن (١٩ / ٨٩) .

(٣) المرجع السابق (٦ / ٥ - ٦) .

وأن آلهة المشركين ضلال وباطل ، ثم لبيان عظيم قدرته ومجده ، وقوله ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ تعليم بعظيم قدرته ويحصل منه للمشركين زيادة شعور بضلالهم في

تشريك غيره في الإلهية ... واقتضت حكمة الله أن يكون خلق السموات والأرض مُدْرَجًا ، وأن لا يكون دفعة واحدة لأنه جعل العوالم متولدا بعضها من بعض لتكون أتعن صنعاً مما لو خلقت دفعة واحدة ، وليكون هذا الخلق مظهراً لصفتي علم الله وقدرته ، فالقدرة صالحة لخلقها دفعة ، لكن العلم والحكمة اقتضيا هذا التدرج ، وكانت تلك المدة أقل زمن يحصل فيه المراد من التولد (أي حدوث خلق الكون نشأت عوالمه بعضها من بعض) وكان ذلك بعظيم القدرة ، ولعل تكرر ذكر هذه الأيام في آيات كثيرة لقصد التنبيه إلى هذه النكتة البديعة من كونها مظهر سعة العلم وسعة القدرة) .

ثم تعرض لبيان المقدار المحتمل لليوم الذي خلقت فيه الأرض .

حيث أشار إلى أن مقدار اليوم في الخلق قد يماثل تلك الأيام المعروفة عند الناس إذ لم يكن يعرف الناس مقدار ذلك اليوم إلا بعد تمام خلق السماء والأرض .

وذكر أيضاً أن تقدير يوم الخلق يحتمل بأن يكون ألف عام أو يقدر بستة أوقات ، فإن اليوم يطلق على عموم الوقت ، ثم ألمح إلى أن التعمق في مثل تلك المباحث خروج عن مقاصد القرآن وأغراضه .

(وظاهر الآيات أن الأيام هي المعروفة للناس ، التي هي جمع اليوم الذي هو مدة تقدر من مبدأ ظهور الشمس في المشرق إلى ظهورها في ذلك المكان ثانية ، وعلى هذا التفسير فالتقدير في ما يماثل تلك المدة ست مرات ، لأن حقيقة اليوم بهذا المعنى لم تتحقق إلا بعد تمام خلق السماء والأرض، ليتمكن ظهور نور الشمس على نصف الكرة الأرضية وظهور الظلمة

على ذلك النصف إلى ظهور الشمس مرة ثانية^(١) ، وقد قيل : إن الأيام هنا جمع اليوم من أيام الله تعالى الذي هو مدة ألف سنة ، فستة أيام عبارة عن ستة آلاف من السنين نظرا لقوله تعالى : ﴿وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج : ٤٧] ، وقوله : ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة : ٥] ، وقيل المراد : في ستة أوقات فإن اليوم يطلق على الوقت كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ﴾ [الأنفال : ١٦] .

وأيا ما كان فالأيام مراد بها مقادير الأيام التي واحدها يوم الذي هو من طلوع الشمس إلى غروبها إذ لم تكن شمس في بعض تلك المدة ، والتعمق في البحث في هذا خروج عن غرض القرآن^(٢) .

وعند تفسير قوله تعالى ﴿فَقَضَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت : ١٢] أشار إلى رواية الحديث الذي في صحيح مسلم (أن الله ابتداءً الخلق يوم السبت) ، والرواية (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت)^(٣) وعلق عليه : (وقد ضعفه البخاري وابن المديني بأنه كلام كعب الأخبار حدث به أبا هريرة وإنما اشتبه على بعض الرواة سنده فظنه مرفوعاً)^(٤) .

(٦) قول الدكتور محمد محمود حجازي :

أن اليوم مطلقا لا اليوم المعروف لأنه لم يكن هذا النظام وجد بعد^(٥) .

(١) وفي هذا القول دلالة واضحة على الجانب العلمي في تفسير محمد الطاهر ابن عاشور .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٩/ ١٥٨ - ١٦٢) .

(٣) سبق تخريج الحديث (ص ٣١٧) .

(٤) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٥٠) .

(٥) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٣/ ٣٢٨) .

(٧) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

موافقا للقول السابق الذكر : (خلق الأرض في مقدار يومين ، قيل الأحد ويوم الاثنين ، أو في نوبتين نوبة جعلها جامدة بعد أن كانت كرة غازية ونوبة جعلها طبقات بذخائرها المائية والمعدنية) ^(١) .

(١) قول محمد الغمراوي :

يرى أن اليوم يقدر بالحقبة الزمنية الأولى في زمن التكوين كما أشار إلى أنه من المحتمل أن يقدر هذا اليوم بخمسين ألف سنة ، وذكر أيضا بأن الحديث بالتفصيل في زمن تكوين الأرض يطول مداه ولا يقدره إلا المتخصصون في علم الفلك .

(على أن اليوم وإن كان أطلق في القرآن الكريم على اليوم العادي مثل يوم الجمعة .. فقد أطلق فيه على الحقيقة من الزمن يتجاوز طولها كل ما كان يمكن أن يخطر ببال إنسان أن يطلق عليه لفظ يوم كما في قوله تعالى ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ

خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] فعلى الناظر إذن في آيات الخلق في القرآن أن يتذكر أن أيام خلق الكون ليست كالأيام عند الناس .. أما المعنى فالكلام عنه يطول ولا يقدر مداه إلا المتخصصون في الفلك من ناحية والجيولوجيون علماء طبقات الأرض والجغرافيون من ناحية أخرى) ^(٢) .

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٤ / ١٩٣) .

(٢) محمد أحمد الغمراوي ، الإسلام في عصر العلم (ص ٢٨٥-٢٨٦) .

(٢) قول الدكتور منصور حسب النبي :

يرى في تقدير اليوم بالحقب الزمنية : (أما عن الأيام هنا فالمقصود بها مراحل أو حقب زمنية لخلق الكون وليست الأيام التي نعدّها نحن البشر بدليل عدم وجود عبارة (مما تعدون) في جميع الآيات التي تتحدث عن الأيام الستة للخلق كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [هود : ٧] .

ثم استشهد على تقدير (اليوم) في خلق الكون بالحساب الذي نعرفه ونعد به (ألف عام) . ثم ذكر بأن عمر الكون المستنتج (١٣.٥ مليار سنة)^(١) .

ثم بسط القول في الاستدلال والاستنتاج في حساب السرعة الضوئية كحد أقصى للسرعة الكونية ، ولا يتسع المقام لذكر ذلك . ولا أؤيد قوله في جعل الزمن مقياسا للسرعة الضوئية حيث يقول : (التعبير القرآني) ﴿ وَلَئِكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ قانون كوني معبر عنه بما يعلمه رسول الله تعالى وقومه من معنى السنين والأيام (مما تعدون) والعرب يعدون السنة باثني عشر شهرا والشهر لغة هو الهلال أو القمر الذي نعد بسيره السنين ، واليوم هو زمن دورة الشمس الظاهرية في السماء كما نعد نحن البشر ، فخطبهم المولى جل وعلا بما يعرفون ، وبني هذا القانون المعبر عنه سرعة الأمر الكوني بدلالة ما يعدون وما تعارفوا عليه من معنى السنين واليوم لأن عبارة (مما تعدون) لم ترد في القرآن الكريم في سوى آية الحج : ٤٧ ، وآية السجدة : ٥ ، لبيان سرعة الأمر في الكون بالاستعانة بحسابات السنة القمرية واليوم الأرضي .

(والزمن عموما هنا غير مراد لذاته ، وإنما المراد به كما ذكرنا في آية السجدة التعبير عن المسافة والسير) .

(١) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي (ص ٢٩٥-٢٩٨) .

وبهذا فإن موضوع النصين الشريفين في السجدة والحج واحد . ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] ، ﴿يُذِبرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة : ٥] ^(١) .

(٣) قول عبد المنعم عشري :

استبعد تقدير أيام خلق السموات والأرض بأيامنا المعروفة .

والمراد باليوم مدة زمنية الله تعالى أعلم بها على الحقيقة دون تحديد ، ولم يرد نص صريح صحيح في بيان مقدار ذلك اليوم . ثم ذكر آية من سورة المعارج والحج . قوله تعالى ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي ففي ستة أطوار مرت على الخليقة يعلمها الله سبحانه وتعالى .

ويجب أن نقف عن تحديدها، فإنها لم تحدد بأخبار صحيحة، والله سبحانه يقول: ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الكهف : ٥١] ولا يعقل أن تكون الأيام الستة في هذه الآية من جنس أيامنا . فإن هذه الأيام وجدت بعد خلق الأرض . ولا بد أن تكون من أيام الله التي يعلمها هو فقد قال الله تعالى في يوم القيامة في سورة المعارج : ٤ ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وقال في سورة الحج : ٤٧ ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ^(٢) .

(١) د. منصور حسب النبي ، إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان (ص ٩٠) .

(٢) عبد المنعم عشري ، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم (ص ٢٧) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي

يَوْمَيْنِ ﴾ . [فصلت : ٩]

اتضح الجانب العلمي في أقوالهم .

- أشار بعض المفسرين عند بيان خلق الأرض إلى نظرية نشأة الكون من (الدخان) وانفتاق السموات عن الأرض ، وذكر محمد رشيد رضا النظرية كاملة .

ورجح أكثرهم تقدير (اليوم) في خلق الكون بألف عام مثل قول القاسمي ومحمد رشيد رضا وطنطاوي جوهرى ومحمد الطاهر ابن عاشور واستدلوا بقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] .

- أشار القاسمي إلى نظرية تكوين الأرض ، ورأى في تقدير اليوم في خلق الأرض كائناً في (ألف عام) .

- كما ذكر المراغى مرحلة تكوين الأرض في فترة من الفترات كانت غازية ونوبة أخرى جمعت وتكونت طبقاتها وهذا هو ما بينه علماء الأرض . وهو قول طنطاوي جوهرى والدكتور وهبة الزحيلي .

- وأبرز محمد رشيد رضا الناحية العلمية بوضوح ، وأشار إلى الأيام الأربعة التي مرت بها الأرض حين تكوينها وقال إن تلك المراحل تتفق مع المختار عند علماء الكون ، وأن المادة (السديمية) التي خلق منها (الكون) سهاها القرآن الكريم (دخانا) وذكر نظرية نشأة الكون ، وقال بترقي العقل البشري حتى أدرك بعض معالم ما أشار إليه القرآن الكريم من العلوم الكونية والتي في وحدة نظامها دلالة على وحدانية الخالق ، وذكر الحديث الذي يشير لأيام الأسبوع التي ذكر فيها خلق الجبال والشجر ، وقال إن تلك الأيام ليست كأيامنا تقدر

بـ (٢٤) ساعة في اليوم ، وذكر الآية الكريمة ﴿ وَلَئِكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا

تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] .

- وكذلك ذكر طنطاوي جوهرى خلق الأرض في يومين أي نوبتين ، نوبة عندما كانت كرة غازية والأخرى جمعت فيها وتكونت من ستة أدوار ظاهرة في علوم طبقات الأرض ، ورأى مقدار اليوم بألف عام .

- وهو قول محمد الطاهر ابن عاشور ، حيث أشار إلى أن خلق السموات والأرض في ستة أيام تعليم بعظيم قدرة الخالق ، والخلق مظهر لصفتي علم الله وقدرته .

- ويرى الدكتور محمد حجازي أن (اليوم) في الخلق يوم مطلق لا يعرف مقدار ذلك اليوم .

- وأشار الدكتور وهبة الزحيلي إلى يومي الخلق ، نوبتين نوبة كانت الأرض كرة غازية ونوبة أخرى تكونت طبقاتها بما فيها من مدخرات وثروات في البر والبحر .

وأما رأي الدكتور منصور حسب النبي فقد أشرت إليه ولا اتفق معه في قياس الزمن الكوني بالمسافة والسير ، وخروجه بنظرية السرعة الضوئية كحد أقصى للسرعة الكونية^(١) .

والمسألة تحتاج لبحث أعمق ، اقرأ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] وتأمل معراج النبي محمد ﷺ .

كما أشار محمد رشيد رضا ومحمد الطاهر ابن عاشور إلى الحديث المروي عن أبي هريرة في أن الله تعالى خلق التربة يوم السبت وخلق الجبال في يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين ... وقد علل هذا الحديث بعض حفاظ الحديث بأنه من غرائب الصحيح ، وأن هذا الحديث موقوف على كعب الأحبار (وقد وهم) من حدث به عن أبي هريرة وأنه قد رفع الحديث إلى النبي محمد ﷺ .

(١) د. منصور حسب النبي ، إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان وذكرت قوله للرد عليه (ص ٧٥) .

قلت : قد تثبت صحة الحديث الوارد في صحيح مسلم، فقد تعددت مخارجه ، وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة^(١) وذكر هذا الحديث ابن حبان في صحيحه^(٢) .

وأما تضعيف رشيد رضا وغيره لهذا الحديث برواية ابن حجاج بن محمد الأعور المصيصي (فمردود عليه) برواية الأثبات المتقين مثل الإمام أحمد^(٣) وابن معين^(٤) فقد رووا هذا الحديث عن حجاج بن محمد قبل (التَّغْيِيرُ) هذا ، وقد صحح هذا الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني ونفى عنه التضعيف فذكر (رحمه الله تعالى) أن الحديث لا مطعن في إسناده كما أنه غير مخالف لما ثبت في كتاب الله تعالى حيث يقول في تعليقه على مشكاة المصابيح : ولا مطعن في إسناده البتة ، وليس بمخالف للقرآن الكريم بوجه من الوجوه خلافاً لما توهمه بعضهم ، فإن الحديث يفصل الخلق على الأرض وحدها ، وإن ذلك كان في سبعة أيام، ونص القرآن الكريم على أن خلق السموات والأرض كان في ستة أيام ، والأرض في يومين، لا يعارض ذلك لاحتمال هذه الأيام الستة غير الأيام السبعة المذكورة في الحديث وأنه (أعني الحديث) تحدث عن مرحلة من مراحل تطور الخلق على وجه الأرض حتى صارت صالحة للسكن ، ويؤيده أن القرآن الكريم يذكر أن بعض الأيام عند الله تعالى كآلف سنة وبعضها مقداره خمسون ألف سنة ، فما المانع أن تكون من هذا القبيل؟ والأيام السبعة من أيامنا هذه كما هو صريح الحديث، وحيثئذ فلا تعارض بين الحديث والقرآن^(٥) .

(١) ابن خزيمة : ٣ / ١١٧ ، رقم : ١٧٣١ .

(٢) ابن حبان : ١٤ / ٣٠ ، رقم : ٦١٦١ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٢ / ٣٢٧ ، ١٤ / ٨٢ ، رقم : ٨٣٤١ ، طبعة الرسالة .

(٤) ابن معين في التاريخ : ٣ / ٥٢ ، رقم : ٢١٠ .

(٥) وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤ / ٤٤٩ - ٤٥٠) ، رقم : ١٨٣٣ .

والظاهر أن خلق الكون في ستة أيام مطلقة لا تنحصر بزمن ، لأنها خارجة عن التقدير ، حيث تكوين السموات والأرض .

ورواية الحديث عن النبي محمد ﷺ يكون من باب التفصيل الزمني لبيان مراحل التكوين في الكرة الأرضية ، ولا يلزم عند ذكر أسماء أيام الأسبوع المطابقة التامة وحصرها بمقدار زمني معين مثل أيامنا بـ (٢٤) ساعة كما هو معروف اليوم ، وإنما يعود (التقدير الزمني) لأسماء الأيام الواردة في الحديث إلى علم الله سبحانه وتعالى عند خلق أطوار تكوين الأرض وجعلها صالحة للعيش عليها ، وهذه المدة الزمنية تقدر بأكثر من (٢٠٠) ألف سنة .

ولعل الأيام التي ذكرت في الحديث مندرجة في الأيام الأربعة المذكورة في خلق الأرض وليست هي عينها^(١) .

ولعل معنى (اليوم) ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ستة أزمنة أو نوبات^(٢) .

ويرى البعض أن هذا من مواضع علم الغيب الذي لا تحيط به عقول البشر . ومثل تلك المباحث ليست من مقاصد القرآن وأغراضه ، وإنما ذكرت أيام الخلق في الكون للاستدلال على عظمة الخالق ومظهر لصفتي علم الله وقدرته^(٣) . والله تعالى أعلم بالحقيقة .

وإليك عرض أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْسَائِلِينَ﴾ [فصلت : ١٠] .

وإن تقدير أقوات الأرض في أربعة أيام ، يدخل فيها خلق الأرض في يومين ،

(١) عبد الله محمد سعيد الأنصاري ، الفلك وعلاقته بالعقيدة في الكتاب والسنة (١ / ١٦٥) .

(٢) حنفي أحمد ، التفسير العلمي للآيات الكونية (ص ١٣٢) .

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٩ / ١٥٨ - ١٦٢) .

فعلى هذا يكون خلق الأرض وتكوين أقواتها فيها وتقديره في أربعة أيام^(١).

(١) قول القاسمي :

أي مستوية بالامتزاج والاعتدال ، للطالين للأقوات والمعاشة ، أي قدرها لهم ، أو لمن سأل عن مبلغ الأجل الذي خلق الله تعالى فيه الأرض ، وجعل فيها الرواسي والبركة ، وتقدير الأقوات ، فحده، كما أخبر تعالى أنه أربعة أيام^(٢).

(٢) قول المراغي :

أي قدر لأهلها من الأقوات ما يناسب حال كل إقليم من مطاعم وملابس ونبات ، ليكون بعض الناس محتاجا إلى بعض ، فتروج المتاجر بينهم وتنقل المحصولات من بلد إلى آخر ومن قطر إلى قطر ، وفي هذا عمار الأرض وانتظام أمور العالم (في أربعة أيام) أي إن خلق الأرض وجعل الرواسي فيها في نوبتين ، وإكثار خيراتها وتقدير أقواتها في نوبتين فيكون ذلك في أربع نوبات .. ولما كان الإنسان يهتم بحال ما حوله من الأرض قدم ذكرها وبين أنها وما عليها قد كونها في أربع نوبات ، فنوبة لتجمد المادة الأرضية بعد أن كانت غازا ، ونوبة لتكميل بقية طبقاتها ويدخل في ذلك معادنها، ومرة للنبات وأخرى للحيوان^(٣).

(٣) قول محمد رشيد رضا :

يرى أن أيام خلق السموات والأرض (من أيام الله تعالى) وليست كأيامنا ، وقد سبقت الإشارة إلى قوله^(٤).

(١) ابن القيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، بدائع الفوائد (٣/ ٦٥٦) بتصرف .

(٢) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦/ ١٤٥-١٤٦) .

(٣) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢٤/ ١١٠-١١٢) .

(٤) (ص ٣١٤+٣١٦) .

(٤) قول طنطاوي جوهري :

في قوله تعالى ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أقوات أهلها . كل ذلك حصل في نوبتين فيكون خلق الأرض وجعل الرواسي فوقها وإكثار خيرها وتقدير أقواتها من أنواع الحيوان والنبات ، وعند تفسير قوله تعالى ﴿سَوَاءٌ لِّلْسَائِلِينَ﴾ ذكر نوبات الأرض التي مرت بها الأرض أثناء تكوينها فقال : (إن الإنسان يهتم بحال ما حوله من الأرض فلذلك قدم ذكرها وبين أنها هي وما عليها قد كونها في أربع نوبات : فنوبة لتجمد المادة الأرضية بعد أن كانت غازا ، ونوبة لتكميل بقية طبقاتها ويدخل فيها معادنها ، والمرتان الأخريان إحداهما للنبات ، والثانية لعموم الحيوان) . ثم ذكر الصيغة حول تقدير الأقوات وبين فيها حاجة البشر بعضهم لبعض نظرا لاختلاف أنواع الطعام من خضرة وفاكهة وحبوب وغيره ، كما تقوم العلاقات التجارية بين أقطار أهل الأرض فقال : (اعلم أن الله لما خلق الإنسان قدر أقواته متفرقة ، وأحوج كلا إلى كل بحيث يرى من يسكن بلاد آسيا يحتاجون إلى أهل إفريقيا .. وهذه التربية يراد بها التواصل طوعا أو كرها .. وهذا في الحقيقة داعية إلى التواصل والتحاب .. فتارة يتاجر بعضهم مع بعض وآونة يتصل بالسياحات .. وذلك يدعو حثيثا إلى العلم ، فإن تقدير الأقوات لما بحثناه وجدناه يدعو إلى البحث عنه ، ولا يبحث إلا بالعلم . فأمّة الإسلام أصبحت ملزمة باتساع العلوم في كل آية من كتاب الله تعالى ، وإلا فكيف يقول : وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين^(١) .

(٥) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

في تفسير قوله تعالى ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ :

بين ما قد قدر في الأرض من حاجة الكائنات من طعام على اختلاف أنواعه وأصنافه، حتى الحرارة والبرودة المؤثرة في الإنسان والحيوان والخلق والتكوين ، وخلق الأرض

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٩ / ٨٩ - ٩١) .

وتقدير الأقوات وغير ذلك كان في أربعة أيام ﴿وَقَدَّرَ﴾ جعل قدرا أي مقدارا ، قال الله تعالى : ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ والمقدار : النصاب المحدود بالنوع أو الكمية ،

فمعنى ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أنه خلق في الأرض القوى التي تنشأ منها الأقوات وخلق

أصول أجناس الأقوات وأنواعها من الحب للحبوب ، والكلاء والكمأة ، والنوى للشمار ، والحرارة التي يتأثر بها تولد الحيوان من الدواب والطيور ، وما يتولد منه الحيتان ودواب البحار والأنهار) . ثم ذكر وجه النعمة للإنسان حيث استطاب بأنواع الطعام واختلاف طعمه ومنه لحم الحيوان . (وجعل للإنسان جميع تلك الأقوات مما استطاب منها) .

وقوله تعالى ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ لمجموع مدة خلق الأرض جرمها ، وما عليها من رواسي ، وما فيها من القوى ، فدخل في هذه الأربعة الأيام ^(١) .

(٦) قول الدكتور محمود حجازي :

في تفسير قوله تعالى ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ :

أشار إلى كمية الطعام والقوت الذي يحتاجه سكان الكرة الأرضية وأنه يكفي بحاجتهم ، والخير كثير وما عليهم إلا السعي والاستفادة من خيرات الأرض وكنوزها ، ثم ذكر أنه في الأربعة أيام كان تكوين الأرض وتقدير الطعام فيها ، وفيه دلالة على التأي والصبر في الأمور (وقدر فيها أقواتها ، وبين كميتها وأقذارها التي تناسب مع سكانها وأبنائها وقد سمعنا أن سكان الأرض عددهم (كيت) فأصبحوا الآن يزدون أضعافا مضاعفة وهم في ازدياد مطرد ومع هذا فالأقوات موجودة والخير كثير ، وإنما نحن في حاجة إلى مواصلة الجهود ، واستخدام الطاقة والانتفاع بالطبيعة في كل مظاهرها ،

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٤ / ٢٤٣ - ٢٤٤) .

كل ذلك حصل في أربعة أيام . يومان في الخلق ، ويومان في جعل الرواسي وتقدير الأقوات فتلك أربعة كاملة ، ثم يومان آخران في السموات السبع فتلك ستة أيام كما تطرقت الآيات ، والله تعالى هو القادر على خلق العالم كله علويه وسفليه في لحظة ، ولعله يعلمنا التآني ويرشدنا إلى الصبر^(١) .

(٧) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

بين أن الله قدر في الأرض الطعام على اختلاف طعمه وشكله رزقا للعباد والذي تقوم به حياتهم ، واستغرق هذا يومين علاوة على يومي الخلق فتلك أربعة أيام .
﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي قدر فيها أرزاق أهلها ، وما يصلح لمعاشهم من الأشجار والمنافع ، وجعل في أقطارها ما يناسب سكانها من أطعمة ونباتات ، وأوجد في كل أرض ما لا يصلح في غيرها ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي أنه تعالى أتم معاش أهل الأرض في تنمة أيام أربعة... مستغرقة بالأعمال من غير زيادة ولا نقصان^(٢) .

(١) قول الدكتور عبد العليم خضر :

يرى أن من (التقدير) كانت هناك حيوانات تعيش على وجه الأرض وفي البحر في زمن من الأزمان ، ومن التقدير أيضا توزيع الخير بحساب موزون على مختلف جهات الكرة الأرضية ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي وزع الخيرات فيها بنسب متفاوتة موزعة على سطح الأرض بحساب آلي دقيق .. كما قدر الخالق الأعظم في ذلك الزمن أقوات حيوانات الأرض التي كانت تعيش آنذاك ... والتي عاشت واندثرت .. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ كحيوانات الشعاب المرجانية ، وقد كانت الأسماك أولى الحيوانات الفقرية التي ظهرت إبان تلك الحقب ،

(١) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٣/ ٣٢٨) .

(٢) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٤/ ١٩٤) .

وكانت تختلف اختلافا جوهريا عن أسماك البحار الحالية^(١).

(٢) قول عبد المنعم عشري :

أشار إلى أن من التقدير في الأرض ، أن الأقوات متولدة منها وحادثة فيها . والله تعالى الذي قدر الأسباب فمن زرع حصد قوله تعالى ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ أي أقوات أهلها وما يصلح لمعاشهم وقد أضاف الأقوات إلى الأرض لأنها متولدة منها وحادثة فيها ويكفي في حسن الإضافة أدنى سبب فالشيء قد يضاف إلى فاعله تارة وإلى محله أخرى فقوله ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ أي قدر الأقوات التي يختص حدوثها بها وهي أقوات من يعيشون من الإنسان والحيوان^(٢) ، وإذا أحسن الإنسان استغلال موارد الأرض الطبيعية ولم يسرف فيها وحافظ على نظافة البيئة فإن الأرض تكفي لحاجة البشر من الغذاء والكساء وغير ذلك .

(٣) قول الدكتور عدنان الشريف :

يرى في قوله تعالى : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ إذا احترم الإنسان نواميس الخالق في خلقه فلم يفسد في البيئة برا وجوا وبحرا ، ولم يسرف في استهلاك مواردها وطاقاتها ، إذ سخر مئات المليارات التي ينفقها سنويا على صناعة الأسلحة وتدمير الغير والذات ولو سخرت هذه الأموال في سبيل تحسين مكان الطاقة التي وضعها المولى في الشمس والأرض والمياه والهواء والمخلوقات واستغلالها لكان ذلك أولى وأجدر ، ففي أرضنا ما يكفي لإطعام كل فرد من أفراد البشرية بالغما ما بلغ تعدادها من أفراد^(٣) .

(١) د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم (ص ٣٥٢) .

(٢) عبد المنعم عشري ، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم (ص ٣١-٣٢) .

(٣) د. عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية (١٣٧-١٣٨) بتصرف .

(٤) قول الدكتور منصور حسب النبي :

يرى بأن الأرض تهيأت لقدم الإنسان مما خلقه من شجر ودواب وأنهار حيث يقول في قوله تعالى ﴿وَقَدَرْنَا أَقْوَاتَهَا﴾ (أي قدر أرزاق أهلها ومعاشهم بمعنى خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها استعدادا لقدم الإنسان) ^(١) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿وَقَدَرْنَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً

لِلنَّاسِ وَلِلْأَنْعَامِ﴾ . [فصلت : ١٠]

- اتفقوا في بيان أوجه التقدير والحكمة في ذلك .

كما أشاروا إلى الأيام الأربعة التي تكونت فيها الأرض ، وقدر فيها أقواتها وباركها .

- ذكر القاسمي أن من وجه الحكمة تقدير أنواع الأقوات في الأرض واختلافها مراعاة لحاجة الطالبين للأقوات والمعاشة ، ولمن سأل عن الحد في أربعة أيام .

- كما قال المراغي إن من وجه التقدير اختلاف أنواع الزراعة في شتى بقاع الأرض بما يتم به التعاون والمتاجرة بين الناس ويعم النفع والخير للجميع . كما ذكر النوبات الأربع التي تكونت فيها الأرض .

- وبنحوه قول طنطاوي جوهرى : إن من التقدير أن أحوج الناس بعضهم لبعض ، ولذلك نرى من يسكن بلاد آسيا يحتاجون إلى أهل أفريقيا . كما أشار إلى نوبات تكوين الأرض .

- وكذلك قول محمد الطاهر ابن عاشور فإنه (فصل) مشيرا إلى الأسباب المؤثرة في اختلاف أنواع طعام الإنسان وأجناسه ،

(١)د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ٢٩٨) .

وأن لعامل المناخ أثرا في ذلك ، ومثال ذلك الحرارة والبرودة .

- وبنحو قوله أيضا قول الدكتور محمد حجازي ، حيث إن في التقدير بيان الكمية للأقوات بما يتناسب مع احتياج سكان الأرض ، وأن الخير في الأرض كثير كاف مع استخدام الطاقة والانتفاع بالطبيعة بكل مظاهرها . كما ذكر الأيام الأربعة في الخلق والتقدير وأن الله تعالى قادر على أن يخلق في لحظة .

- وبنحو ما سبق من الأقوال بين الدكتور وهبة الزحيلي حيث قال إن من التقدير اختلاف طعم الطعام وشكله ، وذلك رزقا للعباد ، وكان الخلق والتقدير في أربعة أيام .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

يلاحظ إظهار جوانب القدرة والعظمة الإلهية ، في تقدير تركيب قوت الأرض ، واختلاف ألوان طعام الإنسان وأشكاله وأصنافه مع أنه يسقى بماء واحد ، وهذا دليل على تقدير نظام المناخ والتربة الصالحة للزراعة في مختلف بقاع الأرض ، ومن التقدير أيضا أن الطعام لا ينقطع ، بل استمرار في النماء والعطاء بما يؤخذ ويؤكل من كل الخيرات المكنوزة في الأرض (المبارك فيها) ^(١) والتي تكفي حاجة البشرية وتزيد عليها ، وفي الآية الكريمة تذكير بالله تعالى الخالق ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وهو الذي قدر خلق الأرض وهيا حياة الإنسان عليها وهي من أعظم الدلائل القريبة منه (فتصدق المشاهدة الخبر ويتطابق العقل مع النقل . ومن التقدير أيضا : تقديره لكل الكائنات حياتها وقوتها بنظام محكم مقدر في موقعها الذي قام به انتظام العالم) ^(٢) .

والله سبحانه قد أحاط علمه بخلقه وبكل شئ ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي

الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود : ٦٠] ،

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله بن محمد بن أبي بكر ، الفوائد (ص ٣٧) بتصرف .

(٢) المرجع السابق (ص ٣٧) بتصرف .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

وتجدر الإشارة إلى نعمة الرزق للبلد الآمن . قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِنَّا نَنْتَهِجُ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص : ٥٧] .

وفي تفسير آية خلق الأرض وتقدير أقواتها ، أشار كل مفسر بجملة من المعاني التي قد يحملها نص الآية الكريمة ويشملها مثل خلق السموات والأرض في ستة أيام : حيث يستفاد منه التأني في الأمور وتعلم الصبر ، والأقوال التي ذكرت في خلق الأرض ومراحل تكوينها قد يحملها وجه من الحق والصواب ، وفي جملة التقدير في خلق الأرض ، دورتها على محورها وحول الشمس وبشكل مائل ، وبسرعة مقدرة من خالقها ، ومن هذا النظام المحكم في خلق الأرض ينتج عنه تعاقب مجيء الليل والنهار على اختلافهما في الطول والقصر من خلال دورة فصول السنة الأربعة كل عام ، كما تختلف درجات الحرارة والبرودة وأحوال الرياح واتجاهاتها ونزول المطر على مختلف بقاع الأرض بتقدير العزيز العليم الحكيم سبحانه وتعالى .

بقي الإشارة إلى تقدير زمن هذين اليومين . يمكن أن يقدر بألفي سنة مثل مرحلة التكوين والخلق ، ويمكن تقدير زمن (اليوم) في الخلق بخمسين ألف سنة ، فيصبح تقدير زمن الخلق وتقدير أقواتها فيها بـ (٢٠٠) ألف سنة تقريباً . وعلم تحديد زمن خلق الأرض على وجه الدقة يرجع إلى علم الله الذي خلق سبحانه جل في علاه ، والتعمق في مثل تلك المباحث خروج عن غرض القرآن كما قال محمد الطاهر ابن عاشور . والله تعالى أعلم .

وإليك الآيات الكريمة التي ذكرت فيها الأرض .

ذكر لفظ (الأَرْضُ) بالرفع (٢٤) مرة في الآيات المكية .

م	السورة	الآية	رقمها
١	يونس	﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾	٣٤
٢			
٣	هود	﴿وَقِيلَ يَتَازَرُضْ أَبْلَى مَاءٍ لِكَ وَسَمَاءٍ أَقْلَى وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٤٤
٤	هود	﴿خَلْدِيَتَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوْتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾	١٠٧
٥	هود	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوْتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾	١٠٨
٦	إبراهيم	﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوْتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	٤٨
٧	الإسراء	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوْتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	٤٤
٨	مريم	﴿نَكَادُ السَّمَوْتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا﴾	٩٠
٩	المؤمنون	﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْخَلْقُ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوْتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾	٧١

م	السورة	الآية	رقمها
١٠	المؤمنون	﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٨٤
١١	الروم	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾	٢٥
١٢	يس	﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾	٣٣
١٣	يس	﴿ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٣٦
١٤	الزمر	﴿ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠
١٥	الزمر	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٦٧
١٦	الزمر	﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	٦٩
١٧	الدخان	﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾	٢٩
١٨	ق	﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾	٤
١٩	ق	﴿ يَوْمَ نَسْفَقُ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾	٤٤
٢٠	الواقعة	﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴾	٤

م	السورة	الآية	رقمها
٢١	الحاقة	﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾	١٤
٢٢	المزمل	﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً﴾	١٤
٢٣	الإنشقاق	﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾	٣
٢٤	الفجر	﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا﴾	٢١

ذكر لفظ (الأَرْضُ) (٧٢) مرة بالنصب :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾	١
٢	الأنعام	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنَّا أَلْغَيْبٍ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	٧٣
٣	الأنعام	﴿لَإِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	٧٩
٤	الأعراف	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٥٤

م	السورة	الآية	رقمها
٥	الأعراف	﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ فَنَاءُ أَصْنَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾	١٠٠
٦	الأعراف	﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٢٨
٧	يونس	﴿ إِنْ رَيْبُكُمْ مِنْهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ كُنْهُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	٣
٨	هود	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾	٧
٩	يوسف	﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾	٨٠
١٠	إبراهيم	﴿ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾	١٤
١١	إبراهيم	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	١٩

م	السورة	الآية	رقمها
١٢	إبراهيم	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾	٣٢
١٣	الحجر	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾	١٩
١٤	الحجر	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةً فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَبِيلَ ﴾	٨٥
١٥	النحل	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٣
١٦	النحل	﴿ أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكُرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	٤٥
١٧	النحل	﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾	٦٥
١٨	الإسراء	﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾	٣٧
١٩	الإسراء	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾	٩٩
٢٠	الإسراء	﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾	١٠٤

م	السورة	الآية	رقمها
٢١	الكهف	﴿وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾	٤
٢٢	مريم	﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾	٤٠
٢٣	طه	﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾	٤
٢٤	طه	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾	٥٣
٢٥	الأنبياء	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾	١٦
٢٦	الأنبياء	﴿لَا هَيْبَةَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾	٣
٢٧	الأنبياء	﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ وَمَأْبَاءُهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾	٤٤
٢٨	الأنبياء	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾	١٠٥
٢٩	الفرقان	﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾	٥٩
٣٠	النمل	﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ يَوْمَ يَقْدِرُونَ﴾	٦٠

رقمها	الآية	السورة	م
٦١	﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَادًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	النمل	٣١
٨١	﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ الْمُنتَصِرِينَ ﴾	القصص	٣٢
٤٠	﴿ فَنُكِّلْنَا أَخَذًا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	العنكبوت	٣٣
٤٤	﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	العنكبوت	٣٤
٦١	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾	العنكبوت	٣٥
٦٣	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	العنكبوت	٣٦
٨	﴿ أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾	الروم	٣٧
٩	﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	الروم	٣٨

م	السورة	الآية	رقمها
٣٩	الروم	﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾	١٩
٤٠	الروم	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٢٤
٤١	الروم	﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	٥٠
٤٢	لقمان	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٢٥
٤٣	السجدة	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾	٤
٤٤	سبأ	﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا خَافِيفًا بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْفِطُ عَلَيْهِمْ كَسَافًا مِنْ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾	٩
٤٥	سبأ	﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا خَافِيفًا بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْفِطُ عَلَيْهِمْ كَسَافًا مِنْ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾	٩
٤٦	فاطر	﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَتْهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْفُشُورُ ﴾	٩
٤٧	فاطر	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾	٤١

م	السورة	الآية	رقمها
٤٨	يس	﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾	٨١
٤٩	ص	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾	٢٧
٥٠	الزمر	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	٥
٥١	الزمر	﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾	٣٨
٥٢	الزمر	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾	٧٤
٥٣	غافر	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٦٤
٥٤	فصلت	﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَكَفُرُونَ ۚ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	

رقمها	الآية	السورة	٨
٣٩	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ أَحْيَاها لُمُجِي الْمَوْءِئَةِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	فصلت	٥٥
١٠-٩	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ① الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	الزخرف	٥٦
٣٨	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ﴾	الدخان	٥٧
٥	﴿ وَخَلِيفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	الجاثية	٥٨
٢٢	﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	الجاثية	٥٩
٣	﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴾	الأحقاف	٦٠
٣٣	﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ خَلْقًا مِثْلَ خَلْقِهِمْ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْءِئَةَ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	الأحقاف	٦١
٧	﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ② وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾	ق	٦٢
٤٨	﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَسْهُودُونَ ﴾	الذاريات	٦٣

م	السورة	الآية	رقمها
٦٤	الطور	﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾	٣٦
٦٥	القمر	﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾	١٢
٦٦	الملك	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾	١٥
٦٧	الملك	﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفِّفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾	١٦
٦٨	نوح	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾	١٩
٦٩	المرسلات	﴿ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾	٢٥
٧٠	النبا	﴿ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴾	٦
٧١	النازعات	﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾	٣٠
٧٢	عبس	﴿ ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَا ﴾	٢٦

ذكر لفظ (الأرض) (٢١٩) مرة بالكسر :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾	٣
٢	الأنعام	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُنْكِن لَّكَرَّ وَرَاسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾	٦

م	السورة	الآية	رقمها
٣	الأنعام	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾	١١
٤	الأنعام	﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٢
٥	الأنعام	﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	١٤
٦	الأنعام	﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾	٣٥
٧	الأنعام	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾	٣٨
٨	الأنعام	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	٥٩
٩	الأنعام	﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ أَقْبِنَا قُلْ رَبِّ هُدِنَا اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٧١

م	السورة	الآية	رقمها
١٠	الأنعام	﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾	٧٥
١١	الأنعام	﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةً ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	١٠١
١٢	الأنعام	﴿وَإِن تَطِيعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾	١١٦
١٣	الأنعام	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّن ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰتٍ لِّتَبْلُوكُمْ فِي مَآءِ ٱتِّكٰذِكُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١٦٥
١٤	الأعراف	﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعٰشٍ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	١٠
١٥	الأعراف	﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾	٢٤
١٦	الأعراف	﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	٥٦
١٧	الأعراف	﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوْا فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٧٣

م	السورة	الآية	رقمها
١٨	الأعراف	﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ	٧٤
١٩		تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا	
		ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿	
٢٠	الأعراف	﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا	٨٥
		لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ	
		فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشَاءَهُمْ	
		وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ	
		إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿	
٢١	الأعراف	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ	٩٦
		السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا	
		يَكْسِبُونَ ﴿	
٢٢	الأعراف	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي	١٢٧
		الْأَرْضِ وَيَذْرَكَ ۚ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي	
		نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿	
٢٣	الأعراف	﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ	١٢٩
		عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ	
		فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿	

رقمها	الآية	السورة	م
١٣٧	﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا أَلَيْ بُرْكَانًا فِيهَا وَكَمَتِ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾	الأعراف	٢٤
١٤٦	﴿سَاصِرُونَ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾	الأعراف	٢٥
١٥٨	﴿قُلْ يَتَّيِّبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	الأعراف	٢٦
١٦٨	﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	الأعراف	٢٧
١٧٦	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرِكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	الأعراف	٢٨

رقمها	الآية	السورة	م
١٨٥	﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَهُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾	الأعراف	٢٩
١٨٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لِوَفِيهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الأعراف	٣٠
٦	﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾	يونس	٣١
١٤	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾	يونس	٣٢
١٨	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنْفِثُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	يونس	٣٣
٢٣	﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	يونس	٣٤

رقمها	الآية	السورة	م
٢٤	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَرَّتْ أَهْلَهَا أَنْتُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتُنَهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	يونس	٣٥ ٣٦
٣١	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	يونس	٣٧
٥٤	﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	يونس	٣٨
٥٥	﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	يونس	٣٩
٦١	﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	يونس	٤٠
٦٦	﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾	يونس	٤١

م	السورة	الآية	رقمها
٤٢	يونس	﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَنْقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٦٨
٤٣	يونس	﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكٰذِبِيَّٰةُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾	٧٨
٤٤	يونس	﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾	٨٣
٤٥	يونس	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾	٩٩
٤٦	يونس	﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْآيٰتِ وَالنَّذْرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠١
٤٧	هود	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	٦
٤٨	هود	﴿ أَوَلَيْكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَّاءَ يَضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾	٢٠
٤٩	هود	﴿ وَإِلَىٰ نُوحٍ ءَاخَاهُ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنْ ربي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾	٦١

م	السورة	الآية	رقمها
٥٠	هود	﴿ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَافَةٌ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾	٦٤
٥١	هود	﴿ وَيَقَوْمِ أَتَوْا الْمَكَيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	٨٥
٥٢	هود	﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾	١١٦
٥٣	هود	﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	١٢٣
٥٤	يوسف	﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٢١
٥٥	يوسف	﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴾	٥٥
٥٦	يوسف	﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	٥٦
٥٧	يوسف	﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُغِثَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾	٧٣

رقمها	الآية	السورة	م
١٠١	﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ تَوْفِّقْنِي مُسْلِمًا ۖ وَالْحَقِّقِي بِالصَّلَاحِ ۖ﴾	يوسف	٥٨
١٠٥	﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۖ﴾	يوسف	٥٩
١٠٩	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۚ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ﴾	يوسف	٦٠
٢	﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۖ﴾	إبراهيم	٦١
٨	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَنَّىٰ يَحْيِي ۖ﴾	إبراهيم	٦٢
١٠	﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ۚ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ۖ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ﴾	إبراهيم	٦٣
٢٦	﴿وَمِثْلَ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۖ﴾	إبراهيم	٦٤

م	السورة	الآية	رقمها
٦٥	إبراهيم	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾	٣٨
٦٦	إبراهيم	﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾	٤٨
٦٧			
٦٨	الحجر	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٣٩
٦٩	النحل	﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴾	١٣
٧٠	النحل	﴿ وَالْقَنَى فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ بَشِيرٌ ذَكِيرٌ ﴾	١٥
٧١	النحل	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾	٣٦
٧٢	النحل	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾	٤٩
٧٣	النحل	﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ ﴾	٥٢
٧٤	النحل	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾	٧٣

م	السورة	الآية	رقمها
٧٥	النحل	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٧٧
٧٦	الإسراء	﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفُسُدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾	٤
٧٧	الإسراء	﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾	٣٧
٧٨			
٧٩	الإسراء	﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾	٥٥
٨٠	الإسراء	﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾	٩٠
٨١	الإسراء	﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشُونَ مَطْمَئِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾	٩٥
٨٢	الإسراء	﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَلِيٍّ لِأُظُنُّكَ بِفِرْعَوْنَ مُشْبُورًا﴾	١٠٢
٨٣	الإسراء	﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾	١٠٣
٨٤	الكهف	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَنْبُلُوهُمْ أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٧
٨٥	الكهف	﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾	١٤

م	السورة	الآية	رقمها
٨٦	الكهف	﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾	٢٦
٨٧	الكهف	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْنِدًا ﴾	٤٥
٨٨	الكهف	﴿ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخِذًا لِمُضِلِّينَ عَصْدًا ﴾	٥١
٨٩	مريم	﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾	٦٥
٩٠	مريم	﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾	٩٣
٩١	طه	﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾	٦
٩٢	الأنبياء	﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٤
٩٣	الأنبياء	﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾	١٩
٩٤	الأنبياء	﴿ أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِمَّنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾	٢١
٩٥	الأنبياء	﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُوسًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾	٣١

م	السورة	الآية	رقمها
٩٦	الأنبياء	﴿ قَالَ بَلْ زَيَّيْتُكُمْ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾	٥٦
٩٧	الأنبياء	﴿ وَتَجَنَّبْهُمْ وَطُوبَىٰ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾	٧١
٩٨	الأنبياء	﴿ وَلَسَلَيَمَنَّ الرِّيحُ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴾	٨١
٩٩	المؤمنون	﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنَّا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ بِمُقَدِّرُونَ ﴾	١٨
١٠٠	المؤمنون	﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	٧٩
١٠١	المؤمنون	﴿ قُلْ كَمْ لِيَشْمُرَ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾	١١٢
١٠٢	الفرقان	﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾	٢
١٠٣	الفرقان	﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾	٦
١٠٤	الفرقان	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾	٦٣
١٠٥	الشعراء	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾	٧
١٠٦	الشعراء	﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾	٢٤

م	السورة	الآية	رقمها
١٠٧	الشعراء	﴿ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾	١٥٢
١٠٨	الشعراء	﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	١٨٣
١٠٩	النمل	﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾	٢٥
١١٠	النمل	﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾	٤٨
١١١	النمل	﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴾	٦٢
١١٢	النمل	﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قُلُوبَ مَا تَوَارَبْتُمْ عَنْ أَنْ تُشْكُرَ صَادِقِينَ ﴾	٦٤
١١٣	النمل	﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾	٦٥
١١٤	النمل	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾	٦٩
١١٥	النمل	﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كَنْبٍ مُبِينٍ ﴾	٧٥
١١٦	النمل	﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾	٨٢
١١٧	النمل	﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ ذَاخِرِينَ ﴾	٨٧

رقمها	الآية	السورة	م
٤	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾	القصص	١١٨
٥	﴿وَرِيدٌ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾	القصص	١١٩
٦	﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾	القصص	١٢٠
١٩	﴿فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَّىٰ أَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ كَمَا قُتِلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾	القصص	١٢١
٣٩	﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾	القصص	١٢٢
٧٧	﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾	القصص	١٢٣
٨٣	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِصِينَ﴾	القصص	١٢٤
٢٠	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ الشَّعَاةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	العنكبوت	١٢٥

م	السورة	الآية	رقمها
١٢٦	العنكبوت	﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	٢٢
١٢٧	العنكبوت	﴿ وَإِلَىٰ مَدِينَةٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	٣٦
١٢٨	العنكبوت	﴿ وَقَدْ رُوتَ وَفِرْعَوْنُ وَهَمْنُوتَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ثُؤَمَانُ بِالْبَيِّنَاتِ فَاستَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً ﴾	٣٩
١٢٩	العنكبوت	﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	٥٢
١٣٠	الروم	﴿ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾	٣
١٣١ ١٣٢	الروم	﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	٩
١٣٣	الروم	﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾	١٨
١٣٤	الروم	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ الْأَسْنَانِ وَالْوَيْحَرُ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾	٢٢

م	السورة	الآية	رقمها
١٣٥	الروم	﴿وَمَنْ أَيْنِيهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾	٢٥
١٣٦	الروم	﴿وَلَمَّا مَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍّ قَانِتُونَ﴾	٢٦
١٣٧	الروم	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٢٧
١٣٨	الروم	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾	٤٢
١٣٩	لقمان	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَقَالَ فِي الْأَرْضِ رَوِّسِي أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾	١٠
١٤٠	لقمان	﴿يَبْنِي لَهَا إِنْ تَكَ وَثِقَالُ حَبْرٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾	١٦
١٤١	لقمان	﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	١٨
١٤٢	لقمان	﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾	٢٠

م	السورة	الآية	رقمها
١٤٣	لقمان	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	٢٦
١٤٤	لقمان	﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	٣٤
١٤٥	السجدة	﴿يُذِبرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾	٥
١٤٦	السجدة	﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَهِيَ تَأْتِي خَلْقَ حَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾	١٠
١٤٧	السجدة	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾	٢٧
١٤٨	سبأ	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	١
١٤٩	سبأ	﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾	٢

م	السورة	الآية	رقمها
١٥٠	سبأ	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	٣
١٥١	سبأ	﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشَأً خَفِيفَ بِهِمُ الْأَرْضِ أَوْ تُسْفَطُ عَلَيْهِمْ كَسَافًا مِنْ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾	٩
١٥٢			
١٥٣	سبأ	﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لِشْرَا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾	١٤
١٥٤	سبأ	﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ ظَهِيرٌ ﴾	٢٢
١٥٥	سبأ	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أُولَٰئِكَ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾	٢٤
١٥٦	فاطر	﴿ أَلَمْعُدْ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَٰئِكَ أَجْحَمُ مَنْحَىٰ وَثُلُثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	١
١٥٧	فاطر	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ	٣

م	السورة	الآية	رقمها
		مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذَنُ تُؤَفَّكَوْنَ ﴿٣٨﴾	
١٥٨	فاطر	﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	٣٨
١٥٩	فاطر	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَافَ فِي الْأَرْضِ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يُرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾	٣٩
١٦٠	فاطر	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾	٤٠
١٦١	فاطر	﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣
١٦٢	فاطر	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾	٤٤
١٦٣			
١٦٤	الصافات	﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾	٥
١٦٥	ص	﴿إِلَّا مَن خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾	١٠
١٦٦	ص	﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾	٢٦

م	السورة	الآية	رقمها
١٦٧	ص	﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾	٢٨
١٦٨	ص	﴿فَاتَّبَعْنَاهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَأَمَلُّوا مِنْهَا الْبُطُونَ﴾	٦٦
١٦٩	الزمر	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	٢١
١٧٠	الزمر	﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٤٤
١٧١	الزمر	﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾	٤٦
١٧٢	الزمر	﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾	٤٧
١٧٣	الزمر	﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	٦٣
١٧٤	الزمر	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾	٦٨

م	السورة	الآية	رقمها
١٧٥	غافر	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُدْثِرُ بِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقي ﴾	٢١
١٧٦			
١٧٧	غافر	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾	٢٦
١٧٨	غافر	﴿يَقُولُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾	٢٩
١٧٩	غافر	﴿ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾	٧٥
١٨٠	غافر	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	٨٢
١٨١			
١٨٢	فصلت	﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْنْتُمَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾	١١
١٨٣	فصلت	﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ﴾	١٥
١٨٤	الشورى	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾	٤

م	السورة	الآية	رقمها
١٨٥	الشورى	﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	٥
١٨٦	الشورى	﴿ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيَافَ مَا كُنْتُمْ تَشْتَكُونَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	١١
١٨٧	الشورى	﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يَكْفِي شَيْءٌ عَلِيمٌ ﴾	١٢
١٨٨	الشورى	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾	٢٩
١٨٩	الشورى	﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	٣١
١٩٠	الشورى	﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٤٢
١٩١	الشورى	﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرَ ﴾	٤٩
١٩٢	الشورى	﴿ صَرَفَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾	٥٣

م	السورة	الآية	رقمها
١٩٣	الزخرف	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾	٦٠
١٩٤	الزخرف	﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	٨٢
١٩٥	الزخرف	﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾	٨٤
١٩٦	الزخرف	﴿وَبَارِكْ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٥
١٩٧	الدخان	﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾	٧
١٩٨	الجاثية	﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٣
١٩٩	الجاثية	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	١٣
٢٠٠	الجاثية	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُ الْمَطَلُوتُ﴾	٢٧
٢٠١	الجاثية	﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٣٦
٢٠٢	الجاثية	﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٣٧
٢٠٣	الأحقاف	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَنُودُونَ بِكُتُبٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُنْفِقُ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	٤

م	السورة	الآية	رقمها
٢٠٤	الأحقاف	﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبْعَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾	٢٠
٢٠٥	الأحقاف	﴿وَمَنْ لَا يُجِيبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	٣٢
٢٠٦	الذاريات	﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينَ﴾	٢٠
٢٠٧	الذاريات	﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾	٢٣
٢٠٨	النجم	﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾	٣١
٢٠٩	الملك	﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾	٢٤
٢١٠	المعارج	﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾	١٤
٢١١	نوح	﴿وَاللَّهُ أَتْلَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نباتًا﴾	١٧
٢١٢	نوح	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾	٢٦
٢١٣	الجن	﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾	١٠
٢١٤	الجن	﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُنْجِزَهُ هَرَبًا﴾	١٢

م	السورة	الآية	رقمها
٢١٥	النبا	﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾	٣٧
٢١٦	البروج	﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	٩
٢١٧	الطارق	﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّانِعِ ﴾	١٢
٢١٨	الغاشية	﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾	٢٠
٢١٩	الشمس	﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا حَمَلَهَا ^(١) ﴾	٦



(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (ص ٢٦-٣٢) .

المبحث الثاني : الجبال

مناهج الجبال وفوائدها :

ذكر لفظ (الجبال) في القرآن الكريم (٢٨) مرة ^(١).

الله سبحانه وتعالى الذي خلق الجبال لحكم عظيمة ومنافع للخلق كثيرة ، أشارت إليها آيات الكتاب العزيز ، قال الله تعالى :

(١) قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ أَمُوتُ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعٌ أَفَلَمْ يَأْتِيسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا تَصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [الرعد : ٣١] .

(٢) قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

(٣) قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج : ١٨] .

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ۖ ﴿٣٣﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِئَن تَعْمَلُوا ﴾ [النازعات : ٣٢-٣٣] .

(٥) قوله تعالى : ﴿ وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ﴾ [النبا : ٧] .

تحدث الجاحظ عن الجبال ومنافعها ، وذكر ذوبان الثلج الذي يسيل منها مكونا العيون والأنهار الغزيرة ، وما يكون في الجبال من الكهوف ومعازل للوحوش والسباع ،

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (ص ١٦٣) .

وما ينحت من حجارتها للبناء وما يأخذ من خيرات المعادن مثل الحص والكلس والجير .
كما أشار إلى أن الجبال مظهر على قدرة الله تعالى وسعة خزائنه وفضله ^(١) .

كما أشار الغزالي أبو حامد إلى أن فيها (من الحكمة البالغة في خلق الجبال لأن فيها منافع متعددة لا يحيط بجميعها إلا الله ...) .. فلو كانت الأرض عارية من الجبال لحكم ^(٢) عليها الهواء وحر الشمس مع رخو ^(٣) الأرض ، فكانوا لا يجدون المياه إلا بعد حفر وتعبد فجعل سبحانه الجبال لتستقر في بطونها المياه ، وتخرج منها أولا بأول ، فتكون منها عيون وأنهار وبحار ، يرتوي بها العباد في أيام القيظ ^(٤) إلى أوان نزول غيث السماء ، ومن الجبال ما ليس في باطنها محل للمياه ، فجعل الثلج محفوظا على ظاهرها إلى أن يحله حر الشمس فيتكون منه أنهار وسواق ... (.) وذكر من منافع الجبال ما ينبت فيها من أنواع الأشجار والعقاقير التي لا ينبت إلا فيها ، كما جعلت الجبال أعلاما يستدل بها المسافر على الطرقات في نواحي الأرض ، ويستدل بها المسافرون في البحار والمواني والسواحل ، علاوة على ما خلق الله تعالى فيها من الذهب والفضة وقدرهما بتقدير مخصوص ... ^(٥) .

وقد وضع زكريا بن محمد القزويني كيفية تكون الجبال وذكر أن لزوجة الطين وأثر حرارة الشمس فيه سبب لتكوين الحجر والسبب في ارتفاع الجبال حدوث الزلازل . ثم ألمح عن فوائد الجبال . وقال من إن من أعظم فوائدها حفظ الأرض من الميد ولولا ارتفاع

(١) الجاحظ : أبو عثمان بن بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (ص ٣٠) .

(٢) أي قضى عليها وأفناها ولعب بها ، و(الحكم) القضاء ، الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر مختار الصحاح ، مادة (ح ك م) (ص ١١٧) .

(٣) (رخو) بكسر الراء وفتحها ، أي هش . المرجع السابق ، مادة (رخ ا) (ص ١٨٣) .

(٤) حرارة الصيف . المرجع السابق ، مادة (ق ي ظ) (ص ٤٠٩) .

(٥) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، الحكمة في مخلوقات الله (ص ٣٧-٣٩) .

الجبال لعم الماء الكرة الأرضية (في صيرورة السهل جبلا والبر بحرا وعكسها . قالوا : إذا امتزج الماء بالطين وكان في الطين لزوجة وأثرت فيه حرارة الشمس مدة طويلة صار حجرا كما ترى النار إذا أثرت في اللّبن صلبتها وجعلتها آجرا فإن الآجر نوع من الحجر إلا أنه رخو وكلما كان تأثير النار فيه أكثر كان أشبه بالحجر ، فزعموا أن تولد الجبال من اجتماع الماء والطين وتأثير الشمس . وأما سبب ارتفاعها وشموخها فجاز أن يكون بسبب زلزلة فيها خسف فتخفض بعض الأرض وترفع بعضها ثم المرتفع يصير حجرا ...) . (أما فائدتها العظمى فما ذكره الله تعالى في كتابه : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ﴾

[النحل : ١٥] ، وقال بعضهم : لو لم تكن الجبال لكان وجه الأرض مستديرا أملس فكانت مياه البحار تغطيها من جميع جهاتها وتحيط بها إحاطة كرة الهواء بالماء فبطلت الحكمة المودعة في المعادن والنباتات والحيوانات فاقتضت الحكمة الإلهية وجود الجبال .. وقال بعضهم : إن الجبال لوجود الماء العذب السائح على وجه الأرض الذي هو مادة حياة النبات والحيوان وذلك لأن سبب هذا الماء انعقاد البخار في الجو فيصير سحابا والجبال الشاخنة الطوال في المشرق والمغرب والجنوب والشمال تمنع الرياح أن تسوق البخار بل تجعلها منحصرة حتى يلقيها البرد فيصير مطرا أو ثلجا... والجبال في أجرامها مغارات وأهوية .. (وكهوف...) ^(١) .

ويطلق لفظ الجبال على ما ارتفع عن سطح الأرض . وحدد هذا الارتفاع بـ (٢٠٠٠) قدم فوق سطح البحر . والجبال قد تكون هرمية الشكل لها قمم عالية . وقد تكون متصلة أو متجاورة الأجزاء أو منفصلة و(يقصد بتعبير الجبال .. الأراضي التي تبدو مرتفعة المنسوب لما يجاورها من أراض أخرى . ويحدد بعض الجيولوجيين بأن الجبال تقع عادة فوق منسوب (٢٠٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر ، أما تلك الأراضي التي تقع أسفل

(١) القزويني : زكريا بن محمد ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (ص ١٤٣-١٤٥) .

هذا المنسوب فتعرف باسم التلال .. وقد يظهر الجبل على شكل هرمي أو بمعنى آخر تبدو المناطق السهلية عند قممه العليا محدودة الامتداد بالنسبة لارتفاع الجبل فوق سطح الأرض المجاورة .. وقد يظهر في بعض المناطق قمم جبلية متجاورة تمتد على شكل سلسلة متصلة أو منفصلة الأجزاء وتتألف كل من هذه السلاسل الجبلية من كتلة جبلية عالية بالنسبة لمنسوب سطح الأرض المجاورة وكثيرا ما يبدو فوق أعالي كل من هذه السلاسل الجبلية قمم جبلية عالية هرمية الشكل^(١) .

ومن مقاصد السور المكية لفت الأنظار إلى التأمل في المظاهر الكونية على اختلاف مشاهدتها المتجددة ، لما فيها من دلائل ناطقة على قدرة الخالق على الخلق والإبداع في الصنع ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧-٢٠] .

(والجبال من المظاهر المشاهدة على الأرض . وفي شموخها وثباتها رمز لقدرة الإله وعظمته)^(٢) . ودليل على ضعف قدرة الإنسان وحالته قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] .

والجبال لها جذور تضرب إلى أعماق الأرض . (ولا يبرز منها فوق سطح الأرض إلا القليل ، بينما جذورها راسخة في باطن الأرض بعمق يصل حوالي خمسة أمثال بروزها فجبال الهملايا لا يتعدى بروزها (٩) كم فوق سطح الأرض ، بينما جذورها تصل إلى عمق (٧٥) كم في أعماق القشرة الأرضية)^(٣) .

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢ / ١٥٠) .

(٢) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق (ص ٢٦٩) بتصرف .

(٣) إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء ، إشراف

د. منصور حسب النبي (١ / ٣٠٩) .

وفي نشأة الجبال (يقول العلماء أن الجبال تتكون من صخور تصنعها تحركات بالقشرة الأرضية نتيجة لضغوط هائلة تنشأ في طبقات هذه القشرة في شتى الاتجاهات ...) ^(١) . وقيل نتيجة اصطدام القارات بعضها مع البعض الآخر ^(٢) . ومن نعم الله تعالى على البشر أن سخر الجبال لحفظ توازن الأرض من الاضطراب وظهورها في مواقع مختلفة من الأرض كان بتقدير العزيز العليم ، قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ وَالْجِبَالِ أَرْسُنَهَا ۖ مُنْعًا لَّكُمْ وَلَا تَمَيُّكُمُ ﴾ . [النازعات : ٣٢-٣٣]

(الجبال الرواسي تحفظ توازن الأرض فلا تميد ولا تضطرب ، وحفظ التوازن يتحقق في صور شتى ، فقد يكون توازنا بين الضغط الخارجي على الأرض والضغط الداخلي في جوفها ، وهو يختلف من بقعة إلى بقعة ، وقد يكون بروز الجبال في موضعها معادلا لانخفاض الأرض في موضع آخر .. كما تساهم الجبال بكتلتها الهائلة في زيادة حجم وضخامة كتلتها بما يجعل جاذبيتها قادرة على منع الغلاف الجوي من الانفلات إلى الفضاء الكوني الرحيب .. علاوة على ذلك فإن توزيع الجبال على سطح الأرض يمثل شكل ⑧ دائرتين متماسيتين كل منهما سور دائري هائل ذو ثغرات يحتضن حوضا هائلا تعلوه الكتل الهوائية وتنخفض وتدور فيه بقوة فتعمل على توازن الأرض ومنع اضطرابها أثناء دورانها ... يوضح وجهها من دور الجبال في حفظ التوازن ...) ^(٣) .

(ويلاحظ أن الجبال لا تزيد عن ارتفاع (٣٠٠٠٠) قدم تقريبا ويقابلها منخفضات هي الأخرى لا تزيد عن (٣٥٠٠٠) قدم ... فإذا وضعنا عامل تآكل قمم الجبال

(١) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ١٧٠) .

(٢) د. عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية (ص ٤٥) .

(٣) د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم (ص ٤٧٠ ، ٥٣٧) .

(ونقصان الأرض من أطرافها) بالتعرية وترسبها في المنخفضات نقطة تحت (الوديان المحيط والمنخفضات) ... وهذا شيء من أسرار دور الجبال في تحقيق توازن القشرة الأرضية) ^(١) .

وتسير الأرض بنظام وقانون مقدر من خالقها و(سبب استقرار الأرض وقشرتها راجع إلى الله العظيم الذي أرسى فيها الجبال .. وبذلك استقرت دون ميد أو اضطراب أثناء حركتها اليومية والسنوية .. وهذا معناه أن الجبال موزعة على الأرض بدقة متناهية ومنغرس في نفس الوقت كأوتاد في طبقة (السيما) ^(٢) .. بحيث تتماثل في الكتلة بالنسبة لحركة الأرض .

وقوانين الحركة ، جاءت متأخرة عن القرآن ^(٣) بألف وثلاثمائة سنة .. لكي تقول أن الجسم المتماثل في الكتلة حول المحور لا يضطرب ولا يميل إذا دار حول ذلك المحور .. طالما أن هذا الجسم متماثل في جميع أطرافه من حيث الكتلة والوزن لا في الهيئة والحجم .. أي أنه لا يمكن للأرض أن تستقر رغم حركتها إلا إذا كانت الجبال موزعة بشكل يحقق هذا التماثل .. عند ذلك لا نرى لها ميذا ولا اضطراباً ^(٤) .

وتتجلى عظمة الله سبحانه وتعالى وكمال قدرته في جمال الكون ومظاهره المختلفة

(١) د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم (ص ٥٤٥) .

(٢) طبقة السيما السفلية (Sima) وتتألف منها صخور أرضية المحيطات ، وهي تقع أسفل السيل وتصل كثافتها إلى (٣٠٤) وتتركب من معادن ثقيلة الوزن ، ويصل سمكها إلى نحو ٤٠ ميلا ، وتنفصل طبقة السيما عن طبقة السيل بفاصل يعرف باسم حد الأندسيت .

د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ١٠١) .

(٣) المعنى المراد أن ما أشار إليه القرآن الكريم وأخبر به منذ أربعة عشر قرناً لم يتوصل إليه العقل البشري إلا مؤخراً .

(٤) د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم (ص ٤٧٠ - ٥٣٧ - ٥٧١) .

في الألوان والأشكال وتعدد الأصناف والأنواع ، فسبحان المبدع الذي أنقن كل شيء خلقه . والذي تظهر فيه دلائل الجمال ناطقة وشاهدة بوحدانيته . ويستشعر ذلك العلماء فهم أهل أن يخشوا الله تعالى ويخافوه لوقوفهم على بعض أسرار نظام الكون وسننه . قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۚ ﴾ (٣٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ [فاطر : ٢٧-٢٨]

(وهذه الآية تشير إلى أهمية البحث في علوم النبات والحيوان والإنسان والجماد . وإلى أن العلماء المتخصصين في هذه المواضيع الطبيعية والكيميائية والبيولوجية هم الذين يدركون أسرار صنعة الله تعالى وعظمة قدرته وهم أحق الناس بالإسراع إلى خشية الله تعالى . وأما ما يخص الجبال بهذه الآية فهو إشارة إلى التفكير في سبب اختلاف ألوانها الذي يعود إلى اختلاف المواد التي تُكوّن صخورها ، فالجبال البيضاء تتكون أساسا من الطباشير والحجر الجيري والجبال السوداء بها المنجنيز والفحم والحمراء بها الحديد وغير ذلك من الجبال النارية التي تتكون من الجرانيت والبازلت والتي تحتوي على عروق الحديد والنحاس والذهب وغير ذلك من معادن تؤدي إلى تعدد ألوان الجبال وأنواعها . كما أن الآية تشير إلى وحدانية الخالق بدليل خروج ثمرات مختلفة الألوان رغم ارتوائها بماء واحد . ووجود جبال حمر وبيض وسود يرجع أصلها إلى أرض واحدة كانت في الأصل قطعة من الشمس أي كانت والسماء رتقا واحدا . ووجود الناس والدواب بأنواع مختلفة رغم أصلها الواحد في الخلية ، وبهذا فإن وراء التباين في تلك الأحوال جميعها وحده الأصل مما تشير إلى الله تعالى الواحد القهار) ^(١) .

(١) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ١٦٩) .

ولقد ضمت الأرض في باطنها من الخيرات مثل الجبال ، فهي ذات عطاء لا ينقطع ، ومعين لا ينضب ، قال الله تعالى : ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۚ﴾ ^(١) [طه : ٥-٦] .

(ومن فوائد الجبال أنها تعمل على تكثيف بخار الماء ، فبسبب برودة المناطق المرتفعة ، يغطي الجليد قمم الجبال العالية ، وبذوبان هذا الجليد كان جريان الأنهار طول السنين) . كما تؤثر الجبال في اتجاه الرياح والتي تكون سببا في تلطيف المناخ ^(٢) .

وتحدث الدكتور عبد العليم خضر عن اختلاف أشكال الجبال وتنوع أصنافها وذكر ثلاثة أقسام لها فقال :

(الجبال على اختلاف أشكالها وتباين ضروبها وتنوع أصنافها وتفنن أحجارها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولا : صخرية تحتوي على المعادن المسخرة لمنفعة الإنسان .

ثانيا : هشة السطح مغطاة بوشاح ناعم الحبيبات .. وهذه تستغل في الزراعة والرعي .

ثالثا : شامخة تصيد المطر ، وتجمع الثلج . وكلها راسخات تثبت الأرض وتحفظها من الميد والاضطراب ^(٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ﴾ [النمل : ٨٨] استدل بعض العلماء بهذه الآية على دوران الكرة الأرضية . وهو ما أصبح حقيقة مقطوع بصحتها . وذهب البعض الآخر إلى أن قوله : ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ﴾ كائن يوم القيامة .

(١) إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء ، إشراف د. منصور حسب النبي ، كنوز القشرة الأرضية (١/ ٢٩٩-٣٠٠) بتصرف .

(٢) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق (ص ٢٦٩-٢٧٠) بتصرف .

(٣) د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن (ص ٥١٨-٥١٩) بتصرف

وإليك أقوال المفسرين في قوله : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل :

. [٨٨]

(١) قول القاسمي :

في قوله : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] :

يرى بأن تسيير الجبال المذكور في الآية الكريمة حاصل يوم القيامة ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ

السَّحَابِ ﴾ أي في تخلل أجزائها وانتفاشها ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ [القارعة : ٥] ، ثم ذكر بأن هذا التفسير هو ما ذهب إليه الكثير .

كما أشار إلى القول الآخر الذي يرى في هذه الآية دلالة على حركة الأرض ومرور الجبال

معها ، ونقل القول عن بعض علماء الفلك وأشار إلى بعض الأدلة التي تؤيد هذا القول .

١ - أن قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ لا يناسب مقام التهويل والتخويف إذا

أريد بها ما يحصل يوم القيامة وكذلك ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ لا يناسب مقام

الإهلاك والإبادة .

٢ - أن تسيير الجبال الذي يحصل يوم القيامة ، إذا رآه أحد شعر به ، لأنه مادام وضعها يتغير

بالنسبة للإنسان ، فيحس بحركتها . وهذا ينافي قوله تعالى ﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ أي ثابتة .

أما في الدنيا فلا نشعر بحركتها ، لأننا نتحرك معها ولا يتغير وضعنا بالنسبة لها . وهذا

بخلاف ما يحصل يوم القيامة ، فإن الجبال تنفصل عن الأرض وتنسف نسفا . وهذا

شئ يراه كل واقف عندها^(١) .

٣ - علاوة على أن نص الخطاب ﴿ وَتَرَى ﴾ ولم يقل ترون .

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٥ / ٤١١ - ٤١٢) .

(٢) قول المراغي :

يرى بأن حركة الجبال المذكورة في الآية واقعة يوم القيامة وذلك في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ أي وترى الجبال كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تزول عن أماكنها وتسير حثيثا كمر السحاب ، لأن الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها .. فيبدل الله تعالى الأرض غير الأرض ويغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها ليشاهدها أهل المحشر^(١) .

(٣) قول محمد رشيد رضا :

يرى كروية الأرض ودورانها على محورها . ومن هذا القول يلزم مرور الجبال مر السحاب حيث يقول عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

قال : عند تفسير قوله تعالى ﴿ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ .. والمعنى هنا أن الله

تعالى قد جعل الليل الذي هو الظلمة يغشى النهار وهو ضوء الشمس على الأرض أي يتبعه ويغلب على المكان الذي كان فيه ويستتره حالة كونه يطلبه حثيثا .. وهذا الطلب السريع يظهر أكمل الظهور بما ثبت من كون الأرض كروية الشكل تدور على محورها تحت الشمس ، فيكون نصفها مضيئا بنورها دائما والنصف الآخر مظلم دائما . ومسألة الليل والنهار معلومة بالقطع في هذا العصر . وقوله تعالى : ﴿ يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ [الزمر : ٥] أدل على استدارة الأرض من هذه الآية وكذا على دورانها ،

(١) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢٠ / ٢٤) .

فالتكوير في اللغة هو اللف على المستدير كتكوير العمامة ، وهو إما يكون بدوران الشمس في فلكها الواسع حول الأرض ، وإما باستدارة الأرض حول الشمس ، وهو الذي قامت الدلائل الكثيرة في علم الهيئة على رجحانه^(١) .

وبناء على ما سبق من قوله ، لا يستبعد قوله بأن سير الجبال واقع في الدنيا ، مع حركة الأرض المحورية .

(٤) قول طنطاوي جوهري :

ذكر معنيين للآية الكريمة ورأى أن المعنى الأول يوافق العصور الأولى ، والمعنى الثاني يوافق المعاصرين للأوربيين . قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ .. (هذه الآية بديعة

الوضع محكمة الصنع ، فإن التفسير يناسب المتقدمين من الأمة الإسلامية ، وإذا فسرت بأن الأرض دائرة حول الشمس والجبال بالطبع سائرة معها ونراها الآن جامدة وهي في الحقيقة جارية جريا سريعا جدا ، فإن ذلك يناسب قوله ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فهذا هو

الإتقان وإلا فالقيامة تخريب للعالم والإتقان يناسب هذا التفسير) . ثم وضع هذا التفسير تحت عنوان (حكاية) حيث يقول : (... إن للآية (معنيين) معنى يليق بالأمم الإسلامية التي قبلنا ومعنى يليق بآيائنا والقرآن يحتمل المعنيين ولكن الثاني أقرب .. المعنى الأول فإن الجبال يوم القيامة تمر مر السحاب لأجل أن تصل إلى الأرض فتسوى بها ولعظم حجمها يراها الإنسان كأنها جامدة غير متحركة وهذا يناسب مساق الآية ، وأما المعنى الثاني فهو أن الأرض تجري سريعا والجبال ما هي إلا من أجزائها فهي جارية تمر هي والأرض حول الشمس كما يمر السحاب حول الأرض والدليل عليه قوله ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٨/ ٤٥٣-٤٥٤) .

فعبر بلفظ أتقن لا بلفظ خرب كل شيء لأن القيامة تخريب لا إتقان للصنع، وفرق بين الصنع والتخريب ، وكأن الله تعالى أتى بالآية على هذا الشكل لتكون موافقة للعصور الأولى من حيث مساقها ، وهذه العصور من حيث نهايتها ويكون فهم الناس هو الذي يخطئ ويصيب والحقائق باقية على حالها^(١) .

(٥) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

أيد القول بأن في الآية الكريمة إشارة على أن الجبال تسير تبعا لدوران الكرة الأرضية نفسها، وأن في الآية دلالة لأهل العلم والنظر في دقائق نظام الكون ، والإبداع في الصنعة ، واستبعد من قال بأن حديث الآية عن الجبال متعلق بيوم القيامة وهذا المعنى العلمي ذكره عند قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَادًا ﴾ (الذي قاله جمهور المفسرين : إن الآية حكّت حادثا

يحصل يوم ينفخ في الصور ..) وقد استطرده بعد ذكر تحليل لبعض أقوال المفسرين ثم ذكر رأيه (وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية بأن الرائي يحسب الجبال جامدة ، ولا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب ، ولا توجيه التذييل بقوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَادًا ﴾ فلذلك كان لهذه الآية وضع دقيق ، ومعنى بالتأمل خليك .. ولكن هذا استدعاء لأهل العلم والحكمة لتتوجه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة وهذا من العلم الذي أودع في القرآن الكريم ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم ، كما كان معجزة للبلغاء من جانبه النظمي كما قدمناه في الجهة الثانية من المقدمة العاشرة^(٢) . ثم استطرده بعد ذكر تحليل لبعض أقوال المفسرين . ثم ذكر اعتقاد بعض الناس بأن الشمس تدور حول الأرض فينشأ من دورانها نظام الليل والنهار ويحسبون الأرض ساكنة .. ثم أشار إلى قول بعض علماء اليونان في (أن الأرض هي التي

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣ / ٢٥٢) .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، المقدمة العاشرة في إعجاز القرآن (١ / ١٠١) .

تدور حول الشمس في كل يوم وليلة دورة تتكون منها ظلمة نصف الكرة الأرضية تقريبا وضياء النصف الآخر وذلك ما يعبر عنه بالليل والنهار) ثم قال (والقرآن يدمج في ضمن دلائله الجمّة وعقب دليل النور والظلمة دليلا رمز إليه رمزا ، فلم يتناوله المفسرون أو تسمع لهم ركزا . وإنما ناط دلالة تحرك الأرض بتحريك الجبال منها لأن الجبال هي الأجزاء الناتئة من الكرة الأرضية) . ثم ذكر بأن الخطاب للنبي ﷺ . ويعلم العلماء هذه الحقيقة في وقتها . ثم ذكر دليل الترجيح في تذييل الآية الكريمة بذكر وجه الإنقار في الصنعة . قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ ﴾ .. والخطاب للنبي ﷺ تعلّما له لمعنى يدرك كنهه ولذلك خص الخطاب به ولم يعمم كما عمم قوله ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ﴾ [النمل : ٨٦] .

في هذا الخطاب ، وادخارا لعلماء أمتة الذين يأتون في وقت ظهور هذه الحقيقة . فالنبي ﷺ أطلعه الله على هذا السر العجيب في نظام الأرض .. ، اختص الله تعالى رسوله ﷺ بعلم ذلك في وقته وائتمنه على علمه بهذا السر العجيب في قرآنه ولم يأمره بتبليغه إذ لا يتعلق بعلمه للناس مصلحة حيثئذ حتى إذا كشف العلم عنه عن نقابه وجد أهل القرآن الكريم ذلك حقا في كتابه ، فاستلوا سيف الحجة به وكان في قرابه ^(١) . وقوله تعالى ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ المقتضي أنه اعتبار بحالة نظامها المألوف لا بحالة انخرام النظام لأن خرم النظام لا يناسب وصفه بالصنع المتقن ولكنه يوصف بالأمر العظيم أو نحو ذلك من أحوال الآخرة التي لا تدخل تحت الصور .. وهذا تمجيد لهذا النظام العجيب إذ تتحرك الأجسام

(١) وعائه (القراب) بكسر القاف وإما بضمها ، و(القراب) وما فيه السيف وهو وعاء كالجراب مستطيل يجعل فيه السيف بغمده والسكين وما أشبهه من سوط ونحوه وما خف من زاد الراكب : القاضي اليحصبي ، أبو الفضل عياض بن موسى ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، فصل القاف مع الراء (ص ١٧٦) .
والقرب إدخال السيف في القراب ، الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مادة (قرب) ، فصل القاف ، باب الباء (١ / ١١٤) .

العظيمة مسافات شاسعة والناس يحسبونها قارة ثابتة وهي تتحرك بهم ولا يشعرون ..
 ووصف الله تعالى بـ ﴿الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تعميم قصد به التذليل ، أي ما هذا الصنع
 العجيب إلا ماثلا لأمثاله من الصنائع الإلهية الدقيقة الصنع . وهذا يقتضي أن تسير الجبال
 نظام متقن ، وأنه من نوع التكوين والخلق واستدامة النظام وليس من نوع الخرم
 والتفكك^(١) . كما أشار إلى الفرق الذي في نص الآيتين الكريمتين في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ
 نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف : ٤٧] . وقوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً
 وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل : ٨٨] . وبهذا تعلم أن المر غير السير^(٢) .

(٦) قول محمد محمود حجازي :

ذكر القولين في سير الجبال ورأى السير المذكور في الآية كائنا يوم القيامة . فقال في قوله
 تعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ وتري الجبال يومئذ تظنها جامدة
 ساكنة ، وهي تمر مر السحاب يدفعها الريح صنع الذي أتقن كل شيء وأحكمه ، وبعض
 العلماء يقول ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ إن ذلك في الدنيا وهذا دليل على دوران الأرض حول الشمس
 بسرعة فائقة ، وتلك نظرية علمية ثابتة .
 ولكن الظاهر والله تعالى أعلم أن ذلك في الآخرة لأن الآيات التي هنا كلها عن يوم
 القيامة^(٣) .

قلت قد وضح أنفا المفسر محمد الطاهر ابن عاشور المعنى العلمي الذي يحتمله النص
 القرآني ، وحيث أن الآية تتحدث عن دقة نظام الصنعة في الكون وليس عن الاضطراب
 الواقع في يوم الساعة .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٠ / ٤٧ - ٥١) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢ / ٨١٠) .

(٧) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

ذكر القولين في تفسير سير الجبال ومال إلى القول بأن الظاهر من نص الآية أن ذلك السير حادث يوم القيامة . قوله تعالى ﴿ وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ أي وتنظر إلى الجبال فتراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تزول بسرعة عن أماكنها ، وتسير كما يسير الغمام بتأثير الرياح ، لأن الجسم الكبير إذا تحرك برتابة لا تكاد تتبينه كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝١٠٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١١٠ ﴾ [الطور : ٩-١٠] .

ثم قال : (وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على دوران الأرض حول الشمس بسرعة فائقة لكن الظاهر أن ذلك في الآخرة لأن الكلام هنا عن يوم القيامة) ^(١) .

(١) قول محمد أحمد الغمراوي :

(من عظمة الآيات القرآنية والتي تشير إلى دلائل علمية ويحتملها نص القرآن تحدث الأستاذ محمد أحمد الغمراوي عن الآيات الكريمة والتي فيها دلالة على الحركة اليومية ظاهرة في الليل ومجيء النهار التابع لحركة الأرض المحورية وباللزام يكون سير الجبال مع دوران الأرض .. (من الدلالة على الحركة اليومية في القرآن وجدناها في قوله تعالى : ﴿ يُغْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف : ٥٤] .. فكل من الليل والنهار يطلب الآخر طلبا حثيثا بإذن الله تعالى كي يغشاه ، ثم يكون ذلك على وجه التجدد المستمر كما تفيد صيغة المضارعة في الفعلين مع الحالية في الفعل الثاني) .

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٠ / ٤٢) .

فتأمل معي جلال هذه الكلمات القرآنية .

ثم استدل بآية أخرى على دوران الأرض ، وأن في هذا إعجاز للقرآن (... ثم هذا الدوران نفسه قد دل القرآن الكريم عليه بما يكاد يكون نصا صريحا في قوله تعالى : ﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى

النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر : ٥] ... الله سبحانه يلف الليل على النهار بلف

محوري حقيقي للأرض ، التي هي محلّ الليل ، ويلف النهار على الليل بلى حقيقي لأشعة ضوء الشمس في غلاف الأرض الهوائي الذي تملؤه الظلمة وهي تدور ، وفي الفعل (يكور) المكرر مرتين في الآية معجزة علمية أخرى ، إذ دل بوضوح على كروية الأرض بكروية جوها الذي يشغله ، ويتعاوره الليل والنهار على التجدد على كل بقعة من بقاع الأرض) .

وقال في تكرار الآيات الكونية إشارة للناس لطلب سر الظاهرة الكونية وتأكيدها (...) وتكرار المعنى هكذا في آيات متعددة توكيد له من ناحية ، وتنبيه من الله تعالى لعباده أن يتطلبوا سر هذه الظاهرة الكونية التي يحسونها من ناحية أخرى ... الدلالة الثانية فهي أهم ، لأنها إشارة تكاد تكون في صراحة ، عبارة تنص على أن للأرض حركة عبر حركتها اليومية ، وهي دلالة قوله تعالى : ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل : ٨٨] .

ثم ذكر الرياح وقال بأنها هي التي تحمل السحاب وتسوقه وكذلك الناظر إلى الجبال يظن أنها ثابتة وهي تمر مر السحاب . المشاهد بالعين المجردة ، وتحرك الجبال ملازم لحركة الأرض وأن هذا التصنيع من أمر الله تعالى الذي سخر هذا الكون بما فيه من المنافع العظيمة للعباد . ثم ذكر بأن ما أشارت إليه الآية الكريمة ضمنا إلى حركة الأرض ومن عليها من أسلوب القرآن (الحكيم للدلالة على ما يريد أن يدل عليه من أسرار الفطرة ليكون كل سر منها ، إذا أذن الله تعالى بالكشف عنه ، هاديا إلى الله تعالى فاطر الفطرة ومنزل القرآن الكريم ، ولما كان القرآن الكريم إنما أنزل لهداية الناس إلى من أنزله سبحانه فقد اقتضت

الحكمة الإلهية في آياته الكونية أن ينزل بأسلوب لا يصدم البديهي المسلم به عند الناس فيكذبه ، ولا ينافي الحقيقة الكونية فيكون ذلك داعيا إلى تكذيبه إذا يسر الله تعالى سبيل الكشف عنها لأولى العلم في مستقبل العصور . وهذا من أعجب عجائب القرآن الكريم التي لا تنقضي ، ومن أدل الدلائل على أن القرآن حقا من عند الله تعالى، إن التعبير عن الحقيقة الكونية بأسلوب يطابقها تماما ، أو يدل عليها أولى العلم ، ثم لا يصدم الناس فيما يعتقدون ولو كان ما يعتقدونه مخالفا تلك الحقيقة، هذا الأسلوب القرآني في التعبير عن الحقائق الكونية، أو في دلالة أولى العلم عليها أمر يعجز عنه البشر ولا يقدر عليه إلا الله تعالى الذي أنزل القرآن بالحق هدى للناس ^(١) .

(٢) قول الدكتور سليمان عمرقوش :

يؤكد على دور الجبال في حفظ توازن الأرض مع دورانها ، وهذا وجه نعمة وإتقان في الصنع ، حيث تدور الأرض بها فيها ومن عليها ولا تضطرب . قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَيْخَبَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات : ٢٧] وقوله تعالى : ﴿ وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨] . وفي هذا دلالة على أن الجبال ثابتة شاخحة ولها علاقة وطيدة بنزول المطر . ولكنها في نفس الوقت تدور مع دوران الأرض ولكننا نراها ثابتة لأننا نرى الأرض كذلك . ولكن ما الذي يجعل الأرض وما عليها تدور بثبات واتزان برغم تباين كثافة الجبال والبحار والأنهار والقشرة الأرضية .. الجواب على هذا هو صنع الله تعالى الذي أتقن كل شيء .. إنه في مصطلح العلم الحديث يسمى قانون التوازن .. حيث أن الأرض يقوم توازنها على أساس الارتفاع والعمق في أجزائها المختلفة حيث إن المادة الأقل وزنا ارتفعت على سطح الأرض وأن المادة الثقيلة أصبحت خنادق هاوية على شكل بحار ومحيطات . وقد بحثت حالة (٢٤٦) جبلا

(١) محمد أحمد الغمراوي ، الإسلام في عصر العلم (ص ٢٧٢-٢٧٩) .

فوجدت أنها موزعة توزيعاً جغرافياً مذهلاً بحيث تقع على طول دائرتين في شكل سور له ثغرات يحتضن حوضاً هائلاً تعلوه الهوائية وتنخفض فيه وتعمل على انتظام دوران الأرض . والدائرتان الجبليتان إحداهما شمالية والأخرى جنوبية تتماس هاتان الدائرتان عند خط العرض المار بالبحر الأبيض المتوسط وهذه السلاسل الجبلية توجد في الغالب في أطراف القارات . وهذا التوازن موجود في قوانين ضبط حركة الأرض أفقياً ورأسياً^(١) .

(٣) قول الدكتور عدنان الشريف :

يعلق على قوله تعالى : ﴿ وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٨٨] .

(أخيراً نتوقف عند الآية الكريمة التي نرى فيها دليلاً قرآنياً على دوران الأرض حول نفسها :

تدور الأرض بمن عليها من مخلوقات بنفس السرعة ، لذلك نحسب أي نظن أن الجبال ثابتة، بينما هي في الحقيقة متحركة تحرك السحاب . ولتقريب الصورة من ذهن القارئ يكفي أن نتصور قطارين انطلقا في نفس الوقت والاتجاه والسرعة فالراكب في واحد منهما إذا نظر إلى الراكب الموازي له في القطار الآخر يظنه جامداً لا يتحرك .. ويرى البعض في هذه الآية الكريمة وصفاً لمشهد من مشاهد يوم القيامة ، ونرى والله تعالى أعلم ، أنها مشهد يومي من مشاهد أيام الدنيا ودليل قرآني إعجازي على دوران الأرض حول نفسها ..^(٢) .

(وحركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن الكريم)^(٣) .

(١) د. سليمان عمر قوش ، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم (ص ١٤٥ - ١٤٦) .

(٢) د. عدنان الشريف ، من علم الفلك القرآني (ص ١١١) .

(٣) محمد علي الصابوني ، حركة الأرض حقيقة علمية أثبتها القرآن ، المقدمة . وانظر : د. عبدالمعالم

خضر ، المنهج الإباني للدراسات الكونية (ص ٢٢٩ - ٣١٣ - ٣٢٦) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨] .

- أيد بعضهم الرأي العلمي في تفسير الآية الكريمة والذي يحتمله نص الآية .

وهو قول محمد رشيد رضا ومحمد الطاهر ابن عاشور و أشار إليه الطنطاوي جوهرى د-
ومحمد محمود حجازي .

- وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

حركة الجبال تابعة لحركة الأرض . وقد ثبت علميا حركة الأرض ودورانها حول نفسها . فباللازم تثبت حركة الجبال وسيرها . ومن المفسرين من رأى بأن سير الجبال متعلق بمشهد يوم القيامة منهم القاسمي والمراغي والدكتور محمد محمود حجازي والدكتور وهبة الزحيلي .

ويرى فريق آخر منهم محمد رشيد رضا وطنطاوي جوهرى ومحمد الطاهر ابن عاشور ، سير الجبال آية في الإعجاز القرآني . وإشارة ضمنية لحركة الأرض ودورانها حول نفسها . وهذا ما ثبت علميا . مما يزيد في عمق إيمان المؤمنين . ومركز لدعوة غير المؤمنين بالدخول في الإيمان ، لأن في القرآن الكريم دلائل وآيات تحمل حقائق يقينية تدل على صدق القرآن الكريم وأنه منزل من عند الله تعالى الذي خلق هذا الكون وأحسن إتقانه ونظم قوانينه وسننه .

ولا أوافق رأي طنطاوي جوهرى بأن الآية تحمل معنيين ، معنى يوافق العصور الأولى واتفق معه على المفهوم العصري والذي يطابق الحقيقة العلمية .

- وقول محمد الطاهر ابن عاشور في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ تعليلا له لمعنى يدرك كنهه ولذلك خص الخطاب به ولم يعمم .

قلت : نعم يعلم النبي محمد ﷺ من أسرار الكون الشيء الكثير ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِالْأَفْئِطَةِ الْأَعْلَى ۖ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۚ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۚ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ أَفَتُمَدُّونَهُ عَلَىٰ مَا رَأَىٰ ۚ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۚ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۚ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۚ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۚ ﴾ [النجم : ٧-١٨] .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه رأى مشارق الأرض ومغاربها . عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : « زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها » (١) .

يحسن ذكر الآيات الكريمة التي أشارت إلى أن الكون جميعه ساجد وخاضع لأمر الله تعالى . وقد سخره الله تعالى لبني آدم من أجل أن يؤدي الخلافة على الأرض على وجهها . وقد أفلح وفاز المؤمنون بسعادة الدارين . قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۚ ﴾ [الحج : ١٨] .

وتأمل معي قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۚ ﴾ [فطر : ٢٧-٢٨] .

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الفتن (٩) باب ما يكون من الفتن ، رقم الحديث ٣٩٥٢ . (١٣٠٤ / ٢) .

من الملاحظ في قول الله تعالى اختلاف ألوان الجبال مع جمال بعض الأحجار المستخرج منها وكذلك المعادن الثمينة، والتأمل والتفكر في دلائل قدرة وعظمة الخالق يكون في المشاهد الكونية واختلاف ظواهرها وتجدها ، وكذلك النظر والتبصر في الصور المتنوعة في الأشكال والألوان والمقادير الموزونة في الخلق بحساب ، ومنه تقدير مواقع الجبال في مواضعها ودورها في تثبيت الأرض ، والمنافع الكثيرة المترتبة على وجودها مثل دورها في تراكم الثلوج على قممها، وأثرها في تبريد الرياح واتجاهها ، ومع ذلك دورانها مع دورة الأرض حول نفسها، مما يسهم في ضبط حركتها باتزان وميزان مقدر من خالقها جل ذكره في علاه سبحانه وتعالى القائل :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرَكُمْ بِإِذْنِهِ فَمَنْ يَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٩٣] .

وبذلك تستيقظ الفطرة السليمة من رقادها ، وتخضع قلوب أهل الإيمان وتخضع وتسجد لله تعالى ولوحدانيته ولعظمته وحكمته وكبريائه وملكه وغناه .. وبذلك تتعلق قلوبهم به والشوق إلى لقائه والنظر إليه والكلام معه والسكن بجواره في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] .

و قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿ [القمر : ٥٤-٥٥] .

وإليك الآيات المكية التي ذكر فيها لفظ (الجبال) .

ذكر لفظ (الجبل) (٣) مرات . ولفظ الجبال (٢٩) مرة .

لفظ (الجبل) :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الاعراف	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا تَحَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٤٣
٢			
٣	هود	﴿قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾	٤٣

لفظ (الجبال) :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأعراف	﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	٧٤
٢	هود	﴿وَهُيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾	٤٢
٣	إبراهيم	﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾	٤٦

م	السورة	الآية	رقمها
٤	الحجر	﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾	٨٢
٥	النحل	﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾	٦٨
٦	النحل	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظُلُمًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَنًا وَجَعَلَ لَكُم سُرُرًا تَقْبِكُم مِّنَ الْهَرِّ وَسُرُرًا تَقْبِكُم بِأَسْكُم كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾	٨١
٧	الإسراء	﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾	٣٧
٨	الكهف	﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾	٤٧
٩	مريم	﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴾	٩٠
١٠	طه	﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾	١٠٥
١١	الأنبياء	﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾	٧٩
١٢	الشعراء	﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾	١٤٩

م	السورة	الآية	رقمها
١٣	النمل	﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾	٨٨
١٤	سبأ	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُورِىٰ مَعَهُ وَالطِّيرُ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ ﴾	١٠
١٥	فاطر	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾	٢٧
١٦	ص	﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾	١٨
١٧	الطور	﴿ وَنَسِیرَ الْجِبَالِ سَیْرًا ﴾	١٠
١٨	الواقعة	﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴾	٥
١٩	المعارج	﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾	٩
٢٠	الحاقة	﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾	١٤
٢١، ٢٢	المزمل	﴿ يَوْمَ تَرُجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾	١٤
٢٣	المرسلات	﴿ وَلِذَا الْجِبَالُ تُسِفَّتْ ﴾	١٠
٢٤	النبا	﴿ وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ﴾	٧
٢٥	النبا	﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾	٢٠

م	السورة	الآية	رقمها
٢٦	النازعات	﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾	٣٢
٢٧	التكوير	﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾	٣
٢٨	الغاشية	﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾	١٩
٢٩	القارعة	﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ ^(١)	٥



(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ١٦٣) .

المبحث الثالث : البحار والأنهار

البحار والأنهار من دلائل عظمة الخالق وفضله على خلقه :

ذكر لفظ (البحر) في القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة .

ذكر لفظ (بحر) في القرآن الكريم (٢٢) مرة ، وذكر لفظ (البحار) (٢) مرتين ، وذكر لفظ (الأنهار) (١٤) مرة ^(١) .

في البحار والأنهار آيات عظيمة تدل على كمال قدرة الله تعالى وعظيم ملكه وسلطانه وفضله على خلقه ، ولو كانت مياه الدنيا مدادا لكلمات الله تعالى لنفدت تلك المياه قبل أن تنفذ كلمات الله تعالى .

(١) قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

(٢) وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴾ [إبراهيم : ٣٢] .

(٣) وقال تعالى : ﴿ رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [الإسراء : ٦٦] .

(٤) وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ١١٤) .

(أي قل أيها الرسول لهم : لو كتبت كلمات علم الله وحكمته ، وكان ماء البحر حبرا للقلم الذي يكتب به ، والقلم يكتب ، لنفد البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك ، ولو جرى بمثل البحر آخر وآخر وهكذا لنفد أيضا ، ولم تنفد كلمات الله تعالى ، وهذا دليل على كثرة كلمات الله تعالى ، وسعة علم الله تعالى وحكمته وأسراره ، بحيث لا تضبطها الأقلام والكتب) ^(١) .

و(البحر) هو (الماء الكثير أو الملح فقط) ^(٢) ، وقيل (البحر : اسم للماء الغزير الواسع ، والماء (البحر) الملح) .

وذكر بعض المفسرين أن (البحر) في القرآن على أربعة أوجه :

الوجه الأول : (البحر المعروف) في قوله في سورة الكهف: ﴿حَقَّقْ أَتْلَغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ﴾ .
[الآية : ٦٠]

الوجه الثاني : (البحر العامر من البلاد) ومنه قوله تعالى في سورة الروم :
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الآية : ٤١] .

الوجه الثالث : (البحر المسجور) في سورة الطور : ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الآية : ٦] .

الوجه الرابع : (البحر الماء العذب والمالح) ^(٣) ومنه قوله في سورة الرحمن :
﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الآية : ١٩] ^(٤) .

قال ابن جرير الطبري :

وأولى الأقوال بالصواب أن الله تعالى ذكره ، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر ،

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (١٦ / ٤٢) .

(٢) الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط (١ / ٣٦٧) .

(٣) البحر : الماء العذب والمالح ، هو موضوع المبحث من الرسالة .

(٤) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص ١٩٧)

والبحر عند العرب في الأرض القفار ، والبحر بحران : بحر ملح ، وبحر عذب ، فهما جميعاً عندهم بحر، ولم يخصص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر ، فذلك ما وقع عليه اسم بحر عذبا كاناً وملحاً، وإذا كان ذلك كذلك ، دخل القرى التي على الأنهار والبحار^(١) .

(والعرب تسمى القرى البحار ... وفي الحديث (اعمل من وراء هذه البحار)^(٢) أي البلاد ، وفي الحديث الآخر (وكتب لهم ببحرهم)^(٣) أي ببلدهم ، و(كل قرية لها نهر جار أو ماء نافع فالعرب تسميها بحرا)^(٤) .

لمحة من تاريخ الماء ومنافعه :

لقد تكلم أبو حامد الغزالي عن الحكمة^(٥) في خلق البحر ، وصدر حديثه بقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَكْرَى الْفُلُوكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤] . ثم أشار إلى ما في البحار من خيرات ومنافع عظيمة لبني البشر بقوله : (اعلم رحمك الله تعالى أن الله سبحانه وتعالى خلق البحار وأوسع فيها لعظم نفعها ..

(١) الطبري : أبو جعفر ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٠ / ٢١) .

(٢) صحيح البخاري (٢٤) كتاب الزكاة (٦) باب زكاة الإبل (١ / ١٢٣) .

(٣) صحيح البخاري (٥١) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها (٢٨) باب قبول الهدية (٢ / ١٤١) .

(٤) القاضي اليحصبي : أبو الفضل عياض بن موسى ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، مادة (بحر) (ص ٧٩) .

(٥) (وإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق ، وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ، ودواب الماء والأصداف التي لا تحصى كثرة ولا يعرف منافعها إلا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث) .

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (ص ٥٨) .

فتأمل عجائب البحر ، فإن فيه من الحيوان والجواهر والطيب أضعاف ما تشاهده على وجه الأرض كما أن سعته أضعاف سعة الأرض ، ولعظم سعته كان فيه من الحيوان والدواب العظيمة .. ثم انظر كيف خلق الله تعالى اللؤلؤ مدورا في صدف تحت الماء ، وأثبت المرجان في جنح صخور في البحر فقال سبحانه : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن : ٢٢]

وذلك في معرض الامتنان ، وقيل المرجان المذكور في القرآن الكريم هو الرقيق من اللؤلؤ .. ثم انظر إلى عجائب السفن ، وكيف مسكها على وجه الماء تسير فيها العباد لطلب الأموال ، وتحصيل ما لهم من الأغراض ، وجعلها من آياته ونعمته فقال سبحانه :

﴿وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ [البقرة : ١٦٤] فجعلها بتسخيره تحملهم وتحمل أثقالهم ويتنقلون بها من أقاليم إلى أقاليم .

ثم أكد على ما في البحر من شواهد ناطقة بلسان حالها على وحدانية خالقها البارئ المصور القادر سبحانه وتعالى (وكل ذلك شواهد متظاهرة ، ودلائل متضافرة ، وآيات ناطقة بلسان حالها ، مفصحة عن جلال بارئها ، معربة عن كمال قدرته وعجائب حكمته) ^(١) .

وبين زكريا بن محمد القزويني فوائد الماء العذب والمالح وسبب ملوحته . وقال : الماء : لا طعم له ولا لون ولا رائحة . وإن ماء المطر أصله بخار الماء بسبب حرارة الشمس . وهكذا تتم دورة الماء على الأرض حتى يبلغ الكتاب أجله . ثم أشار إلى موقع الماء على الأرض قريب من جهة الشمس التي تؤثر فيه حرارتها ، ولم يكن يعم الماء الأرض وإنما انحسر عن بعض وجهها . ثم تحدث عن بعض أحوال عجيبة للبحر مثل هيجان مياه البحر ، وأثر القمر على صخور البحر وأحجاره وغير ذلك كثير . (واعلم أن الماء عذب ومالح وكل واحد منهما له فائدة لا توجد في الآخر ، أما المالح فملوحته من الأجزاء

(١) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، الحكمة في مخلوقات الله (ص ٤٣-٤٤) .

الأرضية السبخة^(١) التي احترقت من تأثير الشمس واختلطت بالمياه وجعلتها مالحة فلو بقيت على عذوبتها لتغيرت من تأثير الشمس وكثرة الوقوف ، لأن من شأن الماء أن يتن^(٢) من كثرة الوقوف وتأثير الشمس فيه ولو كان كذلك لسارت الرياح بنتنها إلى أطراف الأرض فأدى إلى فساد الهواء ويسمى طاعونا فصار ذلك سببا لهلاك الحيوان . فاقتضت الحكمة أن يكون ماء البحر مالحا لدفع هذا الفساد . ومن فوائد الماء المالح الدر والعنبر . وأما العذب فمعظم فائدته الشرب .. ومن عجيب لطف الله تعالى أن كل مأكول ومشروب يحتاج إلى تحصيل أو معالجة حتى يصلح للأكل إلا الماء فإن الله تعالى أكثر منه ولا حاجة إلى معالجة لعموم الحاجة إليه ، فإن الله تعالى كفى الخلق معالجة إصلاح الماء بتأثير الشمس في مياه البحر وارتفاع البخار منها . ثم إن الرياح تسوق ذلك البخار إلى المواضع التي شاء وينزلها مطرا .. وهكذا مثل الدولاب يدور حتى يبلغ الكتاب أجله فسبحانه ما أعظم شأنه .. إن من عجيب صنع الله تعالى انحسار الماء عن وجه بعض الأرض .. فاقتضى التدبير الإلهي المخالفة بين مركز الأرض ومركز الشمس لتدور على مركزها الخاص الذي هو غير مركز الأرض ليقرب من ناحية الأرض ويبعد من الأخرى فصارت الناحية القريبة منها تحمي ماءها .. إن للبحار أحوالا عجيبة من ارتفاع مياهها وهيجانها في أوقات مختلفة من الفصول الأربعة وأوائل الشهور وأواخرها وساعات الليل والنهار .. وأما مد بعض البحار في وقت طلوع القمر ، فزعموا أن في قعر البحر صخورا صلبة وأحجارا صلبة ، وإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح أشعته إلى تلك الصخور والأحجار التي في قرارها ثم انعكست من هناك متراجعة فسخت تلك المياه وحيت ولطفت...^(٣) .

(١) الأرض المالحة . سبق تعريفها (ص ٣١١) .

(٢) (التن) الرائحة الكريهة ، الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، مادة (ن ت ن) (ص ٤٧١) .

(٣) (القزويني) : زكريا بن محمد ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (ص ١٠٠-١٠٢) .

و الحديث عن البحر وعلومه وما فيه من الخيرات والمنافع لا يتسع المقام للتفصيل فيه . وكثير من الدراسات العلمية تشير إلى أن مياه البحار تكونت من ذات الأرض في مدة من تكوينها حيث كانت الأبخرة تخرج من باطنها ، ثم تكثفت ، ثم هطلت أمطارا . وهكذا دواليك حتى استقر وضع البحار والمحيطات على ما هو عليه ولقد ثبت علميا اليوم أن المصدر الأولي للمياه هو الأرض ذاتها وكما حددته الآية الكريمة ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ [النازعات : ٣١] . ذلك بأن الأرض كانت منذ أربعة آلاف مليون سنة ونيف كتلة ملتهبة من الحمم .. كما هي الحال اليوم في باطنها ، ومع مرور ملايين السنين بردت أجزاءها الخارجية تدريجيا بفعل فقدانها لبخار الماء المتصاعد منها والذي ما لبث أن تكثف وتحول إلى غيوم بعد وصوله إلى الطبقات العليا من الجو ، ثم تساقط أمطارا على الأرض الملهبة التي حولته من جديد إلى بخار ، وهكذا دواليك إلى أن فقدت الأرض بمرور مليار سنة تقريبا كثيرا من حرارتها . وعندما وصلت الحرارة في قشرتها الخارجية إلى نقطة لا تستطيع معها تبخير الماء المتساقط عليها أمسكت بمائها . وهكذا تكونت (البحار والأنهار) ، ثم بدأت بعد ذلك الحياة في المحيطات وانتقلت بعد ذلك إلى اليابسة (١) .

(ومن عرف العلماء بأن أصل نشوء الماء على سطح الأرض لا يعود مصدرها إلى الغلاف الغازي وحده ، بل هي انبثقت وخرجت من الجوف العميق للأرض عند انبثاق المصهورات والغازات البركانية . وتعرف هذه المياه باسم المياه الأصلية الأولية .. أي المياه التي تظهر على سطح الأرض ...) (٢) .

(١) د. عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية (ص ١٠٤) .

(٢) د. حسن أبو العينين (٢/ ٢٥٤) .

البحر في الاصطلاح العلمي :

مياه البحار والمحيطات تختلف في طبيعتها ونسبة ملوحتها ، حيث (يعد تعبير كلمة (بحر) تعبيراً غير محدد من الناحية العلمية ، فكثيراً ما يطلق هذا التعبير على عديد من البحار قد لا تجمع فيما بينها أي صفات مشتركة) ^(١) .

تصنيف مياه البحار والمحيطات :

من التقسيمات المعروفة للبحار (البحر الأحمر ، بحر الخليج العربي ، البحر الأسود ، بحر قزوين)، ومن المحيطات (المحيط الأطلسي الشمالي ، المحيط الأطلسي الجنوبي ، المحيط الهادي الشمالي والمحيط الهادي الجنوبي)، والمحيط القطبي الشمالي ، والمحيط القطبي الجنوبي) ^(٢) .
الله سبحانه وتعالى الذي خلق الماء وجعله سراً لحياة الكائنات .

لقد أثبتت الحقائق العلمية بعض أوجه الحكمة ، وكشفت عن بعض الأسرار الكائنة في الماء ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] .

(الماء يدخل في تركيب جميع الخلايا الحية بنسبة (٧٥٪) ماء والباقي (٢٥٪) بروتينات ودهون ونشويات وأملاح ، والحياة تستحيل بدون الماء ، لأنه أفضل مذيب لمعظم المواد الكيميائية اللازمة لنمو نسيج الكائن الحي ، فينقل بذلك الغذاء من خلية إلى أخرى ، ويعمل بذلك على استمرار تدفق الطاقة الحيوية في الكائنات الحية ، ولهذا فإن الماء هو المركب الأساسي للدم في أجسامنا .

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ٢٦٦) .

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٦٨) .

ونشأت الحياة الأولية البدائية حين برد سطح الأرض وخرج من جوفها الماء الذي غمرها في البداية منذ (٣٤٠٠) سنة ، وبدأت الحياة تدب أولا في البحار والمحيطات على شكل طحالب خضراء وبكتريا وكائنات أولية وحيدة الخلية ثم بدأ ظهور اليابسة التي شغلت ربع مساحة الكوكب، بينما بقي ثلاثة أرباع سطح الأرض مغطى بالماء ... وتطورت الحياة في الماء ، وبذلك خلق الله كل دابة من ماء كما في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور : ٤٥] .

وجود الماء في درجة الحرارة المعتادة على هيئة سائلة أمر عجيب ، لأن وزنه الجزيئي (١٨) يتطلب أن يكون غازيا كالنوشادر الذي وزنه الجزيئي (١٧) ، وللماء قدرة على اختزان الحرارة ولهذا فهو أعظم منظم لدرجات الحرارة على سطح الأرض ، ولولاه لانعدمت الحياة على هذا الكوكب ، ... وكما تدور المياه العذبة بين الهواء والأرض فهي تدور أيضا في الأحياء ، فكل العمليات الحيوية التي تجري داخل أجسام الكائنات تحتاج إلى الماء العذب ، فالإنسان يحتوي على أكثر من ثلثي وزنه ماء ، ولكي يحافظ على هذا الماء في جسمه لابد أن يتجرع يوميا في المتوسط كيلو جرام من الماء ، ليدور هذا الماء في جسمه دورات تخرج بعدها من منافذ^(١) كثيرة (البول والعرق) ، وما أعظم الفائدة الحيوية في تلك الدورة داخل جسم الحيوان ، فالماء يدور مع مكونات الدم حول كل خلية ليحمل معه نفاياتها لإخراجها وليمد الجسم في نفس الوقت بالمواد الغذائية الذائبة فيه ، فسبحان الخالق

(١) كما تخرج من جسم الإنسان سوائل مختلفة مثل ملوحة دمع العين ومرارة رطوبة تجويف الأذن .. الخ .

البارئ الذي جعل من دورة الماء في الحياة حكمة عليا ، وبقينا معجزا لعظمته وقدرته وألوهيته ووحدانيته وسلطانه المهيمن على الحياة^(١) .

فوائد اختلاف نسبة الملوحة وطبيعة مياه البحار والأنهار :

أثبتت الدراسات العلمية اختلاف نسبة الأملاح التي تتمثل بمياه البحار والمحيطات عن تلك بالمياه العذبة فوق القشرة للأنهار أو البحيرات ، ودلت الدراسات على أن مياه الأنهار تختلف عن مياه البحار ليس فقط من حيث نسبة الملوحة بها ولكن تختلف كذلك من حيث التركيب الكيميائي لكل منها، (فمتوسط نسبة الملوحة في الأنهار (١٥) في الألف وفي البحار (٣٥) في الألف ، ... وتتألف أملاح البحار أساسا من الكلوريدات وخاصة كلوريد الصوديوم ، وتركب أملاح الأنهار أساسا من الكربونات وخاصة كربونات الكالسيوم ، ويرجع تناقص نسبة كربونات الكالسيوم بمياه البحار) على الرغم من أنها تصب كميات كبيرة من هذه الكربونات فيها^(٢) إلى وجود بعض الكائنات البحرية المتنوعة مثل الأصداف والقواقع والمرجان التي تعمل على استخلاص كربونات الكالسيوم (الجير) من المياه ، واستخدامها في بناء قشورها وأصدافها كما تمتص الدياتوم **Diatoms** كميات كبيرة من السليكا المذابة في مياه البحار وتستغلها في عملية بناء قشورها ، وقد نجم عن انخفاض نسبة كربونات الكالسيوم ، ارتفاع نسبة كلوريد الصوديوم بمياه البحار والمحيطات ... وجعل الله تبارك وتعالى مياه البحار والمحيطات مياهها مالحة ، وإن كانت غير ذلك لصارت مياهها راکدة في الأحواض المحيطة لا حركة فيها ولا حياة ،

(١) إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء ، إشراف د. منصور حسب النبي (ص ١٢٨ - ١٣٢ - ١٣٤) .

(٢) قدر الباحثون أن كمية الكالسيوم المذابة والتي تصبها الأنهار في البحار نحو ٥.٤×١٠^٣ كم^٣ د. حسن أبو العينين، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ٢٧٨) .

وتنتشر فيها الملوثات وتركز في بعض مسطحاتها النفايات المختلفة التي تمنع تكاثر الكائنات البحرية واستمرار حياتها ، ونتج عن اختلاف ملوحة مياه البحار وتنوع كثافتها من سطح مائي إلى نشوء التيارات البحرية الصاعدة والهابطة **ling Upw** والتيارات الأفقية ، حيث تنتقل المياه من المسطحات المائية البحرية الأعلى كثافة إلى تلك الأقل منها كثافة ، وتنقل المياه عند تحركها الخصائص الأوقيانوغرافية الطبيعية والكيميائية والبيولوجية من مسطح بحري إلى آخر ، فتنوع الحياة في البحار والمحيطات لمنفعة الإنسان .

وتختلف مياه البحار عن مياه الأنهار من حيث تركيبها الكيميائي ، وجعل الله سبحانه وتعالى مياه الأنهار صالحة للشرب ، ونافعة للري ، وأن الملوحة فيها تختلف كيميائياً عن تلك المذابة في مياه البحار ، وعلى فرض وجود مياه نهر ترتفع فيها نسبة الملوحة عن مياه بحر (التي تبلغ عادة ٣٪) ، فإن مياه هذا النهر تظل صالحة للشرب بينما لا تصلح مياه البحر لنفس هذا الغرض ، ويرجع السبب في ذلك إلى اختلاف التركيب الكيميائي لكل من مياه الأنهار التي تتألف أملاحها من الكربونات ، ومياه البحار التي تتألف أملاحها أساساً من الكلوريدات) ^(١) .

ذكر الأنهار في القرآن الكريم :

(١) ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد : ٣] .

(٢) وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ [إبراهيم : ٣٢] .

(١) د. حسن أبو العينين، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ٢٧٦-٢٨١) .

(٣) قوله تعالى :

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ نَعْمِدَ بَكُمْ وَأَتَنَرًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل : ١٥] .

(٤) قوله تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان : ٥٣] .

(٥) وقوله تعالى : ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوْسًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَاعِلًا﴾ [النمل : ٦١] .

(٦) وقوله تعالى :

﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِيعْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلَ لَكُمُ أَنْهَارًا﴾ [نوح : ١١-١٢] ^(١) . (النهر) (مجرى الماء) ^(٢) .

ويرى بعض أهل التفسير أن لفظ (نهر) يطلق (على خمسة أوجه :

الوجه الأول : (نهر - الأردن) قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ [الآية : ٢٤٩]

الوجه الثاني : (النهر - هو الجاري في البساتين) قوله تعالى في نظائر كثيرة :

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف : ٣٣] .

الوجه الثالث : (الأنهار - الأعين) قوله تعالى في سورة محمد ﷺ : ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ﴾ يعني عيوننا . [الآية : ١٥] .

الوجه الرابع : (النهر - السعة) قوله تعالى في سورة القمر

﴿إِنَّ الْتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ [الآية : ٥٤] ^(٣) .

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٧١٨-٧١٩) .

(٢) الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، باب الراء فصل النون والواو ، مادة (النهر) (٢/ ١٥٠) .

(٣) الدامغاني : الحسين بن علي ، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر (ص ٤٦٦) .

الوجه الخامس: بعيد في استلاله على المعنى فلم اذكره .

منافع الأنهار وفوائدها :

جريان الماء العذب على وجه الأرض نعمة الله تعالى وهبة منه للخلق ، فعلى الأنهار تقوم مصالح عديدة، وللإنسان فيها فوائد ومنافع كثيرة ، ولقد بينت الدراسات العلمية كثيرا من خيرات الأنهار وفوائدها ، ومنذ القدم كانت تجري عشرات الآلاف من مجاري المياه متجهة نحو البحر لتصب فيه .. وكلها على تباين الأرض التي تجري فيها ، تتشابه في الطابع العام ، إنها كلها تسير متعرجة ملتوية تحفر الأرض ، وتنحت الصخر ، ثم تتجمع معا ضمن مجموعات من الفروع والروافد لتكون أنهارا كبيرة قوية تقطع آلاف الأميال في سيرها ، ثم تنتهي إلى هدف واحد هو أن تصب في البحر الفسيح ، فتنقل إلى هذا البحر آلاف الأطنان من الغرين والصخور التي تحملها من منابعها ، دون كلل أو ملل تقطع هذه المرحلة الطويلة لتنتهي بهذا كله إلى البحر ، وفي البحر الفسيح يتبخر الماء ، وتكون السحب ، وتسقط الأمطار وتتكون الثلوج ، ثم تنحدر المياه في غدران ضيقة ، على منحدرات الجبال والتلال لتتكون الغدران التي تمد الأنهار الكبرى بالمياه التي تحملها هذه بدورها إلى البحر وتتم الدورة لكي تبدأ من جديد^(١) .

أهم الأنهار في العالم :

- (١) النيل : في مصر .
- (٢) الأمازون : في شمال أمريكا الجنوبية .
- (٣) يانجتس : في الصين .
- (٤) الفولجا : في روسيا .

(١) محمد عبد الفتاح إبراهيم ، الأنهار العظيمة في العالم ، المقدمة (ص ٩-١٠) .

(٥) المسيسي : في كندا ويصب في خليج المكسيك^(١) .

(٦) الكونغو .

(٧) النيجر^(٢) .

وجريان الماء العذب بصفة مستمرة من آيات الله تعالى ونعمه على عباده ، ومنافع الأنهار للناس كثيرة ومتنوعة ، حيث تقوم على ضفاف الأنهار كثير من المزارع والبساتين التي تضم أنواعا مختلفة من الفاكهة والخضار والحبوب والثمار كما تختلف الأنهار في طولها وعمرها الزمني ، وتركيبها الجيولوجي ، ونسبة عذوبة مائها ، ودرجة حرارتها ، ومصادر الأنهار من الينابيع وكثرة الأمطار التي تسقط على المناطق الباردة ، وخاصة قمم الجبال العالية التي تغطيها الثلوج ، وعند ذوبان الثلج وانصهاره يتكون مجرى طبيعي ينحدر نحو مصبه في البحر ، وعند كثرة الأمطار يزداد منسوب المياه في الأنهار ، وتحدث الفيضانات التي قد تدمر المنازل والمحاصيل الزراعية^(٣) .

ويعلق الدكتور عدنان الشريف على قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم : ٣٢] .

قال : تحوي الأرض (١٣٦٠) مليون كيلو متر مكعب من المياه تتوزع كالآتي :

في البحار والمحيطات	٩٧.٢٪
بشكل كتل جليدية	٢٪
بشكل مياه جوفية	٠.٦٪
تتوزع في الأنهار والبحيرات	٠.٠١٧٪

(١) إن تيري هوايت ، كل شئ عن الأنهار العظيمة في العالم ، ترجمة عبد الفتاح إبراهيم (ص ٢٣ ، ٤٩ ،

٦٧ ، ٨٥ ، ١٠١) .

(٢) جمال عبد المنعم الكومي ، الماء .. سائل الحياة (ص ١٠٧) .

(٣) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ١٦٤ - ١٧١) بتصرف .

وتقدم الأنهار والبحيرات لمئات الملايين من الناس المتعة والماء والغذاء والطاقة وتسهل التجارة ، كما تخلص الإنسان من نفاياته^(١).

ويتحدث فوزي حميد عن فوائد الأنهار ويقول : (وقد سخرها الله تعالى جل شأنه لصالح البشرية في مجالات عديدة ، فالسدود الضخمة التي تقام على الأنهار والتي تعد بمثابة خزانات مائية صناعية تستخدم مياهها في توليد طاقة كهربائية جيدة ، وفي ري الأراضي الزراعية المحتاجة ، وتساعد على تجمع السكان على أطرافها لأنها تهيئ لهم سبل العيش ورغد الحياة ، وتستخدم في صيد الأسماك ، وفي مجالات الشرب والاستعمالات الأخرى بعد ترشيحها وتنقيتها .. وقد سخرت الأنهار في الملاحة، فهي وسيلة ممتازة لنقل السكان والموارد الاقتصادية . ويستفاد منها في إقامة الموانئ التجارية عند مصباتها في البحار أو قرب ذلك ، (كما) تصلح لرسو السفن فيها ، وقد تستخدم الأنهار أيضا في إلقاء فضلات المدن ، ونفايات مصانعها ، مما يؤدي إلى تلوث كثير من مياه الأنهار وأصبحت مياهها خطرا على حياة المخلوقات البحرية ، وبالتالي خطرا على حياة البشرية^(٢) .

والأنهار مظهر من جمال الكون ، وذلك عند انسياب ماء النهر يجري على سطح الأرض حتى ينتهي في مصبه في البحر غالبا ، كما تقوم حياة النباتات التي تعلوها الخضرة والتي بدورها تكسب النفس البهجة والفرحة والسرور . ولذلك كثيرا ما وصف الله عز وجل جنته لعباده المتقين ، وذكر لهم ما فيها من أوجه النعيم المقيم ، وأنواع الأنهار وأصنافها . قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥]

(١) د. عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية (ص ١١٦) .

(٢) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق (ص ٢٤٠-٢٤١) .

بقي الإشارة إلى الإعجاز النبوي حيث أخبر عما سيحدث من تغير الأحوال والظروف المناخية ، وأنه ستعود أرض جزيرة العرب مراعي خضراء تجري فيها الأنهار .
(عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجاً^(١) وأنهاراً^(٢) .

ذكر الدكتور زغلول النجار ما أشارت إليه الدراسات العلمية الحديثة التي تتعلق بموضوع الحديث النبوي ويقول : (وعندنا الدراسات الجيولوجية تؤكد أن الجزيرة مرت بثمان دورات مطيرة مطرا شديدا ، تخللها سبع دورات جفاف ، نحن في دورة الجفاف السابعة ويتوقع العلماء أن تتحول هذه الدورة إلى دورة أمطار مرة أخرى ، وهناك شواهد علمية كثيرة تؤكد ذلك ، وكون الرسول محمد ﷺ يقول) ... وذكر الحديث (هو شهادة صدق بنوة هذا الرسول ﷺ لأنه لم يكن أحد على عهده ﷺ يدرك أن جزيرة العرب كانت في الماضي مروجاً وأنهاراً ، ولم يكن أحد يتوقع أن يعود هذا مرة أخرى)^(٣) .

واطلع إذا شئت على المحاوراة العلمية التي أجراها الشيخ عبد المجيد الزنداني

(١) المرج : مرعى الدواب ، الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، مادة (مرج) (ص ٤٥٢) .

(٢) بنحو لفظه أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٧١-٤١٧) ، ولفظ الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة ، (١٨) باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها (٢/ ٧٠١) ، رقم الحديث (٦٠-١٧٥) . شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ٩٧) .

(٣) أحمد بن حسن بن أحمد الحارثي ، الأحاديث النبوية التي استدل بها على الإعجاز العلمي في الإنسان والأرض والفلك (ص ٣٠٦) ، نقلا عن شريط تسجيلات التقوى برقم (٨٩٦٢/ ٢) .

مع الأستاذ الباحث في علم الجيولوجيا (كورنر) الألماني الجنسية في كتاب (إنه الحق) ^(١) .

ومن دلائل إعجاز القرآن الكريم وصدقه أنه أشار إلى حاجز وفاصل بين ماء البحرين المالحين والماء الحلو والمالح . وبينت الدراسات العلمية أنه (يوجد اختلاف في درجة ملوحة مياه البحار ودرجة حرارتها وفي مقدار كثافتها وقابلية ذوبان الأكسجين ، كما تختلف الأحياء المائية التي تعيش في البحار والمحيطات ومياه الأنهار) ^(٢) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن هناك حاجزا ومانعا بين المائين (ماء النهر الحلو وماء البحر المالح) . قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٣] .

وبالتالي هناك حياة خاصة لبعض حيوانات البحر من المائين . فيلزم كل من الكائنات الحية منطقتها التي يعيش فيها فلا يتجاوزها ولا يتعداها إلى غيرها . وفي منطقة مصب النهر في البحر تبرز دلائل القدرة وإبداع الصانع حيث سائلان مائعان يختلف كل منهما عن الآخر في الخصائص والتكوين ويكونان متجاورين في محل واحد ، لا ينبغي أحدهما على الآخر ولا يطنى ولا يختلطان فخصائص الماء الحلو كما هي غير متغيرة وكذلك الماء المالح ، فما هو العامل الذي وقف حاجزا ومانعا من اختلاط ماء النهر بماء البحر؟ وكيف وعوامل المزج في البحار كثيرة من مد وجزر وأمواج وأعاصير؟؟ ^(٣) .

(١) صادر عن هيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي (ص ٣٧-٤٢) .

(٢) إصدار هيئة الإعجاز العلمي ، من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن في عالم البحار (ص ٢٢/٤٨) بتصرف .

(٣) المرجع السابق (ص ٤٥، ٣٩، ٢٠) .

إنها قدرة الله تعالى القائل ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل : ٨٨] (وكذلك لا

يستبعد أن ينبع الماء الحلو في قعر البحر والمحيط وتكون له الخصائص المعروفة المشهورة)^(١) . كما يتم التجانس ببطء والاختلاط بعد محيط الحجر والمنع)^(٢) .

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان : ٥٣] .

(وصف لنظام المصب ، وتوضيح لامتزاج الماء العذب مع ماء البحر المالح ، وبيان لوجود حاجز بين الماء العذب وماء البحر ، وأن منطقة الامتزاج محمية ببعض القيود على ما يدخل عليها أو يخرج منها . وقد برهن العلم الحديث على خواص المصب هذه ، كما برهنت علوم الأحياء الحديثة على أن هذه المنطقة هي منطقة محصورة تعيش فيها بعض الحيوانات الخاصة بهذه البيئة . وبالإضافة إلى بيان وجود هذه الحواجز بين الماء العذب وماء البحر المالح ، فقد ذكر القرآن الكريم أيضا وجود حواجز ماثلة في البحار نفسها . قال الله تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن : ١٩-٢٠] . وتشبه هذه الحواجز الحدود المائية بين مياه المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط وبين مياه البحر الأحمر وخليج عدن وفي مواقع أخرى من بحار العالم)^(٣) .

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ٢٦٢-٢٦٤) بتصرف .

(٢) إصدار هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة ، من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار (ص ٤١-٤٧) .

(٣) المرجع السابق (ص ٢-٣) .

وسأعرض لك أقوال المفسرين في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٣] .

(١) قول القاسمي :

في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ ﴾ : أرسلهما متجاورين متلاصقين ، بحيث لا يتمازجان . قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ أي حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿ وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ أي منعا من وصول أحدهما إلى الآخر وامتزاجه ، حتى بعد دخول أحدهما في الآخر ^(١) .

(٢) قول المراغي :

في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ : أي ومن آثار نعمته على خلقه أن خلى البحرين متجاورين متلاصقين وجعلهما لا يمتزجان ، ومنع المالح من تغير عذوبة العذب وإفساده إياه وحجزه عنه بقدرته ، فكأن بينهما حاجزا يمنع أثر أحدهما من إفساد الآخر ، وكأن بينهما ساترا يجعله لا يبغي عليه) .

ثم أوجز فقال : (والخلاصة - إنه جعل البحرين مختلطين في مرأى العين ، منفصلين في التحقيق بقدرته تعالى بحيث لا يختلط المالح بالعذب ولا العذب بالمالح ، ولا يتغير طعم أحدهما بالآخر ولا يفسده .

ونحو الآية قوله في سورة الرحمن :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ . الرحمن : ١٩-٢٠

(١) محمد جمال القاسمي : تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٥/ ٣٤٦) .

(٣) قول طنطاوي جوهري :

في قوله تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ : أي أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين

متلاقين ، فترى العذب يخرج من الجبال كنيل مصر يجري من جبال القمر وراء خط الاستواء فيمر شمالا حتى يصب في البحر الأبيض المتوسط ، فلا الملح يطغى على العذب فيجعله ملحا ، ولا العذب يجعل البحر الملح مثله (يلتقيان) ، ومع هذا الالتقاء منعها الله تعالى عما في طبعهما بالبرزخ وهو ما يحجزهما ويصدّهما عن الاختلاط والامتزاج ، وهو قوله ﴿يَنْتَهَمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز إلهي ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ لا يختلطان ولا يتغيران^(١) .

(٤) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

ذكر في تفسيره للآية : بما يشير إلى قدرة الصانع (عود إلى الاستدلال على تفردّه تعالى بالخلق . جمعت هذه الآية استدلالا على شئ عظيم من آثار القدرة وهو التقاء الأنهار والأبحر .. والمزج : الخلط .. والبرزخ الحائل بين شيئين . والمراد تشبيه ما في تركيب الماء الملح مما يدفع تخلل الماء العذب فيه بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر ويبقى كلاهما حافظا لطعمه عند المصب)^(٢) .

(٥) قول الدكتور محمد محمود حجازي :

في قوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ : وهو الذي مرج البحرين العذب والمالح وخلي بينهما وخلط ، وأفاض أحدهما إلى الآخر ، فهما يلتقيان أحدهما عذب فرات ، يزيل العطش ، ويكسر سورته وذلك كمياه الأنهار والعيون والآبار ، وهي المياه الجارية التي فرقها الله بين عباده لاحتياجهم إليها كأنهار النيل والفرات والمسيبي في أمريكا وغير ذلك كثير في جميع

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن (١٨/٢٤) .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١٩/٥٣-٥٤) .

بقاع العالم ، وكذا العيون والآبار التي في الواحات والصحارى الكبرى وغالب هذه الأنهار وروافدها تتكون من الأمطار وبعضها يتسرب في الأرض ثم يظهر على شكل عيون وآبار .. وإنا نرى أن البحرين العذب والمالح ، يسيران جنبا إلى جنب بل وقد يصب العذب في المالح ، مع ذلك يبقى كل منهما محافظا على خصائصه مسافة طويلة ، هذا هو المشاهد عند مصاب الأنهار .

كما يرى بعض المفسرين أن الحاجز بين المائين يكون من نفس الأرض . قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ ، وقوله تعالى في سورة الرحمن ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) يَبْتَغِيَانِ ﴾ [١٩-٢٠] .

فالحاجز هو اليابس من الأرض ولقد صرح بذلك بعض أئمة التفسير كابن كثير وغيره . ويقول ابن كثير في الآية ﴿ يَبْتَغِيَانِ ﴾ أي وجعل بينهما برزخاً وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغي هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه ^(١) .

وقول ابن كثير يحمل عليه قول من قال بتأثير جاذبية الأرض على المياه التي عليها ويقول حجازي : وإلى هذا أميل . وبعضهم يرى أن الحاجز ما يشاهد من نهر النيل مثلا يصب في البحر الأبيض وهو ملح ، ومع هذا يظل ماء النيل سائرا في المالح مسافة وهو محتفظ بخاصيته وهذا من نعم الله تعالى التي أنعم بها على خلقه فللماء العذب فوائد كلنا يعرفها ، وللماء المالح فوائد لا تخفى في تربية بعض الأسماك ، والأصداف والأحجار الكريمة كاللؤلؤ والمرجان . ولقد أثبت العلم الآن أن للمحيطات وملحها أثرا كبيرا في حياة الناس ولو كانت عذبة لفسد الجو ^(٢) .

(١) الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٢٢) .

(٢) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢/ ٧٣٢) .

(٦) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ : أي والله الذي جعل البحرين المتضادين متجاورين متلاصقين لا

يمتزجان ، هذا ماء زلال عذب شديد العذوبة ، وهذا مالح شديد الملوحة ، ولكن لا يختلط أحدهما بالآخر ، كأن بينهما حاجزا منيعا ، وكأنهما ضدان مفترقان متنافران لا يجتمعان ، ولا يصل أحدهما إلى الآخر ، فهما في مرأى العين واحد ، ولكنهما في الحقيقة والواقع منفصلان ، كما قال الله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩-٢٠] . وقال : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل : ٦١] .

أي دليل آخر يدل على قدرة الله تعالى الباهرة غير مثل هذا الدليل ؟ إن الماء ماء واحد ، ولكن الماء العذب لا يختلط بالماء المالح ، والله تعالى خلق المائين : الحلو والمالح ، وجعل الأنهار والعيون والآبار وهي البحر الحلو الفرات الزلال ، وجعل البحار في المشارق والمغارب والمحيطات الخمس مالحة ، وملوحتها سبب لنقاوتها وعدم فسادها ، ويتجدد هواء البحر بالمد والجزر ، فتستطيع الأسماك في قيعانه العيش بسلام ^(١) .

(١) قول الدكتور عبد العليم خضر :

(ومن التفسير العلمي (للحاجز) الواقع بين ماء النهر وماء البحر عند مصب الأنهار : هو اختلاف كثافة كل منهما فلا تجعلهما يتحدان . فلا يختلط الماءان مع بعضهما ولا يندمجان ، نظرا لاختلاف كثافتهما فلا يتحد أحدهما مع الآخر ولا يختلط به وإنما تنزع جزئيات الماء في كل منهما إلى الانكماش والتجاذب محدثة توترا في سطح كل منهما

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (١٩ / ٨٤) .

الأمر الذي يكون غلالة^(١) شفافة فاصلة بين الكتلتين لا يمكن رؤيتها وبذلك لا تبغي إحداها على الأخرى بالاختلاط . والإنسان لم يكتشف قانون هذه الظاهرة إلا منذ فترة قريبة فقط بعد مشاهدات وتجارب حيث أمكن التوصل إلى أن هناك قانونا ضابطا للسوائل هو قانون (المط السطحي)^(٢) الذي يفصل بين سائلين متحركين بسبب اختلاف تجاذب الجزئيات لكل منهما بحيث يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله^(٣) .

(٢) قول الدكتور عبد الله شحاتة :

(هذا القانون ثابت حتى في حالة تأثير القمر على البحر بالمد والجزر .

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان : ٥٣] .

وهو الذي ترك البحرين ، الفرات العذب ، والملح المر يجريان ويلتقيان فلا يختلطان ولا يمتزجان ، إنما يكون بينهما برزخ وحاجز من طبيعتهما التي فطرها الله تعالى ، فمجاري الأنهار غالبا أعلى من سطح البحر ، .. لا يطغى البحر وهو أضخم وأغزر على النهر الذي منه الحياة للناس والأنعام والنبات ، ولا يكون هذا التقدير مصادفة عابرة بل لغاية تحقيقها نواميسه في دقة وإحكام .. حتى في حالات المد والجزر التي تحدث من جاذبية القمر للماء الذي على سطح الأرض ، ويرتفع بها الماء ارتفاعا عظيما ، قد يصل إلى ستين قدما في بعض الأماكن ، ويبدو لنا كل شئ منتظما ، لدرجة أننا لا ندرك القوة الهائلة التي ترفع مساحة المحيط كلها عدة أقدام^(٤) .

(١) لعله يريد سترة شفافة .

(٢) وهذه الظاهرة تسمى أيضا (التوتر السطحي) .

(٣) د. عبد العليم خضر ، الماء والحياة بين العلم والقرآن (ص ١٦٧-١٦٩) .

(٤) د. عبد الله شحاتة ، تفسير الآيات الكونية (ص ١٩١) .

(٣) قول الدكتور منصور حسب النبي :

على قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٣] ، وقوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾

[الرحمن : ١٩-٢٠] : (ومن الجدير بالذكر هنا ظاهرة عدم اختلاط الماء العذب بالماء المالح عند الالتقاء الحادث بين مصبات الأنهار وشواطئ البحار لدرجة أن اختلاط المياه لا يتم أحيانا إلا في عرض البحر ، ويظل نوعا الماء منفصلين لمسافات طويلة وكأن بينهما حدا فاصلا ، ويرجع هذا إلى ظاهرة تسمى قوة التوتر السطحي الناشئة من اختلاف التجاذب بين جزئيات الماء العذب والماء المالح لاختلاف كثافتيهما فيبدو لنا بوضوح الحد الفاصل بينهما . ويشير القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة .

والمقصود بالبرزخ هو الحد الفاصل الناشئ عن التوتر السطحي بين البحرين العذب والمالح ، وعن قوة الجاذبية التي تجعل الأنهار تصب في البحار وليس العكس وعن الدورة الهيدرولوجية التي تبخر الماء من البحار لتعيده إلى الأنهار ، ويظل التوازن قائما والحاجز موجودا ، وبهذا يتجلى إعجاز القرآن الكريم في كلماته الحقة التي تنطوي على معان دقيقة وتحمل علما إلهيا^(١) .

من الملاحظ في آية الفرقان (٥٣) أنها أشارت إلى مائتين مختلفين في الهيئة والتركيب . فهذا ماء عذب فرات وهذا ملح أجاج ، حيث يوجد حاجز وبرزخ يحجز بين المائتين ويفصل بينهما ، رغم التيارات الهوائية والأعاصير وحركة المد والجزر التي تجعل ماء البحرين يتداخلان بتحركات متعرجة تقدما وتأخرا ، ومع ذلك يظل الحاجز والبرزخ والحجر فاصلا بينهما ، فلا يمتزجان ولا يختلط أحدهما بالآخر ،

(١) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ١٧٧) .

والسبب في ذلك كما يراه بعض الدارسين أنه يرجع إلى :

١ - اختلاف نسبة الملوحة .

٢ - درجة الحرارة .

٣ - الكثافة .

٤ - قابلية ذوبان الأكسجين .

ولذلك اختلفت الأحياء المائية في كل من البحرين وكذلك منطقة مصب النهر في البحر ^(١) .

منهج المفسرين في بيان قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٥٣] .

بعد عرض أقوال المفسرين في الآية الكريمة يلاحظ ما يأتي :

١ - أشاروا إلى اختلاف طبيعة المائين مع الانتفاع بفوائد كل منهما .

٢ - لم يتركوا إلى ما أشارت إليه الأبحاث العلمية الحديثة والمتعلقة بعلوم البحار والأنهار .

٣ - اتفقوا في أن هناك حاجزا وفاصلا بين طبيعة المائين وأن هذا الحاجز هو من قدرة الله عز وجل ، ورجح الدكتور محمد حجازي قول ابن كثير بأن الحاجز بين المائين من الأرض، وعلى هذا القول يحمل عليه قول من قال بتأثير جاذبية الأرض على مياه البحار والمحيطات في بقاع العالم .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

كل مفسر ضرب بسهم من المعاني ، وذكر بعضهم خصائص وفوائد المائين ، وأنه عند مصب النهر يوجد الحاجز والفاصل بين الماء العذب والماء المالح ، وهذا من صنع الله عز وجل ، وهذا الحَجْرُ بين البحرين هو (مانع من قدرة الله تعالى) وهو قول أكثر المفسرين ^(٢) .

(١) إصدار هيئة الإعجاز العلمي ، من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم (ص ٣٨-٤٣) بتصرف .

(٢) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، زاد المسير في علم التفسير (٦/ ٩٦) .

وقد أثبتت الدراسات العلمية التي ألفت مزيدا من الضوء على اختلاف طبيعة كل من المائين فهما يختلفان في درجة الحرارة والكثافة وقابلية ذوبان الأكسجين . وهذا الاختلاف لعله السبب في عدم اختلاط المائين . ومن الفوائد والمنافع في مصب النهر تنشأ حيوانات وأسماك بحرية لا يمكن أن تعيش في مياه البحار والمحيطات ومن التفسير العلمي الذي قد يحتمله النص القرآني في قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) يَنْهَمَا بَرَزٌ لَا

يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : ١٩-٢٠] أن لكل من مياه المحيطات والبحار والخلجان وغير ذلك

خصائص قائمة بذاتها . فلكل من هذه المياه حدود وخصائص لا تسمح بالامتزاج والاختلاط لاختلافهما في نسبة الملوحة والحرارة والكثافة وذوبان الأكسجين فيها . وإلا لطغت مياه الكرة الأرضية بعضها على بعض . مثال ذلك : عندما فتحت قناة السويس لم تنفض مياه البحر الأحمر على مياه البحر المتوسط بعد أن (توقفت الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت ، لأنهم وجدوا أن البحر الأحمر يعلو بكثير عن مستوى البحر الأبيض المتوسط ، وبعد دراسات علمية مستفيضة وبعد عدة سنوات فتحت قناة السويس لأنهم توصلوا إلى نتيجة أن البحار لا ينبغي أحدها على الآخر) ^(١) .

(وبعد دراسة لأعماق البحر الأحمر والمحيط الهندي في جنوب عدن سجلت بعض الملاحظات التي تستدعي التأمل حيث وجدت المياه في خليج العقبة تختلف في خواصها وتركيبها الطبيعي عن المياه في البحر الأحمر . ووجود حاجز مغمور عند مجمع البحرين يبلغ ارتفاعه أكثر من ألف متر وتبعد قمته نحو ثلاثمائة متر عن سطح البحر) ^(٢) .

(١) أحمد محمد سليمان ، القرآن والطب ، ص ٣٩ بتصرف .

(٢) د. فهد عبد الرحمن الرومي ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع (٢/ ٦٢٨) بتصرف .

ولعل الحاجز هو اختلاف الضغط الجوي وقوة الجاذبية الأرضية واختلاف نسبة الملوحة والحرارة وقابلية ذوبان الأكسجين وكثافة كل من البحرين المتجاورين تجعل كل منهما في مقره ومكانه والله تعالى أعلم بأسرار هذا الكون - سبحانه وتعالى - القائل : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي قُرْآنٍ لَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل : ٦١] .

الحقيقة في القرآن الكريم :

كما تجدر الإشارة إلى حقيقة قرآنية ثابتة عبر عنها القرآن في كثير من الصور وهي المقارنة بين أمرين لا يتطابقان ولا يتماثلان ولا يستويان بأي حال من الأحوال ولا بأي معيار من المقاييس في الطبع البشري السليم :

(١) قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦ - ١٠٧]

(٢) قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٠] .

(٣) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ٥٠] .

(٤) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ ﴾ [الرعد : ١٦] .

(٥) وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل : ٧٦] .

(٦) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِنَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ

(١) محمد محمود إسماعيل ، تصنيف آيات القرآن الكريم ، المقارنة بين المؤمنين وبين المسيئين (٦/ ٣٥٦) .

وإليك الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ البحار والأنهار .

البحار والأنهار في الآيات المكية :

ذكر لفظ (بحر) (٢٥) مرة .

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا زَيْتٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	٥٩
٣	الأنعام	﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظِلْمِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	٦٣
٣	الأنعام	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ التُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٩٧
٤	الأعراف	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ﴾	١٣٨
٥	يونس	﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِكُمْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحْتُمْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	٢٢

م	السورة	الآية	رقمها
٦	يونس	﴿وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٩٠
٧	إبراهيم	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾	٣٢
٨	النحل	﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	١٤
٩	الإسراء	﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُزَيِّجُ لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا بِكُمْ رَحِيمًا ﴾	٦٦
١٠	الإسراء	﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾	٦٧
١١	الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾	٧٠
١٢	الكهف	﴿فَلَمَّا بَلَغَا لِمَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾	٦١

م	السورة	الآية	رقمها
١٣	الكهف	﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنسَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾	٦٣
١٤	الكهف	﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾	٧٩
١٥	الكهف	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِي رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفَذَ كَلِمَتِي رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾	١٠٩
١٧	طه	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ﴾	٧٧
١٨	الشعراء	﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾	٦٣
١٩	النمل	﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ تَعْلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٦٣
٢٠	الروم	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	٤١
٢١	لقمان	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِنَا ؕ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	٣١
٢٢	الشورى	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾	٣٢

م	السورة	الآية	رقمها
٢٣	الدخان	﴿وَاتْرِكُوا الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ يَحْتَدُّهُ مُغْرَقُونَ﴾	٢٤
٢٤	الجاثية	﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	١٢
٢٥	الطور	﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾	٦

ذكر لفظ (البحرين) (٣) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الكهف	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّى أَتِلْعَاجَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾	٦٠
٢	الفرقان	﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾	٥٣
٣	النمل	﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٦١

ذكر لفظ (البحار) (٢) مرتين :

م	السورة	الآية	رقمها
١	التكوير	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾	٦
٢	الانفطار	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾	٣

لفظ (نَهَر) :

م	السورة	الآية	رقمها
١	القمر	﴿ إِنَّ لِلنَّاسِ فِي جَنَّتِ وَنَهَرٍ ﴾	٥٤

ذكر لفظ (نهر) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الكهف	﴿ كَلَّا الْبُحْنَيْنِ ءَأَنَّتْ أَكُلَهَا وَلَمْ تَظَلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴾	٣٣

ذكر لفظ (الأنهار) (١٤) مرة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾	٦
٢	الأعراف	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُّمُ الْجَنَّةَ أَوْ رُتِّمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	٤٣
٣	يونس	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴾	٩
٤	إبراهيم	﴿ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾	٢٣

م	السورة	الآية	رقمها
٥	إبراهيم	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾	٣٢
٦	النحل	﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾	٣١
٧	الإسراء	﴿ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾	٩١
٨	الكهف	﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَبْلَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾	٣١
٩	طه	﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾	٧٦
١٠	الفرقان	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴾	١٠
١١	العنكبوت	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴾	٥٨
١٢	الزمر	﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾	٢٠
١٣	الزخرف	﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ آلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٥١

م	السورة	الآية	رقمها
١٤	البروج	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾	١١

ذكر لفظ (أنهارا) (٣) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	النحل	﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَن نَّمِيدَ بِكُمْ وَانْهَرَا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	١٥
٢	النمل	﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسٍ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٦١
٣	نوح	﴿وَيَمْدِدْ ذِكْرًا بِأَمْوَالٍ وَمِنَ وَبْنٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ^(١) ﴾	١٢



(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ١١٤ - ٧٢٠) .

الفصل الثاني

من الظواهر الطبيعية

المبحث الأول : الليل والنهار

المبحث الثاني : الدواب والطيور

المبحث الثالث : النبات والحشر

المبحث الرابع : الزلازل والبراكين

المبحث الأول : الليل والنهار

المنافع والحكم في خلق الليل والنهار :

ذكر في القرآن الكريم الليل (٧٥) مرة ، والنهار (٥٢) مرة ^(١) .

الله سبحانه وتعالى الذي خلق الليل والنهار ، وجعل فيها منافع للخلق عظيمة ،
فهما من نعم الخالق على الناس ، ليسكنوا في الليل ويتغوا من فضله في النهار ، وإلى ذلك
أشارت آيات الكتاب العزيز ، قال الله تعالى :

(١) ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَّقُونَ ﴾ . [يونس : ٦]

(٢) ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٠] .

(٣) قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ
يَأْتِيَكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى
يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُم بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ
جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص : ٧١-٧٣] .

وقد أشار الجاحظ لبعض فوائد الليل والنهار للخلق ، والمنافع الكثيرة في تعاقبها ،
ومنها تقدير زمنها ، (أرأيت لو كان النهار مقدار مائة ساعة أو مائتين ألم يكن في ذلك بوار
ما على الأرض من حيوان أو نبات؟

أما الحيوان فكان لا يهدأ ، ولا يقر طول هذه المدة من العمل ولا البهائم كانت تمسك عن
الرعي لو دام لها ضوء النهار ، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة فكان ذلك ينهكها أجمع

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٧٢٠، ٦٥٦) .

ويؤديها إلى التلف ، وأما النبات فكان يدوم عليه حر النهار ، ووهج الشمس حتى يحترق ، ويجف وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف وطلب المعاش حتى تموت جوعاً ، وتحمد الحرارة الطبيعية من النبات حتى يعفن ويفسد كالذي نراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تقع عليه الشمس^(١) .

كما وضع أبو حامد الغزالي في حديثه عن الحكمة في حركة الشمس مسخرة من أجل تعاقب الليل والنهار على الكرة الأرضية مع دورتها حول نفسها ، وبذلك تقوم مصالح الدنيا والدين . وذكر اختلاف فصول السنة وتقدير زمن الليل والنهار عائد إلى حركة الشمس طوال العام . قال : (اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الشمس لأمر لا يستكمل علمها إلا الله وحده ، فالذي ظهر من حكمته فيها أن جعل حركاتها لإقامة الليل والنهار في جميع أقاليم الأرض ، ولولا ذلك لبطل أمر (الدنيا والدين) ، لولاه كيف كان الناس يسعون في معاشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم؟ وكيف كانوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة النور ومتعته؟ ولولا ضياء نورها ما انتفع بالآبصار ، ولم تظهر الألوان . وتأمل غروبها وغيبتها عمن طلعت عليهم وما في ذلك من الحكمة ، ولولاه لم يكن للخلق هدوء ولا قرار ، مع شدة حاجتهم إلى الهدوء ، وراحة أبدانهم ، وخود حواسهم .. وهي في حرها بمنزلة نار يطبخ بها أهل الدار .. فهي أبداً منصرفة في منافع أهل الأرض بتضاد النور والظلمة ، وهما على تضادهما متعاونان على ما فيه صلاح العالم وقوامه .. وبتقدمها وتأخرها تستقيم الفصول ، فيستقيم أمر النبات والحيوان . ثم انظر إلى مسيرها في فلكها في مدة سنة ، وهي تطلع وتغرب بسير آخر لها بتقدير خالقها ، فلولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ، ولما عرفت المواقيت ، ولو انطبق الظلام على الدوام لكان فيه الهلاك لجميع الخلق .

(١) الجاحظ : أبو عثمان بن بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (ص ٢١-٢٢) .

فانظر كيف جعل الله الليل سكنا والنهار معاشا^(١) (٢) .

وكذلك بين زكريا بن محمد القزويني بعض منافع الليل والنهار والحكمة من اختلاف أحوال الليل والنهار بين القصر والطول واختلاف فصول العام بين شدة الحرارة وضعفها ... كما ذكر بأن الليل والنهار هما (الزمان) الذي تعد به أيام عمر الإنسان وتحسب، والتي هي محل العمل الذي يكتسب به سعادته (١) ... الزمان ... مرور الأيام والليالي ، ثم مقدار حركة الفلك ينقسم إلى القرون والقرون إلى السنين والسنين إلى الشهور والشهور إلى الأيام والأيام إلى الساعات و(الزمان) أنفس رأس مال به يكسب كل سعادة ، وإنه يضمحل شيئاً فشيئاً وزمانك عمرك وهو معلوم القدر عند الله تعالى وإن لم يكن معلوماً عندك وما مثله إلا كمسافة ساع يسعى في قطعها قوي السير لا يفتر طرفة عين ، فما أعجل انقطاعها وإن كانت بعيدة ، وما أسرع زوالها وإن كانت كعمر (لقمان) مدة مديدة (٢) .

أما اليوم فهو الزمان الذي بين طلوع الفجر وغروب الشمس . وأما الليل فهو الزمان الذي يقع بين غروب الشمس وطلوع الفجر ومجموعهما أربع وعشرون ساعة لا تزيد ولا تنقص وكل ما نقص من النهار زاد في الليل وكل ما نقص من الليل زاد في النهار كما قال الله تعالى : ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج : ٦١] .

وأطول ما يكون النهار سابع عشر حيزان^(٣) عند حلول الشمس آخر الجوزاء فيكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون ، ثم يأخذ النهار في النقصان والليل في الزيادة إلى ثامن عشر أيلول^(٤) وهو عند حلول الشمس آخر السنبلة

(١) استدلال بقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۚ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا : ١٠-١٢] .

(٢) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، الحكمة في مخلوقات الله (ص ١٩-٢٤) .

(٣) وهو شهر يونيو (٧) من الأشهر الميلادية الشمسية .

(٤) وهو شهر سبتمبر (٩) من الأشهر الميلادية الشمسية .

فيستوي الليل والنهار ويصير كل واحد منهما اثنتى عشرة ساعة . ثم ينقص النهار ويزيد الليل إلى سبع عشرة . من كانون الأول ^(١) فيصير الليل خمس عشرة ساعة وهو أطول ما يكون ، والنهار تسع ساعات وذلك أقصر ما يكون . ثم يأخذ الليل في النقصان والنهار في الزيادة إلى سادس عشر آذار عند حلول الشمس إلى آخر الحوت فيستوي الليل والنهار ويصير كل واحد (١٢) اثنتى عشرة ساعة ثم يستأنف الدور ، وقد شبهوا أوقات اليوم واللييلة بأرباع السنة فقالوا إن الغدو بمنزلة الربيع وانتصاف النهار بمنزلة الصيف والمساء بمنزلة الخريف وانتصاف الليل بمنزلة الشتاء . ومن لطف الله تعالى بعباده جعل الليل والنهار لأن الإنسان مضطر إلى الحركات في أعماله لمعاشه ولا تنفك قواه عن كلال . فعند ذلك يغلب عليه النوم ولا بد له من ذلك لزوال الكلال ^(٢) كما قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص : ٧٣] .

فعين وقتا للنوم ينام فيه كلهم ووقتا للمعاش يعمل فيه كلهم ولولا ذلك لأفضى إلى عسر قضاء حوائج الناس لأن أحدهم إذا طلب غيره لشغل وجده نائماً ^(٣) .

وأشار ابن قيم الجوزية إلى تغيرات الظواهر الكونية وتكرارها والتي تدل على حدوثها ، وكل حادث لابد له من محدث ، والصنعة تدل على صانعها والدالة أيضا على (المبدأ والمعاد) وكذلك على وحدانية الخالق وعلى (كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده ، ولما كانت حركة الشمس والقمر ، والليل والنهار أمرا يشهد الناس حدوثه شيئا فشيئا ، ويعلمون أن الحادث لابد له من محدث كان العلم بذلك مُنزلاً منزلة ذِكْرِ المحدث له لفظاً

(١) وهو شهر ديسمبر (١٢) من الأشهر الميلادية الشمسية .

(٢) الكلال : الملل والتعب والثقل : مادة (ك ل ل) . محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ص ٤٢٢ بتصرف .

(٣) القزويني : زكريا بن محمد ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (ص ٦٥ - ٦٧) .

فلم يذكر الفاعل^(١) ، وعند قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر : ١] قال : (... فإن مرور الليل والنهار على تقدير قدرة العزيز العليم منتظم لمصالح العالم على أكمل ترتيب ونظام ، وتعاقبهما واعتدالهما تارة ، وأخذ أحدهما من صاحبه تارة ، واختلافهما في الضوء ، والظلام ، والحر ، والبرد ، وانتشار الحيوان ، وسكونه ، وانقسام العصر إلى القرون ، والسنين والأشهر والأيام والساعات وما دونها ، آية من آيات الرب تعالى ، وبرهان من براهين قدرته وحكمته)^(٢) . وعند قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ [المدر : ٣٣] قال وأما إقسامه سبحانه بالليل ﴿إِذَا أَدْبَرَ﴾ فلما في إدباره وإقبال النهار من أيّن الدلالات الظاهرة على المبدأ والمعاد فإنه مبدأ ومعاد يومي مشهود بالعيان ، بينما الحيوان في سكون الليل قد هدأت حركاتهم ، وسكنت أصواتهم ، ونامت عيونهم ، وصاروا إخوان الأموات ... فمن تأمل الليل إذا عسعس^(٣) وأدبر ، والصبح إذا تنفس^(٤) وأسفر ، فهزم جيوش الظلام بنفسه ، وأضاء أفق العالم بقبسه ... (والليل والنهار هما الزمن والمقياس الذين يمران على وجه الدهر)^(٥) .

(فيالهما آيتان شاهدتان بوحدانية منشئهما ، وكمال ربوبيته ، وعظيم قدرته وحكمته)^(٦) .

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن (ص ٣١) .

(٢) المرجع السابق (ص ٩٠) .

(٣) (عسس) قيل أقبل بظلامه أو أدبر . ابن الملتن ، سراج الدين أبي حفص ، تفسير غريب القرآن هامش (ص ٥٣٢) .

(٤) (تنفس) انبلج . أي أضاء قليلا ، فكأنه كان محبوسا . المرجع السابق (ص ٥٣٢) .

(٥) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن (ص ٩٠) بتصرف .

(٦) المرجع السابق (ص ١٦٨) .

كما ذكر فوائد الليل ومنافع النهار (فتبارك الذي جعل طلوع الشمس وغروبها مقبلاً^(١) لسلطان الليل والنهار . فلولاً طلوعها لبطل أمر العالم كله ، فكيف كان الناس يسعون في معاشهم ، ويتصرفون في أمورهم ، والدنيا مظلمة عليهم؟ وكيف كانت تهنئهم الحياة مع فقد لذة النور وروحه، وأي ثمار ونبات وحيوان كان يوجد؟ وكيف كانت تتم مصالح أبدان الحيوان والنبات .

فلولا غروبها لم يكن هدوء ولا قرار ، مع علم حاجتهم إلى الهدوء ، لراحة أبدانهم وجنوح حواسهم . فلولا هذا الليل وبرده لاحتقرت أبدان النبات والحيوان من دوام شروق الشمس ، وكان يحرق ما عليها من نبات وحيوان ، فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن جعلها سراجاً يطلع على العالم وقت حاجتهم إليه ، ويغيب في وقت استغنائهم عنه . فطلوعه لمصلحتهم ، وغيبته لمصلحتهم ، وصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متضافرين على مصلحة هذا العالم وقوامه . فلو جعل الله سبحانه النهار سرمداً إلى يوم القيامة ، والليل سرمداً إلى يوم القيامة لفاتت مصالح العالم ، واشتدت الضرورة إلى تغيير ذلك وإزالته بضده^(٢) . ثم تحدث عن مميزات فصول السنة الأربعة وخصائصها ثم أكد على وجه العبرة في تغير أحوال الكون ومظاهره ، وكذلك تغير أحوال الإنسان في الدلالة على المعاد . وأن تنوع تلك الدلائل توقظ فطرة الإنسان وسمعه وبصره وقلبه .

(١) لعل المعنى المراد أن الله سبحانه وتعالى هو سخر الشمس وهي السبب المباشر في حدوث الليل والنهار

(٢) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن (ص ١٦٨) .

(وقد أقسم الله سبحانه وتعالى ﴿وَالْقَمَرَ﴾ ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا أَدْبَرَ﴾ ، ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ﴾

[المدثر : ٢٣-٣٣] على المعاد لما في القسم من دلالة على ثبوت المقسم عليه ، فإنه يتضمن كمال قدرته وحكمه ، وعنايته بخلقه ، وإيداء الخلق وإعادته ، كما هو مشهود في إيداء النهار والليل وإعادتهما ، وفي إيداء النور وإعادته في القمر وفي إيداء الزمان وإعادته الذي هو حاصل بسير الشمس والقمر ، وإيداء الحيوان والنبات وإعادتهما وإيداء فصول السنة وإعادتها ، وإيداء ما يحدث في تلك الفصول وإعادته . فكل ذلك دليل ظاهر على المبدأ والمعاد الذي أَخْبَرَتْ به الرسل كلهم عنه فصرف سبحانه الآيات على صدق رسله ونوعها ، وجعلها للفطرة ، وللسمع تارة وللمشاهدة تارة ، فجعلها آفاقية ، ونفسية ، ومنقولة ، ومعقولة ، ومشهودة بالعيان ومذكورة بالجنان ، فأبى الظالمون إلا كفورا..^(١) .

﴿وَاتَّخِذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان : ٣] .

ومن الآيات الكريمة التي امتن بها الله سبحانه وتعالى على عباده الظلمة والنور ، حيث سخر لهم ظلمة الليل ونور الشمس في النهار (وكورهما) لما في ذلك من منافع عظيمة ومصالح تقوم بها حياة الكائنات .

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن ، فصل (٣٥) (ص ١٦٤ - ١٧١) ، وانظر فصل (٥) (ص ٣١) ، فصل (١٦) (ص ٩٠) ، فصل (٣٤) (ص ١٦٧) .

وسأعرض أقوال المفسرين في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ
الْأَيَّلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴾ [الزمر : ٥] .

(١) قول القاسمي :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الْأَيَّلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ
اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ﴾ لم يصرح إلى ما أشارت إليه الآية الكريمة من كروية الأرض التي هي
السبب في مجيء الليل والنهار ، حيث أنها تلف حول نفسها في فلكها تجاه الشمس فتكون
آية الليل والنهار وذلك في قوله تعالى ﴿ يُكَوِّرُ الْأَيَّلَ عَلَى النَّهَارِ ﴾ أي بإذهاب أحدهما وتغشية
الآخر مكانه كأنها ألبسه ولف عليه ^(١) .

(٢) قول المراغي :

أشار في تفسيره إلى أن في الآية الكريمة إيحاء إلى كروية الأرض أولاً ودورانها حول نفسها
ثانياً وفي فلكها حول الشمس يأتينا الليل والنهار قوله تعالى ﴿ يُكَوِّرُ الْأَيَّلَ عَلَى النَّهَارِ ﴾ أي
يغشى كل منها الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس ، أو يجعلهما في تتابعهما أشبه
بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض ، ألا ترى إلى الأرض وقد دارت حول نفسها وهي
مكورة فأخذ الحادث من مقابلتها للشمس يسير من المشرق إلى الغرب ويلف حولها طاوياً
الليل ، والليل من الجهة الأخرى يلتف حولها طاوياً النهار ، فالأرض كالرأس والظلام
والضياء يتتابعان تتابع أكوار العمامة ويلتفان متتابعين حولها . وهذا إيحاء إلى كروية الأرض
أولاً وإلى دورانها حول نفسها .

ثانياً فتكوين الأرض ظاهر الآية ، ودورانها تابع بالرمز والإشارة ^(٢) .

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦ / ١١٤) .

(٢) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢٣ / ١٤٥) .

(٣) قول محمد رشيد رضا :

يتضح موقفه من التفسير العلمي عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣] حيث بين إعجاز القرآن الكريم لأهل الفصاحة والبلاغة وتحداهم بأن يأتوا بمثله . وعقد فصلا بين فيه أوجه الإعجاز في القرآن الكريم . كما أشار إلى ثبوت عجز العرب عن الإتيان بمثله واستمرارية ذلك إلى قيام الساعة ثم ذكر إعجاز القرآن الكريم أيضا بتحقيق (مسائل علمية) كانت مجهولة للبشر وقت نزول القرآن الكريم وإنما انكشفت للباحثين والمحققين من طبيعة الكون . وذكر أمثلة . فأشار إلى آية الرياح قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر : ٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد : ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٣٦] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [الزمر : ٥] . وهذه الآية هي موضوع عرض الأقوال فيها . حيث استدل بنص الآية الكريمة على كروية الأرض . وذكر بعض الآيات التي تعضد (القول بكروية الأرض) ، وأن هذا يوافق المعروف عند أهل الجغرافية الطبيعية .

(تقول العرب كار العمامة على رأسه إذا أدارها ولفها ، وكورها بالتشديد صيغة مبالغة وتكثير ، فالتكوير في اللغة إدارة الشيء على الجسم المستدير كالرأس ، فتكوير الليل على النهار نص صريح في كروية الأرض وفي بيان حقيقة الليل والنهار على الوجه المعروف في الجغرافية الطبيعية عند أهلها ومثله قوله تعالى ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ ، ومنه قوله : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ، إلى قوله : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ . فوافق لما ثبت في الهيئة الفلكية^(١) .

وأكد القول بكروية الأرض ودورانها على محورها عند تفسير قوله تعالى ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ : (.. والمعنى هنا أن الله تعالى قد جعل الليل الذي هو الظلمة يغشى النهار وهو ضوء الشمس على الأرض أي يتبعه ويغلب على المكان الذي كان فيه ويستتره حال كونه يطلبه حيثاً .. وهذا الطلب السريع يظهر أكمل الظهور بما ثبت من كون الأرض كروية الشكل تدور على محورها تحت الشمس ، فيكون نصفها مضيئاً بنورها دائماً والنصف الآخر مظلماً دائماً^(٢) . ومسألة الليل والنهار معلومة بالقطع في هذا العصر فيمكن تحديد ساعات الليل والنهار في كل قطر ، ومخاطبة أهله بالتلغراف بأن تسأل في نصف الليل من تعلم أوقاتهم نصف النهار مثلاً فيجيبوك بل البرقيات تطوف كل يوم مدن العالم المدني في الشرق والغرب مبينة ذلك) . ثم أكد أيضاً على كروية الأرض ودورانها الذي يأتي منه تقلب الليل والنهار .

(١) والمعنى المراد أن دوام النور يكون في كل نهار عندما تكون الأرض مقابلة للشمس وفي نفس هذا الوقت يكون دوام ظلمة الليل في الجهة المقابلة للنهار . فيتعاقب الليل والنهار بدوران الأرض حول نفسها في فلكها تجاه الشمس .

(٢) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (١/ ٢١٠-٢١١) .

ثم ذكر بعض أقوال علماء المسلمين الذين اتفقوا مع علم الهيئة في تأييد هذه المسألة :
 (وقوله تعالى ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ أدل على استدارة الأرض
 من هذه الآية وكذا على دورانها ، فإن التكوير في اللغة هو اللف على المستدير كتكوير
 العمامة ، وهو إما أن يكون بدوران الشمس في فلكها الواسع حول الأرض ، وإما باستدارة
 الأرض حول الشمس ، وهو الذي قامت الدلائل الكثيرة في علم الهيئة على رجحانه^(١) .

(٤) قول طنطاوي جوهرى :

وافق سابقيه بالقول بكروية الأرض ودورانها حول محورها ، وأن الليل والنهار خاص
 بالأرض ، حيث قال تعالى : ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ والتكوير اللف والي يقال كار
 العمامة على رأسه وكورها ، ولا جرم أن كل واحد من الليل والنهار في تتابعهما أشبه بتتابع
 أكوار العمامة بعضها على بعض . ألا ترى إلى الأرض وقد دارت حول نفسها وهي مكورة
 فأخذ النهار الناشئ من مقابلها للشمس يسير من المشرق إلى الغرب يلف حولها طاويا
 الليل ، والليل من الجهة الأخرى يلتف حولها طاويا النهار ، فالأرض كالرأس والظلام
 والضياء يتتابعان تتابع أكوار العمامة ويلتفان متتابعين حولها .

وهذا التعبير من أعجب ما يعلم به أن القرآن الكريم يرشدنا إلى كروية الأرض أولا ويرمز
 إلى دورانها حول نفسها ثانيا . ذلك لأن الليل والنهار ليسا من خواص الشمس فلا ليل ولا
 نهار هناك بل دائما هما في الأرض . فتكوير الأرض ظاهر الآية ودورانها أتى تابعا بالرمز
 والإشارة^(٢) .

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٨/ ٤٥٣-٤٥٤) .

(٢) طنطاوي جوهرى ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٨/ ١٥٣) .

وذكر طنطاوي جوهري : أنه بسط القول عن الليل والنهار في سورة البقرة [١٦٤] وفي سور كثيرة بعدها ، حيث أشار إلى اختلاف مقادير الليل والنهار لاختلاف خطوط الطول والعرض، و لاختلاف خطوط الطول والعرض في الكرة الأرضية ، اختلاف فصول السنة . وعرض بيانا ذكر فيه اختلاف التوقيت في الأقاليم كما أشار إلى طول الأيام في القطبين وكذلك بين بعض المصالح المتعلقة بالليل والنهار والمنافع فيها . وحكمة الصانع لذلك النظام البديع ^(١) .

(٥) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

اعتبر الآية الكريمة تحمل في طياتها حقيقة علمية . وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، وفي الآية الكريمة دلالة على سعة التصرف في الكون وتغيير أحوال الأرض وأهلها . قوله تعالى ﴿يَكُونُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ حالة تكوير الله تعالى الليل على النهار غير مشاهد وإنما المشاهد أثرها وتجدد الأثر يدل على تجدد التأثير .

والتكوير حقيقته : اللف واللي ، يقال كور العمامة على رأسه إذا لواها ولفها . ومثلت به هنا هيئة غشيان الليل على النهار في جزء من سطح الأرض وعكس ذلك على التعاقب بهيئة كور العمامة إذ تغشى الليلة الليلة التي قبلها . وهو تمثيل بديع قابل للتجزئة بأن تشبه الأرض بالرأس ويشبه تعاور الليل والنهار عليها بلف طيات العمامة ، ومما يزيده إبداعا إثثار مادة (التكوير) الذي هو معجزة علمية من معجزات القرآن الكريم .

فإن مادة (التكوير) جائية من اسم الكرة وهي الجسم المستدير من جميع جهاته على التساوي ، والأرض كروية الشكل في الواقع وذلك كان يجهله العرب وجمهور البشر يومئذ فأوماً القرآن الكريم إليه بوصف العَرَضين اللذين يعتريان الأرض على التعاقب

(١) المرجع السابق (١-١٤٠-١٤٤) .

وهما النور والظلمة ، أو الليل والنهار ، إذ جعل تعاورهما تكويراً لأن عَرَض الكرة يكون كروياً تبعاً لذاتها ، فلما كان سياق هذه الآية استدلالاً على الإلهية الحق بإنشاء السموات والأرض اختير للاستدلال على ما يتبع ذلك الإنشاء من خلق العَرَضين العظيمين للأرض الذي عبر به في قوله ﴿يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾ في [سورة الأعراف : ٥٤] لأن تلك الآية مسوقة للدلالة على سعة التصرف في المخلوقات لأن أولها ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فكان تصوير ذلك باغشاء الليل والنهار خاصة لأنه دل على قوة التمكن من تغييره أعراض مخلوقاته ولذلك اقتصر على تغيير أعظم عرض وهو (تعاقب ظلمة الليل على النهار تكويراً) لتكون هاته الآية لمن يأتي من المسلمين الذين يطلعون على علم الهيئة فتكون معجزة عندهم^(١) .

(٦) قول الدكتور محمد محمود حجازي :

لم يصرح عند تفسير الآية عن دلالتها وإشارتها على كروية الأرض ودورانها حول نفسها . ولكن يتبين قوله عند تفسير قوله تعالى ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ سبحانه جعل الليل والنهار خلفه يخلف بعضه بعضاً ، فهو يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل . فالتكوير : جعل كلا من الليل والنهار خلفه . وإيلاج زمان أحدهما في الآخر ، كل هذا بمعنى واحد ، فإن هذا الليل بجحافله وهدوئه وسكونه مع الظلام الدامس إذا طرح شئ من هذا وألقى ، ثم جرى بدله بالنهار وضوئه وضجيجه وشمسه وحره ، فيه ما فيه من دلائل العظمة وكمال القدرة ، وهو الله الذي سخر الشمس والقمر ، وذللهما ، كل يجري لأجل مسمى وزمن معلوم ونظام محدد^(٢) .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٣٢٩ / ٢٣) .

(٢) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٣ / ٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٧) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

أيد القول بكروية الأرض ودورانها حول نفسها حيث يقول في تفسير الآية ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ يلقي هذا على هذا والتكوير أعلى الجسم المستدير . وهذا يدل على كروية الأرض . ومنه كور المتاع والعمامة . وألقى بعضه على بعض . قوله تعالى ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ أي يغشي كلا منهما الآخر، حتى يذهب ضوؤه أو ظلمته . أو يجعلها متتابعين متعاقبين يطلب كل منهما الآخر طلبا حثيثا ، كقوله تعالى : ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وقوله ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحديد : ٦] وهذا دليل على كروية الأرض أولا ، لأن التكوير اللف على الجسم المستدير ، وعلى دورانها حول نفسها ثانيا ، لأن تعاقب الليل والنهار والنور والظلمة لا يتم دون دوران^(١) .

(١) قول الدكتور عدنان الشريف :

يعلق على تعاقب ظلمة الليل ونور النهار مع تقدير وقتها بميزان محسوب . وهذا مترتب على دوران الكرة الأرضية حول نفسها وبشكل مائل وزاوية قدرها ٢٣.٣٧ درجة . كما أشار إلى خصائص كل من الليل والنهار ومالهما من أثر في حياة الإنسان والحيوان والنبات . وذكر أثر ذلك على التوالد والتصرفات والطبائع ومثل لذلك بهجرة الطيور وحياة الأسماك والحشرات وتفتح الأزهار : (تعاقب الليل والنهار من معاني (اختلاف الليل والنهار) أي أن الليل يأتي بعد النهار والنهار يتلو الليل بفعل دوران الأرض حول نفسها بصورة معتدلة كما نلاحظ من خلال الوقت الممتد بين الغروب والعشاء والفجر وطلوع الشمس . فلو زادت سرعة دوران الأرض حول نفسها عما قدرها المولى (١٠٧) كم في الساعة لحل الليل والنهار فجأة خلال تعاقبهما . وتدور الأرض حول نفسها بشكل مائل وليس مستقيما ،

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٣/ ٢٤٩) .

أي أن محور دورانها حول نفسها يشكل مع محورها العمودي زاوية ٢٣.٣٧ درجة ومن هذا الدوران المائل للأرض نشأت الفصول واختلف الليل والنهار ... واختلاف الليل والنهار هو المنظم لوجود الأحياء . فهجرة الطيور والأسماك والحشرات وغيرها من الأحياء وتوالدها وكذلك نمو النبات وتفتح أزهارها ونضج ثمارها مرتبط باختلاف الليل والنهار . فقد تبين لعلماء الأحياء مؤخرًا في القرن العشرين أن في داخل كل حي (ساعة) داخلية حياتية ، أي بيولوجية ، تتأثر بطول النهار والليل وتوقيت الشروق والغروب وكذلك بدرجة الحرارة ، ومنها تعلم علماء الأحياء دراسة الخصائص الحياتية عند المخلوقات المتأثرة باختلاف الليل والنهار فكانت الزيادة الهائلة في الإنتاج النباتي والحيواني التي عرفناها في القرن العشرين .

فمبدأ البيوت الزجاجية التي تنتج الفواكه والخضار في أوانها ، ومبدأ مزارع الدواجن الحديثة والأسماك الاصطناعية التي زادت في إنتاج الثروة الحيوانية بصورة مذهلة ، قائم على فهم التصرفات الحياتية كالنمو والنضج والتوالد والهجرة عند النبات والحيوان .

وقد أثبت علم الأحياء أن هذه التصرفات تتأثر مباشرة باختلاف الليل والنهار . من هنا نفهم البعد العلمي^(١) .

(٢) قول فوزي حميد :

كتب عن دورة الكرة الأرضية حول محورها وحول الشمس ، ونتائج تلك الدورة مع الإشارة لدقة النظام في صنع هذا الكون ، والإتقان العجيب ، والاتزان الدقيق الذي يدل على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى ، ودورة الأرض يترتب عليها تعاقب الليل والنهار مع اختلاف أوقاتها ، ومشعر بفوارق التوقيت بين دول العالم كما يعلم تاريخ السنين وعدد

(١)د. عدنان الشريف ، من علم الفلك القرآني (ص ١٠٢-١١١) .

الأشهر وحساب الأيام : (تدور الأرض حول محورها وتتم دورتها هذه مرة واحدة في اليوم ويسمى باليوم الشمسي ويبلغ طوله : ٢٣ ساعة ، و ٥٦ دقيقة ، ٤.٠٩٥ ثانية . وهي تدور من الغرب إلى الشرق بحركة سريعة بسرعة ثابتة ومنتظمة ... وقد أثبت العلم كذلك أن كل ما يحيط بالأرض من غلاف جوي وغيره ، يدور معها بفعل الجاذبية الأرضية . ويتبع عن حركة الأرض المحورية حدوث الليل والنهار وتعاقبهما ، وذلك بسبب تعرض الأرض المتناوب لأشعة الشمس لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا

تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] . فالليل والنهار موجودان معا في وقت واحد على سطح الأرض وهذا لا يكون إلا إذا كانت الأرض كروية والدوران ينتج عنهما حدوث الليل والنهار ، وقد سخر الله تعالى الليل والنهار لخدمة الإنسان إذ جعل الليل للسكنى والاستقرار والراحة والأمان ، وجعل النهار لطلب المعاش والعمل ، لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص : ٧٣] .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

فإذا ظهر النهار أشرقت الشمس لتتير الآفاق وإذا حل الليل بغروبها أظلمت الآفاق . والله تعالى جل شأنه يقسم بهذه الآيات . وهي الشمس والقمر ، والنهار والليل والسماء والأرض . والنفس وغيرها ليلفت النظر إلى آيات الكون الدالة على وجود صانعها ، ومدبر أمرها ، بهذا الوضع العجيب والنظام الباهر الغريب .. واختلاف الزمن والتوقيت على سطح الأرض حسب شروق الشمس وغروبها وذلك مشار إليه في قوله تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [النور : ٤٤] . فهو يعاقب بينهما ويزيد في أحدهما ، وينقص الآخر ويقلبهما كيف يشاء باختلاف ما يقدر فيهما من خير وشر ، ونفع

وضر ، وبرد وحر ... فبحركة الأرض يختلف التوقيت عند البشر ، فالشمس في كل لحظة هي في شروق وغروب وزوال وضحي .. فالشمس تشرق في جهة وتغرب بنفس اللحظة في جهة أخرى ، حيث يتم الشروق والغروب في وقت واحد لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ [البقرة: ١١٥] ... والحركة الانتقالية للأرض حول الشمس ، تتم بحركة دورانية من المغرب إلى الشرق دورة واحدة في مدة سنة كاملة ، تدعى السنة الشمسية^(١) . وهي تسير على خط يرسم مدار الأرض حول الشمس ، وهو مدار إهليلجي يبلغ طوله (٩٤٠ مليون كم) ، بسرعة معدلها (٢٩.٧٦ كم) في الثانية أي حوالي (١٠٧) ألف كم في الساعة . وهذه السرعة ثابتة لم يطرأ عليها أي تبدل منذ ملايين السنين ... ودورة الأرض حول الشمس ، وميل محورها عن الوضع العامودي بمقدار ٢٣.٥ درجة هما السبب في تغير الظواهر الفلكية التي لها علاقة مباشرة بكل الكائنات الحية على سطح الأرض ، كاختلاف طول الليل والنهار ، وتغير الحرارة خلال السنة .. ونتيجة هذه الحركة الانتقالية للأرض حول الشمس تحدث الفصول وهي : فصل الربيع ، فصل الصيف ، فصل الخريف ، فصل الشتاء .

وحساب الزمن مرتبط بتغير الليل والنهار ، ومنه يمكن معرفة عدد السنين ، والأشهر ، وحساب الفصول والأيام عن طريق الشمس والقمر ، كما قال جل شأنه ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۚ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ۚ لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢]^(٢) .

(٣) قول الدكتور عبد العليم خضر

يؤكد المعلومات السابقة ويتحدث عن نسبية الحركة (وهذا التنظيم الإلهي ثابت لا يضطرب ولا ينحرف ، فالشمس في حركتها ونظامها ، والقمر كذلك في حركته ونظامه ،

(١) تعادل السنة الشمسية ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية .

(٢) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق (ص ١٥٤-١٧٢) بتصرف .

ولا يطغى أحدهما على الآخر ، ولذلك يقول خبراء العلم : (إن الشمس لها حركتها الذاتية التي تخلف زمنا ، ولكنها تتميز عن النجوم الأخرى لقربها من الأرض ، وبأن لها مجموعة من الكواكب والأقمار والمذنبات والكويكبات تتبعها دائما .. وتخضع لقوة جاذبيتها حيث تجعلها من حولها في مدارات متتابة بيضاوية الشكل تتحرك حول نفسها وحول الشمس .. فالحركة هنا زمن .. والزمن حركة .

كما أشار القرآن الكريم إلى أن عدد السنين وحسابها على سطح أرضنا مترتب على العلاقة بين الأرض والشمس ، وبين الأرض والقمر وعلى الوحدة الزمنية التي يملؤها النهار والليل حتى يعقبها شروق الشمس يوم جديد تال ، وفي إشارة خفية إلى دوران الأرض حول نفسها في (٢٤) ساعة أمام الشمس فينتج اليوم بنهاره وليله ... وحول الشمس في ٣٦٥.٢٥ يوم حيث تتم دورة واحدة وتنتج الفصول الأربعة ، ودوران القمر حول الأرض في سبع وعشرين يوما وربع اليوم ، وخلال ذلك يدور القمر حول محوره مرة واحدة في نفس الوقت الذي يستغرقه لإكمال مداره حول الأرض ... وقد رأى رواد الفضاء الأمريكيون كيف ينسلخ النهار من الليل فعلا بدورانها حول نفسها أمام الشمس في حركتها اليومية وصوروا ذلك من مركباتهم الفضائية وخاصة من مسافات بعيدة عن الأرض ، بل صوروا ذلك المشهد العجيب وهم فوق سطح القمر ، والقرآن يصف بشكل كامل هذه الدورة التي لا تكف أبدا للنهار والليل . وهذه الظاهرة أصبحت اليوم سهلة على الإدراك البشري . فنحن البشر نملك اليوم خبرة فكرية عن ثبوت الشمس النسبي^(١) وعن حركة الأرض اليومية والسنوية . فالزمن إذن حركة ، أو الحركة زمن . والمكان نسبي في الكون لأننا نتحرك مع سطح الكرة الأرضية وهي تدور حول نفسها ، ولأننا نتحرك مع

(١) لفظة الثبوت لا يعني توقف الشمس عن الجريان ، فالثبوت إنما هو نسبي لحركة الشمس مع دوران الأرض حول نفسها، كما يترتب على حركة الأرض تكور الليل على النهار ومعرفة الزمن بالأيام والسنين .

الأرض نفسها وهي تدور حول الشمس ، ولأن الشمس مع الأرض وبقية الكواكب التسعة تسير بالنسبة إلى نجوم مجرتنا (وهي توصف بما يسمى (الطريق اللبني Milky way) ولأن مجرتنا (كالمجرات الأخرى) تدور حول نفسها وشمسنا تدور معها ، ولأن مجرتنا كباقى المجرات منطلقة في الفضاء الكوني متباعدة عن أخواتها^(١) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ . [الزمر: ٥]

- اتضح الجانب العلمي في بعض أقوالهم ، وأيد القول بكونية الأرض كل من : المراغي ، ومحمد رشيد رضا ، وطنطاوي جوهري ، والدكتور وهبة الزحيلي .

ولم يصرح بذلك عند تفسير الآية : القاسمي ، والدكتور محمد حجازي .

ومن قال بكونية الأرض ، قال : إن في نص الآية دلالة على التكوين (وأن تكور ظلام الليل ونور النهار) لأن الأرض كروية الشكل ، وهذا ما أثبتته العلم الحديث وخاصة بعد تصوير (عالم الفضاء) بواسطة الأقمار الصناعية والمشاهد على الرائي (التلفاز) .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

خلق الله سبحانه وتعالى ظلام الليل وسخر نور الشمس في النهار وجعل فيهما من المنافع العظيمة والمصالح الكثيرة والتي تقوم بها حياة الأحياء ، لكي يؤدي الإنسان دور الخلافة في الأرض على وجهها بعد أن تهيأت له أسبابها .

وفي الآية الكريمة ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ أشار أكثر

(١) د. عبد العليم خضر ، هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم (ص ٥٦-٥٩) .

المفسرين إلى بعض فوائد الليل ومنافع النهار . كما بينوا ما تضمنته الآية الكريمة بالإشارة إلى كيفية إقبال النهار وعسعة الليل^(١) ، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية الشكل ، مثل ما تلف العمامة على الرأس وتكور . ومن هنا استدل العلماء بنص الآية بما يشعر بدوران الأرض حول نفسها ويعضد هذا الاستدلال أيضا قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨] . وهذا مما يدل على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم حيث أنه كثيرا ما يلفت الأنظار والعقول للتأمل في صنعة الخالق المبدع والتي يظهر فيها تجدد الظواهر الكونية وتغير أحوالها ، بما يزيد في العبودية لله وحده سبحانه وتعالى . وبالبحث والنظر تظهر حقائق اليقين وتنكشف في صفحات الكون شاهدة وناطقة بوحداية الله تعالى وكمال قدرته على كل شيء سبحانه وتعالى . وقد أحاط علمه سبحانه جل ذكره بكل شيء .

ومن أسمى المقاصد التي تراد من حديث القرآن الكريم عن الكون وخاصة لكل فرد مسلم هو استغلال الوقت (بالليل والنهار) وإعمارها بالعبادة وذكر الله تعالى ، لأن العمر له قدر معلوم ، حيث إن تعاقب الليل والنهار يفني مراحل العمر ويطوي أيامه وسنينه ، حتى يدنو من الإنسان أجله المحتوم .

(١) كتب (جوزيف ألن) وهو أحد رواد المركبة الفضائية (كولومبيا) التي دارت حول الأرض في عام ١٩٨٣ م ، في (الواشنطن بوست) يقول عن رحلته تلك :

(في الفضاء يحل الليل بصورة مفاجئة ، وبسرعة تقطع الأنفاس ، وتغشى العيون ، وليس بصورة تدريجية كما هو الحال في الأرض ، فليل الفضاء الخارجي هو من أشد الأشياء التي رأيتها في حياتي اسودادا ، وفي الفضاء الخارجي تبرز الشمس فجأة وتلمع كأنها صاعقة ، مبددة في خلال ثوان هذا الليل الحالك ، إذ لا وجود في الفضاء الخارجي لشروق أو غروب تدريجي للشمس ، بل في خلال ثوان ، بل هناك ليل مظلم من أحلك الظلمات أو نهار ساطع النور) . د. داود سلمان السعدي ، أسرار الكون في القرآن (ص ٢٩٩) .

قال الله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (١٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿ [الحجر : ٩٨-٩٩] ، وقال الله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ [المنافقون : ٩-١١] .

وأداء المسلم الصلاة المفروضة في أوقاتها مرتبط بزمن . يعلق الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر تحت عنوان (الشمس والصلاة) ويذكر فيه أن رفع الأذان بـ(الله أكبر) ينسحب على جميع الأوقات لاختلاف مشارق الشمس ومغاربها . يقول الله الحق تبارك وتعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴾ [المعارج : ٤٠] .

إن الأرض تدور حول محورها دورة كل (٢٤) ساعة .. ومحيطها مقسم إلى ٣٦٠ خط طول أي أن الزمن الذي تستغرقه الأرض في دورانها أمام الشمس حتى ينتقل الشروق من خط طول إلى الخط الآخر . الزمن الذي يستغرقه المؤذن لأداء الأذان فلفظة [الله أكبر] تطوف حول الأرض بلا انقطاع إلى يوم القيامة ، لأن الأرض إذا أكملت دورة كاملة بدأت تشرق من جديد على نفس خط الطول الذي بدأنا منه رصد الشروق ، أو الزوال أو الغروب .. والآية القرآنية الكريمة من قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] تدعونا إلى أداء الصلوات الخمس عبر أوقات الليل والنهار . ويكون تحديد هذه المواقيت بحركة الشمس الظاهرية ، وحركة الشمس الظاهرية حول الأرض تنقل الضوء من خط طول إلى آخر خلال أربع دقائق .

والأذان للصلوات الخمس يطوف حول الأرض بلا انقطاع . ففي الوقت الذي يوشك المؤذن فيه أن يختتم الأذان لأي صلاة بقوله (لا إله إلا الله)^(١) يكون مؤذن آخر على خط طول جديد قد تأهب ليعلن : الله أكبر .. الله أكبر .. وقد أثبتنا ذلك بالتوزيع الجغرافي لجميع خطوط الطول التي تقع عليها مدن الإسلام بمساجدها العامرة بذكر الله تعالى .

ومركز الكعبة الشريفة في مكة المكرمة التي لا ينقطع الطواف حولها إلى يوم القيامة كان لاختيار الله سبحانه وتعالى إياها بالتشريف والتقديس حكمة ما عرفناها إلا أخيراً . حين أثبت البحث الجغرافي أن الكعبة الشريفة التي تقع في مكة المكرمة إنما هي في موضع يقع في مركز الكون الصغير .. سطح الأرض .

الكعبة مركز سطح الأرض . والمركز وهو نقطة الوسط على السطح وهو النقطة الداخلية التي تقع على أبعاد متساوية من جميع النقط التي تقع على محيط أي جسم . فأشعة النور الإلهي تنطلق من المركز إلى شتى أنحاء الأرض على محاور متساوية . الله أكبر .. إنه العدل المطلق أحد سمات القانون الإلهي العام الأعظم للكون^(٢) .

ومن حديث القرآن الكريم عن الليل والنهار استفاد الصالحون حيث أنهم جعلوا الليل والنهار بمثابة خزانة ومستودع تدخر فيه الأعمال الصالحة حتى إذا قدموا على ربهم وجدوا ثواب ذلك أمامهم . قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد : ١٢] .

(١) وكذلك (محمد رسول الله) قال الله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح : ٤] .

(٢) د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم (ص ٨٢، ٤٠، ٣٥-٨٣) .

(٣) والله أكبر على كل ظالم طاغي متكبر ...

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَأُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحریم: ٨] ، وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣] .

ودورة الزمن لا تنتظر أحدا ، فكلما طلعت شمس النهار وشعشع نور القمر انطوت صفحة من أيام العمر . فالسعيد من سطر لنفسه سطورا من ذهب في صفحات أيام عمره .

والزمن واعظ مؤثر ودليل محسوس يغير من أوضاع الإنسان وأحواله :

ومن أفضل أعمال المؤمن المحافظة على الصلاة في وقتها وفي المسجد وهي من دلائل الإيمان .

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه « اغتسم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » ^(١) .

وحال المؤمن في ليله ونهاره ، له ذكر في المأ والأعلى ، والمؤمن ملازم لذكر الله تعالى ، مستحضر لمعية الله تعالى ، مستبق للخيرات ومسارع إليها ، وهذا المنهج يوجد في قلب المؤمن طعم وحلاوة الإيمان بالله تعالى والإنس به والشوق إلى لقائه والنظر إليه والكلام معه والسكن بجواره في مقعد صدق عند مليك مقتدر إن في ذلك لذكرى . قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ [ق: ٣٧] .

(١) حديث أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب الرقائق ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي على الصحيح (٤/ ٣٠٦) .

وعن قيس عن جرير قال : كنا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة يعني البدر فقال :
(إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على
صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ثم قرأ :

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [سورة ق : ٣٩]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل
وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم
فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم
يصلون » ^(١).

فالسعيد هو المؤمن التقي النقي الذي يسعى لطلب رضا الله تعالى وجنته والأجر
العظيم باستغلال أيام حياته بذكر الله تعالى والطمع في مغفرته وفضله وإحسانه بعمل كل
خير وبر وطاعة لله تعالى .

والله تعالى ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل .

(١) صحيح البخاري (٩) كتاب مواقيت الصلاة (١٦) باب فضل صلاة العصر (١/ ١٣٨ - ١٣٩).

وإليك الآيات المكية التي ذكر فيها الليل والنهار :

الآيات المكية التي ذكر فيها الليل والنهار :

ذكر لفظ (الليل) (٥١) مرة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	١٣
٣	الأنعام	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٦٠
٣	الأنعام	﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾	٧٦
٤	الأنعام	﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	٩٦
٥	الأعراف	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٥٤
٦	يونس	﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	٦

م	السورة	الآية	رقمها
٧	يونس	﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قُطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	٢٧
٨	يونس	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾	٦٧
٩	هود	﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُؤْسُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾	٨١
١٠	إبراهيم	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾	٣٣
١١	الحجر	﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾	٦٥
١٢	النحل	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	١٢
١٣	الإسراء	﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحُونَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾	١٢
١٤			
١٥	الأنبياء	﴿ يُسَخِّرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	٢٠

م	السورة	الآية	رقمها
١٦	الأنبياء	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٣٣
١٧	الأنبياء	﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾	٤٢
١٨	المؤمنون	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٨٠
١٩	الفرقان	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾	٤٧
٢٠	الفرقان	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾	٦٢
٢١	النمل	﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسِئَانِكُمْ فِيهِ وَلَنَّهَارًا مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	٨٦
٢٢	القصص	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾	٧١
٢٣	القصص	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٧٢
٢٤	القصص	﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	٧٣
٢٥	الروم	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴾	٢٣

م	السورة	الآية	رقمها
٢٦	سبأ	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْنَادَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	٣٣
٢٧			
٢٨	فاطر	﴿ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رُبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾	١٣
٢٩	يس	﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾	٣٧
٣٠	يس	﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٤٠
٣١	الصافات	﴿ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	١٣٨
٣٢	الزمر	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾	٥
٣٣			
٣٤	الزمر	﴿ آمَنَ هُوَ قَنِيتٌ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾	٩

م	السورة	الآية	رقمها
٣٥	غافر	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا رَبُّكَ اللَّهُ الَّذِي فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	٦١
٣٦	فصلت	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	٣٧
٣٧	فصلت	﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾	٣٨
٣٨	الجاثية	﴿وَخَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَلْحَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	٥
٣٩	ق	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ النُّجُودِ﴾	٤٠
٤٠	الذاريات	﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾	١٧
٤١	الطور	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُودِ﴾	٤٩
٤٢	المزمل	﴿قُرْْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَضَعُهُ أَوْ أَقْصَىٰ مِنْهُ قَلِيلًا﴾	٢
٤٣	المزمل	﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾	٦
٤٤	المدثر	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾	٣٣
٤٥	النبأ	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾	١٠
٤٦	التكوير	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾	١٧

م	السورة	الآية	رقمها
٤٧	الانشقاق	﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾	١٧
٤٨	الفجر	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَّ﴾	٤
٤٩	الشمس	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾	٤
٥٠	الليل	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾	١
٥١	الضحى	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾	٢

ذكر لفظ (ليلا) (٤) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	يونس	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَرَتْ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰ أَنَّهَا أَنَّهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٢٤
٢	الإسراء	﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِلرَّحْمَنِ مِنْ بَيْنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١
٣	الدخان	﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾	٢٣
٤	نوح	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾	٥

ذكر لفظ (ليلة) (٦) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأعراف	﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ ﴿أَذْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	١٤٢
٣	الدخان	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾	٣
٤	القدر	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	١
٥	القدر	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾	٢
٦	القدر	﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾	٣

ذكر لفظ (ليلها) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	النازعات	﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾	٢٩

ذكر لفظ (ليالٍ) (٣) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	مريم	﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾	١٠

م	السورة	الآية	رقمها
٢	الحاقة	﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٌ حَاقِبُونَ ﴾	٧
٣	الفجر	﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾	٢

ذكر لفظ (ليالي) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	سبا	﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَنَكُنَا فِيهَا قَرْىَ ظَلْهُرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾	١٨

ذكر لفظ (النهار) (٣٥) مرة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	١٣
٣	الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	٦٠
٣	الأعراف	﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٥٤

م	السورة	الآية	رقمها
٤	يونس	﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٦
٥	يونس	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾	٤٥
٦	يونس	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾	٦٧
٧	إبراهيم	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾	٣٣
٨	النحل	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالشُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	١٢
٩	الإسراء	﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾	١٢
١٠			
١١	الأنبياء	﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴾	٢٠
١٢	الأنبياء	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٣٣
١٣	الأنبياء	﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴾	٤٢

م	السورة	الآية	رقمها
١٤	المؤمنون	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٨٠
١٥	الفرقان	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ ذُشُورًا ﴾	٤٧
١٦	الفرقان	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾	٦٢
١٧	النمل	﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسِئَانِهِمْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	٨٦
١٨	القصص	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن لَّهِ عِزُّ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٧٢
١٩	القصص	﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	٧٣
٢٠	الروم	﴿ وَمِن آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾	٢٣
٢١	سبأ	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَاقَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	٣٣

م	السورة	الآية	رقمها
٢٢	فاطر	﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾	١٣
٢٤	يس	﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾	٣٧
٢٥	يس	﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	٤٠
٢٦	الزمر	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾	٥
٢٨	غافر	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	٦١
٢٩	فصلت	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	٣٧
٣٠	فصلت	﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾	٣٨
٣١	الجاثية	﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَالْحَايَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَفَصْرِيفُ الرَّيحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	٥

م	السورة	الآية	رقمها
٣٢	المزمل	﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾	٧
٣٣	النبأ	﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾	١١
٣٤	الشمس	﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾	٣
٣٥	الليل	﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾	٢

ذكر لفظ (نهارا) (٣) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	يونس	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَرْبَ أَهْلِهَا أَنْتُمْ فَنَدْرُوبُ عَلَيْهِمَا أَمْرًا إِلِيلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٢٤
٢	يونس	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْنَاكُمْ عَذَابُهُ بَيْنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾	٥٠
٣	نوح	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ ^(١)	٥

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٦٥ ، ٧٢٠) .

المبحث الثاني : الدواب والطير

لمحة عن عالم الحيوان :

ذكر الله سبحانه وتعالى الدواب والطير مع الآيات الكونية .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا
لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج : ١٨] .

الله سبحانه وتعالى خلق الحيوان وسخر^(١) بعضه للإنسان ، ولقد كانت معرفة
الإنسان بالحيوان ومنافعه منذ أن عرف الإنسان طعامه وشرابه ، ومن منافعه استغفار
الحيتان في الماء للعالم ، وحتى النملة في حجرها .

(والصلة وثيقة بين الإنسان والحيوان . فقد عرف الإنسان الحيوان منذ القدم حين
عرف الإنسان طعامه .. فالحيوان مصدر من مصادر غذائه . فكانت للحيوان مكانة في
النفس الإنسانية وفي نفس العربي خاصة ، ففي (الجزيرة العربية كان الحيوان أحد أعمدة
الحياة .. لا ينفصل عن العربي في إقامته وظعنه^(٢) . (وهو) صاحب البعير ظاعنا^(٣)) ومسافرا

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة
(٢/١٢٥) .

(٢) سفره . (ظعن) سار وبابه قطع . الرازي ، محمد بن أبي بكر عبد القادر ، مادة (ظ ع ن) ، الصحاح
(ص ٣٠١) . والظعينة الهودج إذا كان فيه المرأة وقد يكنى به عن المرأة وإن لم تكن في الهودج . الراغب
الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، مفردات غريب القرآن (ص ٣١٤) .

(٣) (ظاعنا) بمعنى راحلا ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ ظَعَنَ كُمْ ﴾ [النحل : ٨٠] أي رحيلكم ، إذن الملقن :

أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد ، تفسير غريب القرآن (ص ٢١١) .

ومتاجرا ومحاربا .. ومن حيوانه يأكل لحما ويشرب لبنا ، ويتخذ من وبره وصوفه وشعره مساكنه وزرابيه^(١) وعبقريه (بسطة الفاخرة) .. فتعمق الحيوان في نفس العربي . وتعرف على حياة الحيوان : أليفه وأوابده ، وبذلك صار الحيوان أقرب الأشياء إلى معرفته وإدراكه وفهمه ، وظهر أثر ذلك في الأدب العربي ، شعرا ونثرا^(٢) .

كما ذكر في القرآن الكريم بعض أسماء الحيوان بلفظ المفرد والجمع أو بما يدل على ذلك^(٣) .

ونذكر بعض المفسرين أن (الدابة) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : جميع ما دبّ على وجه الأرض ومنه قوله تعالى في سورة هود :

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [الآية : ٦] .

الوجه الثاني : (الدابة الخارجة في آخر الزمان) ومنه قوله تعالى في سورة النمل :

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [الآية : ٨٢] .

الوجه الثالث : (الأرضة) ومنه قوله تعالى في سورة سبأ :

﴿مَادَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِمْ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [الآية : ١٤] ^(٤) .

ومعنى (الطير) على تسعة أوجه :

الوجه الأوّل : (الطير : الطاووس والديك والغراب والبط) قوله سبحانه في سورة البقرة :

(١) (الزَّارِبِيُّ) جمع زرب وهو ضرب من الثياب مخبر منسوب إلى موضع . المرجع السابق ، المفردات غريب القرآن (ص ٢١٢) .

(٢) د. عبد الرحمن محمد حامد ، القرآن وعالم الحيوان (ص ١٥-١٦) .

(٣) مثل : الجمل ، جمالات ، الإبل ، بعير ، البدن ، ضامر ، والهيم ، ناقة ، والعرير . المرجع السابق (ص ٤٥) .

(٤) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجه والنظائر (ص ٢٩٠) .

﴿ فَخَذَّ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ﴾ [الآية : ٢٦٠] يعني (هذه الطيور) .

الوجه الثاني : (الطير الخفاش) قوله سبحانه في قصة عيسى عليه السلام في سورة المائدة :

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ [الآية : ١١٠] يعني الخفاش .

الوجه الثالث : (الطائر بعينه) قوله سبحانه في سورة الأنعام : ﴿ وَلَا طَائِرُ بِطَيْرٍ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الآية : ٣٨] ، أي لا طير من سائر الطيور .

الوجه الرابع : (الطير يعني به سائر الطيور) قوله سبحانه في سورة النحل :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾ [الآية : ٧٩] .

الوجه الخامس : الطائر (الكتاب) قوله سبحانه في سورة الإسراء : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الآية : ١٣] يعني كتابه .. ويقال سعادته وشقاوته خيره وشره .

الوجه السادس : (الطير الهدهد) قوله تعالى في سورة النمل : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ﴾ [الآية : ٢٠] ، ويقال (وتفقد الطيور) .

الوجه السابع : الطائر يعني (الشدة والرخاء) ، قوله سبحانه في سورة يس :

﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ [الآية : ١٩] .

الوجه الثامن : (الطير : الدجاج والدجاج) قوله سبحانه في سورة الواقعة : ﴿ وَلَحِرَ طَيْرٌ مِّمَّا يَشْتَبُونَ ﴾ [الآية : ٢١] ، يعني لحم الدجاج والدجاج ، قاله بعض المفسرين .

الوجه التاسع : (الطير ما أتى من قِبَلِ البحرين) قوله سبحانه في سورة الفيل :

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الآية : ٣] ^(١) .

(١) الدامغاني : الحسين بن محمد ، قاموس القرآن أو إصلاح الوجه والنظائر في القرآن الكريم (ص ٣٠٥)

ولقد كان من مقاصد^(١) السور المكية الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى وعظمته . بالنظر والتأمل في هذا الكون ، وما فيه من الظواهر المشاهدة والشاهدة على وحدانية المبدع^(٢) الموجد من العدم القادر على البعث بعد الموت . ومن تلك الظواهر خلق^(٣) جميع الدواب^(٤) والطير المرئية^(٥) وغير المرئية^(٦) والتي يعجز البشر^(٧) عن حصر عدد^(٨)

(١) ولهذا تكرر في القرآن ذكر آياته ويعيدها ويبدئها ويأمر عباده بالنظر فيها مرة بعد أخرى ، فهو من أجل مقاصد القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٠١] .

ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور أهل الولاية والإرادة (٢/ ٤٥) .
(٢) المرجع السابق (٢/ ١٢٩-١٦٠) .

(٣) الجاحظ : أبو عثمان عمر بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير ، فكر في بنية أبدان الحيوان ، وفكر خلقة عجيبة (ص ٤١-٤٥) .

(٤) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، الحكمة في مخلوقات الله (ص ١٠٦، ١٠٥، ١٠٢) .
(٥) ظهرت في الحديث (فيما قرب) (٨٧٠٠) نوعا من الطيور في أيامنا هذه . الفانا مصطفى محمود ، موسوعة عالم الحيوان ، خصائص الطيور (ص ٧٥) .

(٦) والتي لا ترى إلا بالمجهر مثل : الجراثيم وذوات الخلية الواحدة كالدياتومات ، والمشعات ، أو ذوات الأشعة . إبراهيم حلمي الغوري ، هذه البحار والمحيطات أعجب وأطرف وأغرب ما فيها ، المقدمة (ص ٥) .

(٧) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، الحكمة في مخلوقات الله (ص ١٢٤) .
(والله أعلم في مصنوعاته) ، (فسبحان من لا يحصي العادون آياته ، ولا يحيطون بتفصيل آية منها على الانفراد ، بل إن علموا منها وجها جهلوا منها أوجها) .

ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور أهل العلم والإرادة (٢/ ١٤٥-١٧٤) .

(٨) المرجع السابق (ص ١٣٩) .

أنواعها وأشكالها^(١) وإدراك تام لتفاصيل شؤون حياتها^(٢) وأوجه العبرة في خلقها^(٣) ووجودها^(٤) على ما فيها من المنافع^(٥) الكثيرة للإنسان ومضار له^(٦).

(١) المرجع السابق (ص ٤٤-١٤٩) ، ومن الحيوان السمك . (انظر واعتبر بما خلق الله تعالى في البحار والأنهار من الحيوان المختلف الصورة والأشكال ، وما فيه من الآيات البينات) . الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، الحكمة في مخلوقات الله (ص ١٢٠) .

(٢) المرجع السابق (ص ١٢٤) .

(٣) تقصر أفهام البشر عن حكمة الله تعالى في الخلق للطفها وشرفها ولا أحد يحتقرها ويزدريها ، وإنما يجب على المسلم أن ينتبه ويعرف بما خصه الله سبحانه وتعالى وبما ميزه عن خلقه الحيوان وفضله وخصه بالعقل وكرمه ، فلم يكن مثل أحد البهائم .

(واعلم أن خفاءها من لطفها وشرفها ، والله تعالى فيما يخفي وجه الحكمة فيه على البشر ، من الحكم الباهرة المتضمنة للغايات المحموده ... (وعسى أن يكون فيه حِكْمٌ أُخْرُ تقصر عنها أفهام الخلق أو يزدريها السامع إذا عرضت عليه ...) . (فانظر إلى بعض ما خصك به وفضلك به عن البهائم المهمة إذ خلقك على هيئة تنتصب قائماً ، وتستوي جالساً ، وتستقبل الأشياء بيدك وتقبل عليها بجملتك فيمكنك العلم والصلاح والتدبر ، ولو كنت كذوات الأربع المكبوبة على وجهها لم يظهر لك فضيلة تميز واختصاص ، ولم يتهياً منك ما تهباً من هذه النسبة) . (فسبحان من ألبس خِلْعَ الكرامة كلَّها لبني آدم ، من العقل والعلم والبيان والنطق والشكل والصورة الحسنة والهيئة الشريفة والقد* المعتدل واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر ، واقتناص الأخلاق الشريفة الفاضلة من البر والطاعة والانقياد فلا يطغى (الإنسان) ولا يتمرد على خالقه، فإنه لولا فضيلة فضله الله تعالى بها في الذهن والعقل كان ك بعض البهائم ...) . ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة (٢/ ٢٠١، ٢٠٠، ١٧٤، ١٤٤، ١٤٢، ٤٤) .

*القد ، القطع .. قامته الرّجل وتقطيعه واعتداله ، الفيروز آبادي : مجد الدين بن يعقوب ، القاموس المحيط ، باب الدال - فصل القاف (القد) ١/ ٣٢٥ .

(٤) تقسم حياة الحيوان إلى أربعة أقسام :

حياة تعيش في بيئة الماء ، وحياة في بيئة الهواء ، وحياة في بيئة الأرض أو البر ، وحياة متطفلة تعيش على أجسام حيوانات أخرى أو داخلها . نخبة من العلماء العرب ، محيط العلوم (ص ٤٥٢) .

(٥) الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (ص ٤١-٤٣) .

(٦) مثل السباع من الحيوانات المفترسة (الأسود والنمور والذئاب والهوام والحيات ...) . المرجع السابق (ص ٤٣-٤٤) .

(وقد سميت بعض سور القرآن الكريم باسم الحيوان : سورة البقرة ، الأنعام ، النحل ، العنكبوت ، العاديات (الخيول) ، الفيل)^(١) .

كما ذكر اسم الحيوان في الحديث النبوي مثاله عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة . وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم . وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء . وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء ورثة الأنبياء . إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه ، أخذ بحظ وافر »^(٢) .

قال ابن قيم الجوزية : وقوله ﷺ « إن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء » فإنه لما كان العالم سببا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلكات ، وكان سعيه مقصورا على هذا ، وكانت نجاة العباد على يديه ، جوزي من جنس عمله ، وجعل من في السموات والأرض ساعيا في نجاته من أسباب الهلاك باستغفارهم له وإذا كانت الملائكة تستغفر للمؤمنين ، فكيف لا يستغفر لخاصتهم وخلصتهم؟

(١) د. محمد محمود عبد الله ، عالم الحيوان بين العلم والقرآن ، المقدمة (ص ٣-٧) بتصرف .

(٢) قال المنذري في تلخيص السنن : قد اختلف في هذا الحديث اختلافا كثيرا .

تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٧/ ٤٥٤) رقم الحديث (٢٨٢٢) ، ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١٦٠) ، وذكر الحديث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم (١٨٢-٢٢٣) (١/ ٤٣) .

وقد قيل إن من في السموات ومن في الأرض (المستغفرين للعالم) عام في الحيوانات ناطقها وبهيمها طيرها وغيره .

ويؤكد هذا قوله : (حتى الحيتان في الماء ، وحتى النملة في جحرها) ، فقل سبب هذا الاستغفار أن العالم يعلم الخلق مراعاة هذه الحيوانات ويعرفهم ما يحلّ منها وما يحرم ، ويعرفهم كيفية تناولها ، واستخدامها ، وركوبها ، والانتفاع بها ، وكيفية ذبحها على أحسن الوجوه وأرفقها بالحيوان ، والعالم أشفق الناس على الحيوان ، وأقومهم ببيان ما خلق له .

وبالجملة ، فالرحمة والإحسان التي خلق بهما ولهما الحيوان ، وكتب لهما حظهما منه إنما يعرف بالعلم ، فالعالم معرف لذلك ، فاستحق أن تستغفر له البهائم والله أعلم^(١) .

وقد (تحدث الكتاب عن الحيوان وقصصه)^(٢) ، وقد سميت بعض القبائل العربية باسم الحيوان كبنّي أسد^(٣) .

وليس الغرض من هذا المبحث الحديث عن جميع الحيوانات وتفاصيل حياتها المعيشية وجزئياتها الخاصة بها .

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور أهل الولاية والإرادة (١/ ٢٥٧-٢٥٨) .

(٢) كالجاحظ والدميري والقلقشندي والنويري وإخوان الصفا وابن المقفع وابن الطفيل والأصمعي وأبو عبيدة وغيرهم . د. عبد الرحمن حامد ، القرآن وعالم الحيوان ، هامش رقم (٣) (ص ١٦) .

(٣) المرجع السابق (ص ١٦) .

آيات تدعو إلى التأمل :

من الآيات التي طلبت التفكير والتعقل في دلائل القدرة الشاملة والحكمة^(١) الباهرة في خلق جميع الدواب والطير :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَتُونَا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٦٨-٦٩] .

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مِنْتَفِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس : ٧١-٧٣] .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ؕ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٣-٤] .

قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] .

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور أهل الولاية والإرادة . (١٢٩/٢) .

من أوجه النظر والاعتبار في خلق الدواب والطيور :

أولاً: الله سبحانه وتعالى الذي خلق الدواب والطيور أمما أمثالنا في الأرزاق والآجال والطباع^(١) ، وهي مختلفة الأجناس^(٢) والأشكال^(٣) ، ولفظ الدواب (عام في جميع الحيوانات)^(٤) ، وقد قسم العلم الحديث مملكة الحيوان^(٥) إلى عدة ممالك وقسموها إلى أقسام رئيسية وفرعية وأصول وطبقات وفصائل وأنواع وفئات وهكذا ... وأول هذا التصنيف (في) عالم الحيوان إلى عالمين أساسيين هما :

١ - الفقريات . ٢ - اللافقريات .

(١) القزويني : زكريا بن محمد بن حمود ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، فصل في الحيوانات العجيبة التي وجدت في البحر (ص ١٠٧) .

(٢) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، الحكمة في مخلوقات الله (ص ١٠٩) .

(٣) (الطيور في جمال أشكالها وتناسق ألوانها صنعة دالة على المصور سبحانه وتعالى الذي صور هذه الأشكال وأبدع هذه الصور ونسق بين الألوان) . بسام فضة ، الكون والإنسان بين العلم والقرآن (ص ٢٣٥) .

وصنع هذه الألوان المختلفة دليل على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى (خلق عجيب وصنع بديع من خلق الله الذي أبدعه آية ودلالة على قدرته وحكمته التي لا يعجزها شيء ، ليرى عباده أنه خالق أصناف الحيوان كلها كما يشاء وفي لون شاء) . بـ (الصبغ العجيب والمركب لو اجتمعت الخليقة على أن يحاكيه لتعذر عليهم) .

ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة (٢/ ١٤٩، ١٥٩) .

(٤) الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن (ص ١٦٤) .

(٥) الفانا مصطفى حمود ، موسوعة عالم الحيوان (ص ٥١، ٢١٤) بتصرف .

(١) الحيوانات الفقرية :

تمتلك الحيوانات الفقرية هيكلًا عظميًا داخليًا يتمحور حول ما يسمى بالعمود الفقري، وتشمل :

- ١ - الثدييات .
- ٢ - الطيور .
- ٣ - الأسماك .
- ٤ - البرمائيات (الضفادع) .
- ٥ - الزواحف .

(٢) الحيوانات اللافقرية :

اللافقرات محرومة من الهيكل العظمي والعمود الفقري (وتشمل) :

- ١ - مفصليات الأرجل .
- ٢ - الرخويات .
- ٣ - القنذليات الجلد (شوكيات الجلد) .
- ٤ - الحلقيات وتشمل :
- الخيطيات (الجلبليات) .
- الديدان المفلطحة (العريضة) والأسطوانية والحلقية .
- الجوفمعويات (مخوقات البطن) .
- الإسفنجيات .

وحيدات الخلية :

وحيدات الخلية كائنات مجهرية تكون كما يوحي بذلك اسمها وحيدة الخلية أي أنها مؤلفة من خلية واحدة ، يتواجد هذا النوع في كل مكان تقريبا ، في الماء ، في الهواء ، في البر ، في البحر ، في الفضاء وفي أجسام الكائنات الأخرى .

وحيدات الخلية هي الكائنات الأكثر بدائية التي تحوي نواة خلية النواة في الخلية غاية في الأهمية لأنها تحتزن الطبايع الوراثية ، تنتقل هذه الطبايع إلى نسل النواة في الخلية إثر الولادة أيا تكن طريقة التكاثر ، إذا تم التكاثر بطريقة الانقسام الخليوي بمعنى أن تنقسم الخلية إلى قسمين فإن الخلية الابنة تكون متشابهة تماما للخلية الأم ليس الأمر كذلك في التكاثر الشقي حيث يتأثر الوليد^(١) بطبايع وراثية^(٢) تنتقل إليه من كلا الأبوين^(٣) .

والأبحاث جارية كلما تطورت العلوم ، وخاصة بعد اختراع الآلات المجهرية المطورة مثل (المجهر الإلكتروني) والذي أظهر بعض دلائل كمال قدرة الله تعالى وأسراره في خلق الكائنات الحية الدقيقة في الإنسان والحيوان والنبات .

﴿أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُوتْ﴾ [النمل : ٦٢] .

(١) د. صالح عبد العزيز كريم ، الهندسة الوراثية وتكوين الأجنة ، أجنة الحيوان والإنسان (ص ٦٨، ٥٧)

(٢) أ. إبراهيم حسين عبد الغني ، د. صالح عبد العزيز كريم ، علم الأجنة العملي للفقاريات ، التمايز الجنيني في الفقاريات (ص ٧١-٧٣) .

(٣) الفانا مصطفى حمود ، موسوعة عالم الحيوان (ص ٢١٤، ٥٢) بتصرف .

وفي (أسماء الطير قال بعضهم : سمى الله في القرآن عشرة أجناس من الطير :

١ - السلوى ٥ - والبعوض ٨ - والذباب

٢ - والنحل ٦ - والعنكبوت ٩ - والجراد

٣ - والهدهد ٧ - والغراب ١٠ - وأبابيل

٤ - والنمل

فإنه لقوله في سليمان ﴿عَلَّمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل : ١٥] وقد أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي : قال : النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين^(١) .

فسبحان الله الحي القيوم الذي وهب الحياة لجميع الكائنات الحية^(٢) من الماء^(٣) .

قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور : ٤٥] .

قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وفي تفسير قوله تعالى ﴿إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ﴾ (لا يوجد نوع من أنواع الدواب والطيور

(١) السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر ، الإتيان في علوم القرآن ، النوع التاسع والستون فيما وقع في القرآن من الأسماء والألقاب (٢/ ٣٣٩-٤٠٠) .

(٢) كنعان فهد ، عجائب الحياة في الماء ، مقدمة (ص ٥-٩) بتصرف .

(٣) د. محمد محمود عبد الله ، عالم الحيوان بين العلم والقرآن (ص ٨) .

إلا وهي أمم مخلوقة أمثالكم أيها الناس وهي أيضا أصناف مصنفة مثلكم ، لها أرزاقها وآجالها ونظامها وأحوالها وطبائعها ، والله تعالى يدبرها ويرعى شأنها ويحسن إليها . وخص دواب الأرض بالذكر ، لأنها المرئية للكفار ، أما ملكوت السموات ففيه ما لا يعلمه إلا الله تعالى وحده ، وفيه من الكائنات الحية ما لا يدرك حقيقته إلا الله تعالى ^(١) .

ثانياً: المعجزة والحيوان :

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل إلى أممهم وأيدهم بالمعجزات التي خرقت نظام الكون وسننه ، والتي تدل على صدق دعوة الرسل وأنهم مبلغون عن الله تعالى دعوة الإيذان به ^(٢) . والغرض من ذكر وجه الاعتبار هو الإشارة إلى الآيات الكريمة التي ذكر فيها أسماء الحيوانات وكانت فيها معجزة لبعض أنبياء الله تعالى .

١ - بقرة قوم موسى عليه السلام . قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَذْبَحُهَا وَهَؤُلَاءِ قَالُوا أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة : ٦٧] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ^(٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيبَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جَنَّتْ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْهَا ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ^(٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٠-٧٣] .

٢ - حمار عزيز . قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٧/ ١٩٣-١٩٤) .

(٢) عبد الحميد محمود طهراز ، المعجزة والإعجاز في سورة النمل (ص ١٥، ١٣، ٩) بتصرف .

يَوْمٍ قَالَ بَل لِّئَلَّكَ مِائَةٌ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة: ٢٥٩﴾ .

٣ - طير إبراهيم عليه السلام : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطَمِينَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿البقرة: ٢٦٠﴾ .

٤ - معجزة عيسى عليه السلام (في الطير) : قوله تعالى : ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْقَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿آل عمران: ٤٩﴾ .

٥ - القردة والخنازير : القردة : أصحاب السبت ، والخنازير كفار مائدة عيسى ^(١) : قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِّنْ ذَٰلِكَ مُتَوَبِّعُونَ عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿المائدة: ٦٠﴾ .

٦ - ناقة صالح عليه السلام : قوله تعالى : ﴿وَلِإِن تَسْمُدُوا أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقْوَرُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوًا فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ ﴿الأعراف: ٧٣﴾ .

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٦/ ٢٤٣) .

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أُنْتِنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧-٧٨] .

٧ - عصاة موسى حية تسعى : قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٧+١٠٨] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىٰ ﴾ ﴿١١﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه : ١٩-٢٠] .

٨ - ومن آيات موسى عليه السلام : الجراد، والقمل، والضفادع . قوله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ؕ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

مُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٣] .

٩ - كلب أهل الكهف : قوله تعالى : ﴿ وَتَحَسَّبُهُمْ أَيُّكَاطٍ وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ

وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا

وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف : ١٨] .

١٠ - الحوت الذي حمله موسى عليه السلام . قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي

نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف : ٦٣] .

طلب موسى عليه السلام لقاء الخضر يتعلم منه ، فوضع له علامة ، وذلك في الموضع

الذي نسي فيه الحوت (فأخذ موسى للأمر عدته ، واصطحب فتاه ، وحمله المكتل^(١) ،

ووضع الحوت فيه كما أوحى إليه ربه ، .. ولما بلغا مجمع البحرين ، في المكان الذي أراد

الله أن يلتقي فيه نبي بني إسرائيل بعبده الصالح ، أخذت موسى سنة فنام ،

(١) الثعبان : ضرب من الحيات طوال وجهه (ثعابين) . الرازي ، أبو بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح (ص ٧٠) .

(٢) المكتل : شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا . المرجع السابق (ص ٤١٣) .

وفي أثناء نومه هضبت^(١) السماء ، فابتل الحوت وانتفض وسرت إليه الحياة ، ثم قفز إلى الماء ...^(٢) .

١١ - النملة والهدد : وقد علم الله تعالى سليمان منطق الطير . قوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُودَ وَقَالَ يَتَىئَهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ . ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٨) ﴿ فَنَبَسَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٩) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ ﴿ [النمل : ١٦-١٨-٢٠] .

١٢ - دابة الأرض . قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٢] .

يبين ذلك ما روي (عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة ، قال إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب

(١) هضبت السماء : أمطرت . الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، باب الباء ، فصل الهاء ، مادة (هضب) (١/ ١٤٠) .

(٢) محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، قصص القرآن (ص ١٦٢-١٦٣) بتصرف .

وأخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم^(١).

قال المفسرون : هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا^(٢).

١٣ - الذبيح (الكبش) فداء إسماعيل عليه السلام : قوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ^(١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ^{١٠٢} قَالَ يَتَأَتَّىٰ بِنَفْسٍ أَعْمَلٍ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ^(١٠٣) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ^{١٠٤} لِلْجَبِينِ^(١٠٣) وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَّيَّرَ بِهِمْ^(١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ^(١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ^(١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ^(١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ^(١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الصافات : ١٠٠-١١١]

١٤ - الحوت الذي التقم يونس عليه السلام . قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ^(١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ^(١٤١) فَالْتَمَعَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ غَلِيمٌ^(١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ^(١٤٣) لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ^(١٤٤) فَبَدَّنَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ^(١٤٥) وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ^(١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿ [الصافات : ١٣٩-١٤٧]

١٥ - تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام : قال تعالى : ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(١٧) إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشَىٰ وَالْإِشْرَاقِ^(١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿ [ص : ١٧-١٩]

١٦ - فيل أبرهة : قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ^(١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ

(١) صحيح مسلم ، (٥٢) ، كتاب الفتن وأشراف الساعة ، (١٣) ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة رقم الحديث (٢٩٠١) ، (٤/ ٢٢٢٥) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٢٧) .

فِي تَضْلِيلٍ ۖ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾
فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ . [الفيل : ١-٥]

١٧ - البراق الذي ركبهُ النبي ﷺ ليلة الإسراء : (حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال : (قال النبي ﷺ بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان وذكر يعني رجلا بين الرجلين فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً فشق من النحر إلى مرق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيماناً وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ...) (١) .

(وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : أتيت بالبراق "وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه" قال ، فركبته حتى أتيت بيت المقدس . قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين . ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل ﷺ : اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء ...) (٢) .

١٨ - الجمل الذي اشتكى إلى النبي ﷺ صاحبه . وكلام بعض الحيوانات :

أ - عن عبد الله بن جعفر قال : (أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم فأسر إلي حديثاً لأحدث به أحداً من الناس وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفاً أو حائش نخل . قال : فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل ،

(١) صحيح البخاري ، (٥٩) ، كتاب بدء الخلق (٦) باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٤/ ٧٧) .

(٢) صحيح مسلم ١ - كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض

الصلوات ، رقم الحديث (٢٥٩) (١/ ١٤٥) .

فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه ، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه^(١) فسكت ، فقال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال لي^(٢) - يا رسول الله قال أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدبئه^(٣) (٤) .

ب - عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي ، فالتفت إليه الذئب فقال : من لها يوم السبع ، يوم ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها ، فالتفتت إليه فكلمته فقالت : إني لم أخلق لهذا ، ولكني خلقت للحرث . فقال الناس : سبحان الله ، قال النبي ﷺ : فإني أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما)^(٥) .

ج - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنسان ...) (٦) .

(١) قال الخطابي : الذفرى من البعير مؤخرة رأسه وهو الموضع الذي يعرف من قفاه ، وقال في النهاية : ذفرى البعير أصل أذنه وهي مؤنثة وهما ذفريان وألفها للتأنيث . عون المعبود شرح سنن أبي داود (٧/ ٢٢٠) .

(٢) أي الجمل ملك لي - يا رسول الله .

(٣) (تدبئه) أي تكرهه وتتعبه وزناً ومعنى . المرجع السابق (٧/ ٢٢٢) .

(٤) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب أول الجهاد ، (٤٧) باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم .

عون المعبود شرح سنن أبي داود (٧/ ٢٢٠) ، رقم الحديث (٢٥٣٢) .

(٥) صحيح البخاري ، (٦٢) كتاب فضائل الصحابة (٥) باب قوله ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً) قاله أبو سعيد (٣/ ١٩٢) ، رقم الحديث (٣٦٦٣) .

(٦) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ، كتاب الفتن والملاحم ، باب لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنسان (٤/ ٤٦٧) .

قال الحافظ ابن حجر : قوله (بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب) الحديث . لم أقف على اسم هذا الراعي ، وقد أورد المصنف الحديث في ذكر بني إسرائيل ، وهو مشعر بأنه ممن كان قبل الإسلام ^(١) .

ثالثاً: المنافع الكثيرة ^(٢) في الدواب والطيور :

الحمد لله الذي سخر الحيوان للإنسان وأباح له الانتفاع به ، فركبه وحمل عليه أثقاله وسلاحه ، واستخدمه لفلاحة الأرض ووضع روثه سماداً لها ، وشرب لبنه ^(٣) واستفاد من مشتقاته ، كما أباح الله تعالى أكل لحمه ^(٤) والانتفاع بجلده وشعره ووبره ، كما أن للإنسان بهجة بجمال الحيوان واختلاف ألوانه وأشكاله ، وأوجه الانتفاع بالحيوان كثيرة أشرت لبعضها . يدل عليه قوله تعالى :

١- ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل : ٥-٧] .

(١) ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٨/٧) .

(٢) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور أهل العلم والإرادة (١٢٥-١٢٦) .

(٣) المرجع السابق (ص ١٧٤) .

(٤) أشار ابن قيم الجوزية في كتاب الطب النبوي إلى الفوائد الطبية في أنواع اللحوم واختلاف طبيعة طعمها من بهيمة الأنعام والطيور (ص ٥٤٦) .

٢ - قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

٣ - قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل : ٧٩] .

٤ - قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ [النحل : ٨٠] .

٥ - قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر : ٢٨] .

٦ - قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِائَةٍ أَوْ مِئَتَيْنِ أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ نَجَعٍ وَمِشَارِبٌ فَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس : ٧١-٧٣] .

٧ - قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِرٌ وَيَقْبِضُنَّ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك : ١٩] .

رابعاً: حقوق الحيوان في الإسلام :

لما أباح الإسلام الانتفاع بالحيوان حفظ له حقوقه بالإحسان إليه بكل وجوه الإحسان وذلك بما يأتي :

- ١ - الرفق به .
- ٥ - عدم قطع جزء من لحمه وهو حي .
- ٢ - الاعتناء بحياته وبطعامه وشرابه .
- ٦ - عدم الاستمتاع بتعذيبه .
- ٣ - عدم ضربه وتحميله ما لا يطيق حمله^(١) .
- ٧ - علاجه عند مرضه .
- ٨ - إراحته عند ذبحه^(٢) .

٤ - عدم التمثيل به ولعنه .

وإليك بعض الأدلة على ذلك :

١ - عن شداد بن أوس قال ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »^(٣) .

قال النووي : (يحد الشفرة عند الذبح ، ويريح البهيمة ، ولا يقطع منها شيئاً حتى تموت ولا يحد السكين قبالتها ، وأن يعرض عليها الماء قبل الذبح ، ولا يذبح اللبون ولا ذات الولد حتى يستغني عن اللبن ، وأن لا يستقصي في الحلب ويقلم أظفاره عند الحلب ، قالوا ولا يذبح واحدة قدام أخرى)^(٤) .

(١) سبق ذكر حديث الجمل الذي اشتكى صاحبه إلى النبي ﷺ (ص ٤٨٦) بتصرف ..

(٢) محمد الزبيق ، الحيوان خواصه وحقوقه في الإسلام (ص ٤١) بتصرف .

(٣) صحيح مسلم ، (٣٤) كتاب الصيد والذبائح ، (١١) باب الأمر بإحسان الذبح والقتل ، وتحديد الشفرة ، رقم الحديث (١٩٥٥) (٣/ ١٥٤٨) .

(٤) شرح متن الأربعين النووية (ص ٨٤-٨٥) .

٢ - عن سعيد بن جبير قال : مر ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم فلما رأوه تفرقوا . فقال ابن عمر : من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا . إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا^(١) .

و(نهى رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب صبرا)^(٢) .

(رواية لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا قال العلماء صبر البهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه وهو معنى لا تتخذوا شيئا فيه الروح (غرضا) أي لا تتخذوا الحيوان الحي غرضا ترمون إليه من الجلود وغيرها ، وهذا النهي للتحريم ولهذا قال ﷺ في رواية ابن عمر التي بعد هذه لعن الله من فعل هذا ، ولأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان مذكى ولمنفعته إن لم يكن مذكى)^(٣) .

وفي الوقت المعاصر يستمتع بتعذيب الحيوان مثل (مصارعة الثيران في أسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا ، وفي أمريكا اللاتينية .. وصراع الديكة عرفت قديما في الهند والصين ، ومارسها الرومانيون واليونانيون والفرس ، كما نجدها في أمريكا اللاتينية ، ولقيت كثيرا من العناية الملكية ببريطانيا قبل منعها قانونيا عام ١٨٩٠ م ، ويحرمها الكثير من قوانين دول العالم ولكنها في جزيرة بال بإندونيسيا تعتبر لعبة قومية ذات طابع ديني . ومصارعة الكباش ، عرفت في كثير من أنحاء العالم وهي في تونس ترجع

(١) صحيح مسلم ، (٣٤) كتاب الصيد والذبائح ، (١٢) باب النهي عن صبر البهائم (٣/ ١٥٥٠) .

(٢) المرجع السابق ، رقم الحديث (١٩٥٩) (٣/ ١٥٥٠) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ١٠٨) .

للقرون الثامن عشر، وتمتاز في تونس عن غيرها باتحاد فريد في العالم هو (الاتحاد التونسي لمصارعة الكباش) ولكن الإنسان لا تعلمه القوانين ، ولا المنظمات أن يكون رفيقا رحيمًا بحيواناته بقدر ما تهديه بصيرته المهتدية بالاعتقاد والإيمان بربه ، وبمعرفة دور مخلوقاته من البهائم والدواب والأنعام في حياته ، على أن له فائدة منها ومنافع جمة وأن له في كل كبد رطبة عند الله لأجره (١).

(في كل ذات كبد رطبة أجر) (٢).

خامساً: بعض خصائص الحيوان :

هناك خصائص كثيرة للحيوان منها :

١ - لم تمنح العقل والتفكير الذي وجد عند الإنسان ، ولهذا أصبحت مسخرة للإنسان (٣).

٢ - معرفة بعض الأمور مثل سماعها لأصوات الذين يعذبون في قبورهم (٤). (قال رسول الله ﷺ « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه قبض وفيه تقوم الساعة ما على الأرض من دابة إلا وهي مصيخة

(١) د. عبد الرحمن محمد حامد ، القرآن وعالم الحيوان (ص ٢٣٢-٢٣٥).

(٢) سنن أبي داود ، أول كتاب الجهاد (٤٧) باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ، عون المعبود شرح سنن أبي داود (٧/ ٢٢٠).

(٣) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة (٢/ ١٢٥).

(٤) الميت (يضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين).

صحيح البخاري ، (٢٣) كتاب الجنائز ، (٨٧) باب ما جاء عذاب القبر (١/ ١٠١).

حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا ابن آدم « ... » . (مصيخة) من أصاخ أي مستمعه (شفقا) أي خوفا من قيامها ، وفيه أن البهائم تعلم الأيام بعينها وأنها تعلم أن القيامة تقوم يوم الجمعة^(١) .

٣ - هناك كثير من دلائل قدرة الله تعالى وعظمته تتجلى في خلق الحيوان فهو الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى .

ربنا جل في علاه الذي سخر الحيوان لمنفعة الإنسان فألهمه بحكم الفطرة ما يصلح شأنه وينظم أمور حياته وعيشه ويحفظ له كيانه من أجل أن يؤدي رسالته فلا يحتاج كثير رعاية وعناية من الإنسان^(٢) .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه : ٥٠] .

(ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه صورته وشكله الذي يليق به ، ويطابق المنفعة المنوطة به ، كاليد للبطش ، والرجل للمشي ، واللسان للنطق ، والعين للنظر والأذن للسمع .

ثم أرشدهم إلى طرق الانتفاع بما أعطاهم ، فانتفعوا بكل شئ فيما خلق له إما اختيارا كالإنسان والحيوان ، وإما طبعا كالنبات والجماد كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾

[الأعلى : ٣] . أي قدر قدرا ، وهدى الخلائق إليه أي كتب الأعمال والآجال والأرزاق ثم مشى الخلائق على ذلك ، لا يحيدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج منه . والآية لإثبات علم الصانع بأحوال المخلوقات^(٣) .

(١) سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي (١٤) كتاب الجمعة (٤٥) باب

الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ، رقم الحديث (١٤٣٠) (٣/١١٣) .

(٢) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة (٢/١٣١) بتصرف .

(٣) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (١٦/٢٢٣) .

٤ - الحيوانات تبعث وتحشر للحساب يوم القيامة . قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّن دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا

طَلِيرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿

[الأنعام : ٣٨] .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير : ٥] .

سادساً : ضرب المثل بالحيوان :

لكي يتعظ الإنسان ويتدبر ويعي ما يصلحه وينفعه ، ويشكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ويشكره على نعمة الإسلام والعقل الذي ميزه به عن الحيوان فيترفع عن الرذائل والصفات الدنيئة والتي يترفع عن بعضها الحيوان^(١) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦] .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَلَهَا أَوَّاهٌ النَّبُوتُ لَبِثَ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

(١) محمد الزبيق ، الحيوان خواصه وحقوقه في الإسلام (ص ٢٦) بتصرف .

وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٥] .

ف(الإنسان إنما يميز على غيره من الحيوان بفصل العلم والبيان وإلا فغيره من الدواب والسباع أكثر أكلا منه وأقوى بطشا ، وأكثر جماعا وأولادا ، وأطول أعمارا ، وإنما يميز على الدواب والحيوانات بعلمه وبيانه ، فإذا عدم العلم بقي القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب ، وهي الحيوانية المحضه ، فلا يبقى فيه فضل عليهم بل قد يبقى شرا منهم كما قال تعالى في هذا الصنف من الناس :

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٢] ^(١) .

وضربت الأمثال لعموم الناس ، ولكن لا يعقلها إلا العالمون ، قال الله تعالى :
﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

سابعاً : ذكورة الحيوان وأنوثته :

قال الله تعالى :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٣٦] .

قوله تعالى : ﴿ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [الزخرف : ١٢] .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة

(ومن كل شيء خلق ربك صنفين ونوعين ذكرا وأنثى ، في النبات والحيوان) ^(١) .

ثامناً: بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالحيوان :

الغرض من هذا المبحث الإشارة إلى بعض الآيات التي فيها بعض الأحكام الفقهية فقط ، وتفصيل الأحكام والجزئيات المتعلقة بها يرجع لها في كتب الفقه .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْمَتُهُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا سَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدَى وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَيسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخِصَّةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣﴾ يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُوهُنَّ بِمَا عَلَّمْتُمْ اللَّهَ فَكَلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة : ١-٥] .

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٣/ ٥٤١) .

قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المائدة : ٩٦] .

تاسعاً : بعض أسماء الحيوان الصريحة التي ذكرت في سور القرآن الكريم :

١ - البعوضة : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦] .

٢ - العجل : قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٥١] .

٣ - القردة : قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة : ٦٥] .

٤ - البقرة : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَذَبُهَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة : ٦٧] .

٥ - الخنزير : قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ

لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

٦ - الغراب : قوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوَاءَ

أَخِيهِ قَالَ يَوَلِّتَنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأَوْرَى سَوْءَةً أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ

النَّدَامِينَ ﴿المائدة : ٣١﴾ .

٧ - الغنم والماعز : قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نَبِئَةَ أَرْوَجٍ مِنْ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ

ءَالِدَكِرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَكِرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا

أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ

لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ

خَنزِيرٍ فَإِنَّهُمْ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاسٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا

لَصَادِقُونَ ﴿الأَنْعَامُ : ١٤٣-١٤٦﴾

٨ - الجمل : قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿الأعراف : ٤٠﴾ .

٩ - الثعبان : قوله تعالى : ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿الأعراف : ١٠٧﴾ .

١٠ - الجراد . ١١ - القمل . ١٢ - الضفدع :

قوله تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا

وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿الأعراف : ١٣٣﴾ .

١٣ - الكلب : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] .

١٤ - الذئب : قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [يوسف : ١٧] .

١٥ - الخيول . ١٦ - البغل . ١٧ - الحمار :

قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] .

١٨ - النحل : قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٦٨-٦٩] .

١٩ - الحوت : قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف : ٦٣] .

٢٠ - الذباب : قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ تُدْعَوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِتَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] .

٢١ - النملة : قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا

مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل : ١٨] .

٢٢ - الهدهد : قوله تعالى :

﴿ وَتَقَعْدَ الظُّيُورَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [النمل : ٢٠] .

٢٣ - العنكبوت : قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

٢٤ - دابة الأرض (الأرضة - سوسة الخشب) : قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا

دَلَّمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ

مَا لَيْثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤] .

٢٥ - النعجة : قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِيَ نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٣] .

٢٦ - الفراش : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ [القارعة : ٤] .

٢٧ - الفيل : قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [الفيل : ١] ^(١) .

(١) د. عبد الرحمن محمد حامد ، القرآن وعالم الحيوان (ص ٢٤٩) بتصرف .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى من منافع بعض الحيوانات الركوب عليها بقوله تعالى :

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] .

كما علم الله جل في علاه الإنسان وهداه بفكره للابتكار والتطوير وتصنيع وسائل مواصلات مختلفة للركوب ، بعد أن سخر له ما في باطن الأرض من خيرات كثيرة .

وسأعرض أقوال المفسرين في بيان قوله تعالى ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ :

(١) قول القاسمي :

في قوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ : أي من المخلوقات في القفار والبحار وصيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار أو لاستحضار الصورة^(١) .

ولم يذكر القاسمي مثلاً لهذا التجدد والاستمرار .

(٢) قول المراغي :

لقد ألمح المراغي إلى ما تشير إليه هذه الآية الكريمة ومما سيحدث في المستقبل فقال عنه تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ غير هذه الدواب مما يهدي إليه العلم وتستنبطه العقول كالقطر البرية والبحرية والطائرات التي تحمل أمتعتكم وتركبونها من بلد إلى آخر ومن قطر إلى قطر ، والمناطيد الهوائية التي تسير في الجو والغواصات التي تجري تحت الماء إلى نحو أولئك مما تعجبون منه ، ويقوم مقام الخيل والبغال والحمير في الركوب والزينة^(٢) .

(٣) قول محمد رشيد رضا :

ذكر قوله تعالى ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٥ / ٥٠٥) .

(٢) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (١٤ / ٥٧) .

وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرِثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٤﴾ [آل عمران : ١٤] ^(١)

ولم يتعرض إلى ما تشير إليه ويحتمل حدوثه في المستقبل من وسائل المواصلات والنقل .

(٤) قول طنطاوي جوهرى :

أشار إلى ما يحتمل خلقه من وسائل الاتصال والمواصلات في المستقبل فقال : (كما يجب

شكر من أنعم بها وتفضل في قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ غير هذه الدواب التي تركبونها وإنما ذكرت هذه البغال والحمير والخيول التي نركبها ونتزين بها ، ولم يذكرها بعد الأنعام من الإبل والبقر والغنم، ليدلنا على ما كنز في أرضه وما دفن في باطنها من الحديد والفحم (المخزون في الأرض والبتروول وما أشبه ذلك) وأن هذه ستخرجون منها قطارا سائرا على البر وآخر مثله في البحر، ... والمناطيد الهوائية التي تسير في الجو والغواصات التي تجري تحت الماء مما سأخلقه لكم بعد حين تقوم مقام الخيل والبغال والحمير لتركبوها

وزينة .. فلکم أن تتفعلوا بها وتشكرون ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٧]

والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله تعالى به عليه فيما خلق لأجله ثم استطرد تحت

عنوان (اللطيفة الثانية) وذكر أنواع الآلات النافعة للإنسان ومنافع الكهرباء ... وقال :

(ولقد استبان للناس بعض السر في الطبيعة وكلما زادوا علما ازدادوا غنى وسعة وراحة

بحسب الظاهر واتصل الناس بعضهم في أقرب وقت) ^(٢) .

(٥) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

صرح بأن هذه الآية من معجزات القرآن الغيبية وأنها تومئ إلى ما يخترعه البشر من وسائل

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٣/ ٢٤٥) .

(٢) طنطاوي جوهرى ، الجواهر في تفسير القرآن (٨/ ٨٧، ٨٨، ٧٣) .

الاتصال والمواصلات والراحة . قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .. ويخلق لهم خلائق

أخرى لا يعلمونها الآن . فيدخل في ذلك ما هو غير معهود أو معلوم للمخاطبين .. فالذي يظهر لي أن هذه الآية من معجزات القرآن الغيبية العلمية . وأنها إيحاء إلى أن الله تعالى سيلهم البشر اختراع مراكب هي أجدى عليهم من الخيل والبغال والحمير .. تلك العجلات التي يركبها الواحد ويحركها برجليه .. وأرتال السكك الحديد والسيارات ، ثم الطائرات ، فكل هذه مخلوقات نشأت في عصور متتابعة لم يكن يعلمها من كانوا قبل عصر وجود كل منها .

وإلهام الله الناس لاختراعها هو ملحق بخلق الله . فالله هو الذي ألهم المخترعين من البشر بما فطرهم عليه من الذكاء والعلم وبما تدرجوا في سلم الحضارة واقتباس بعضهم من بعض إلى اختراعها ، فهي بذلك مخلوقات لله تعالى لأن الكل نعمته^(١) .

قلت نعم هذه الآية الكريمة أشارت إلى وجه من أوجه الإعجاز العلمي والذي لا يمكن للعقول وقت نزول القرآن أن تدرك حقيقة معناه .

لأن هذا الأمر خاضع لترقي العقل البشري المرتبط بتطور العلوم . فظهرت وسائل الاتصال والمواصلات ووسائل الراحة والتي هي من صنع البشر ، وإنما الفضل يعود لله وحده حيث أنه هو المفهم والمعلم . ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٤] فبمعرفة الإنسان

العلوم استطاع استخدام نوااميس الكون وسننه لمنفعته وتسخيرها لخدمته وراحته .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١٤ / ١١٠) .

(٦) قول الدكتور محمد محمود حجازي :

أيد ما قيل في تفسير الآية الكريمة وما يحتمله نص القرآن الكريم وذلك في قوله عند قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .. فقال : يخلق الله سبحانه وتعالى غير ذلك مما لا تعلمون .

أليس في هذا دليل على إعجاز القرآن الكريم ، وأن الله تعالى يعلم بما كان وما سيكون، فهذه العبارة جمعت الدراجة والسيارة والطيارة والسفينة وغير ذلك من المخترعات التي وجدت وستوجد وسبحان العليم البصير القوي القادر سبحانه وتعالى عما يشركون^(١) .

(٧) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

وافق في تفسيره قول سابقه ، بذكر وجه الإعجاز بقوله : (ثم جاء دور الامتنان بوسائل النقل والمواصلات الحديثة) ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي ويخلق لكم غير هذه الحيوانات من وسائل النقل كالقطارات والسيارات والسفن والطائرات وغيرها^(٢) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى :

﴿وَالْحَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٨] .

- ذكر القاسمي (فعل الخلق) وأنه يفيد الاستقبال وفيه دلالة على التجدد والاستمرارية ، ولم يمثل إلى ما يحتمله نص الآية من الخلق .

- ومحمد رشيد رضا عند ذكره للآية لم يشير إلى ما يحتمل خلقه .

- واتضح الجانب العلمي في قول المراغي وطنطاوي جوهري والدكتور محمد حجازي والدكتور وهبة الزحيلي .

(١) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢ / ٢٩٩) .

(٢) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (١٤ / ٩١) .

- حيث أشار المراغي إلى ما حدث في مستقبل الصناعة بعد هداية العقول وتطور العلم ، حيث صنع الإنسان الطائرات والغواصات البحرية والقطر .

- وقال طنطاوي جوهرى إن في مدلول الآية (لبدلنا على ما كنز في أرضه وما دفن في باطنها من الحديد والفحم ... والبترو) واستغله الإنسان لمصلحته في صناعة مختلف الآلات ووسائل النقل والاتصال مثل القطر والغواصات البحرية و(التلغراف) و(التلفون) وغير ذلك . كما أشار إلى الكهرباء واستطرد في الحديث عنها ، وذكر أن هذه الاختراعات من أصحاب العقول المفكرة والمبتكرة ومثل هذه الصناعات لراحة البشرية من نعم الله تعالى التي يجب الشكر عليها . ثم توسع في المدلول والمعنى (الكهرباء التي تحرك الأجسام العظيمة وتحمل الإنسان في البر والبحر وتقوم مقام الدواب ، هذا هو الذي أريد أن أقوله ، أقول إن الله عطف قوله ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ على خلق البغال والخيول... الخ ليشير إلى أن استعمالنا للدواب سيخلفه شئ لا نعلمه ، وهانحن علمناه ، اللهم إنا علمنا ، علمنا يا رب ما خزنه في الأجسام من عجائب الكهرباء ... اللهم إن الإنسان اليوم لا يزال طفلاً جهولاً يخدم بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون ، الإنسان ارتفعت مدنيته المادية بنبوغ عقله فنتائج العقل قامت مقام الدواب ، والعقل عرف بهدايتك وهدايتك تأتي بالتدريج ، هذا هو الذي يشير له قولك في التنزيل ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ بعد قولك ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يربط بين الآية السابقة والتي تليها ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْإِبْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨) ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل : ٨-٩] .

(فالسبيل العدل والطريق المستقيم عليك أنت ، ولن يسلك السبيل المستقيم إلا بالعقل الذي لا يهديه إلا أنت فإذا قلنا ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٦] فقد أجبنا إلى ذلك بأنك تهدي إلى قصد السبيل ، خففت عن الدواب بما فتحت على عقول الناس

من خزائنك في الأرض كالفحم الحجري وخزائنك في الأجسام من الكهرباء فاستخرجها الإنسان ، وكما استخرج الإنسان تلك المنافع من المادة يقدر أن يستخرج نظائرها من روحه ، إن الروح نزاعة إلى شرفها ومقامها الرفيع ، إن في الناس عاطفة الخير وهم يودون لو يعرفون سر كل شئ ويجبون النظام والحكمة ، وهذا الذي ظهر لهم في الطبيعة سيغريهم بما هو أشرف وأكمل وهو استخراج ما كمن في النفوس من الجمال والكمال .

عجبا! في الأجسام كهربائية قلبت ظهر البسيطة ، أفلا يكون في نفوسنا ما هو فوق الكهرباء ، ومتى ظهر سر النفس انقلب نظام النوع الإنساني وأصبحوا عالما ملكيا إنسانيا وزال ما بينهم من الجهالات والعداوات ، أنت خلقت ما لا نعلم فعرفناه فنفعنا وذلك في الماديات ، وسيكون بعد ذلك في المعنويات والفضائل والقوى النفسية ، ذلك كله من قوله ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ الخ بعد ذكر خلق ما لا نعلم ظهر سره في الكهرباء التي قامت

مقام الدواب من المنافع الإنسانية والمسلمون في زماننا مكتفون بالقشور كأنهم في القبور وكأنهم لم يقرؤوا قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد : ٢٤] .

انتهى الكلام عن اللطيفة الثانية (١) .

- وبين محمد الطاهر ابن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

معجزة من المعجزات الغيبية العلمية والتي من شواهد تفسيرها ظهور المخلوقات التي نشأت حديثا مثل السكك الحديدية والسيارات والتي لم تكن موجودة من قبل في العصور السابقة ، وتلك المخترعات من إلهام الله تعالى للناس فهي إذا من نعم الله تعالى (والتي يجب شكر المنعم بها) .

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨ / ٨٩ - ٩٠) .

- وكذلك قال الدكتور محمد حجازي إن في الآية الكريمة دليلاً على إعجاز القرآن الكريم وأن الله تعالى يعلم بما كان وما سيكون ، وضرب المثل بصناعة السيارة والطائرة وغير ذلك من المخترعات التي سوف توجد ، وسبحان العليم البصير القوي القادر سبحانه وتعالى عما يشركون .

- وبنحو ما سبق قوله قال الدكتور وهبة الزحيلي ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي يخلق لكم غير هذه الحيوانات من وسائل النقل مثل القطارات والسيارات والطائرات وغيرها .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

كانت وسيلة النقل والمواصلات الخيل والبغال والحمير . ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه يخلق ما لا يعلمه الناس وقت نزول القرآن الكريم . قال الله تعالى

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] .

وباتساع آفاق المعرفة وبتطور العلم استطاع الإنسان اختراع وسائل النقل والمواصلات والاتصالات ، وذلك بتعليم الله تعالى للإنسان . ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ

الْإِنْسَانَ مَا لَا يَعْلَمُ ﴾ [العلق : ٣-٥] . حيث اهتدى العقل البشري لاستغلال نواميس الكون

المسخرة ، والمدخرات الطبيعية الموجودة في باطن الأرض .

فبفضل الله تعالى وإحسانه استطاع الإنسان الانتفاع بما صنعه لخدمته وراحته وسعادته .

ومثال على ذلك كل وسائل النقل مثل صناعة السيارات والطائرات والصواريخ وكل وسائل الاتصال مثل القنوات الفضائية وعالم الجوالات... وسر هذه الصناعات الكهرباء عندما تم اكتشافها .

وقد أشار المفسرون إلى المخترعات الحديثة في عالمنا المعاصر وهو ما يحتمله نص القرآن الكريم ، وقد سبق الإخبار به ، وتحقيق وقوعه وما سيجد مستقبلا في عالم النقل والمواصلات والاتصال ، وغير ذلك مما يندرج تحت نص الآية ، ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ونظيره قول الله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٣٦] . وسيظهر العلماء آيات أخرى في الآفاق وسيعرفها الناس ويعلمونها مستقبلا .

قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٩٣] . والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق .

وإليك الآيات الكريمة التي ذكرت الدواب والطيور .

الآيات المكية التي ذكرت الدواب والطيور :

ذكر لفظ (دابة) (١٢) مرة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾	٣٨
٢	هود	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	٦
٣	هود	﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ ربي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	٥٦
٤	النحل	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾	٤٩
٥	النحل	﴿ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾	٦١
٦	النمل	﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾	٨٢
٧	العنكبوت	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٦٠

م	السورة	الآية	رقمها
٨	لقمان	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾	١٠
٩	سبأ	﴿ فَلَمَّا فَصَيَّنَا عَلَيْهِ أَمْوَاتَ مَا دَكَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُودُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾	١٤
١٠	فاطر	﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبَتْ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾	٤٥
١١	الشورى	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾	٢٩
١٢	الجاثية	﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	٤

ذكر لفظ (الدواب) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	فاطر	﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾	٢٨

ذكر لفظ (يطير) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾	٣٨

ذكر لفظ (تطيرنا) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	يس	﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١٨

ذكر لفظ (اطيرنا) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	النمل	﴿قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ قَالَ طَيَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾	٤٧

ذكر لفظ (يطيروا) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأعراف	﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحُسْنَىٰ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٣١

ذكر لفظ (الطير) (١١) مرة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	يوسف	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِّي أَخَصِرُ خَمْرًا وَكَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِنِّي أَخِيلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَزَّلْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	٣٦
٢	يوسف	﴿ يَصْنَعِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾	٤١
٣	النحل	﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	٧٩
٤	الأنبياء	﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾	٧٩
٥	النمل	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَابِعُهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾	١٦
٦	النمل	﴿ وَخَشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾	١٧
٧	النمل	﴿ وَتَقَعْدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاكِيسِ ﴾	٢٠
٨	سبأ	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَالُ آوِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾	١٠

م	السورة	الآية	رقمها
٩	ص	﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهِ أَوَابٌ﴾	١٩
١٠	الواقعة	﴿وَلَتَرِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ﴾	٢١
١١	الملك	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِرٌ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾	١٩

ذكر لفظ (طيرا) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الفيل	﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾	٣

ذكر لفظ (طائر) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نَعْلَمُ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾	٣٨

ذكر لفظ (طائركم) (٢) مرتين :

م	السورة	الآية	رقمها
١	النمل	﴿قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمْنُ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾	٤٧
٢	يس	﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِقُونَ﴾	١٩

ذكر لفظ (طائره) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الإسراء	﴿ وَكَلَّإِنْسِنَآلَزَمَتَهُ طَائِرُهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخِجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾	١٣

ذكر لفظ (طائرهم) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأعراف	﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)	١٣١

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٤٣٣، ٢٥٢) .

المبحث الثالث : النبات والحشر

ذكر الله سبحانه وتعالى الشجر مع الآيات الكونية .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج : ١٨] .

لمحة عن عالم النبات :

لقد عرف الإنسان زراعة النبات ومنافع الغذاء منذ القدم^(١) .

ومن المرجح أن يكون الإنسان مارس الزراعة منذ حوالي عشرة آلاف سنة^(٢) .

وذكر أهل التفسير أن (النبات) في القرآن على أربعة أوجه :

الوجه الأول : (الإخراج) ومنه قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ كَمْثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ [الآية : ٢٦١] .

الوجه الثاني : (التربية) ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [الآية : ٣٧] .

الوجه الثالث : (النبات بعينه) ومنه قوله تعالى في سورة المؤمنين :

﴿ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ ﴾ [الآية : ٢٠] .

الوجه الرابع : (الخلق) ومنه قوله تعالى في سورة نوح :

﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [الآية : ١٧] .

(١) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون (ص ٤٥) .

(٢) إعداد نخبة من أعضاء هيئة التدريس بكلية الزراعة ، قسم الإنتاج ، أسس الإنتاج النباتي (ص ٨) .

- وذكر أهل التفسير أن (الحرث) في القرآن على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : (الأرض المحروثة) ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ [الآية : ٧١] .

الوجه الثاني : (منبت الولد) ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿فَسَأْوَكُم حَرْثَ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِئْتُكُمْ﴾ [الآية : ٢٢٣] .

الوجه الثالث : (الثواب) ومنه قوله تعالى في سورة الشورى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [الآية : ٢٠] ^(١) .

بتطور العلوم أدرك الإنسان كثيرا من طبيعة وأسرار النباتات والكائنات الحية ، ولا زالت الأبحاث جارية في الكشف عن خصائص حياة النبات مثل حيوية الأجنة التي تحفظ بها حتى تتم حياتها بوجود الماء .

وأبحاث العلماء جارية أيضا في دراسة بيئة النبات وصفاته التشريحية والتكاثرية وحياة النبات فوق الأرض وتحتها ، وعناصر المواد التي يتغذى عليها ويتركب منها ثمره ، وبذلك الدراسات تتجلى بعض دلائل قدرة الله تعالى الذي خلق الشجر وأنبت الزرع .

(والنبات عالم قائم بذاته ، مازال العلماء يجتهدون في دراسته وفي كل يوم يقطعون في كشف خصائصه أشواطاً شاسعة . وقد قسم العلماء النبات إلى أقسام مختلفة بالنسبة لصفاتها التشريحية ، أو تناسلها ، أو بيئاتها .

وينبت النبات عموماً من بذرة تتوافر لها ظروف خاصة ، أهمها حيوية الأجنة فيها وتحافظ البذور على حيويتها لمدة طويلة تعتبر في ذاتها دليلاً

(١) ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص ٢٣٧)

على وجود الله ، فقد أمكن استنبات حبات قمح وجدت في قبور الفراعنة (في مصر) .

ويجب توافر الماء الضروري للإنبات والحرارة المناسبة ، فكل بذرة تنبت في درجة حرارة معينة ، والهواء ضروري للنبات ، فهو كائن حي يعيش ويحيا ويتنفس بل ويحس . وإذا استنبتت البذرة وخرج الجنين الحي مكونا جذيرا صغيرا بدأ يتغذى من الغذاء المدخر في البذرة حتى يستطيع عوده ، ويضرب في الأرض ليأكل منها ، شأنه في ذلك شأن الجنين في الإنسان والحيوان ، يتغذى من أمه وهو في بطنها ، ثم من لبنها ، ثم يستقل عنها ويعتمد على نفسه في غذائه عندما يستوي عوده ، فهل غير الله تعالى خلق في البذرة الحياة؟ وهل غير الله تعالى وهب الجذر قوة التعمق في الأرض وأخرج الساق وأنبت عليه الأوراق فالأزهار فالثمار؟ حياة معقدة دقيقة جليلة عاقلة رشيدة هدفها حفظ النوع (ولزيادة العدد) .. وامتداد الحياة ، فسبحان الحي القيوم الذي لا يموت^(١) .

جذور النبات :

(تختلف الجذور ، وهي أول أجزاء جهاز النبات الغذائي عن بعضها البعض اختلافا بينا بالنسبة لحاجات النبات ، لتتواءم مع إمكان حصول النبات على حاجته من الغذاء ، وأما التي لا يوجد لها جذور مناسبة فيكون لها ممصات للتغذية ، وما خلقت كل هذه إلا لتساعد على تغذية النبات وتهيئة حياته .. وللجذور فائدة هامة غير ذلك ألا وهي تثبيت النبات إذ يقع عليه أمر قيام النبات والاحتفاظ به . فلا يسقط أو يقع .. وتنمو الجذور وعليها الشعيرات الجذرية التي تمتص المحاليل الأرضية ، فتنتقل العصارة إلى أعلى بعمليات معقدة يعجز عن تركيبها أي معمل كيمياوي مهما أوتي من أجهزة وتجهيزات .. يتغذى النبات وينمو .. ولا بد لنموه من وجود الماء وثنائي أكسيد الكربون والأكسجين ، والأيدروجين

(١) عبد الرزاق نوفل ، الله والعلم الحديث ، عجائب الحياة في النبات (ص ٦٥) .

والأزوت ، والفوسفور والكبريت ، والبوتاسيوم والكالسيوم ، والمغنسيوم والحديد .

ومن العجيب أن كافة نباتات العالم تتغذى بهذه العناصر ، ومع ذلك ينبت في الأرض التفاح الحلو ، والحنظل المر ، والقطن الناعم ، والصبار الشائك ، والقمح والشعير ، والبرتقال والليمون .. عناصر واحدة وتربة واحدة ، وماء واحد ، وبذور تنامت في الصغر تخرج منها آلاف الأنواع ، وعديد الأشكال ، ومختلف الروائح والمذاق .. إن في ذلك لآية لأولي الألباب^(١) .

النبات يبخر الماء ويلطف الجو :

(تتجلى قدرة الخالق في عملية النتح ، والنتح عبارة عن تبخير الماء من النبات عن طريق الأوراق^(٢)، الأمر الذي يساعد على صعود العصارات من الأرض خلال الجذور .. وإذا ارتفعت درجة الحرارة ، وجف الجو ، واشتدت قوة الرياح ، زاد النتح .. ويعزى إليه تلطيف الجو في المناطق المعتدلة ، وسقوط الأمطار في المناطق الاستوائية ذات الغابات الغزيرة بالأشجار الضخمة .. وتتم عملية النتح بواسطة ثغور موجودة على الورقة ، ومن عجائب آيات الخالق في هذه العملية ، أن نرى اختلاف عدد الثغور في نبات عن نبات

(١) المرجع السابق (ص ٦٧) .

(٢) أي عن الثغور الموجودة في الأوراق ، وهذه الثغور بها فتحة لا تتعدى (٣) ميكرون - وهو جزء من الألف من المليمتر - وعلى الرغم من ذلك يمر فيها الماء إلى الخارج في عملية النتح ويدخل فيها ثاني أكسيد الكربون من الجو والماء من التربة لتتم عملية البناء الضوئي ، وفي أثناء ذلك يخرج منها ثاني أكسيد الكربون في عملية التنفس ، ولا يوجد أي تصادم أو أي عمليات تأثير فكل يسير بأمر العزيز القدير لأن الذي خلق النبات هو الواحد القهار .

د. أحمد محمد مجاهد وآخرون ، النبات العام (ص ١٤٥، ١٣٥، ٥٠، ١١٣، ٦) بتصرف .

بما يلائم بيئته ، فعدد ثغور النباتات الصحراوية أقل من نباتات الحقل^(١) ، مما يقلل النتح في الأولى عن الثانية ، والجهاز الثغري نفسه آية من آيات الله تعالى ، إذ يتكون من خليتين حارستين بينهما ثغر وهذه الخلايا الحارسة تحرس الثغر لتنظم عملية فتحه وإغلاقه تبعاً لحاجات النبات^(٢) .

بيئة النبات وخصائصه :

هيئ النبات بما يتلاءم مع بيئته تلاؤماً لا يمكن لغير الله تعالى أن يصنعه ، فكل نبات بيئته معروفة ، تختلف عن غيرها اختلافاً جوهرياً في كافة أجهزتها مما يدهش المتأمل في ملك الله تعالى .. وهذه النباتات خصائص تمكنها من الحصول على الماء فجذورها كبيرة الحجم نسبياً ، تتفرع في التربة وتعمق فيها إلى مسافات بعيدة ، لتسيطر على جزء كبير تمتص منه الماء ولها تراكيب خاصة بتخزين الماء لاستعماله وقت الشدة ، فقد تخزنه في أجزائها الأرضية كالأبصال والكورمات والدرنات ، أو في السوق الهوائية كما في التين الشوكي ، أو في الأوراق كما في الصبار .. فسبحان العليم القدير ..

ومن النبات ما هو متسلق ومنه ما يقتنص الحشرات ويمتص أجسامها^(٣) .

(١) وتوجد على السطح السفلي فقط ولها تجاويف ، والنباتات المغمورة في الماء لا يوجد عليها ثغور ،

أ. كمال إبراهيم ، المدخل الظاهري والتشريح للنبات ، المقدمة (ص ١٠) .

(٢) عبد الرزاق نوفل ، الله والعلم الحديث ، عجائب الحياة في النبات (ص ٦٤ - ٧٣) .

(٣) المرجع السابق (ص ٦٩ - ٧١) بتصرف .

من فوائد النبات ومنافعه :

- ١ - من النبات يصنع الإنسان طعامه وشرابه^(١) وكسائه ، مثل صناعة الملابس القطنية وغيرها .
- ٢ - استخدام الأطباء بعض النباتات والأعشاب^(٢) في تركيب كثير من العقاقير^(٣) الطبية^(٤) كدواء^(٥) للمرضى .
- ٣ - استخراج الزيوت المختلفة من النبات وثماره .
- ٤ - من ألياف النبات يصنع الورق والحبال والخيوط والأواني المنزلية وغير ذلك كثير .
- ٥ - يستفاد من خشب الأشجار الكبيرة في جميع أعمال النجارة والبناء ، ويستخدم حطب الأشجار وقوداً للنار ، (ومنه شجر المرخ والعفار إذا أخذ منها غصنان أخضران فحكَّ أحدهما بالآخر تباين من بينهما شرر النار)^(٦) .
- ٦ - من النبات صناعة الأصباغ المختلفة الألوان .

(١) مثل عصير الفاكهة وقصب السكر ومثل مشروب الشاهي والقهوة والمشروبات العطرية مثل النعناع والعطرة والحبق... الخ .

(٢) د. أمين ، التداوي بالأعشاب طريقة علمية تشمل الطب الحديث والقديم (ص ١٥) .

(٣) الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (ص ٤٠) .

(٤) د. عبد المعطي أمين قلنجي ، مقدمة تحقيق الطب النبوي لابن قيم الجوزية (ص ١٨، ١٢) .

(٥) ذكر : زكريا بن محمد القزويني في كتابه عجائب المخلوقات بعض فوائد النبات وخواصه ، وما ركب الله تعالى فيه من الأدوية (ص ٢٣٨) .

(٦) الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٤/ ٢٩٦) .

٧ - ترعى كثير من الدواب والطيور على الكلاً والعشب وحشائش النبات وثمره^(١).

٨ - صناعة الدهون العطرية (مثل دهن العود وبخوره) والروائح الجميلة من مختلف الأزهار والورود^(٢) التي لها رائحة عبقة ينشرح لها الصدر وتطيب النفس وتبعث فيها روح الأمل والفرحة .

قال ابن قيم الجوزية : (فصل في هديه ﷺ في حفظ الصحة بالطيب . لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح ، والروح مطية القوى ، والقوى تزداد بالطيب ، وهو ينفع الدماغ وسائر الأعضاء الباطنة ، ويفرح القلب ، ويسر النفس ، ويسيطر الروح ، وهو أصدق شيء للروح ، وأشدّه ملائمة لها ، وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة : كان أحد المحبوبين من الدنيا ، إلى أطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه .. وفي الطيب من الخاصية أن الملائكة تحبه ، والشياطين تنفر عنه . وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة الكريهة ، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة)^(٣) .

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور أهل العلم والإرادة (ص ٣٢) بتصرف .

(٢) د. سليمان بن صالح آل كمال ، نماذج عن الورد والطيب في الحضارة الإسلامية وصناعة ماء الورد الطائفي (في المملكة العربية السعودية) (ص ١٨) .

(٣) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، الطب النبوي (ص ٢٥٦-٢٥٧) .

بعض أوجه النظر والاعتبار في خلق النبات :

أولاً: الله سبحانه وتعالى الذي يهب الحياة للكائنات وهو الذي أنبت حب الزرع بالماء ، وأخرج الثمر من الشجر .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۖ يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقَ تُوَفُّوْنَ ۖ ﴾ [الأنعام : ٩٥] .

(... الله تعالى هو الذي يهيمن بقدرته على مصير الحبة الجافة ، والنواة الساكنة ، فيهب كليهما الحياة ، وتنشق كل منهما عن جنين بعد سكون فتراها وقد ارتفع ساقها ، واتجه جذرها إلى الأرض باحثاً عن عناصر الغذاء ، فإن للحبة نوى ، من داخل نوى ، من داخل نوى ، وأنه جميعاً ينفلق ، وفي فلقه تكمن فكرة الموت والحياة .. كما أن في الخلية فلقا وانقساماً بعد فلق الكروموسومات ، ولكن السر لم ينته عند هذا الحد ، لأننا عندما ننظر إلى الكروموسوم من خلال عدسات الميكروسكوب الضوئي^(١) ، فإننا لا نرى إلا الظاهر ، أما الباطن فلا يزال غامضاً أشد الغموض .

ويقرر العلم الحديث أن إخراج الحي من الميت يبدأ من حبة يابسة ميتة لا حركة فيها أمام النظر ، ثم تنفلق منها الحياة عند غرسها في التربة وتعهدها بالري ولذا كان إخراج الحي من الميت ، أي النبات النامي من هذه الحبة المفلوكة اليابسة ، يحتاج إلى الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والحركة المستقبلية تجاه الفعل (يخرج) .

وفي ذلك مثل من تلك المعجزات العلمية التي تحتاج إلى دراسة عميقة^(٢) .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۖ ﴾ (حصر المولى عز وجل النبت في هذه

(١) وكذلك الميكروسكوب الإلكتروني .

(٢) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص ١٤٢) .

الآية في قسمين فالذي ينبت من الحب هو الزرع والذي ينبت من النوى هو الشجر^(١) .
 ف(تأمل خلق الحب والنوى : وما أودع فيه من قوة وعجائب كالمودع في الماء الذي يخلق منه الحيوان ، وهو سر لا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه ، وما علم من ذلك يطول شرحه^(٢) .
 من الدلائل العلمية التي تلقي مزيدا من الضوء على حياة النبات وكيفية نباته بقوانين دقيقة وثابتة :

قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل : ٦٠] . (يبين الله سبحانه وتعالى للعباد أن من عظمته وقدرته إنزال الماء من السماء فينبت به الزرع وهذا الزرع يعطي الشجر ، والشجر يعطي الثمر ، وقد بين الله سبحانه وتعالى في الآية العظيمة إنه ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ ﴾ فعملية الإنبات هذه من

عظائم قدرة الله تعالى في الكون ، وقد ربطت الآية بين الماء والإنبات فالماء شرط ضروري وأساسي للإنبات ، وقد تظل البذرة أو الحبة في التربة سنوات عدة لا تنبت ولا تتحرك إلى أن ينزل عليها الماء فتبدأ العملية العجيبة ، عملية الإنبات التي قد يجريها الطفل بوضع البذور فوق القطن المبلل بالماء وهو لا يدري بأنه قام بعملية من أعقد العمليات وأعجبها ، إذا سقط الماء على البذرة أو الحبة تشربت الماء بفعل قوى التشرب ذات القوانين الرياضية الدقيقة ، هذه القوى وضعها الله سبحانه وتعالى في غلاف البذرة أو الحبة ، الله سبحانه الذي أحسن كل شئ خلقه زود هذه البذرة بثقب في مقدمة الحبة (نقير) ، هذا الثقب محاط بتركيب إسفنجي يتشرب الماء بسرعة ، فينفذ الماء من الثقب ويصل إلى الجنين ،

(١) عبد المنعم السيد عشري ، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم (ص ٨٧) .

(٢) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، الحكمة في مخلوقات الله (ص ١٢٩) .

هل هذا التركيب الإسفنجي خلق بالصدفة وبدون خالق؟ أو خلق بقوى لا تعقل؟ ولا تعي؟ ولا تفكر؟ ... وفور دخول الماء إلى البذرة أو الحبة تحدث تغيرات فيزيقية ، حيث تنتفخ الحبة في الحجم وتزداد ويتمزق الغلاف ، وفي نفس الوقت تحدث عمليات كيميائية كبيرة . بعد ذلك وأثناءه تبدأ عمليات حيوية رائعة ومثيرة ، انقسام خلوي كروموزومات تتكون ، ومغازل تنسج ، وجدر تبنى ، وحرارة تنبعث ، وحياة تدب وتكشف للأعضاء ، جذر يتجه إلى الأرض ، وساق يتجه إلى السماء في حماية عجيبة وتدبير دقيق .. المعلومات التي أودعها الله في تلك البذور والحبوب من شروط الإنبات ، وطريقة الإنبات ، ومتطلبات الإنبات ، ومواقيت خروج الجذير ، وشروط ظهوره ، ومراحل انقسامه ، واتجاه سريانه ، فيها نوع الغذاء المطلوب وتركيبه ومحللاته ومتطلباته ، وبها الريشة وشكلها واتجاهها ، وشكل الأوراق ولونها ، وحجم الشجرة الخارجي وتشريحها الداخلي ، ووظيفة كل عضو فيها ، ومتى تزهر الشجرة وما لون أزهارها ، ومتى تثمر وطعم ثمارها ، ومتى تسقط الأوراق وتنبت البراعم وكيفية مواجهة برودة الشتاء وهواء الخريف وشمس الربيع وحر الصيف ... وبلايين البلايين من العمليات التي لو كتبت فيها مجلدات ... ما انتهينا^(١) .

إنها قدرة الله تعالى التي تنبت النبات وإن جحدتها الكافرون .

قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ٦٣ ﴿ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۖ أََمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ ٦٤

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿ ٦٥ ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٥]

(١) د. نظمي خليل أبو العطا ، إعجاز النبات في القرآن الكريم (ص ٦١-٦٤) .

مقومات حياة النبات : التربة ، والماء ، والهواء ، والمناخ :

(مصدر العناصر الأساسية لنمو النبات هو التربة والهواء ، فمن أين جاءت التربة؟ وكيف تحتفظ بما تحتاج إليه النباتات من المواد الغذائية؟ وعلى ذلك فإن التربة تتكون من تأثير العوامل الجوية على الجزء الصلب من سطح الأرض بالإضافة إلى ما يعيش فيها من الكائنات الحية ومنتجاتها على طول الزمان ، ولكن كيف ومتى بدأت هذه العمليات؟ فلا يكفي أن يكون هناك ضوء ومواد كيميائية وماء وهواء لكي ينمو النبات ، إن هنالك قوة داخل البذرة تنبثق في الظروف المناسبة فتؤدي إلى قيام كثير من التفاعلات المتشابهة المعقدة والتي تعمل معا في توافق عجيب ، والبذرة التي بدأت من اتحاد خليتين مجهريتين تتألف كل منهما من عدد كبير من العناصر والعمليات ، تكون فردا جديدا يشق طريقه في الحياة ويكون مشابهاً للنبات الذي أنتجه ، بحيث لا تنتج حبة القمح إلا قمحا ولا بذرة البلوط إلا شجرة البلوط ، ورغم ما بين أنواع النبات من تشابه تجد لكل صفاته وخواصه المميزة ، والحق أنه النظام الرائع ، والجمال الذي ليس له مثل ولا حدود ، والتوافق الغريب ، كل هذا هو مجمل ما يراه الإنسان أينما اتجه في عالم النبات العجيب .

لقد نشأ كل شيء بقدرته سبحانه وتعالى ، وهو الذي قدر لكل شيء طريقه ثم هدى ، وكلما ازدادت دراسة وتعمقا في دراسة طبيعة التربة والنباتات ، ازداد إيماني بالله وسجدت له إعجابا وتقديسا^(١) .

(١) لستر جون زمрман ، الله يتجلى في عصر العلم . التربة والنباتات ، ترجمة الدكتور الدمرdash عبدالمجيد

ثانياً: التأمل في صنع الثمر ونوعه ، وشكله ولونه ، ورائحته وطعمه ، مع ملاحظة اختلاف شكل ورق الشجر ولونه وقد استطاب الإنسان ثمر الشجر واستظل بورقه عابر السبيل . كما يسهم ورق الشجر في تلطيف الجو .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر : ٢٧] .

(انظر كيف رتب الباري سبحانه الأشجار والثمار والأزهار وجعلها مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح . فأشكالها ما بين طويل وقصير ، وألوانها ما بين أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ، ثم كل لون منها مختلف إلى شديد وصاف ومتوسط وطعومها ما بين حلو وحامض ومز ومر ، وروائحها متنوعة إلى عطرates لذيزات مختلفات) ^(١) .

يدل عليه قول الله تعالى : ﴿ فِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُتَجَاوِرٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْتَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضٍ لِّبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٤] .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٢١] . وقد تحدث نعمت صدقي عن النبات ، بقول حسن وجميل ورائع .

(إذا تأمل الإنسان فيما يأكل من خضر وفواكه وثمار ، وفيما يشم شذاه ويمتع بصره ويزين بيته من أزهار ، وجد أن كل ذلك يخرج من تراب وماء وهواء وضياء ، فكيف تستطيع حبة أو نواه أن تكون نفسها ثمرة حلوة شهية ، وأن تتشكل زهرة بديعة ملونة زكية ، كيف تزينت وتنوعت في عدة أشكال وألوان بهية ، ومن أين أتت بهذه الروائح العطرية ، وقد خرجت من طين لا لون فيه ولا رائحة ولا طعم له ، كيف ارتفعت شجرة باسقة من نواه (الجنين) ، وكيف اختلف كل منها في شكله ولونه وورقه وثماره وهي من أرض واحدة وماء واحد؟؟

(١) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي ، الحكمة في مخلوقات الله (ص ١٣٠) .

إنه تعالى أراد برحمته ، أن يتمتع الإنسان بجزيل نعمته ، فأوجد له حاسة الذوق والسمع والبصر والشم ، ثم وهب له الفهم الذي يقدر به لذة كل شيء ، ليستمتع بما أنعم به تعالى عليه وأوجده له في الأرض .

إنه سبحانه خلق للإنسان خاصة أنواع الطعام المختلفة من خضر وفواكه ولحوم وتوابل ، وكل منها يتنوع رائحة وحلاوة ولذة ، وشكل له الكائنات في إبداع فزخرف ورقط وخطط كل ورقة في كل شجرة ، كما شكل ولون عطر كل زهرة ، وجمل ونوع طعم ورائحة كل ثمرة^(١) .

ثالثاً: الذكورة والأنوثة في خلق النبات .

قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْآيِلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد : ٣] .

قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس : ٣٦] .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

يقر العلم الحديث أن أزهار النباتات على اختلاف أنواعها تنقسم ثلاثة أقسام : أزهار مذكرة ، وأزهار مؤنثة ، وأزهار خنثى ، تجمع الناحيتين من عضو التذكير وعضو التأنيث معا ، ومن الأمثلة الموضحة لذلك النخيل فمنه نوع التذكير والتأنيث ، نوع مذكر وآخر مؤنث ، ونبات الذرة يحمل في وقت واحد أزهارا مذكرة وأخرى مؤنثة ، ونبات الفول له زهرة تجمع بين عضوي التأنيث والتذكير معا^(٢) .

(١) نعمت صدقي ، معجزة القرآن (ص ١٠٨-١٠٩) .

(٢) محمد إسماعيل إبراهيم ، القرآن وإعجازه العلمي (ص ١٢٥) .

ومن إعجاز القرآن الكريم أيضا الإعلان عن نظرية التلقيح والتزاوج بين الذكورة والأنوثة في الغرائس والنباتات كما هي سنة الحياة في البشر والحيوان والطيور . وإذا كانت الحياة في الإنسان تبدأ كجنين صغير تحتضنه الأم ، فالحياة في النبات تبدأ هي الأخرى كجنين صغير تحتضنه الحبة أو النواة ، وتخزن له من الغذاء ما يكفيه أثناء الإنبات والنمو ، وتبقى الأجنة هادئة حتى تضمها الأرض ، وتتهيأ لها الظروف المناسبة من حرارة وماء فينفلق الحب والنوى (البذرة) وينمو الجنين ، وإذا اكتمل نمو النبات ووصل به السن إلى البلوغ^(١) تفتحت أزهاره وأينعت ثماره .. والزهرة هي عضو النبات المنوط بالتكاثر ، ففيها أعضاء التذكير أو أعضاء التأنيث . وتحاط هذه بطبقتين من الأوراق الخارجية تمتاز الخارجية منها بأوراقها الخضراء ، وتتميز الداخلية بأوراقها التي كثيرا ما تكون ملونة أو ذات رائحة جذابة ، ورحيق حلو المذاق .. وتمتاز الأزهار التي تلقح بالهواء أن أعضاءها التناسلية معرضة للهواء^(٢) . (والحشرات تمثل دورا حيويا في عمليات نقل اللقاح)^(٣) .

والزوجية في المخلوق مظهر من دلائل القدرة والعظمة الإلهية ، لاستمرار الحياة وعمارة الكون ، وفي الزوجية مظهر للنقص والحاجة إلى الغير ، فسبحان الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد^(٤) .

(١) لعل الصواب في العبارة (ووصل به السن إلى مرحلة من النمو) .

(٢) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص ١٣٨-١٤٠) .

(٣) إلفانا مصطفى حمود ، موسوعة عالم النبات (ص ٦٤) .

(٤) د. داود سلمان السعدي ، أسرار الكون في القرآن (ص ٢٤١) بتصرف .

رابعاً: الله سبحانه وتعالى الذي وهب الحياة للكانات ، وقدرته ظاهرة في خلق الكون ونظامه ، فلا يعجز عن البعث بعد الموت من خلق أول مرة ، وفي خلق النبات وحطامه مثل مشاهد منظور، والموت متحقق لكل من النبات والإنسان ، وأصل الخلق فيهما من التراب .

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِمَبَلُغُوا أَشْدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج : ٥-٧] .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُبْسِطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَجَعَلَهُ كِسْفًا فَرَى الْأَوْدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ إِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٩﴾ فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُخَيِّ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم : ٤٨-٥٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُسْقِنُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر : ٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُعَيِّ الْعَظَمُ وَهِيَ رَوِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ [يس : ٧٨-٨٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ءَايَاتِهِ أَنَّا نَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخَيِّ الْمَوْتِ إِنََّّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت : ٣٩] .

موضوع (البعث بعد الموت) من أهم موضوعات القرآن الكريم ، ومن مقاصد السور المكية^(١) ومناسبة ذكرها هنا ذكر البعث هنا أن الله سبحانه وتعالى ضرب المثل (بقياس التمثيل) لقدرته على الإحياء والإماتة بظاهرة حياة النبات من الأرض ثم موته ، وذلك يفضح جدال المشركين في الوجدانية بأنهم لا يستندون إلى علم وأنهم يعرضون عن الحجة ليضلوا الناس ، وأنهم يرتابون في البعث وهو ثابت لا ريب فيه^(٢) .

التراب منشأ الخلق للإنسان والنبات ، وهو الله سبحانه وتعالى الحي القيوم الذي وهب روح الحياة للكائنات وسخر لها أسبابها من الهواء ، والماء ، والغذاء ، والنار ، وكذلك سخر لهم الشمس .

فتدبر (وتأمل الحكمة البديعة في تيسيره سبحانه على عباده ما هم أحوج إليه وتوسيعه وبذله ، فكلما كانوا أحوج إليه كان أكثر وأوسع ، وكلما استغنوا عنه كان أقل ، وإذا توسطت الحاجة توسط وجوده ، فلم يكن بالعام ولا بالنادر على مراتب الحاجات وتفاوتها .

فاعتبر هذا بالأصول الأربعة ، التراب والماء والهواء والنار ، وتأمل سعة خلق الله تعالى منها وكثرته ، فتأمل سعة الهواء وعمومه ووجوده بكل مكان ، لأن الحيوان المخلوق في البر لا يمكنه الحياة إلا به ، فهو معه أينما كان وحيث كان ،

(١) ذكرت مقاصد السور المكية في ص ٩٧ .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٧ / ١٨٤) .

لأنه لا يستغني عنه لحظة واحدة ، ولولا كثرته وسعته وامتداده في أقطار العالم لاختنق العالم من الدخان^(١) والبخار^(٢) المتصاعد المنعقد .

فتأمل حكمة ربك في أن سخر له الرياح ، فإذا تصاعد إلى الجو أحالته سحباً أو ضباباً فأذهبت عن العالم شره وأذاه .

فسل الجاحد : من الذي دبر هذا التدبير وقدر هذا التقدير؟

وهل يقدر أهل العالم كلهم لو اجتمعوا أن يحيلوا ذلك ويقلبوه سحباً أو ضباباً أو يذهبوه عن الناس ويكشفوه عنهم؟ ولو شاء ربه تعالى لحبس عنه الرياح فاختنق^(٣) على وجه الأرض فأهلك ما عليها من الحيوان والناس^(٤) .

وقد قال الله سبحانه في حق المنكرين للبعث : ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا

أَيُّنَا لَنَجْعُوْنَ ﴿٤٧﴾ أَوَّابًاؤُنَا أَلَاوَلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلِ إِنَّا أَلَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمِ

مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ . [الواقعة : ٤٧ - ٥٠]

(١) يشير إلى بعض منافع الهواء وهبوب الرياح .

(٢) توحد نسبة (ما) من بخار الماء في الهواء ، تقوم به الحياة . وتحدث الدكتور عبد العليم خضر عن عناصر تركيب الغلاف الجوي وذكر بخاء الماء) ... علاوة على بخار الماء(.. وكما ازداد الارتفاع فوق سطح الأرض كلما تضاعف حجم الغلاف الجوي حتى ارتفاع (١٠٠ ك.م) . كما وضع بالشكل طبقات الغلاف الجوي وفيها يتناقص حجم الهواء الجوي كلما ارتفعنا إلى أعلى) .

د. عبد العليم خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم (ص ٥٣٤ - ٥٣٥) .

(٣) في قوله هذا إشارة إلى دور الأكسجين في الحياة وكذلك الغازات الأخرى الموجودة في الهواء .

(٤) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة (٩٤ / ٢) .

وقول الله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ

نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدْ زَارَيْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتُ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ آمَنَّاكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْجَاجًا ﴿٧٠﴾ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧١﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧٢﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٣﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٤﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٥﴾ . [الواقعة : ٥٧-٧٤]

من الملاحظ في تلك الآيات ، وحدة ترابطها في الاستدلال على وحدانية الخالق ،

حيث أشار إلى ما يلزم للحياة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

[الأنبياء : ٣٠] .

وقول النبي ﷺ : « كل شيء خلق من ماء » ^(١) .

ويرى الدكتور محمد عروة وجها من الإعجاز من حيث أن الأكسجين سبب لروح الحياة ووجود النار ، والله سبحانه وتعالى الذي خلق من الشجر الأخضر مصدرا للطاقة والغذاء ، ومن شأنه الخلق والحياة والبعث بعد الموت والبيان والتفصيل بما يأتي :

(١) سبق تخريج الحديث ص ١٤٩ .

(أ) حكمة الاستدلال بظاهرة النار :

قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ .

[الواقعة : ٧١-٧٢]

(من الإعجاز العلمي أن القرآن الكريم يستشهد بظاهرة النار لإثبات حقيقة البعث، وفي التعرض الأخير لوجود الإعجاز حاولنا أن نستكشف سر الاستدلال بظاهرة النار خاصة .. إن المقارنة بين نشأة الإنسان الذي نفخ فيه الروح ونشأة الشجر الأخضر الذي شحن فيه طاقة النار تبين لنا حكمة بديعة في الاستدلال بها ، وذلك ما نلاحظه في :

١ - التشابه الخلفي .

٢ - والتكامل الحياتي .

٣ - والتناسب الاستدلالي .

(أ) التشابه الخلفي :

يظهر في الطبائع التالية :

أ - تتركب المادة العضوية في النبات والحيوان والإنسان من نفس العناصر الأرضية ، وهي المعادن والماء والهواء وتضاف إليها الطاقة الحرارية .

أهم تلك العناصر :

كربون ، فسفور ، مغنيزيوم ، هيدروجين ، كبريت ، صوديوم ، أكسجين ، كالسيوم ، حديد ، أزوت ، بوتاسيوم ، منجنيز ، كوبالت ، نحاس ، زنك .

كل هذه العناصر توجد في المواد العضوية بكميات مختلفة ، وتكسب أدوارا خاصة في التراكيب والتفاعلات الحياتية .

ب - النبات والحيوان والإنسان يشتركون في الطبائع والوظائف الحياتية مثل التنفس والتغذية والتناسل والنمو والموت ونظام الخلايا والبروتينات النووية .

ج - ظواهر النشوء والنمو والموت تتشابه في النبات وفي الإنسان ، فبينما الحياة تبدو كتجمع تركيبى وظيفي للعناصر الأرضية النارية ، يظهر الموت كتحلل بطئ أو سريع للمادة العضوية وعودة إلى الأصول الأرضية .

د - القدرة الحياتية التي تؤلف بين العناصر المكونة للكائن الحي وتدبر نشأته وتطوره وتناسله بدءا من النشأة الأولى وتواصلها من الحب والنوى ، والنطف الحيوانية هي قدرة خفية لا تشاهد ولا توزن بالمعايير الموضوعية ، وإنما تتجلى للعقل وهذه القدرة هي واجبة الوجود سواء اعتبرنا في الشجرة الخضراء المشحونة بالطاقة الحرارية أو في الجسم الإنساني الذي نفخ الله فيه الروح وأحياه^(١) .

و(غاز الأكسجين الذي يدخل في تركيب الهواء بنسبة ٢١٪ عامل أساسي وضروري في كل احتراق وفي توليد النار ، والشجر الأخضر من خلال مادة الكلوروفيل (أو اليخضور) التي تعطي اللون الأخضر للنبات هو الذي يولد الأكسجين في الهواء بواسطة عملية التمثيل اليخضوري ويجدده ، فالشجر الأخضر يأخذ خلال النهار من الهواء ثاني أكسيد الكربون ويحلله إلى العناصر المكونة منها الأكسجين الذي يطرحه خارجا ، والكربون الذي يحتفظ به في داخله لتكوين أنسجته ، وعملية التنفس هذه عند النبات ،

(١) د. أحمد عروة ، أفرأيت النار التي تورون (ص ٣٣-٣٧) بتصرف .

لم يعرفها العلم إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، والحيوان ، خلافا للنبات يأخذ من الهواء خلال عملية التنفس غاز الأكسجين وهو عنصر ضروري في كل عمليات الاحتراق الكيميائية التي تحصل داخل الخلايا الحيوانية ، ولولا النبات الأخضر لما أمكن للحياة أن تظهر في كوكب الأرض ، فأولى مظاهر الحياة فيها كانت بظهور الطحالب الخضراء في الماء منذ ثلاثة مليارات سنة ونيف ، وهذا أول معنى علمي لقوله تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْقِدُونَ ﴾ [يس : ٨٠] ، ومفتاح فهم الآية يكمن في كلمة (الأخضر) .

وبالإضافة إلى دور (الشجر الأخضر) في توليد الأكسجين وتجديده ، ولا إحتراق بدونه فإن فحم الكربون أي الفحم الحجري ، منشؤه الشجر الأخضر الذي دفنته في داخل الأرض العوامل الطبيعية ، فتحول خلال ملايين السنين إلى أهم مورد للطاقة الحرارية في الأرض ، إذ يقدر مخزونها منه ثمانية آلاف مليار طن ، كما أن الأحياء النباتية والحيوانية هي التي كونت البترول خلال ملايين السنين في داخل الأرض وتحت الماء حسب ما يعتقد علماء الجيولوجيا والكيمياء العضوية ، ومخزون الأرض من البترول يقدر بحوالي ألفي مليار طن تقريبا ، وأن الغاز الطبيعي مصدره على الأرجح النبات الأخضر ، ومخزون الأرض منه يصل إلى ستين مليار متر مكعب تقريبا ، على ضوء هذا الشرح المبسط لبعض مصادر الاحتراق الأساسية ومنشؤها الشجر الأخضر ، نفهم البعد العلمي في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُؤْرَقُونَ (٧٦) ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٦-٧٧] ^(١) .

(١) د. عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية (ص ١٤٥-١٤٦) .

(ب) النبات مصدر للطاقة والغذاء :

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ [يس : ٨٠] .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ [الواقعة : ٧١-٧٢] .

الله سبحانه وتعالى الذي وهب الحياة للكائنات وهياً لها مقومات حياتها الأساسية وهي : الهواء ^(١) ، والماء ، والغذاء ، والنار ، وتسخير الشمس كذلك وهذه عناصر الطاقة التي تقوم بها الحياة ، والنبات مصدر للحياة والطاقة ، والأكسجين سبب للحياة ، وحول ما يتعلق بهذا الموضوع يرى الدكتور محمد عروة وجها من الإعجاز .

ومن المناسبات الإعجازية أن القرآن الكريم يشير لتلك الطاقة الحرارية نفسها ، كما نجدها في ظاهرة النار المخترنة في الأوراق الخضراء من النبات .

نعم ظاهرة النار المستخرجة للحياة ، ذلك ما تبينه المشاهدة البسيطة ، وذلك ما يشته البحث العلمي في النبات الأخضر الناشئ الذي يحمل في خلاياه الدقيقة أجهزة عضوية تستجلب الطاقة بالمقدار الموزون لتحويلها وتخزينها في الأوراق والفروع والفواكه لتصنع بها من عناصر الأرض الترابية والهوائية والمائية سكرًا ودهنًا ووقودًا .

وهكذا يتبين في هذه الظاهرة التي تعجز العقل فيما تبديه من نظام خلقي وتركيب ، ومن تحكم في الطاقات الكونية ومن حكمة في الغاية الحياتية أن جدلية الطبيعة الحية لا تستغني عن الخالق المدبر الحكيم ، بل تدل على وجوده ووحدانيته وعلمه وحكمته .. والإعجاز العلمي ظاهر في خلق الشجر الأخضر حيث وظيفته في تخزين الطاقة النارية التي تكمن في أشعة الضوء الشمسية ، وذلك ما يظهر في عملية التركيب الضوئي التي تنطبق

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، تفسير سورة آل عمران : آية ١٤

عليها الآية الكريمة ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ .

قبل أن نشرع في شرح تلك الظاهرة نشير إلى أن كلمة الشجر لا تقتصر على ذات الساق الصلب ، وإنما تشمل كل أنواع النبات .

التخليق أو التركيب الضوئي :

من طبيعة الكائنات النباتية سواء كانت صغيرة (ذات الخلية الواحدة) أو كبيرة أنها تقبس من أشعة الضوء الشمسية لتمسك بها عناصر الأرض الترابية والمائية والهوائية ، وتؤلف بينها ، وتصنع منها المركبات العضوية ومنها السكريات (هيدرات الكربون) والدهنيات (الزيوت النباتية) والبروتينات .

تتم عملية التركيب الضوئي على مراحل تكوينية عديدة ومعقدة .تتلخص في عمليتين أساسيتين :

أ - تحليل جزيئ الماء بفصل الهيدروجين عن الأكسجين ، وبذلك تتحرر الطاقة الحرارية التي تحملها ذرة الهيدروجين .

ب - تركيب الجزئيات العضوية .

وحصيلة العملية هي أن المادة العضوية المركبة قد تختلف حسب نسبة ونوعية المكونات الأساسية والإضافية ، وأن تلك المركبات قابلة بدورها للتحليل المدرج والاحتراق .

وذلك يرجع بالمكونات إلى أصلها حسب المفاعلة :

عملية التركيب الضوئي تقع داخل جهاز خاص في الخلايا النباتية يشتمل على حجيرات تتكون فيها مادة اليخضور ، وهي مادة تعطي (طاقة كيميائية) للنبات بسبب لونه الأخضر ، وتقوم بعملية التقاط الأشعة الضوئية وتحويلها وتخزينها وتصديرها لكي تستخدم في صنع المركبات العضوية المختلفة كالسكريات والنشا والسليلوز والخطب .

تصنع تلك المادة العضوية النباتية من الماء والهواء والمعادن الأرضية والطاقة الحرارية المنبعثة من الشمس ، وأهم الأشياء التي تحتوي على تلك المادة هي :

١ - العشب : وأغلبه متكون من السليلوز ، وحينما يأكله الحيوان يتحول في عمليات الهضم إلى سكريات يحرقها الجسم ، ويستخرج منها الطاقة الحرارية .

٢ - الفواكه والحبوب : تحتوي في أغلبها على سكريات ودهنيات وبروتينات تهضم مباشرة، وتحول كيماويا إلى جلوكوز وهو الوقود الحيوي الذي تستخرج منه الطاقة الحرارية داخل الجسم .

٣- الخطب : وهو مادة عضوية فقدت رطوبتها وبقيت مشحونة بالطاقة النارية يستخرج منها الوقود إما مباشرة في الاحتراق وإما بصفة تدريجية كما يحدث في عملية التخمر التي تحول النبات إلى فحم وبترول وغاز .. ويتمثل ذلك في شمولية المحتوى لمعنى الآية ، وذلك أن الطاقة النارية التي تشير إليها الآية ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ [الواقعة : ٧١] لا تقتصر على النار الموقدة من الخطب، وإنما تمتد إلى جميع أنواع المحروقات التي يرجع منشؤها إلى النبات وهو الشجر الذي تعنيه الآية الكريمة ومن بينها :

١ - الخطب الجاف . ٣ - الزيت النباتي والحيواني

٢ - البترول ومشتقاته ٤ - الغاز الطبيعي

كل هذه الأنواع من المحروقات يرجع أصلها إلى المادة العضوية النباتية ، وتختلف حسب الكيفيات والظروف التي وقعت فيها تحولاتها التركيبية والانحلالية .

تتكون تلك المحروقات عادة بعملية تخميرية جزئية تحدثها البكتريات الأرضية في ظروف تحميها من تأثير الهواء والأكسجين ، فتفقد بعض الغازات وبعض الماء فتتكثف المادة الكربونية ، وتمتد تلك الشمولية إلى كل أنواع الطاقات الضوئية والكهربائية^(١) ، والكيميائية والحرارية والآلية والتي يرجع أصلها إلى تخزين الطاقة الشمسية في الشجر الأخضر^(٢) .

وحول دور النبات وقيامه بأعقد العمليات لتصنيع غذاء الإنسان يقول عبد الرزاق نوفل :
(من آيات الله تكوين الغذاء في النبات ، وتعرف هذه العملية بالتمثيل الكربوني ، يدخل ثاني أكسيد الكربون من الجو إلى النبات عن طريق الثغور ، فيقابل المادة الخضراء والماء ، وتتكون من الكربون مواد الغذاء بفعل الحرارة والضوء أما طريقة تكوين هذه المواد من غاز ثاني أكسيد الكربون ، فهي عملية كيميائية معقدة لم يقل العلم عنها إلا أن وجود المادة الخضراء والماء والحرارة، ينتج عنها تغيرات تنتهي بتكوين المواد الغذائية ، ولا يتم إلا في الضوء ، ولذا فهي تسمى أيضا (بالتمثيل الضوئي) .

ويقرر العلم أن هذه العملية هي أصعب وأعجب عملية تقوم وتتوقف عليها حياة الكائنات ولا يمكن لأي تركيبات أو أجهزة أن تقوم بمثل ما تقوم به ورقة خضراء في أي نبات . إنها قدرة الله تعالى الخالق سبحانه وتعالى جل ذكره .

(١) لعل المعنى : وقود الآلة من البترول الذي يولد الكهرباء .

(٢) د. أحمد عروة ، أفرأيت النار التي تورون (ص ١٣- ٢٢) .

- و اكتشف في عام ١٧٧٩م أن النبات يتنفس ، فيأخذ الأكسجين ويطرد ثاني أكسيد الكربون ، مثله في ذلك مثل الإنسان والحيوان ، ويصحب تنفس النبات ارتفاع في درجة الحرارة ، ويتم التنفس في الليل والنهار ، إلا أنه في النهار لا تظهر نتيجة التنفس واضحة بالنسبة لعملية التمثيل الكربوني التي يجريها النبات بسرعة أكثر من عملية التنفس ، فيخرج الأكسجين ويمتص ثاني أكسيد الكربون ، لذلك قد عرف بأن ارتياد الحدائق يكون نهاراً ، ولا يحسن ارتيادها ليلاً حيث يتنفس النبات ، ولا يوجد تمثيل كربوني ، وبذلك ينطلق ثاني أكسيد الكربون ويأخذ النبات الأكسجين ، وقد دلت الأبحاث ، على أن عملية التمثيل الكربوني ، كانت كفيلاً وحدها باستهلاك ثاني أكسيد الكربون الموجود في العالم ، لو أن الأمر قد اقتصر عليها ، ولكن العليم الخبير قدر ذلك فجعل الكائنات الحية الأخرى تخرج في تنفسها ثاني أكسيد الكربون ، كما أن الأجسام الميتة في تحليلها تخرج ثاني أكسيد الكربون وكذلك بعض التفاعلات الأخرى .

ولم يترك أمر استهلاك ثاني أكسيد الكربون وانتاجه على غاربه ، فقد قضت حكمة الخالق، أن تكون نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو دائماً ، من ثلاثة إلى أربعة أجزاء في كل عشرة آلاف جزء هواء ، وأن هذه النسبة ينبغي أن تكون ثابتة على الدوام لعمار العالم ، فلم يحدث قط مهما اختلفت عمليات الاستهلاك وعمليات الإنتاج ، أن اختلفت هذه النسبة ، فهل وجد كل هذا مصادفة دون تقدير أو تدبير؟^(١)

(١) عبد الرزاق نوفل ، الله والعلم الحديث (ص ٦٨-٦٩) .

ويقول آخر حول خضرة النبات وصنعه للغذاء سر (اللون الأخضر) :

(الإعجاز العلمي الذي يجهله الكثير من الناس في تلك الآية ، أن النباتات الخضراء تستطيع أن تقتص أو تمتص أشعة الشمس ، وتستغلها في أهم عملية بناء في الحياة ، وبتقدم هذه النباتات الخضراء في العمر ، تقتنص المزيد من أشعة الشمس وتخزنه في أجسامها على هيئة طاقة مصنعة ومحفوظة في صور شتى .. إما على هيئة سكريات كقصب السكر والبنجر... الخ أو على هيئة نشويات كدرنات البطاطا وغيرها .. أو على هيئة أنسجة سيليلوزية كالقطن والكتان .. أو تراص بجوار بعضها في جذع الشجرة وفروعها ، بعد أن تتحد بمادة اللجن ، فتكون طبقات خشبية تراكم فوق بعضها البعض ، حتى إذا ما احتاج إليها الإنسان في الطهي أو في الصناعة أو غير ذلك من الاستعمالات المختلفة أشعل بعض هذه الأفرع من النباتات أو الأشجار ، فتتطلق الطاقة المخزنة أو الكامنة التي اقتنصتها النباتات الخضراء ، واختزنتها حين الحاجة إليها^(١) .

ومزيداً من الإيضاح والبيان حول عملية التمثيل الضوئي ، ودور النبات في إعطاء الطاقة التي تكمن فيها الحياة ، وكذلك ثمر النبات من دلائل قدرة الخالق الذي أنقن صنع كل شئ .

(١) محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص ١٤٣-١٤٤) .

حيث يقول الدكتور منصور حسب النبي :

اليخضور : هو الترجمة العربية لمادة الكوروفيل الموجودة بالنبات الأخضر... وهذه المادة تلعب دورا هاما في دورة الحياة والموت ، ... كما سنشرح في البند القادم :

التمثيل الضوئي (الكوروفيلي) والتي تبدو بسيطة ظاهريا ، فعندما تشرق الشمس على الأوراق الخضراء المحتوية على مادة الكلوروفيلي يتم اتحاد ثاني أكسيد الكربون (الذي يدخل من الجو إلى مسام " أي ثغور " هذه الأوراق) مع الماء (الذي دخل إليها عبر الجذر والساق من التربة) لينتج الكربوهيدرات في الأوراق الخضراء ليغذي النبات نفسه ويمد الحيوان والإنسان بالمرعى والمواد الغذائية اللازمة لحياة الجميع ، إنها حقا عملية كيميائية مذهلة تتم في كل نبات أخضر ، بل عملية سحرية لم يستطع العلماء إتمامها في المعمل ، ولكن إرادة الله تعالى شاءت أن تتم في النبات لتلعب دورا خطيرا في لغز الحياة والموت ، بل وتوازن الغلاف الجوي ، وتنقيته حيث يمتص النبات ثاني أكسيد الكربون السام في هذه العملية ويخرج بدلا منه الأكسجين المنعش كما في المعادلة التالية :

ثاني أكسيد الكربون + ماء - كربوهيدرات + أكسجين

وسبحان الله تعالى ! يلعب اليخضور و طاقة الشمس (الضوء) دورا هاما في صنع الغذاء وتنقية الجو من الغاز السام وتعويض الفاقد من الأكسجين المستهلك في التنفس أو الاحتراق والذي بدونه تنتهي الحياة بعد خمس دقائق ، بينما تعتمد حياة النبات الأخضر على الغاز السام (ثاني أكسيد الكربون) الموجود بنسبة ضئيلة في الجو ، ليصنع منه سكر أو سليولوزا ومواد كيميائية عديدة وفواكه وأزهارا في هذه العملية التي نطلق عليها التمثيل الضوئي أو الكلوروفيلي (الخضروي) .

وهكذا نجد جميع النباتات الخضراء في الغابات والأعشاب والطحالب تبني تكوينها أساسا من الكربون والماء ، وتلفظ الأكسجين بينما تلفظ الحيوانات في تنفسها ثاني أكسيد الكربون في عملية الزفير وكأنها اتفاقية بين النبات والحيوان ، ولو كانت هذه المقايضة غير قائمة فإن الحياة الحيوانية أو النباتية كانت بالتأكيد تستنفد كل الأكسجين أو ثاني أكسيد الكربون في جو الأرض ، ومتى انقلب التوازن ذبل النبات أو مات الإنسان ، (فصناعة النبات) الغذاء لنفسه ولغيره من الكائنات وليست هذه مصادفة أن يتم التوازن في نسبة الغازات في الجو لتبقى الأرض دائما صالحة للحياة بفضل الماء والشمس واليخضور ، حقا إن هذه العملية قصد إلهي هيا كوكب الأرض للحياة، إنه نظام ولا بد للنظام من منظم .

ثم ينوه بأهمية مادة اليخضور التي يشير إليها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٩] .

ثم يأتي بعد ذلك دور اليخضور في قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ أي يبدأ ظهور اليخضور من بعض النباتات فيظهر سر الحياة على الأرض ، ويتسارع بذلك نمو النبات فيما يسمى بالطور الخضري حيث يأخذ النبات الماء وثاني أكسيد الكربون والضوء ليعطي بواسطة اليخضور (الكلوروفيل) نباتا كاملا فتكشف براعم الأزهار وتخرج النورات التي تعطي الحبوب المتراكمة وبهذا الترتيب تصف الآية المراحل العلمية الصحيحة لنمو النبات وهي :

الإنبات - الاخضرار - الإزهار - الإثمار .

ثم ركز على بيان عملية النبات العلمية :

اليخضور ودوره في الحياة :

(الحياة من وجهة النظر الكيميائية الخاصة بتركيب الكائنات الحية ما هي إلا جزء من دورة مستمرة لستة عناصر مادية رئيسية : هي الكربون والأيدروجين والأكسجين والنيتروجين والفوسفور والكبريت ، تدور عبر الماء والتراب والهواء ، على شكل جزيئات عضوية معقدة ومتبادلة بين الأحياء والأموات ، وهذه الدورة يقوم بها النبات الأخضر الذي يصنع الغذاء لجميع الكائنات الحية ، ويمد الهواء النبات بالأكسجين اللازم لحياته كما ذكرنا ثم يتحول مع عوائله (أي مع المستفيدين منه من عالم الحيوان) في ظروف خاصة بالوفاة إلى فحم وزيت في باطن الأرض كما يلي :

من المعروف أن الحيوانات عوائل لا تستطيع صنع غذائها بنفسها ، ولكنها تعتمد على النبات الأخضر في صنع الغذاء في عملية التمثيل الضوئي ، كما أن الحيوانات المفترسة تأكل الحيوانات الأخرى المعتمدة على النبات في غذائها ، والتمثيل الضوئي يصنع الكربوهيدرات كالسكر والنشا في النبات الأخضر لتوليد الطاقة اللازمة لنشاط الحيوان والإنسان ، وبهذا فالنبات مرعى شامل جامع لهذه الأحياء لأنه يقوم أيضا بصنع البروتين عندما يمتص النيتروجين (من الهواء الجوي أو من الأسمدة) ليتحد مع الكربوهيدرات لإنتاج الأحماض الأمينية التي تتحد بدورها بالكبريت والفوسفور لصنع البروتين النباتي الذي يتكون منه البروتوبلازم في خلايا النبات وجميع أجسام الكائنات الحية الأخرى في باطن الأرض ويحدث لها تحلل جزئي فينتج الفحم من الخشب ، والزيت من انحلال النباتات والحيوانات لتصبح غثاء أحوى أي يابساً أسوداً بالياً ميتاً مدفوناً تحت سطح الأرض ، ويتم استخراجها جميعاً ، وقد أصبحت سوداء كالقطران والزفت ، ليتم تكريرها كمصدر أساسي للنار حيث يحترق هذا الوقود العضوي ليتحول إلى ثاني أكسيد الكربون يعود مرة أخرى للجو ليشترك في دورة الحياة عن طريق التمثيل الضوئي في الشجر الأخضر وغيره ...^(١) .

(١) إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء ، إشراف د. منصور

بهجة النفس باللون الأخضر :

جمال خضرة النبات بهجة للنفس وفرح لها وسرور وطمأنينة.

الله قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج : ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَنْ خَلَقَ السَّكُونِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُثْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴾ [النمل : ٦٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝١٠ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [ق : ٧-١١] .

فانظر ما أودع الباري سبحانه فيها من السر عند النظر إليها :

فإنها تجلي عن القلوب درنها^(١) عند مشاهدتها وتنشرح الصدور برؤيتها، وتتعش النفوس لرونقها وبهجتها، وأودع الله تعالى فيها منافع لا تحصى مختلفة التأثير، فمنها ما تقوى به القلوب، ومنها أغذية تحفظ الحياة، وجعلها مطعومة لذيذة عند تناولها، وخلق فيها بذوراً لحفظ نوعها عند جفافها وانفصال وقت نضارتها...^(٢)

و.. يعرف اليخضور (الكلوروفيل) بأنه تلك المادة التي تصبغ أوراق النبات بلونها الأخضر الزاهي والداكن المحبب إلى العين والنفس ، والمعروف عند الأخصائيين بأمراض

(١) الدرن الوسخ (معجم الصحاح للجوهري) ٣١١ / ٥ .

(٢) الغزالي : أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي الحكمة في مخلوقات الله تعالى ص ١٣٠-١٣١

العيون أن اللون الأخضر هو خير الألوان وألطفها في العين ، إذ تتقبله الطبقة الشبكية الفارشة لباطن العين ، فتهدل له الأعصاب العينية الحساسة وتستريح العضلات المقبضة ، كما أن علماء النفس يؤكدون أن اللون الأخضر يشيع الدعة والطمأنينة في النفوس القلقة الحساسة الكئيبة ، لذلك ينصحون لكل إنسان ران عليه الأسى وشابت حياته الغيوم أو استبدت بنفسه الهموم ، أن يتخلص من ربقة المدينة وقيودها ويرتمي في أحضان الطبيعة (الريف) يجلو ناظريه بمرأى المروج الخضر ، ويفعم شمه بعبيرها وأرج أزهارها .. وتصطبغ حجيرات أوراق النباتات باللون الأخضر تبعاً لتفاعلات كيميائية وحيوية ، يكون لأشعة الشمس أكبر الأثر في حدوثها وتكوينها ، ويعرف كل من ضرب بقسط ضئيل من العلم والمعرفة ، أن اليخضور هذا هو سبب حياة الحيوان والإنسان ، كما أنه باعث الحياة في النباتات نفسها ، ومن خصائص هذه المادة أنها تطهر الهواء وتنقيه من شوائبه السامة .. فهو يمتص غاز الفحم المنتشر على سطح الأرض لينشره بعد تفاعلات كيميائية وحيوية ، أكسجيناً نقياً يدخل الرئات التنفسية فيهبها الحياة والعافية . ولهذا ينصح الأطباء لمرضاهم عادة بانتجاع الريف والمناطق التي يكثُر فيها الاخضرار لأن الهواء يكون فيها أكثر نقاء من غيرها ^(١) .

خامساً: دراسة مراحل تكوين النبات وزمن زراعته وتركيب عناصره وغير ذلك :

مجاله كليات الزراعة في العالم . ويجب على علماء الأمة الإسلامية البحث والنظر في تلك الدراسات المتعلقة بعلم النبات فهي طريق لتعميق الإيمان وزيادته في قلوب المؤمنين من واقع مشاهد ومحسوس في جميع مظاهر الكون ومقومات الحياة .

ومن دلائل القدرة في الصنع التي كشف عنها العلم الحديث أن عناصر تركيب ثمر

(١) د. صبري القباني ، طبيبك معك (ص ٤٦٦) .

النبات (نظام موزون مقدر) من النشويات والسكريات والبروتينات والدهون والفيتامينات والأملاح المعدنية ونسبة الماء كذلك .

وسأعرض أقوال المفسرين في قوله تعالى ﴿مَوْزُونٍ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ .

[الحجر : ١٩]

(١) قول القاسمي :

في تفسير ﴿مَوْزُونٍ﴾ أي وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه، لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان .

أو بمعنى مستحسن متناسب^(١) .

(٢) قول المراغي :

لفت النظر إلى العناصر التي يتركب منها النبات بمقادير دقيقة ، حيث يقول : ﴿مَوْزُونٍ﴾ أي بمقدار معين تقتضيه الحكمة والمصلحة .. وهناك عنصر البوتاس تراه يدخل في حب الذرة الذي نأكله بمقدار ٣٢٪ ، وفي القصب ٣٤.٣٪ ، وفي البرسيم بمقدار ٣٤.٦٪ ، وفي البطاطس بمقدار ٦١.٥٪ ، وبهذا التفاوت صلح القصب لأن يكون سكرًا ، والبرسيم لأن يكون قوتًا للبهائم والذرة والبطاطس لأن تكون قوتًا للإنسان ، لتدبر نظم الحياة ، فتعرف قدرة منشئ العالم ، وأنه لم يخلق شيئًا جزافًا ، ليكون فيه دليل على قدرة المبدع المدبر له حال وجوده^(٢) .

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٤/ ٤٨٧) .

(٢) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (١٤/ ١٢-١٥) .

(٣) قول محمد رشيد رضا :

إن هذه الآية هي أكبر مثال للتعجب بهذا التعبير ﴿مَوْزُونٍ﴾ فإن علماء الكون الاختصاصيين في علوم الكيمياء والنبات قد أثبتوا أن العناصر التي يتكون منها النبات مؤلفة من مقادير معينة في كل نوع من أنواعه بدقة غريبة لا يمكن ضبطها إلا بأدق الموازين المقدرة من أعشار الغرام والمليغرام . وكذلك نسبة بعضها إلى بعض في كل نبات ، أعني هذا التعبير بلفظ (كل) المضاف إلى لفظ (شئ) الذي هو أعم الألفاظ العربية الموصوف بالموزون كحقيقة لمسائل علمية فنية لم يكن شئ منها يخطر ببال بشر قبل هذا العصر ، ولا يمكن بيان معناها بالتفصيل إلا بتصنيف كتاب مستقل ^(١) .

(٤) قول طنطاوي جوهرى :

أشار إلى دقة التعبير في قوله تعالى ﴿مَوْزُونٍ﴾ مقدر بمقدار معين تقتضيه المصلحة .. كل نبات موزون ، فعناصره موزونة وأغصانه وأوراقه وأزهاره وأثماره ثم استطرده وذكر نسبة البوتاس التي دخلت في تركيب عناصر النبات بنسب مختلفة فمثلا البوتاس الداخلة في الحب الذي نأكله بنسبة (٣٢٪) وهي داخلة في الفول بنسبة ٤٢.٥٪ ، وفي القصب ٣٤.٣٪ ، وهي في البطاطس ٦١.٥٪ ، وفي البرسيم ٣٤.٦٪ .. وبهذا التفاوت صلح القصب لأن يكون سكرًا ، والبرسيم لأن يكون قوت البهائم ، والفول لأن يكون مشتركًا .. ولو اختلفت تلك المقادير لاختل البرسيم والذرة والقصب .. الخ ، فهذا اختلاف جزء واحد من الأجزاء الداخلة في تراكيب هذه النباتات ، وهي البوتاس والصودا والجير والمغنيسيوم وحمض الفوسفوريك وحمض الكبريتيك والسلكا والكلور . فهذه الأجزاء داخلة في هذه النباتات بنسب مختلفة والنبات منها يمتص بعروقه من الأرض الأغذية المناسبة لها .

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (١/ ٢١١) .

ثم استطرده مشيراً إلى دلائل القدرة في خلق النبات بنظام مقدر ..

(يا عجباً ما الذي حدد المقادير وجعل لكل نبات مقداره ولماذا لم تخطئ الجذور الضاربة في الأرض؟ ولماذا نجد جميع الجذور تأخذ بمقدار محدد نوع البوتاس مثلاً، فترى أنها في حب الذرة ٣٢٪ .

الجواب : أن الذي حدد ذلك هو تلك الفتحات الشعرية التي في ظواهر الجذور ، حتى إن ثقب كل نبات لاتسع إلا المقدار اللازم لها من العناصر وتطرده سواء لأنه لا يلائمها ، ذلك هو العجب ، ومن هذه المسألة تفهم قوله ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ ثم استطرده أيضاً تحت عنوان : جوهره في قوله تعالى ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ .

هذه الآية بديعة من بدائع القرآن الكريم ومعجزة من معجزات العلم وحكمة باهرة وعجبية ظاهرة . ثم توسع في معنى مدلول الآية وذكر بأن (الوزن والميزان والحساب وحسن النسق من أخص أوصاف هذه الدنيا وهذا الوجود في كتاب الله تعالى) ، وذكر (وزن الله تعالى الكواكب في سيرها وفي وضعها وفي حركاتها وفي أضوائها .. ثم يستطرده ويقول : .. نبات ترسم عليه الأشكال الحلزونية والدوائر التامة النظامية المدهشة والناس يقرؤون ولا يعقلون ويأكلون ولا يفهمون أف لقوم لا يعلمون؟) .. (ولعلم الإنسان أنه لا سعادة له إلا إذا كان نظامه في نومه ويقظته وجميع أعماله بحسبان كنظام هذه الأوراق ونظام الكواكب في السماء ..

وبعد استطراد طويل وافترض صديق يحاوره في تفسيره .. يقول : (فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد أجدت وأحسنيت ولكني أريد أن تلخص لي ما تقدم كله في بضعة اسطر وتزيد عليه كيف عميت هذه الحقائق عن أكثر المتقدمين ، فقلت : إن محصل ما تقدم :

أولاً : إن آية النبات ووزنه ظهر سرها في كتب الفرنجة وأنهم قد عرفوا الأوراق وترتيبها وترتيب دوائرها بحيث جعلوا لها جداول مرتبات منظمة من الكسور الاعتيادية وبين هذه الكسور مناسبة كالتالي بين الجداول المتقدمة .

وثانياً : أن الأمم في نظامها كالنبات في إتقانه فالتناس لو فطنوا لأدركوا أنهم في نظامهم محتاجين وتتوقف مصالح بعضهم على بعض في جميع الكرة الأرضية ولا يزالون في ذل حتى يصلوا لهذه النتيجة .

وثالثاً : أن الله جعل الإنسان نباتاً وضرب المثل بالزرع في سورة الفتح للمسلمين .

رابعاً : أن الفتح فتحان بلاد وقد تم أمره ، وفتح علوم وهو الذي سيكون بعد نشر هذا التفسير وأمثاله ^(١) .

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨ / ٣٠، ٢٧، ١٩، ١٧، ١٥، ٧) .

(٥) قول الطاهر محمد ابن عاشور في قوله تعالى ﴿مَوْزُونٌ﴾ :

مستعار للمقدر المضبوط^(١) . ذكر بأن لفظ (موزون) مستعار للمقدر المضبوط ، ولم يوضح مقادر التقدر والضبط العلمي في خلق النبات الذي أشار إليه المفسرين .

(٦) قول الدكتور محمد محمود حجازي :

خلق النبات كان بميزان الحكمة والتقدير (وأثبتنا فيها كل شيء من النبات موزون بميزان الحكمة والتقدير ، ليس في الأرض على سعتها نبات ليس له وزن وفائدة ، بل كل شيء لحكمة ومصلحة قد تخفى على الكثير منا ، والطب الحديث يكشف لنا كل يوم أسراراً من النبات والأعشاب)^(٢) .

(٧) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

في قوله تعالى : ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٌ﴾ :

أي مقدر بقدر معلوم ، موزون بميزان الحكمة أي على وفق الحكمة والمصلحة كما قال سبحانه : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد : ٨]^(٣) .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير (١٤ / ٣٥) .

(٢) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٢ / ٢٧٨) .

(٣) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (١٤ / ٢٤) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر : ١٩] .

- يتقارب القول في بيان القاسمي والدكتور محمد محمود حجازي والدكتور وهبة الزحيلي : وهو خلق النبات بمقدار الحكمة التي تقتضي صلاح النبات وثمره المتنوع ، ولم يتضح البيان في قول محمد الطاهر ابن عاشور .

- ويظهر الجانب العلمي في قول المراغي ومحمد رشيد رضا وطنطاوي جوهرى ، حيث أنهم أشاروا إلى النسب المقررة والثابتة في تركيب عناصر بعض ثمار النبات المتعدد الأصناف ، وهذا التقدير من دلائل كمال قدرة الله سبحانه وتعالى المبدع في الصنعة وخالقها بنظام محكم موزون .

- فبين المراغي على سبيل المثال النسبة المقدرة (وهي عنصر البوتاس الذي يدخل بنسب مختلفة في كل من حب الذرة والقصب والبرسيم والبطاطس ، وبهذا التفاوت صلح النبات لأن يكون قوتا للإنسان ... والقصب سكرًا والبرسيم للبهائم ولأن يكون الفول مشتركاً .

- وبنحوه كذلك أشار محمد رشيد رضا إلى ما أثبتته علماء الكيمياء والنبات من النسب المختلفة والمقدرة بدقة غريبة لا يمكن ضبطها إلا بأدق الموازين من أعشار الغرام والمليغرام ، ومثل هذه التقديرات الموزونة حقيقة لمسائل علمية فنية لم تخطر ببال البشر قبل هذا العصر .

وكذلك قول طنطاوي جوهرى فقد بين تقدير عناصر النبات بميزان واقع في أعضائه وأوراقه وأزهاره ، ثم ذكر النسب المختلفة في عناصره ، مثل البوتاس الذي يدخل في الحب والفول والقصب والبطاطس والبرسيم .. كما عدد بعض عناصر النبات مثل : الصوديوم

والجبر والكلور ... كما استطرّد في مدلول معنى الميزان ومعناه ، وقال إن الوزن والميزان في سير الكواكب وحركاتها في السماء وكذلك النظام لابد أن يكون في نوم الإنسان ويقظته وجميع أعماله بحساب نظام أوراق النبات .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

إن عالم النبات فيه من الظواهر الكونية المحكومة بسنن ونظام مقدر بميزان حكمة الخالق العظيم . أشار العلماء لبعض منها وهي الدقة المتناهية في تركيب عناصر ثمرة النبات المختلف في نوعه وشكله وطعمه ورائحته ، وإنباته في شتى بقاع الكرة الأرضية المختلفة في المناخ والتربة والطبيعة وهذا النبات يكفي حاجة الخلق ، والشجر مصدر للطاقة وللحياة ، والأكسجين وسر حياته الماء الذي أنزله الله تعالى من السماء .

والنبات وثمره من صنع الله تعالى الذي يعجز البشر عن صناعة مثله فالنبات مقدر التكوين بميزان محكم في عناصر تركيبه .. من النشويات والسكريات والبروتينات والدهون والفيتامينات والأملاح المعدنية ونسبة الماء وغير ذلك .

ومن الملاحظ أن بعض ثمار الأرض والأشجار لها مناخ وتربة خاصة لا تنبت في غيره، ولكن منافع النبات وفوائده تعم سكان الأرض وتسد حاجة البشرية وفيه حركة تجارية وتبادل مصالح بين دول العالم الإنساني .

وقد سبقت الإشارة إلى أوجه النظر والاعتبار في خلق النبات ومنافعه فارجع إليها .

ولقد كان من معجزات النبي محمد ﷺ ، سماع صوت حين جذع^(١) النخلة ، وذلك عندما ترك النبي ﷺ القيام عليه لما صنع له منبر، فأثاه فمسح يده عليه .

(١) (فحنّ الجذع ، فأثاه فمسح يده عليه) . صحيح البخاري ، كتاب المناقب (٢٥) ، علامات النبوة في

الإسلام (١٧٣/٢) ، رقم الحديث ٣٥٨٣ .

بعض ثمار الأرض المذكورة في القرآن :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَحْمُسِي لَن نَّصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَحِدٍ فَأَذْعُ لَنَا رَبُّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ ۖ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ ۖ وَيَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١]. وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۚ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعام: ٩٩]. وقال تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وقال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ، وقال : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرَبِّكُمْ ۚ إِنَّهُمْ فَعَرَفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣] . وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعُ الْمُدَيِّ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا ۖ أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْعَلُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصاص: ٥٧] . وقال تعالى : ﴿وَطَلْحٍ مُنْضُوبٍ ﴾ [الواقعة: ٢٩] . وقال تعالى :

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴾ [التين: ١] .

وإليك الآيات الكريمة التي أشارت إلى النبات والحرث .

الآيات المكية التي ذكرت النبات والحرث .

ذكر لفظ (تنبت) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	المؤمنون	﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَنِيعَ اللَّاتِ كَلِيلَ ﴾	٢٠

ذكر لفظ (أنبتكم) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	نوح	﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾	١٧

ذكر لفظ (أنبتنا) (٨) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الحجر	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾	١٩
٢	الشعراء	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾	٧
٣	النمل	﴿ أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ دَانٍ بَهْجَةً مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ هُمْ قَوْمٌ يَعِدِلُونَ ﴾	٦٠
٤	لقمان	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ يَغْيِرَ عَمَلِ تَرْوَنَاهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَيَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾	١٠
٥	الصافات	﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾	١٤٦

م	السورة	الآية	رقمها
٦	ق	﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾	٧
٧	ق	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾	٩
٨	عبس	﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾	٢٧

ذكر لفظ (تنبت) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	يس	﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾	٣٦

ذكر لفظ (تنبتوا) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	النمل	﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ بَلَاءٌ لِقَوْمٍ يَعِدُونَ﴾	٦٠

ذكر لفظ (ينبت) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	النحل	﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	١١

ذكر لفظ (نبات) (٤) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	٩٩
٢	يونس	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَنْهَآ أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٢٤
٣	الكهف	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْنِدًا ﴾	٤٥
٤	طه	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَقَى ﴾	٥٣

ذكر لفظ (نبات) (٢) مرتين :

م	السورة	الآية	رقمها
١	نوح	﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾	١٧
٢	النبأ	﴿ لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴾	١٥

ذكر لفظ (نباته) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأعراف	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾	٥٨

ذكر لفظ (حب) (٢) مرتين :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾	٩٥
٢	ق	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾	٩

ذكر لفظ (حبا) (٤) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	٩٩
٢	يس	﴿وَأَيُّهُمْ أَمْهَلُ الْأَرْضِ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾	٣٣
٣	النبأ	﴿لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾	١٥
٤	عبس	﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾	٢٧

ذكر لفظ (حبة) (٣) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	٥٩
٢	الأنبياء	﴿وَنَضْعُ الْمَوْتِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَئِنْ كَانَتْ مِنْ ثِقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾	٤٧
٣	لقمان	﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْ ثِقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾	١٦

ذكر لفظ (تزرعون) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	يوسف	﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾	٤٧

ذكر لفظ (تزرعونه) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الواقعة	﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾	٦٤

ذكر لفظ (الزارعون) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الواقعة	﴿ مَا أَنْتُمْ نَزَّاعُونَ ۖ أَمْ تَخُنُّ الزَّرْعُونَ ﴾	٦٤

ذكر لفظ (زرع) (٣) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتُ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾	١٤١
٢	إبراهيم	﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾	٣٧
٣	النحل	﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكُونَ ﴾	١١

ذكر لفظ (زرعا) (٣) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الكهف	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾	٣٢

م	السورة	الآية	رقمها
٢	السجدة	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنَخْجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾	٢٧
٣	الزمر	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفًى ثُمَّ يُعَجِّلُهُ حُطْلَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾	٢١

ذكر لفظ (زروع) (٢) مرتين :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الشعراء	﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَمُهَا هُضِيمٌ ﴾	١٤٨
٢	الدخان	﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾	٢٦

ذكر لفظ (الشجر) (٤) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	النحل	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾	١٠
٢	النحل	﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾	٦٨
٣	يس	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَرْتُمُوهُ تُوقِدُونَ ﴾	٨٠
٤	الواقعة	﴿ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الشَّجَرِ مِن زُفُورٍ ﴾	٥٢

ذكر لفظ (شجرها) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	النمل	﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمْنَوتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي هِمٍّ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝﴾	٦٠

ذكر لفظ (الشجرة) (١٤) مرة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأعراف	﴿وَيَتَكَدَّمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝﴾	١٩
٢	الأعراف	﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝﴾	٢٠
٣	الأعراف	﴿فَدَلَّهُمَا بِقُرْورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝﴾	٢٢
٤			
٥	إبراهيم	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝﴾	٢٤
٦	إبراهيم	﴿وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۝﴾	٢٦

م	السورة	الآية	رقمها
٧	الإسراء	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾	٦٠
٨	طه	﴿ فَوَسَّوْاكَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّبِعُكُمْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَجَرَةٍ أَخْلَدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾	١٢٠
٩	المؤمنون	﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّالِئِينَ ﴾	٢٠
١٠	القصص	﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَتُوسَّعْ إِفْتٍ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٣٠
١١	الصافات	﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾	٦٢
١٢	الصافات	﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾	٦٤
١٣	الصافات	﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾	١٤٦
١٤	الدخان	﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴾	٤٣

ذكر لفظ (شجرتها) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الواقعة	﴿ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾	٧٢

ذكر لفظ (تحرثون) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الواقعة	﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾	٦٣

ذكر لفظ (حرثه) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الشورى	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾	٢٠

ذكر لفظ (حرث) (٥) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	الأنعام	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾	١٣٦
٢	الأنعام	﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمَ حَرَمْتَ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَجَازٍ بِمَا كَانُوا يَفْرَوْنَ ﴾	١٣٨

م	السورة	الآية	رقمها
٣	الأنبياء	﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾	٧٨
٤	الشورى	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ ^(١)	٢٠
٥			



(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٧٥، ٣٣٠، ١٩٦، ١٩٣، ٦٨٧).

المبحث الرابع : الزلازل والبراكين

عرض مختصر للزلازل : بأمر الله سبحانه وتعالى تتصدع الأرض وتنشق ، وتبتلع في بطنها من يدب عليها ويغيب بعض آخر في داخلها ويسوخ .

و(أصل الخسوف المغيب ، ومنه خسف الأرض وهو سوخها بمن عليها . وقيل أصل الخسوف التغير . وأما الخسف في الأرض ، هو السوخ فيها)^(١) .

و((خسف) المكان ذهب في الأرض وبابه جلس . وخسف الله تعالى به الأرض أي غاب به فيها . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ [القصص : ٨١] ^(٢) .

والخسف في باطن الأرض قد يلزم الزلزال ، والزلزال الأكبر يكون يوم قيام الساعة ، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى ألوان العذاب الذي نزل وحل بالأمم السابقة نتيجة لكفرهم وعنادهم . كما كان التهديد لهم بالخسف أيضا .

(١) قال الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل : ٤٥] .

(٢) وقوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا ﴾ [الإسراء : ٦٨] .

(٣) وقوله تعالى : ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٠] .

(٤) وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأَ

(١) القاضي اليحصبي : أبو الفضل عياض بن موسى ، مشارق الأنوار ، فصل الخاء مع السين (ص ٢٤٦)

(٢) الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، مادة (خ س ف) (ص ١٣٧) .

فَخَسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿سبأ: ٩﴾ .

(٥) وقوله تعالى : ﴿ءَأْمَنُكُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك : ١٦] .

(٦) وفي قيام الساعة قال الله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج : ١] .

ولقد ضرب الله سبحانه وتعالى المثل بقصة قارون وسبب الخسف به ، وكذلك تكون نهاية كل ظالم وطاغي وباغي ومتكبر وما هي من الظالمين ببعيد .

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَنبَأَهُ مِّنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْاصْدِقُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِّن فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَن مَّنَ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص : ٧٦-٨٣] .

يقال إن قارون ابن عم موسى عليه السلام . وأيضاً ابن خالته . وكان يسمى المنور

لحسن صورته ، وكان أحفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم ، فنافق كما نافق السامري ، فأهلكه البغي لكثرة ماله . فهو رجل من بني إسرائيل ، آتاه الله مالا كثيرا ، حتى إن مفاتيح خزائنه كانت تنوء بحملها عصبة من الرجال ، نصحه أهل الوعظ والإرشاد من قومه بالبعد عن البطر والتجبر والإفساد في الأرض ، وأن يستعمل ماله في مرضاة الله تعالى ، مع الانتفاع ببعضه في مصالح الدنيا بقدر الكفاية وألا ينفقه فيما يغضب الله تعالى ، حتى لا يتعرض لزوال النعمة ، فأبى الامتثال لنصح الناصحين ، وقال في ماله ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ، ولكنه غفل عن بطش الله تعالى بالمتجبرين المتكبرين من أمثاله في الأمم الغابرة الذين كانوا أشد منه قوة وأكثر جمعا للمال .

وقد استبد به الكبر والخيلاء أن كان يخرج في موكب مهيب وزينة فاخرة باهرة ، فافتتن بعض الناس بمظاهره ، لدرجة تمنوا أن يؤتوا مثله من المال ، فقال لهم أهل العلم والبصر والحكمة : لانفتنوا به ولا تطمعوا ، فتواب الله خير للمؤمن الذي يعمل الصالحات ، فكان عاقبة طغيانه وظلمه وجحوده نعمة الله تعالى أن خسف الله تعالى به وبداره الأرض ، دون أن يجد له نصيرا أو معينا^(١) .

وقد أخبر النبي محمد ﷺ بكثرة الزلازل بين يدي الساعة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قال النبي ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل »)^(٢) .

قال ابن حجر في بيانه لعبارة : [وتكثر الزلازل] قد وقع في كثير من البلاد الشمالية

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٠ / ١٥٩ - ١٦٠) .

(٢) صحيح البخاري (١٥) كتاب الاستسقاء (٢٧) باب ما قيل في الزلازل والآيات (٢٢ / ٢) .

والشرقية والغربية كثير من الزلازل ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها^(١) .

وفي حديث عن سلمة بن نفيل السكوني رحمته الله قال : (كنا جلوسا عند رسول

الله صلوات الله عليه إذ قال له قائل يا رسول الله ... وبين يدي الساعة موتان شديد وبعده سنوات الزلازل)^(٢) .

كما أخبر النبي صلوات الله عليه بحدوث خسف بجزيرة العرب^(٣) .

أولاً: الزلازل

الله سبحانه وتعالى الذي سخر ظهر الأرض لبني آدم ، فسهل لهم بناء المساكن عليها وزراعتها وشق الطرق في فجاجها والمشى عليها باطمئنان ، وكذلك سخر لهم باطنها بما فيها من خيرات المعادن والحديد وغير ذلك كثير ، وتحدث الزلازل تذكيراً بنعمة الله تعالى وفضله وقدرته على خلقه سبحانه وتنبيهاً للغافلين وابتلاء للناس .

وحدوث الزلازل نتيجة حتمية للضغط المرتفع المتولد من الحرارة والحركات الباطنية المتغيرة في طبقات الأرض والتي لا تحملها القشرة الأرضية الهشة والسهلة الانكسار ، وكذلك نتيجة للحركة المحورية والتي تسهم في استمرار حفظ توازن الأرض .

(١) ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣ / ٨٧) رقم الحديث (٧١٢١) .

(٢) مسند الإمام أحمد (٤ / ١٠٤) .

(٣) صحيح مسلم (٥٢) كتاب الفتن وأشراف الساعة (١٣) ، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ، رقم الحديث (٢٩٠١) ، (٤ / ٢٢٢٥) ، شرح النووي على صحيح مسلم (١٨ / ٢٧) .

(١) تعريف الزلازل :

١ - الزلازل : هي هزات سريعة قصيرة في قشرة الأرض تنتج عن حدوث التفاعلات النووية في باطن الأرض ونتيجة للحركة المحورية للأرض . ولتجمع المواد المشعة في جوفها ، ولإعادة توازن القشرة الأرضية ، كما تسهم الزلازل في استمرار الأرض في الاحتفاظ بتوازنها وبقائها بصورتها الحالية في الفضاء السعوي .. وما يحدث للأرض من زلازل هي مقننة ومحكمة بعلم الله عز وجل لها حساباتها وأبعادها في حفظ الأرض وبقائها^(١) .

٢ - الزلازل : تصدعات في قشرة الأرض يتبعها انخسافات بين بعض أجزائها إلى داخلها بحيث يغور قسم منها في باطن الأرض . ولقد رأى العديد من الناس في كل زمان كيف أن قرى ومدنا بكاملها احت من على سطح الأرض^(٢) .

٣ - الزلازل : حركات سريعة عنيفة تصيب القشرة الأرضية .

يقول العلماء المختصون إن سبب الزلازل هو كسر ، أو تصدع الصخر الصلب الذي يكون القشرة الأرضية .. وتحصل الكسور أو الفوالق والصدع عندما تصبح الإجهادات المتولدة داخل الأرض أكبر من أن تتحملها القشرة الأرضية الهشة السهلة الانكسار ، حيث أن القشرة الأرضية تتألف من طبقات مختلفة الكثافة ، ومتفاوتة في نوعية بنيتها الصخرية التي تقع تحت تأثير ضغط دائم^(٣) .

وبناءً على ذكر التعاريف السابقة يمكن تعريف الزلازل : بأنها هزات سريعة لسطح الأرض تتصدع لها القشرة الأرضية وتنكسر وقد يتبعها انخسافات عميقة في باطنها ،

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ١٠٩-١١٠) بتصرف .

(٢) د. عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية (ص ٢٩-٣٠) .

(٣) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق (ص ٢٧٧) .

وهذه نتيجة حتمية للضغط المرتفع المتولد من الحرارة والحركات المتغيرة في طبقات الأرض والتي لا تحملها القشرة الأرضية الهشة والسهلة الإنكسار وكذلك نتيجة للحركة المحورية والتي تسهم في استمرار ضغط توازن الأرض .

(٢) المناطق التي تكثر فيها الزلازل :

(لوحظ تكرار الزلازل في منطقة (الحزام الناري) حول المحيط الهادي ، إذ يشهد ٦٨٪ من مجموع الزلازل في العالم ، ويمثل البحر المتوسط هو الآخر منطقة (ضعف قشري)، ويشتمل على ٢١٪ من مجموع زلازل العالم ، وكل الخطر يستمر من المحيط الهادي شاملا في الطريق الفلبين واليابان والصين وإيران وتركيا وشبه جزيرة البلقان ، بما فيها يوغوسلافيا ثم إيطاليا والبرتغال .. ثم شمال غرب إفريقيا الأطلنطي ، حتى المكسيك ثم سان فرانسيسكو ، فجزر المحيط الهادي ، وقد يعرج الحزام الناري في مواضع معينة كمناطق (الأخدود) الإفريقي العظيم^(١) . ومن مناطق الزلازل قاع المحيطات .

وبؤرة الزلزال قد تصل إلى عمق (٦٦٠ كم) في باطن الأرض . وهناك نسب مختلفة في حدوث الزلازل قوة وضعفا ، والزلازل (تحدث غالبا في مناطق الضعف من القشرة الأرضية ومعظمها يحدث تحت المحيطات ، فلا تنجم عنها أضرار كبيرة ، كما تنشأ من تحت السلاسل الجبلية التي تحيط بالكرة الأرضية وبخاصة على أطراف المحيط الهادي في (دائرة النار) غرب أمريكا وشرق آسيا ، نظرا لوجود معظم براكين العالم على طول مسارها والتي تعد مهدا لجميع الزلازل الناجمة عن أعماق كبيرة ، إذ ترتبط أعماق الزلازل بأعمق الأخاديد المحيطية وأشدّها انحدارا ، وفيها حوال ٩٠٪ من الزلازل الأرضية الناجمة

(١)د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ، الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم (ص١٣١) .

عن أعماق متوسطة وفيها حوالي ٤٠٪ من الزلازل الأرضية القريبة من السطح ، وقد اعتبر الحد الأقصى لعمق بؤرة الهزة هو (٦٥٠ كم) ، وتمتد المنطقة الثانية على شكل حزام من أوروبا إلى آسيا ، وشمال إفريقيا عبر إيطاليا واليونان وتركيا وروسيا وإيران والهند وبورما . وفيها حوالي ١٥٪ من زلازل الأرض ، و ٥٪ من بقية أجزاء العالم^(١) .

(٣) مقياس درجة الزلازل :

لمعرفة قوة الزلزال وضعفه تقاس بسلم (ريختر) والذي يوضحه الجدول الآتي:

علاقة مقياس ميركالي المعدل بمقياس ريختر

ومقدار الطاقة وعدد الهزات السنوية

شدة الزلزال (مقياس ميركالي المعدل)	مقدار الزلزال (مقياس ريختر)	مقدار الطاقة المناسبة من الزلزال سنويا	عدد الهزات سنويا
١ - يسجل بالأجهزة فقط (غير محسوس) .	٣.٥ - ٤.٢	قوة تعادل انفجار نصف كجم من مادة الـ تي. إن. تي	٤٩٠٠٠
٢ - ضعيف يشعر به بعض الأشخاص الجالسين (خفيف جدا)			

(١) فوزي حميد ، الجغرافيا القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق (ص ٢٧٧) .

شدة الزلزال (مقياس ميركالي المعدل)	مقدار الزلزال (مقياس ريختر)	مقدار الطاقة المناسبة من الزلزال سنويا	عدد الهزات سنويا
٣- تشعر به كما لو كان لوري مر بجوارك، ويشعر به كذلك بعض الأشخاص الجالسين في الأدوار العليا (خفيف) .	٤.٣-٤.٨	قوة تعادل انفجار نصف كجم من مادة ال تي. إن. تي	٦٢٠٠
٤- يشعر به المشاة بالشوارع وتهتز الإضاءة المعلقة بالمنزل (معتدل) .			
٥- يشعر به كل الناس ويستيقظ النائمون (قوي نوعا ما) .	٤.٩-٥.٤	قوة انفجار تعادل ٢٠ طنا من مادة ال تي. إن. تي أو قنبلة ذرية صغيرة	٨٠٠
٦- تهتز الأشجار وتتأرجح الإضاءة المعلقة ويطاح بالأشياء الموضوعة على المناضد وتتحطم (قوي) .			
٧- تتشقق الجدران بالمباني وأسوار الحدائق ويسقط البياض (قوي جدا) .	٥.٥-٦.٢		٨٠٠
٨- تسقط المآذن وأبراج الكنائس ويصعب قيادة السيارات وتنهار المنازل المشيدة بدون مراعاة للمواصفات (هدام) .	٦.٢-٦.٩	قوة انفجار تعادل قنبلة هيدروجينية أو ميجا طن (مليون طن) من ال تي. إن. تي	١٢٠

شدة الزلزال (مقياس ميركالي المعدل)	مقدار الزلزال (مقياس ريختر)	مقدار الطاقة المناسبة من الزلزال سنويا	عدد الهزات سنويا
٩ - تنهار بعض المنازل بعد أن تتشقق التربة أسفلها وتنكسر المواسير (مفجع) .			
١٠ - تتشقق الأرض بشدة وتتحطم معظم المباني وتلتوي قضبان السكك الحديدية ويحدث انهيار لأجزاء من الجبال عند المنحدرات (مفجع جدا) .	٧.٣-٧	قوة انفجار تعادل قنبلة هيدروجينية أو ميجا طن (مليون طن) من الـ تي . إن . تي	١٨٠
١١ - لا يبقى سوى بعض المباني وتتحطم الكباري وتنهار الجبال عند المنحدرات ويحدث فيضانات خطيرة (كارثة) .	٨.١-٧.٤	قوة انفجار تعادل قنبلة هيدروجينية أو ميجا طن (مليون طن) من الـ تي . إن . تي	
١٢ - دمار شامل تتطاير الأجسام في الهواء وترتفع وتنخفض الأرض على شكل أمواج البحر (كارثة عظيمة) .	أكثر من ٨.١ حتى ٨.٩	قوة انفجار تعادل ٦٠٠٠٠ قنبلة	مرة واحدة كل عدة سنوات

أقوى زلازل العالم في القرن العشرين^(١)

(١) إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء ،

إشراف د. منصور محمد حسب النبي (١/ ٤٦٣-٤٦٤) .

عام	المكان	المقدار ريختر
١٩٠٦	زلزال سان فرانسيسكو (أمريكا)	٨.٢٥
١٩٠٦	زلزال جبال الأنديز ب كولومبيا والإكوادور	٨.٦
١٩٠٦	زلزال فلابريسو (شيلي)	٨.٤
١٩١١	زلزال تيني شان (الصين)	٨.٤
١٩٢٠	زلزال كان سو (الصين)	٨.٥
١٩٣٣	زلزال اليابان	٨.٥
١٩٥٠	زلزال شمال أسام بالهند	٨.٦
١٩٦٠	زلزال شيلي	٨.٩
١٩٦٤	ألاسكا	٨.٦

(٤) معرفة وقت حدوث الزلازل :

ساعدت الدراسات العلمية (بقدر الطاقة البشرية) التنبؤ بحدوث الزلازل ، وأغلب حوادث الزلازل تكون مقدمة لحدوث البراكين .

(في معظم الحالات يرافق خروج البراكين في البداية زلزال أرضي ، ثم بعد ذلك ترتعش الأرض في لحظة اندفاع الكتل المتوهجة ويصحب خروجها سحب من بخار الماء .. وليس في الإمكان ، حتى الآن ، التنبؤ بدقة بوقوع الهزات الأرضية لمعرفة الوقت والمكان اللذين قد تحدث فيهما ومعرفة مدى قوتها أيضا ، ولكن من بواعث الارتياح أنه قد تحقق

شئ من التقدم في هذا الشأن .. ولقد أخذ الاهتمام الدولي بعمليات الإنقاذ يتزايد بصورة واضحة خلال العقود الأخيرة ، وظهرت البحوث المتقدمة عن الأرصاد والهزات الأرضية ودورة الرياح فيسرت القدرة إلى حد كبير على التنبؤ بآماكن الزلازل والعواصف العنيفة قبل أن تقع ، وأصبح من اليسير التنبؤ بتلك الظواهر الطبيعية وآماكنها ، فلم يعد التنبؤ مقصوراً على تحديد موقعتها ، ولكن إلى تحديد آماكنها .. ولكن درء مخاطرها يبقى دائماً في يد الله وحده سبحانه وتعالى^(١) .

ويقول آخر حول قياس الزلازل والتنبؤ بها : (.. يستخدم الإنسان قياسات حديثة لذبذبات وموجات صادرة من الزلزال أو الهزات الأرضية لمعرفة المسافة والوسط الذي انتشرت خلاله من مركز نشأتها في ثورة الزلزال من باطن الأرض إلى سطحها بقياس الزمن اللازم لذلك من مركز الزلازل وقياس زمن وصولها للقشرة ، حيث يقوم المتخصصون في هذه المراسد الزلزالية المنتشرة على سطح الكرة الأرضية بتسجيل هذه الموجات بأجهزة (السيزموجراف)^(٢)) (الذي توصل إليه العلماء لقياس الذبذبات الصوتية بعد مراقبة سمك قنديل البحر ، الذي زودها الله تعالى بجهاز قياس الذبذبات تحت الصوتية).

(وهناك محاولات للتنبؤ على المدى الزمني القريب والبعيد قبل وقوع الكارثة بأيام أو ساعات ، فلقد لوحظ أن بعض الحيوانات (والطيور) تضطرب قبل دقائق من وقوع

(١) د. عبد العليم خضر ، الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم (ص ١٣٣-١٣٥) .

(٢) إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شئ ، إشراف د. منصور

محمد حسب النبي (ص ٤٣٨-٤٤١) .

الزلازل ، لحساسيتها للأمواج فوق الصوتية ، ويحاول علماء الجوامد دراسة التغيرات الحادثة في الخواص الميكانيكية والكهربية والمغناطيسية للصخور الموجودة تحت القشرة مع مرور الزمن ، وقياس الأمواج قبل وبعد الصدمة الزلزالية وتغير سرعة هذه الأمواج مع كمية الإجهاد الواقع عليها ، وقياس تركيز غاز (الرادون) المشع في المياه الجوفية ، وتغير معدل ضخ ينابيعها الساخنة^(١) .

(٥) آثار الزلازل :

١ - تشقق الأرض وابتلاعها لكل ما فوقها ، كما حدث في زلزال المغرب أغادير بالمغرب سنة ١٩٦٠ م ، وزلزال طوكيو سنة ١٩٢٣ م ، وبالطبع لا تغلق شقوق الأرض على ما ابتلعت من جديد ، وإنما الذي يحدث هو انهيار ركامات الوشاح الصخري بفعل الجاذبية إلى المنطقة المتصدعة فتردمها مغطية بذلك ما ابتلعت الشقوق من قرى أو مدن أو مزارع أو مصانع أو بشر أو حيوانات أو طرق أو كباري ، وقد تبتلع المياه التي تنحدر إليها إذا غيرت الأنهار اتجاهاتها ومصباتها حين تحدث عمليات رفع للمنطقة المجاورة وحين حدوث الانكسارات ، تهتز الأرض وتندك المباني والمنشآت ، وتختلط الأسلاك الكهربائية ببعضها وتندلع الحرائق .

٢ - وينجم عن الزلازل أيضا انزلاقات أرضية عنيفة لكتل هائلة من الطين والرمل والصخر المفكك من قمم الجبال وسفوحها المنحوتة بالتعرية .

(١) إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء ، إشراف د. منصور محمد حسب النبي (ص ٤٦٧) .

٣ - كما تخلف الزلازل وراءها تغيرات كبيرة في سطح الأرض برفع أجزاء وانخفاض أجزاء ، وما يتبع ذلك من تغير في اتجاهات المجاري المائية .

٤ - دمار المدن والقرى والمنشآت الساحلية حين يحدث الزلزال في قاع المحيط ويؤدي إلى سحب مياه الشاطئ بقوة مفاجئة وردها بقوة أعنف في شكل (أمواج هائلة) إلى السواحل المعمورة ، ومحاصرتها بحزمة من البحيرات الساحلية التي تنشأ من جراء ملء المنخفضات^(١) .

(٦) أمثلة لبعض حوادث الزلازل في العالم :

١ - حدث زلزال في مدينة بورت رويال - جامايكا سنة ١٩٦٢م دمرت المدينة وقتل حوالي عشرين ألف شخص وحدثت انزلاقات أرضية خطيرة فجرفت أكثر من نصف المدينة إلى البحر .

٢ - حدث زلزال في مدينة أنكور بيج (ألاسكا) مارس ١٩٦٤م دمر المدينة وحدثت تصدعات في القشرة الأرضية وقتل بضعة آلاف شخص .

٣ - حدث زلزال في شمال شرق إيران - أغسطس ١٩٦٨م دمر العديد من القرى والمدن في منطقة واسعة وقتل خمسون ألف شخص .

٤ - حدث زلزال في شمال الباكستان - ديسمبر ١٩٧٤م دمر تسع قرى ، وقتل عشرة آلاف شخص^(٢) .

(١) د. عبد العليم خضر ، الزلازل الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم (ص ١٣٠-١٣١) بتصرف .

(٢) المرجع السابق (ص ١٢٤) .

ومن أمثلة الزلازل التي حدثت في العالم أيضا :

- ٥ - في ١٠/١٠/١٩٨٠م أصيبت منطقة الأصنام في الجزائر وكانت الخسائر (٢٥٩٠) قتيلا و(٩) آلاف جريح .
- ٦ - وفي ٢٣/١١/١٩٨٠م أصيبت نابولي في إيطاليا وكانت الخسائر (٢٩١٦) قتيلا و(٢٠) ألف جريح .
- ٧ - وفي ٢٣/١٢/١٩٨٢م أصيب شمال اليمن وكانت الخسائر حوالي (٣٠٠٠) قتيل .
- ٨ - وفي ٣٠/١٠/١٩٨٣م أصيبت تركيا في أرضروم وكانت الخسائر (٢٠٠٠) قتيل .
- ٩ - وفي ٧/١٢/١٩٨٨م أصيبت أرمينية السوفيتية وبلغت الخسائر بين (٥٠-٦٠) ألف قتيل .
- ١٠ - وفي ٢٣/١/١٩٨٩م أصيبت طاجاكستان وبلغت الخسائر (١٤٠٠) قتيل .
- ١١ - وفي ١٦/٧٤/١٩٩٠م أصيبت الفلبين وبلغت الخسائر (١٦٤٠) قتيل و(٩٧٠) مفقودا و(٣٤٤١) جريحا .
- ١٢ - وفي ٢٠/١٠/١٩٩١م أصيبت شمال الهند وبلغت الخسائر (١٥٠٠) قتيل و(٣٠٠٠) جريح^(١) .

(١) فوزي حميد ، الجغرافية القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق (ص ٢٧٩-٢٨٠) .

وبعد هذا العرض المختصر لموضوع الزلازل . أعرض أقوال المفسرين في قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك : ١٦] .

(١) قول القاسمي :

ذكر بأن الخطاب تهديد للكافرين بأن تتصدع الأرض وتنزل بهم إلى أسفلها وتضطرب بهم وتنقلب عليهم ولم يتحدث عن الزلازل من الناحية العلمية . قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك : ١٦] (خطاب للكافرين . أي أأمتم العلي الأعلى أن يخسف بكم الأرض فينزل بكم إلى أسفل سافلين ﴿ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ أي تضطرب وتهتز هذا شديدا بكم وترتفع فوقكم ، وتنقلب عليكم) ^(١) .

(٢) قول المراغي :

ذكر بأن في الآية الكريمة تخويفا للكافرين ، حيث أنهم لا يأمنون ثبات الأرض واستقرارها ، فتتهتز الأرض بهم ، ويحصل ما حصل لقارون . (بعد أن ذكر ما أعدّه للكافرين من نار تلظى ، وصف هذه النار بما تشيب من هوله الولدان ، أردف ذلك بترهيبهم وتخويفهم بأنهم لا يأمنون أن يحل بهم في الدنيا مثل ما حلّ بالمكذبين بالرسول من قبلهم : من خسف عاجل تمور به الأرض مورا ، قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ أي أأمتم أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون ، فإذا هي تتحرك بكم حين الخسف وتبتلعكم وتمور فوقكم جيئة وذهابا) ^(٢) .

(٣) قول طنطاوي جوهرى :

في قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ أي أأمتم

(١) محمد جمال الدين القاسمي وتفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (١٥٣/٧) .

(٢) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢٩/١٦-١٧) .

الله تعالى الذي هو في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم، أي أأمتكم خسفه بكم كما خسف بقارون فإذا هي تضطرب أي تحرك الأرض عند الخسف بكم حتى يقلبكم إلى أسفل وتعلو الأرض عليكم وتمور فوقكم وتحجى وتذهب^(١).

(٤) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

أشار إلى مناسبة الآية الكريمة بذكر وجه النعمة في المشي على الأرض على ظهرها ، وهي مستقرة ، بأن يجعلهم في باطن الأرض تحت أطباقها . وأفاد بأن اضطراب الأرض متفرع على الخسف الواقع في الأرض وهو تفريع الأثر على المؤثر وهو تهديد لهم بالعذاب بغتة ، قوله (انتقال من الاستدلال إلى التخويف لأنه لما تقرر أنه خالق الأرض ومذلها للناس وتقرر أنهم ما رعوا خالقها حق رعايته فقد استحقوا غضبه وتسليط عقابه بأن يصير مشيهم في مناكب الأرض إلى تجلجل في طبقات الأرض .. إلى أن قال والمعنى : توبيخهم على سوء معاملتهم ربهم كأنهم آمنون من أن يأمر الله تعالى ملائكته بأن يخسفوا الأرض بالمشركين .

والخسف : انقلاب ظاهر السطح من بعض باطنا وباطنه ظاهرا وهو شدة الزلزال .. وفرع على الخسف المتوقع المهدد به أن تمور الأرض . تفريع الأثر على المؤثر ، لأن الخسف يحدث المور ، فإذا خسفت الأرض فاجأها المور لاحتالة ، والمور : الارتجاج والاضطراب^(٢) .

وقال محمد الطاهر ابن عاشور بأنه تعرض لذكر الخسف عند قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل : ٤٥] . وقال في الآية تصريح لهم بالعذاب في الدنيا نتيجة لعنادهم وكفرهم

(١) طنطاوي جوهري ، الجواهر في تفسير القرآن (٢٣/ ٢٠٩) .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٣-٣٥) .

وتدبير المكر السيء بالنبي ﷺ . وهذا استفهام مستعمل في التعجب المشوب بالتوبيخ .
وعرف الخسف بأنه شدة الزلازل في قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمْنُكُمْ أَنْ يُخَسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ

يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا ﴾ (بعد أن ذكرت مساوئهم ومكائدهم

وبعد تهديدهم بعذاب يوم البعث تصريحاً وبعذاب الدنيا تعريضاً فرع على ذلك تهديدهم
الصريح بعذاب الدنيا بطريق استفهام التعجب من استرسالهم في المعاندة غير مقدرين أن
يقع ما يهددهم به الله تعالى على لسان رسوله ﷺ . فلا يقلعون عن تدبير المكر بالنبي ﷺ ،
فكانت حالهم في استرسالهم كحال من هم آمنون بأس الله تعالى ، فالاستفهام مستعمل
في التعجب المشوب بالتوبيخ .

والخسف : زلزال شديد تنشق به الأرض فتحدث بانسحاقها هوة عظيمة تسقط بها
الديار والناس ، ثم تنغلق الأرض على ما دخل فيها . قوله تعالى ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾
من مكان لا يترقبون أن يأتيهم منه ضرر ، فمعنى (من حيث لا يشعرون) أنه يأتيهم بغتة لا
يستطيعون دفعه ، لأنهم لبأسهم ومنعتهم لا يبتغتهم ما يحذرونه إذ قد أعدوا له عدته ، فكان
الآتي من حيث لا يشعرون عذاباً غير معهود فوقع قوله ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ كناية عن
عذاب لا يطيقون دفعه بحسب اللزوم العرفي^(١) . كما أشار إلى التذكرة بنعمة الاستقرار على
الأرض وعدم الأمن من الضرر ، ثم إن محل السلامة معرض إلى الأخطار^(٢) .

(٥) قول الدكتور محمد محمود حجازي :

بين في قوله تعالى : ﴿ ءَأَمْنُكُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخَسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ وجه
النعمة في الأرض ، حيث جعلها مسخرة ذلولاً ، ثابتة . وأشار أيضاً إلى تطور العلوم

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير (١٤ / ١٦٢ - ١٦٦) .

(٢) المرجع السابق (١٥ / ١٦٢) .

والاستفادة من خيرات الأرض وكنوزها . وهذه دلائل تشير إلى قدرة وكمال صانعها وخالقها الذي يجب الإيمان به . وإلا العذاب والخسف واقع بهم من حيث أمنوا مكر الله تعالى ، قوله تعالى ﴿ ءَأَمْنُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا : سهلة مذللة ينتفع الخلق بكل ما فيها ، فانقياد الأرض لبني آدم ظاهر الوضوح ، وخاصة في هذه الأيام حيث لم يدع الخلق ضربا من ضروب الانتفاع إلا سلكوه ، ولا عنصرا إلا حللوه وركبوه صهروا المعادن ، وفتتوا الذرات ، واستنبتوا النباتات ، واكتشفوا أسرار الكائنات ، وغاصوا في أعماق البحار وطاروا في أجواء الفضاء ، أليس الله تعالى قد لطف بعباده حيث مكنهم من كل ذلك ؟ جعل الأرض ذلولا ، وإذا كان كذلك فامشوا في مناكبها ونواحيها ، وجوانبها وأطرافها وآكامها وسهلها .

احذروا أيها الناس هذا التهادي في الباطل ، والتكذيب للرسول ، واذكروا أنه جعل تعالى لكم الأرض سهلة لينة منقادة انقياد الدابة الذلول ، فدعوا إذن العناد والتكذيب ، واعلموا أن إليه النشور ، وإليه وحده مرجع الإنسان في الحياة الأخرى ليحاسبه ويجازيه .

واعلموا أيها الناس أن الله تعالى قادر على تبديل النعم بالنقم ، فاحذروا عقابه ، واخشوا غضبه أأمتم الحق تبارك وتعالى أن يخسف بكم الأرض ، ويغيبكم فيها ، فإذا هي تتحرك بشدة حركة غير عادية ؟ أأمتم أيها القوم ذلك الإله العظيم الذي تعتقدون أنه موجود في السماء . أأمتم أن يهلككم ، ويبيدكم ، ويغير هذه الأرض الذلول التي تنتفعون بها في كل شيء فإذا هي تمور وتضطرب^(١) .

(٦) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

في قوله تعالى : ﴿ ءَأَمْنُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [تبارك : ١٦]

(١) محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٣/ ٧١٥) .

أي هل تأمنون أن يخسف أو يغور ويقلع الله تعالى بكم الأرض ، كما خسف بقارون بعدما جعلها لكم ذلولاً تمشون في منابها ، فإذا هي تضطرب وتتحرك وتموج بكم؟ والمراد بالاستفهام الوعيد والإخبار بأنه تعالى قادر على تعذيب من كفر بالله تعالى وأشرك معه إلهها آخر . قال ابن عباس : ءأمتم من في السماء إن عصيتموه . ونظير الآية قوله تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥] ^(١) .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى :

﴿ ءَأْمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ . [الملك : ١٦]

- لم يتحدث القاسمي والمراغي وطنطاوي وجوهري ومحمد الطاهر ابن عاشور عن التفسير العلمي للزلازل .

- أشار محمد الطاهر ابن عاشور إلى أن الخسف في باطن الأرض من أشد أنواع الزلازل .

- كما ذكر الدكتور محمد حجازي أن من أوجه نعم الله تعالى على بني آدم أن جعل لهم الأرض مستقرة ثابتة مذللة وذلك ليتم الانتفاع بكل ما فيها من خيرات ومنافع وخاصة في زمن تطور العلوم .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

- إن للتفسير العلمي مفهوماً أعمق لكمال قدرة الله تعالى الخالق الذي هيأ أسباب الحياة والعيش على ظهر الأرض المستقر الثابت ، رغم أنها تسبح في فلكها وتلف حول نفسها كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة .

- يمكن القول في تعريف الزلازل بأنها هزات سريعة لسطح الأرض

(١) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٩ / ٢٥ - ٢٦) .

تتصدع لها القشرة الأرضية وتنكسر ، وقد يتبعها إنخسافات عميقة في باطنها ، وهذه نتيجة حتمية للضغط المرتفع المتولد من الحرارة والحركات المتعددة في طبقات الأرض والتي لا تتحملها القشرة الأرضية الهشة والسهلة الإنكسار ، وكذلك للحركة المحورية التي تسهم في استمرار ضغط توازن الأرض .

- لم يتعرض المفسرون في بيانهم للتفسير العلمي للزلازل ، وإنما أشاروا إلى المقصد الأسمى من وقوع الزلازل ، وهو التذكير بنعمة الله تعالى الذي جعل الأرض مستقرة لعيش الإنسان عليها باطمئنان ، ولأن ارتجاج الأرض من تحت أقدام من عليها مما يكدر صفو الحياة ، وحتى لا يظن الناس أنهم قادرون على الأرض ، فالله سبحانه وتعالى هو المحرك للأرض وهو المثبت لها ، وهذا وجه من دلائل العظمة والقدرة الكاملة ، وتذكير أيضا بأن العذاب والانتقام من الكافر والعاصي حاصل وليس ببعيد ، وأن اهتزاز الأرض والخسف بمن عليها واقع في أية لحظة ، والذي تكون به خسارة النفس وكل ما يملك الإنسان من متاع ومنشآت ومصانع . أي فيه هلاك ودمار لجميع مرافق الحياة في منطقة حدوث الزلازل . ولذا كان من دعاء أئمة المساجد في خطب يوم الجمعة طلب السلامة والأمن من الزلازل والمحن والفتن ما ظهر منها وما بطن .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا ﴾ [الإسراء : ٦٨] . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاتَّخِطَّ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أُنْزِلْنَا لِيلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٢٤]

وقد ذكر النبي ﷺ أن نجدًا من أرض الجزيرة العربية موطنًا للزلازل في زمن (ما) عن نافع عن ابن عمر قال : (ذكر النبي ﷺ اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا يا رسول الله : وفي نجدنا ، قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ، فأظنه قال في الثالثة : هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان)^(١) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة جعل الله عذابها في الدنيا القتل والزلازل والفتن »^(٢) .

وذكر الإمام البخاري في صحيحه - ٩٢ - كتاب الفتن - ١٥ باب في التعوذ من الفتن^(٣) ، ومنها الزلازل^(٤) .

فينبغي على المسلم أن يغتنم أيام عمره قبل مجيء الفتن التي أخبر عنها النبي ﷺ ومنها الزلازل واضطراب الأمن والاستقرار .

(١) صحيح البخاري (٩٢) كتاب الفتن (١٦) باب قول النبي ﷺ « الفتنة من قبل المشرق » (٩٥ / ٤) ، شرح الحديث ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥ / ١٣) ، رقم الحديث (٧٠٩٤) .

(٢) حديث أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب الفتن والملاحم ، حديث صحيح ووافقه الذهبي (٤٤٤ / ٤) .

(٣) صحيح البخاري (٩٤ / ٤) .

(٤) ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، رقم الحديث (٧١٢١) (٨١ / ١٣) .

ثانياً: البراكين

عرض مختصر عن البراكين : من أوجه التذكير بنعمة الأمن والاستقرار وحدوث البراكين والزلازل هي من دلائل حكمة الخالق والتي لا يستطيع دفعها بشر؟! فسبحان الله الذي سخر لنا ما في الأرض ، وهياها حياة الكائنات .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج : ٦٥] .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ [الرحمن : ١٠] .

استقرار الخلق على الأرض من نعم الله تعالى ، وتجدد الظواهر الكونية وتكرارها وتغير أحوالها هو تذكير بنعم الله تعالى على خلقه ودليل على كمال قدرة الله تعالى وأنه على كل شيء قدير ومن ذلك البراكين .

ويرجع إطلاق لفظ البركان إلى إله النار عند الرومان القدماء ، وربما كثير من الناس قد ربط منذ القدم بين الخراب والدمار بالنار لما يعود إلى غضب الآلهة عليه كما زعموا . أما المسلمون فإنهم يعتقدون بأن ذلك إنما يحدث بقدرة الخالق جل وعلا وعبرة للناس .

وما يخرج من باطن الأرض من مواد منصهرة ومواد سائلة وغازية يوافق ما في التراث الإسلامي وهذا هو الحق ، وهذا لا يمنعنا أن نستقصي ما يتعلق بأصل التسمية .

(ويعود لفظ (بركان) إلى فالكان (Valcan) إله النار عند الرومان القدماء ،

وأصبح يطلق هذا الاسم على المخروط البركاني الذي يتكون من تجمع المواد اللافية على سطح الأرض ، ومنذ فترات ما قبل التاريخ ربط الإنسان القديم بين حدوث البراكين وما ينتج عنها من دمار وخراب ، وبين غضب الآلهة عليه ، واعتقد الفلاسفة (الإغريق) أن نشأة البراكين تعزى إلى الغازات الساخنة الصاعدة من باطن الأرض ... وفي التراث الجغرافي ... وكتابات القزويني^(١) (اتفاق) مع آراء الفلاسفة الإغريق حول نشأة البراكين ، وأطلق المسعودي في كتابه (مروج الذهب) عام ٣٣٦هـ على البراكين اسم (آطام النيران) ، وعني كثير من الكتاب العرب (ومن بينهم البكري^(٢) والإدرسي^(٣) والمسعودي^(٤)) في مخطوطاتهم القديمة بدراسة (آطام النيران) التي كانت تحدث وقتذاك في حوض البحر المتوسط وما كان ينتج عنها من كوارث رهيبة^(٥) .

(١) قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج : ٦٥] .

(٢) وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَاعِلًا﴾ [النمل : ٦١] .

(١) سبق له ترجمة ص (سبق له ترجمه ص ٥٢) .

(٢) أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) ، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، أبو عبيد . مؤرخ جغرافي ثقة ، علامة بالأدب له معرفة بالنبات ، نسبته إلى بكر بن وائل ، من كتبه (المسالك والممالك) . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٩٨ / ٤) .

(٣) ، (٤) سبق لهم ترجمة ص ٣٠٧ + ٣٠٨ من الرسالة .

(٥) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (١١٧ / ٢) نقلا عن عبد الله يوسف الغنيم ، البراكين والخرات والحماة في التراث العربي ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، نشرة (١١٧) سبتمبر ١٩٨٨م (ص ٥) .

(٣) وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

(٤) وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠].

ورغم الدراسات القائمة بعلوم الأرض لا تزال بعض أسرارها تغيب عن الباحثين ، ومن ذلك أننا نعيش على ظهرها ولا نشعر بما في داخلها من نار مستعرة^(١) ، وهي مع ذلك تسبح في فلكها وتلف كل ٢٤ ساعة دورة حول نفسها .

(١) البركان هو (نار تخرج من الأرض) :

لعل اسم (البركان) كان يعرف منذ القدم بالنار التي تخرج من الأرض . وقد أخبر النبي محمد ﷺ بخروج نار (بين يدي الساعة) من أرض الحجاز ، وقد تحقق قول النبي ﷺ وتواترت الأخبار بذلك الحدث . (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن سعيد بن المسيب أخبرني أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيئ أعناق الإبل ببصرى »^(٢) متفق عليه^(٣) .

(١) حيث تصل درجة الحرارة في باطن الأرض إلى (٥٠٠٠) م ، إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر ، موسوعة مافرطنا في الكتاب من شيء (١/ ٤٣٩) . إشراف د. منصور حسب النبي .
(٢) (ببصرى) بضم الباء مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل .
شرح النووي على صحيح مسلم (١٨ / ٣٠) .

(٣) صحيح البخاري (٩٢) كتاب الفتن (٢٤) باب خروج النار (٤ / ١٠٠) ، ابن حجر العسقلاني : أحد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣ / ٧٨-٨٩) ، صحيح مسلم (٥٢) ، كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٤) ، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز (٤ / ٢٢٢٦) ، شرح النووي على صحيح مسلم (١٨ / ٣٠) .

قال النووي : (وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة ، وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستائة ، وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة^(١) ، تواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة^(٢) . وفي رواية (أول جمعة من جمادى الآخرة سنة ٦٥٤ أربع وخمسين وستائة ، وقع في شرقي المدينة المشرفة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم ، انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ...) (٣) (٤) .

وقبل خروج هذه النار المذكورة في الحديث ، وقعت زلزلة عظيمة ، وقيل في وصف هذه النار بأنها كانت تسيل على وجه الأرض وتقذف بالحجارة ، مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات : ٣٢] ، و(أنها صخر يذوب) .. فإذا جمد أصبح حجارة سوداء ، وقد بنت لها جبلين مما تقذف من الحجارة .

(١) الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار ، ويوجد بالمدينة :

١ - الحرة الشرقية واسمها حرة واقم .

٢ - وحره قباء قبلي المدينة .

٣ - وحره (الوبرة) بفتح الباء وتسكينها وهي على ثلاثة أميال من المدينة .

٤ - وحره عباد وهي حرة دون المدينة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان (٢/ ٢٤٥-٢٥٥) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٨/ ١٨) .

(٣) الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل ، البداية والنهاية (٧/ ٢٠٠-٢٠٥) .

(٤) ذيل مرآة الزمان للشيخ قطب الدين موسى بن محمد البيهقي المتوفى سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م (١/ ٣) ،

الناشر دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

(قال أبو شامة^(١)) : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ٦٥٤ ظهر بالمدينة دوي عظيم ، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبة من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منارات ، وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء .. فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقفت بعدما أشفقنا أن تحيئ إلينا ... ، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه ﴿ إِنَّمَا تَرْمِي بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ۚ كَأَنَّهُ جُمُلْتُ صُفْرٌ ۚ ﴾

[المرسلات : ٣٢-٣٣]^(٢) قال ابن حجر العسقلاني : (والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي^(٣) وغيره ، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى)^(٤) .

(٢) أسباب حدوث البراكين وفوائدها :

تحدث الزلازل والبراكين تذكيرا بنعم الله تعالى وخاصة نعمة الاستقرار والاطمئنان ، ودليلا على قدرة الله تعالى ، وأن العذاب والعقاب واقع ليلا أو نهارا في أية لحظة ، من حيث

(١) (أبو شامة) (٥٩٩-٦٦٥ هـ/ ١٢٠٢-١٢٦٧ م) ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ، أبو القاسم ، شهاب الدين أبو شامة : مؤرخ ، محدث ، باحث أصله من القدس ، مولده في دمشق ، وبها منشأه ووفاته . خير الدين الزركلي ، الأعلام (٣/ ٢٩٩) .

(٢) الحافظ ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل ، البداية والنهاية (٧/ ٢٠٠-٢٠٥) .

(٣) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ، باب أمور بين يدي الساعة (ص ٦٣٦) .

(٤) ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، رقم الحديث (٧١١٨)

أمن الناس ولا يستطيعون دفعه عن أنفسهم . كما تعمل البراكين على حفظ توازن الأرض .

وتحدث البراكين نتيجة للضغط المرتفع المتولد من شدة الحرارة والحركات الباطنية التي بداخل الكرة الأرضية ، فتقذف من جوفها بالمواد المنصهرة (السائلة) اللافا (Lavas) و(الصلبة) على شكل كتل نارية وحمم مستعرة ، وتخرج معها أبخرة وغازات بركانية ، وذلك من أجل الحفاظ على توازنها . كما تسهم البراكين في تكوين الجبال والهضاب والمرتفعات الأرضية ، وتسهم أيضا في تكوين الغلاف المائي والغازي للأرض ، والمواد البركانية تعيد للتربة خصوبتها وتزودها بأنواع المعادن المختلفة مثل الحديد والنيكل وغير ذلك كثير ^(١) .

يقول الدكتور حسن أبو العينين : (وعلى الرغم مما تسببه البراكين وثورانها من دمار وخراب لمواقع مختلفة من سطح الأرض ، فإن لها في الوقت نفسه فوائد ومنافع جمة تعود بالخير على الأرض نفسها وعلى بقائها في الفضاء السماوي دون انفجار ، وبالمnfعة والبركة على سكان الأرض أجمعين .. فالبراكين بالنسبة للأرض أشبه بزفرات الإنسان عندما يشعر بالتعب أو يضجر من الإرهاق ، ولولا انبثاق الغازات الملتهبة وبعض المصهورات البركانية من جوف الأرض عبر الشقوق الطويلة وقصبات البراكين التي تصل إلى سطح الأرض لانفجرت الكرة الأرضية وصارت أشبه بقنبلة نووية وتبعثت أجزاءها في الفضاء ، وتسهم الغازات البركانية في تكوين الغلافين الغازي والمائي ومن دونهما ما صارت على الأرض حياة ، فإذا كانت المياه هي أساس كل شيء حي ، فإن الغازات البركانية هي مصدر هذه المياه والتي أخرجها المولى عز وجل ، من باطن الأرض ، فالبراكين هي إذن صمام الأمان لبقاء كوكب الأرض في الفضاء السماوي ، وتعمل على توازن ما يحدث من تفاعلات نووية في الفرن الناري المتمثل في ثقل الأرض ومركزها ، وفي استمرار معيشة الإنسان على سطح هذا الكوكب في سهولة ويسر .. فالمواد البركانية تعيد للتربة خصوبتها وتزودها

(١) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي (ص ١٦٢ - ١٧٠) بتصرف . موسوعة ما فرطنا

بالمعادن الثقيلة اللازمة لها ، وإن التربات الطينية في كل سهول العالم الفيضية ، وفي دلتاوات الأنهار ما هي إلا حطام الصخور النارية والبركانية التي انبثقت من باطن الأرض وتفتت بفعل عوامل التجوية والتعرية ونقلت مع المجاري النهرية ورسبت في السهول الفيضية ودلتاوات الأنهار ، وتضيف المقذوفات البركانية معادن جديدة على سطح الأرض لم يكن للإنسان القدرة على اكتشافها أو استخراجها من هذه الأعماق البعيدة من سطح الأرض ، فالبراكين كغيرها من بقية عناصر الكون وظواهره سخرت لمنفعة الإنسان لاستمرار الحياة على سطح الأرض . وتنبتق من البراكين مواد مختلفة ، بعضها أجسام صلبة ، وأخرى مواد سائلة ، وبعضها الآخر غازات ساخنة ^(١) .

كما تسهم البراكين في تكوين الهضاب والجبال ، فقد دلت الدراسات على أن هناك ثورات جيولوجية حدثت فعلا منذ حوالي (٤٠) مليون سنة أدت إلى بناء جبال الهملايا والألب من قاع البحر الأبيض المتوسط القديم الذي يعتقد أنه ربما كان يمتد من شمال الهند حتى شواطئ أمريكا ، وأن هناك براكين انفجرت في تلك الحقبة القديمة من الزمن في أماكن شتى ... حقا لقد غيرت الثورات الجيولوجية تضاريس القشرة الأرضية من جبال وبحار وأنهار ووديان وصحارى وخليجان عبر بلايين السنين التي مضت وكانت هذه التغيرات عنيفة قبل أن يخلق الإنسان على سطح الأرض ^(٢) .

(وتنبثق المصهورات البركانية وألسنة اللهب من فوهة البركان مرة كل دقيقتين) ^(٣) .

و(هي أيضا نعمة من نعم الله تبارك وحيث أنها تعمل على حفظ التوازن الأرضي ، وتحمي الكرة الأرضية من الانفجار في الفضاء السماوي تبعا للتفاعلات النووية التي تحدث في باطنها) ^(٤) .

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ١٠٣ - ١٢٣) .

(٢) د. منصور حسب النبي ، الكون والإعجاز العلمي للقرآن (ص ١٦٢ - ١٧٠) .

(٣) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ١٢١) .

(٤) المرجع السابق (ص ١٠٨) .

(٣) وقت حدوث البركان :

(تحدث التغيرات الطبيعية والكيميائية بالتدرج في هذه الصحارة ، ويمكن الكشف عن الحركة العليا للصحارة والتفاعلات الطبيعية والكيميائية ولكن حتى لو بلغ علماء البراكين من القدرة ما يمكنه من تفسير قياساتهم بدقة فإنهم لن يجدوا سبيلا إلى التنبؤ بالزمن الذي يحدث فيه الثوران البركاني . وهذا كله يدل على أن باطن الأرض غير مستقر ، مازال مضطربا متأججا بالصهيرات والغازات وإشعاعات الصخور ، ويبدو أثر ذلك في هزات سريعة قصيرة المدى يتأثر بها سطح القشرة الضعيف ، وينجم عنها دمار وخراب عظيمان .

وتكون الزلازل مصاحبة عادة لاندلاع الثورات البركانية في مناطق الضعف القشري والحزام الناري المحيط بالأرض والمركز في المحيط الهادي ، ولا نقول إن البراكين هي الأسباب الرئيسية للزلازل ، لأن الزلازل التي تحدث من جراء الانفجار الرهيب للبراكين تكون في منطقة محدودة الأبعاد وقريبة من سطح الأرض^(١) .

وقد أثبت العلم الحديث أن الأرض عندما تبرد تدريجيا تنكمش ، وانكماشها هذا سبب من أسباب الالتواءات الأرضية ، وسبب من الأسباب التي تحدث البراكين . فإذا انكمشت القشرة الأرضية ضغطت على جوف الأرض ، فخرج منه الحمم والصخور الملتهبة على هيئة غازات تندفع بسرعة مبتعدة عن الأرض^(٢) .

وفي الغالب قبل حدوث البركان تحصل هزات أرضية . و(في معظم الحالات يرافق خروج البراكين في البداية زلزالا أرضيا ، ثم بعد ذلك ترتعش الأرض

(١)د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ، الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم (ص١٢٧-١٢٨) .

(٢)محمد كامل عبد الصمد ، الإعجاز العلمي في الإسلام (ص٨١) .

في لحظة اندفاع الكتل المتوهجة ويصحب خروجها سحباً من بخار الماء ، ومع الضغط الهائل الذي يحدث ، تنفجر فوهة البركان ، وتقذف بالمواد المنصهرة الملتهبة^(١) .

و(مما لاشك فيه أن حرارة جوف الأرض مرتفعة بدليل ما يخرج من البراكين من حمم منصهرة تتراوح حرارتها بين ١٢٠-٢٢٠ م ، وبدليل العيون المائية الساخنة ووجود العناصر المشعة في باطن الأرض ، ودرجة الحرارة تزيد كلما تعمقنا في الأرض حتى تبلغ درجة ذوبان جميع المعادن والصخور ، وعرفنا هذا من (ثقوب) نقيبها شركات البترول بمعدلات عميقة في بضعة آلاف موضع متفرقة على سطح الأرض في كافة الدول المنتجة للبترول . غير أن الضغط الشديد في باطن الأرض يجعل هذه الصخور تظل حبيسة في مناحي الفوالق الأرضية بحيث يبقى الصهر في جيوب متوزعة ، وفي حالة تعرضها لظروف تقلل الضغط عليها سرعان ما تندفع وقد سلكت مسلك السوائل الملتهبة إلى سطح القشرة الأرضية، مصحوبة بزلزال رهيب يكون له أثره الفوري)^(٢) .

(٤) مواقع البراكين في العالم :

يتحدث فوزي حميد أيضاً عن أسباب البراكين وعددها ومواقعها وفوائدها وغير ذلك فيقول : (البراكين : حركات باطنية سريعة تصيب الكرة الأرضية ، فتؤدي إلى خروج الحمم المنصهرة من باطن الأرض إلى سطحها بتأثير الضغوط الباطنية . وتتكون منها الجبال على شكل مخاريط عالية تخرج من رأسها النار ، وقد دلت الدراسات الحديثة أن مجموع البراكين العامة المعروفة ، بلغ حالياً في العالم (٥٠٠) بركانا نشطا ، إضافة إلى (٨٠) بركانا نشطا أيضا فوق قيعان البحار .

(١)د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ، الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم (ص ١١١ - ١١٣) بتصرف .

(٢)د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ، الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم (ص ٩٣، ٨١-٩٤) .

وتنتشر البراكين في مناطق الصدوع والانكسارات التي تشكل مناطق ضعف في القشرة الأرضية ، وغالبا ما توجد على طول السلاسل الجبلية الحديثة التكوين ، المعروفة باسم (دائرة النار) على أطراف المحيط الهادي ، في شرق آسيا وغربي أمريكا . وتنتشر كذلك على طول خط جبال الألب ، الهملايا ، عبر المحور المتوسطي ، وفي أواسط المحيط الأطلنطي ، وعلى طول منطقة الانهدامات من شرق أفريقيا إلى البحر الميت ، ونهر الأردن ، إلى شمال سوريا ، حيث تتراكم الحمم النارية بعد انطلاقها من جوف الأرض ، لتساب على جوانب المخاريط البركانية من خلال فتحات واسعة في أخاديد عظيمة مليئة بالنيران المتوهجة الحارقة ، فعندما ينفجر بركان في مكان ما ترتفع سحب الدخان والرماد والتراب ، وتتطاير الصخور إلى مسافات بعيدة ، تتبعها موجات من الحمم السائلة المندفعة التي تحتاج المنطقة في كل اتجاه..).

ثم تحدث عن فوائد البراكين فقال :

- ١ - (معظم المعادن تخرج مع البراكين من مناطق الصدوع والانكسارات مثل الألماس والذهب والفضة والرصاص والنحاس والزنك والزرنيق والقصدير .
- ٢ - كما أن التربة البركانية تعد من أخصب الترب وأفضلها للزراعة لما فيها من مواد معدنية وغضارية .
- ٣ - أما فوائد ينباع الحارة والمعدنية فحدث ولا حرج ، فهي مظهر من مظاهر البراكين، حيث تخرج المياه الساخنة التي يستعملها الإنسان في المجالات الصحية والاستحمام كما في مدينة (ريكيافيك) عاصمة أيسلندة على سبيل المثال حيث تدفأ المكاتب والمنازل بمياه طبيعية ساخنة تجلبها الأنابيب من جوف الأرض الساخن . كما يمكن استخدام المضخات الحرارية في مناطق أخرى من العالم لتدفئة المنازل شتاء

وتبريدها صيفا . وقد استعمل الإيطاليون طريقة الحفر في شمال البلاد للحصول على البخار الساخن ، الذي تمكنوا بواسطته من توليد الكهرباء وتدفئة الأبنية المختلفة وتكييفها^(١) .

(٥) أمثلة لبعض البراكين في العالم :

- ١ - بركان (لاكي أيسلندة) عام ١٨٨٣م ونشأ عنه التصدعات في منطقة البراكين .
- ٢ - بركان (كراكاتوا) حدث عام ١٨٨٣م ونشأ عن ثورانه غبار عظيم غطى (٧٠٠) كم ، كما أن الجزيرة التي يقع عليها البركان صغر حجمها نتيجة التدمير من (٣٥.٥) كم إلى (١٠.٧) كم .
- ٣ - بركان (مونت بيلي - ماتينينك) حدث عام ١٩٠٢م . رفع غطاء الفوهة الصغرى إلى أعلى في البداية ثم عاد هذا الغطاء وهبط بعد عدة أسابيع ، وخرجت منه غازات سامة أدت إلى فناء سكان المدينة .
- ٤ - بركان (فليجيري) حدث عام ١٩٣٧م في منطقة فليجيري قرب (بؤرول) في إيطاليا وبالقرب منه فوهته تشغلها حاليا بحرية أفيرنو .
- ٥ - بركان (باراكوتين المكسيك) حدث عام ١٩٤٣م وهو بركان جديد لأول مرة ارتفاعه ٨٠٠م^(٢) .

(١) فوزي حميد ، الجغرافيا القرآنية برهان خارق على عظمة الخالق (ص ٢٧٢-٢٧٤) .

(٢) د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ، الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم (ص ١١٤) .

(٦) خمود البركان ونشاطه :

بالنسبة لخمود البراكين وتجدد نشاطها يقول الدكتور حسن أبو العينين : (إلا أن تصنيف البراكين إلى مجموعات نشيطة وهادئة وخامدة لا يعد تقسيما علميا دقيقا ذلك لأن بعضا من البراكين الهادئة أو الخامدة قد تتعرض لثورانات بركانية جديدة تجدد من دوراتها ونشاطها ، وتنبثق منها بذلك مصهورات بركانية ثائرة ، وتدخل من جديد ضمن مجموعة البراكين النشيطة ، وقد عد سكان مدينتي (بومبي) و(هاركلانيوم) في نابلي بإيطاليا بركان (سوما) بركانا خامدا ، وذلك حتى عام ٧٩ ميلاديا لانخمد نشاطه لمدة بلغت من ٧٠٠ سنة ولكن في عام ٨٠م تجدد نشاط البركان وانبثقت منه الحمم والمصهورات البركانية معلنة تجديد حياته وميلاد بركان نشيط في قلب البركان القديم ، وسمي هذا البركان الحديد باسم بركان (فيزوف)^(١) .

وبعد هذا العرض المختصر للبراكين عرض أقوال المفسرين في قوله تعالى :

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور : ٦] .

(١) قول القاسمي :

في قوله تعالى : ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ أي المملوء ، أو الذي يوقد ، أي يصير نارا كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير : ٦] ثم نقل قول ابن جرير الطبري^(٢) : (والأول أولى أعني أن معناه البحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض لأن الأغلب من معاني (السجر) الإيقاد أو الامتلاء ، فإذا كان البحر غير موقد اليوم ، ثبت له الصفة الثانية وهو الامتلاء ، لأنه كل وقت ممتلئ)^(٣) .

(١) د. حسن أبو العينين ، من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢/ ١٢١-١٢٣) .

(٢) الطبري : أبو جعفر ، محمد بن جرير ، تفسير ابن جرير الطبري (٢٧/ ١٩-٢٠) .

(٣) محمد جمال الدين القاسمي ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦/ ٣٥٢) .

(٢) قول المراغي :

وتتضح الناحية العلمية في تفسيره حيث يرى في قوله تعالى : ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ إشارة

للبحر المتقد في باطنه (.. والمسجور : أي الموقد المحمي ، من سجر النار أي أوقدها وعني به باطن الأرض وهو الذي دل عليه الكشف الحديث ولم تعرفه الأمم قديما ، وقد أشارت إليه الأحاديث ، فعن عبد الله بن عمر : (لا يركبن رجل البحر إلا غازيا أو معتمرا أو حاجا، فإن تحت البحر نارا، وتحت النار بحرا)^(١) .

وقد أثبت علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا) أن الأرض كلها كبطيخة وقشرتها كقشرة البطيخة ، أي إن نسبة قشرة الأرض إلى النار التي في باطنها كنسبة قشرة البطيخة إلى باطنها الذي يؤكل ، فنحن الآن فوق نار عظيمة ، أي فوق بحر مملوء نارا ، وهذا البحر مغطى من جميع جهاته بالقشرة الأرضية المحكمة السد عليه ومن حين إلى آخر تتصاعد من ذلك البحر نار تظهر في الزلازل والبراكين كبركان فيزوف الذي هاج بإيطاليا سنة ١٩٠٩م وابتلع مدينة (مسينا) ، والزلزلة التي حدثت باليابان سنة ١٩٢٥م وخربت مدنا بأكملها .. وعند إيضاحه المعنى أشار إلى معنى آخر لمعنى (المسجور) المحبوس الذي لا يفيض فيغرق أهل الأرض (والبحر المسجور) أي والبحر المحبوس من أن يفيض فيغرق جميع ما على الأرض ولا يبقى ولا يذر من حيوان ونبات ، فيفسد نظام العالم وتعدم الحكمة التي من أجلها خلق ، وقد يكون المعنى والبحر الموقد في باطن الأرض بمنزلة التنور المحمي^(٢) .

(٣) قول طنطاوي جوهري :

(١) حديث أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب (٩) في ركوب البحر في الغزو . عون المعبود شرح سنن أبي

داود ، رقم الحديث (٢٧٤٢) (١٦٦/٧) .

(٢) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي (٢٧/١٧-١٩) .

بأن (البحر المسجور) إشارة إلى باطن الأرض الملتهب ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ أي الموقد

المحمى بمنزلة التنور المسجور كما قال ابن عباس ، وهذا البحر هو كشف في العصر الحاضر على سبيل الظن ، وقد أشارت له الأحاديث ، ولكن الأمم قديما لم تعرفه ، فعن عبد الله بن عمر : (لا يركب رجل البحر إلا غازيا أو معتمرا أو حاجا فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا) ولا جرم أن هذا البحر هو باطن الأرض الذي اتضح اليوم ... باطنها ، فنحن الآن نسكن فوق نار عظيمة ، أي فوق بحر مملوء نارا ، وهذا البحر مغطى من جميع جهاته بالقشرة الأرضية المحكمة سدا عليه ، ومن وقت إلى وقت يتصاعد من ذلك البحر نار تظهر في البراكين أو بالزلازل كالزلزلة اليابانية التي حدثت في سنة ١٩٢٥ م ، وكبركان (فيزوف) بإيطاليا ، وهذا البحر المسجور الآن يعتبر من أكبر المعجزات للقرآن الكريم ، فإنه لم يعلم به أحد من الأمم الإسلامية ، ولا غير الإسلامية بعد النبوة ، ومن عجب أن يذكر في الحديث أن تحت البحر نارا ، وهذا عجيب . وأما كون النار تحتها ماء فمعناه أن البحر فوق الأرض والنار في باطنها ، وفي الجهة المقابلة يكون البحر ، فالبحر في الجهتين المتقابلتين والنار محصورة بينهما^(١) .

(٤) قول محمد الطاهر ابن عاشور :

يرى أن البحر المذكور في الآية هو البحر الأحمر ويجوز أن يراد به البحر المحيط بالكرة الأرضية . كما ذكر بأن الظاهر عنده في الآية إيحاء إلى البحر الذي أغرق الله سبحانه فيه فرعون . وأسجره عليه أي أفاضه على فرعون وملأه (والبحر يجوز أن يراد به البحر المحيط بالكرة الأرضية . وعندي : أن المراد بحر القلزم ، وهو البحر الأحمر ومناسبة القسم به أنه به أهلك فرعون ، حين دخله موسى وبنو إسرائيل فلحق بهم فرعون ، والمسجور : قيل المملوء ، مشتقا من المسجور ، وهو الملاء والإمداد ، فهو صفة كاشفة قصد منها التذكير بحال خلق الله إياه مملوءا ماء دون أن تملأه أودية أو سيول ،

(١) طنطاوي جوهري ، تفسير الجواهر (١٣/ ٢٠٦-٢٠٧) .

أو هي للاحتراز عن إرادة الوادي ، إذ الوادي ينقص فلا يبقى على ملئه وذلك دال على عظيم القدرة ، والظاهر عندي أن وصفه بالمسجور للإيحاء إلى الحالة التي كان بها هلاك فرعون بعد أن فرق الله تعالى البحر لموسى وبني إسرائيل ثم أسجره ، أي أفاضه على فرعون وملئه^(١) .

(٥) قول الدكتور محمد محمود حجازي :

لم يشير إلى الإعجاز العلمي الذي أثبت بأن باطن الأرض نار ملتهبة .
ذكر بأن معنى (المسجور) المملوء . وقيل المملوء نارا (وأقسم بالبحر المملوء نارا أو هو المملوء ماء)^(٢) .

(٦) قول الدكتور وهبة الزحيلي :

وتبرز الناحية العلمية في تفسيره حيث حمل قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير (المسجور) بـ(المحبوس) أي البحر المحبوس في داخل الأرض وباطنها وأنه يتفجر نارا يوم القيامة ، واستدل على قوله هذا بخروج نار البترول في قاع البحار وكذلك ثوران البراكين والزلازل ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ والبحر المملوء ماء ، المحبوس عن الأرض اليابسة ، الموقد نارا كالتنور المحمى الذي يتفجر بالنار الملهبة يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ . [التكوير : ٦]

ومن المعروف أن النفط يستخرج من قاع البحار كالأرض اليابسة ، وتتصاعد منه بين الحين والآخر الزلازل والبراكين^(٣) .

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير (٢٧ / ٣٩ - ٤٠) .

(٢) د. محمد محمود حجازي ، التفسير الواضح (٣ / ٥٤٥) .

(٣) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير (٢٧ / ٥٧) .

قلت تفسير معنى (المسجور) ب(الموقد) تؤيده اللغة . والقسم هنا بلفظ المفرد (والبحر المسجور) ، ولعل المراد بالبحر المحبوس في باطن الأرض وهو المتقد والمشتعل نارا ولا يمتنع أن يكون البحر مملوءا أيضا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ [الطور : ٦] .

- رجع القاسمي قول ابن جرير الطبري بأن معنى (المسجور) المملوء ، أو الذي يوقد .
- وقال الدكتور محمد حجازي بأن (المسجور) المملوء نارا أو ماء ، ولم يشر إلى الجانب العلمي وهو أن في الآية الكريمة إشارة إلى ما في باطن الأرض من البحر المشتعل نارا والذي يحتمله نص الآية الكريمة .
- وذهب محمد الطاهر ابن عاشور إلى أنه يجوز أن يراد بالبحر المحيط بالكرة الأرضية ، والظاهر عنده أنه البحر الأحمر الذي أهلك به فرعون وأسجره عليه وملاه .
- ويتضح الجانب العلمي في قول المراغي ، وطنطاوي جوهري ، والدكتور وهبة الزحيلي .
- حيث أشار المراغي إلى أن المراد بقوله تعالى ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ البحر المتقد نارا في باطن الأرض وأيد قوله بالحديث النبوي (فإن تحت البحر نارا) وبما أثبتته علماء طبقات الأرض .
- وهو قول طنطاوي جوهري بأن ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ هو البحر الموقد في باطن الأرض وتظهر ناره في البراكين والزلازل ، والكشف عن هذا المعنى من أكبر المعجزات للقرآن الكريم .

- وأيد قول ابن عباس الدكتور وهبة الزحيلي في تفسير ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ بالبحر المحبوس في باطن الأرض وأنه يتفجر نارا يوم القيامة ، واستدل بقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير : ٦] وبما يشاهد من خروج النار من قاع البحار مثل نار البترول والبراكين .

وبعد النظر في الأقوال السابقة يمكن القول :

- يرجح قول أهل اللغة في تفسير (المسجور) بـ(الموقد) . وقد أشار ابن جرير الطبري إلى اختلاف أهل التأويل في معنى (المسجور) وذكر ثلاثة معان وهي (الموقد) ، (المملوء) ، و(المحبوس) ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما : (وقوله ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ قال ابن جرير الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى المسجور ، فقال بعضهم : الموقد وتأويل ذلك : والبحر الموقد المحمى . وقال آخرون : المسجور : المملوء . وقال آخرون : المسجور المحبوس . ثم قال بعد ذكر الأقوال : (وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : معناه : والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض وذلك أن الأغلب من معاني الإيقاد ، السجر ، كما يقال : سجرت التنور ، بمعنى أوقدت ، أو الامتلاء .. فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر ، وكان البحر غير موقد اليوم وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور ، فبطل عنه إحدى الصفتين ، وهو الإيقاد صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم ، وهو الامتلاء ، لأنه كل وقت ممتلئ^(١) .

قلت رحمك الله تعالى يا ابن جرير . قولك (فإذا كان البحر غير موقد اليوم ، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور) . قد كشف العلم اليوم عن البحر الذي في باطن الأرض وهو متقد ناراً وهو المسجور ، وقد أشار أيضاً ابن قيم الجوزية إلى اختلاف الأقوال في تفسير (المسجور) ورجح قول أهل اللغة بقوله : (وأقوى الأقوال في المسجور أنه الموقد . وهذا المعروف في اللغة من المسجور . ويدل عليه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾

[التكوير : ٦] . وإذا اعتبرت أسلوب القرآن ونظمه ومفرداته رأيت اللفظة تدل على ذلك كله ، فإن البحر محبوس بقدرة الله ، ومملوء ماء ، ويذهب ماؤه يوم القيامة ويصير ناراً . فكل من المفسرين أخذ معنى من هذه المعاني . والله أعلم^(٢) .

(١) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٧/ ١٨) .

(٢) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن (ص ٢٧٠) .

وبناء على ما سبق يتضح معنى قوله تعالى ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قسم من الله سبحانه

وتعالى بالبحر المملوء والمتقد نارا والمحتبس في باطن الأرض وله دلائل وظواهر مشاهدة وهي حدوث البراكين والزلازل . ويشهد لهذا قول النبي ﷺ : « فَإِنْ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا » .

والزلازل والبراكين من الظواهر الكونية مثلها حدوث الفيضانات والعواصف الثلجية والبحرية وغيرها التي توقظ القلوب من رقادها . ويعلم الحس البشري بأن للكون خالقاً له إرادة نافذة فيه ، قال رسول الله ﷺ : « لَا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلَّا حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا » . قال الخطابي : ضعفوا إسناد هذا الحديث ^(١) .

قلت إن هذا الحديث تعددت مخارجه في كتب الحديث ^(٢) ، وإن ضعف سنده .

وقول النبي ﷺ : « .. فَإِنْ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا » فيه إعجاز علمي حيث أخبر عما هو حقيقة واقعة وخاضعة للتجربة والمشاهدة بالعين ، حيث ثبت علمياً بأن باطن الأرض يغلي من شدة الحرارة ، حيث تصل درجة الحرارة عند المركز إلى (٥٠٠٠) م ^(٣) على عمق (٣٦٧) كم . وقد أكدت الدراسات العلمية بأن بباطن الأرض نارا محتبسة بدليل حدوث البراكين من قاع البحار أو من على سطح الأرض اليابسة ^(٤) .

(١) حديث أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب (٩) في ركوب البحر في الغزو . عون المعبود شرح سنن أبي داود ، رقم الحديث (٢٤٧٢) (١٦٦/٧) .

(٢) أحمد بن حسن الحارثي ، الأحاديث النبوية التي استدلت بها على الإعجاز العلمي في الإنسان والأرض والفلك (رسالة ماجستير) (ص ٢٦٩) .

(٣) وتصل درجة الضغط الجوي (١.٤) مليون ضغط جوي وتصل الكثافة إلى حوالي خمسة أضعاف كثافة القشرة الأرضية . د. منصور حسب النني ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء ص ٤٣٩ .

(٤) د. عبد العليم خضر عبد الرحمن ، الزلازل الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم (جوف الأرض الملتهب) (ص ٨٣-١١٢) بتصرف .

كما تخرج عيون الماء الساخنة (الفوارة والمعدنية) من باطن الأرض الملتهب .

كما يستخرج البترول من قاع البحار ويخرج غازه ويشتعل نارا .

ففي قول النبي محمد ﷺ سبق علمي وإعجاز . وتفسير لقول الله تعالى الذي أقسم (بالبحر المسجور) المتقد والمملوء نارا والمحتبس في باطن الأرض عن الأعين . وقد قرن الله سبحانه وتعالى بعد القسم بالبحر بالعذاب الواقع لا محالة ولا أحد يستطيع دفعه في الحالتين : حدوث البراكين ، وعذاب الآخرة

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨ ﴾ [الطور : ٦-٨] . فثبت أن في الآية

الكريمة إشارة للبحر المتقد في باطن الأرض (وهو المصدر الممّون لتجدد حدوث البراكين)، وذكر ذلك المراغي وطنطاوي جوهرى والدكتور وهبة الزحيلي . وقد تأكد حدوث ذلك الخبر عن النبي ﷺ بخروج نار من أرض الحجاز . بقي الإشارة إلى القسم بلفظ المفرد بينما القسم في موضع آخر بلفظ الجمع ؟ لعل في اللفظ المفرد إشارة إلى أنه بحر يختلف في طبيعته عن بقية البحور المعهودة والمعروفة والذي كشف عنه العلم الحديث في باطن الأرض والتي تخرج منه البراكين والمراد بجمع اللفظ في البحار ، عند قيام الساعة تشتعل بحار الأرض نارا قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَلْحَا تُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير : ٦] .

والله سبحانه وتعالى أعلم بحقائق أسرار تكوين خلقه وكونه والله تعالى ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل .

وبهذا المبحث كان ختام المسك للرسالة .

١ - قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ رَفَعُوا أَنْفُوعًا مِّنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧]

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ ۚ

وَفَصَّلَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَنْقُبُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا بِوَعْدِهِمْ ﴿١٦﴾ [الأحقاف: ١٦]

٣ - وقال الله تعالى : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدْ

الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨]

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله و أصحابه و أزواجه و آل بيته الطيبين الطاهرين ، اللهم احشرنا في زمرةهم وأكرمنا بكرامتهم وأرزقنا مرافقتهم وصحبتهم في الجنة آمين يارب العالمين .
وإليك الآيات الكريمة التي ذكر فيها الخسف والزلازل .

الآيات المكية التي ذكر فيها الخسف والزلازل :

ذكر لفظ (خسف) (٢) مرتين :

م	السورة	الآية	رقمها
١	القصص	﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُ اللَّهُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾	٨٢
٢	القيامة	﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴾	٨

ذكر لفظ (خسفنا) (٢) مرتين :

م	السورة	الآية	رقمها
١	القصص	﴿ خَسَفْنَا بِهِ يَدَايِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾	٨١

م	السورة	الآية	رقمها
٢	العنكبوت	﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	٤٠

ذكر لفظ (نخسف) (١) مرة واحدة :

م	السورة	الآية	رقمها
١	سبأ	﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ إِن نَّشَاءُ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾	٩

ذكر لفظ (ينخسف) (٣) مرات :

م	السورة	الآية	رقمها
١	النحل	﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	٤٥
٢	الإسراء	﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾	٦٨
٣	الملك	﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ ^(١)	١٦

(١) محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٢٣٢-٢٣٣) .

نتائج البحث

عرض لأهم نتائج البحث

أولاً: الحمد لله والشكر له على نعمه الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى .

ثانياً: (التفسير العلمي) هو اجتهاد المفسر (المتمكن) من كشف موافقة الحقائق والنظريات العلمية للآيات الكونية على وجه يظهر فيه موافقة دلالات النصوص القرآنية وهذا دليل صدق القرآن وإعجازه .

ثالثاً: من منطلق دعوة القرآن الكريم إلى التفكير في خلق الكون وسننه والتبصر في خلق النفس وتسويتها ، يقبل التفسير العلمي بضوابط أهمها :

أ - أهلية المفسر للتفسير مع التضلع في العلوم العربية وقواعدها وعلوم القرآن والعلوم الكونية .

ب - عدم إقحام العقل في الأمور (الغيبية) والتي لا يستطيع العقل البشري إدراكها إلا بطريق صحيح صريح عن النبي محمد ﷺ .

ج - التركيز على الجانب اللغوي في معرفة دلالة الألفاظ على المعاني وعدم إخراج نص القرآن من الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل قاطع .

د - حديث القرآن عن الكون هو الأصل والحق ، والقرآن هو المتبوع ويرد كل قول يعارض نص القرآن ، والمعنى المتبادر للفهم الصحيح المبني على الدليل والبرهان الصادق .

هـ - ضرورة تطبيق ضوابط قبول التفسير العلمي وأصول التفسير وقواعده التي أصدرت بصددتها هيئة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة بحثاً بعنوان : (تأصيل الإعجاز العلمي) وآخر بعنوان : (الإعجاز العلمي - ضوابطه وتاريخه) وقد نشرتها الهيئة بعد طبعها برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

رابعاً: أ - المقصد الأول والأسمى من مقاصد القرآن من خلال عرض آيات الكون (التذكرة بالإيمان بالله تعالى) وهو (أصل الدين والعلم والهداية) الذي دعا إليه القرآن وكل تذكرة في القرآن وموعظة وقصص وخبر ومثل يندرج تحت قاعدته ، وبذلك المقصد تتحقق العبودية لله وحده سبحانه وتعالى ، ومن الأدلة التي عرضها القرآن الكريم للتذكرة وتندرج تحت التذكرة بالإيمان بالله تعالى ما يأتي :

١ - التذكرة : بالنظر في خلق الكون ونظامه .

٢ - التذكرة : بالتبصر في خلق النفس وتسويتها (ومجاله علم الطب).

٣ - التذكرة : بالبعث والجزاء بعد الموت .

ب - المقصد الثاني : هو ثبوت الحجة على الكافرين بعد أن طرق القرآن الكريم كل سبيل في دعوتهم للإيمان وتذكيرهم بالعهد والميثاق الذي شهدوا به على أنفسهم ، كما أقام الأدلة العقلية والحسية ، ولفت أنظارهم إلى عمق التأمل في أنفسهم وفي آفاق الكون ولكنهم أبوا وأصرروا على الكفر فسحقاً لأصحاب السعير .

خامساً: خلق الكون والإبداع فيه من أعظم الأدلة المشاهدة التي تعمق الإيمان بالله تعالى وتدعو إليه، كما تتجلى دلائل قدرة الله تعالى وعظمته (والعناية الإلهية تقتضي حياته ومشيتته وعلمه وحكمته ورحمته وإحسانه إلى خلقه ...) ^(١) ، وفي خلق الكون مظهر لملاحظات كمال صفاته سبحانه وتعالى ، ومن آياته :

(١) ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله بن أبي بكر ، التبيان في أقسام القرآن (ص ٢٧٠) . وانظر كتابه بدائع

(١) (السماء) :

بالحق خلق الله سبحانه وتعالى سبع سموات طباقا ، في يومين وأوحى في كل سماء أمرها ، رفعها بغير عمد فلا تزول ، لا أحد يعلم ما فيها من الخلق إلا الله وحده تعالى ذكره ، الذي سبج له كل شيء في الوجود ، كلت الأبصار أن ترى سماء الدنيا فيها انفطارا ، زينها الله تعالى بزينة الكواكب ، وعند قيام الساعة تفتح السماء أبوابا ثم يطويها الله تعالى كطي السجل للكتب .

في فترة (ما) كانت (السماء) (دخاناً) وهو أشبه ما يكون ببخار الماء الذي تكون منه هذا الكون ، ولفظة (الدخان) تقارب مع معنى (السديم) في (الاصطلاح العلمي) .

- كانت السموات والأرض في زمن (ما) رتقا ففتقها الله تعالى ، و(الرتق) هو الالتصاق بين الشيئين ، و(الفتق) يتحمل أوجهها من المعاني ، فالاحتمال قائم بأن السماء والأرض كانتا ملتصقتين ففتق بينهما بالهواء ، ويحتمل بأن تكون السماء مرتوقة ففتقت إلى سبع سموات ، وكذلك الأرض ، ويحتمل فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات والظاهر أن الآية تشمل ما يتحقق فيه معان الرتق والفتق ويحتمله نص الآية الكريمة إذ لا مانع من اعتبار معنى عام يجمعها جميعا ، فتكون الآية قد اشتملت على عبرة تعم كل الناس وعلى عبرة خاصة بأهل النظر والعلم فتكون من المعجزات العلمية ، وتنفطر السماء وتنشق يوم القيامة . قال الله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار : ١] .

(٢) (الشمس) :

نور الشمس نابع من ذاتها وهو مركب من عدة ألوان وهي من آيات الله تعالى الكبرى ، لها منافع وفوائد كثيرة على الإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك ، وبطلوع الشمس يأتيها نور النهار، وعند غروبها يحل علينا ظلام الليل ، بسيرها نعرف عدد السنين

والحساب ، بوجودها استفاد الإنسان والنبات والحيوان وغيره ، من مظاهر العبودية لله تعالى التسبيح بحمد الله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، أخبر الله سبحانه وتعالى عنها بأنها ﴿ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [يس : ٣٨] ويحصل استقرارها في المعنى الظاهر هو غيابها عن أعين الناظرين إليها وذلك عند الغروب ، واستقرارها النهائي يحدث عندما تؤمر بالطلوع من جهة المغرب ثم ينقطع سيرها ثم تنطفئ وتتكور ويذهب ضوءها عند قيام الساعة ، وتفسير سجودها الوارد في الحديث الصحيح حقيقته الله أعلم به ولعله يكون بمعنى أنها تجري لمستقر سجودها مسخرة طائفة في فلكها طائفة لربها ، مارة بتحت العرش والله تعالى أعلم .

(٣) (القمر) :

القمر من آيات الله تعالى الكونية المسخرة ، يسبح في فلكه وله منازل ينزل فيها ، يبدأ هلال القمر كالعرجون القديم حتى يكتمل ضوءه ويصير بدرا ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا أَشَقَّ ﴾ [الانشقاق : ١٨] ، ثم يبدأ في النقصان حتى يختفي وبذلك نعرف تاريخ الأيام والأشهر وعدد السنين والحساب ، وللقمر دور في عملية المد والجزر ، وحدوث الزلازل والبراكين ، وله تأثير على أبدان الحيوان والنبات ... وغير ذلك ، والقمر أقرب الكواكب إلى الأرض لذلك وصل إليه الإنسان عام ١٩٦٩ م ، و(نور القمر) هو انعكاس لضوء الشمس وقد أشار القرآن الكريم إلى التفرقة بين نور القمر وضوء الشمس ، وهذا دليل على سبق القرآن العلمي ومن أوجه إعجازه .

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِئَعْلَمُوا عَدَدَ

السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٥] ،

يذهب نوره بتكور الشمس عند قيام الساعة .

(٤) (النجوم والكواكب) :

النجوم والكواكب من آيات الله تعالى الكونية ، تسبح في الفضاء الواسع تحكمها قوة الجاذبية ، وذلك مظهر إبداع في صنع هذا الكون ، أقسم الله تعالى ﴿يَمَوْقِعَ النُّجُومِ﴾ [الواقعة :

٧٥] ، و(النجوم) هي كرات غازية متوهجة مثل الشمس ، و(الكواكب) تشبه الأرض التي نعيش عليها وهي ليست ساخنة ، ولا أحد يعلم عدد (النجوم والكواكب) إلا الله وحده سبحانه وتعالى .

ومن فوائد النجوم أنها علامات يهتدى بها في البر والبحر ، وزينة للسماء ، ورجوم للشياطين ، ويعرف الإنسان حالياً تسعة (كواكب) تدور حول الشمس هي : عطارد ، الزهرة ، الأرض ، المريخ ، المشتري ، زحل ، أورانوس ، نبتون ، أفلوطن ، وسوف تنكدر النجوم وتتساقط عند قيام الساعة .

(٥) (الرياح) :

(الرياح) من الظواهر الجوية التي تدل على كمال قدرة الله تعالى وإرادته النافذة في ملكه وعظيم سلطانه ، و(الرياح) مسخرة بأمر الله تعالى تحمل السحاب وتسوقه وتؤلف بينه وتبسطه في السماء ، ومن فوائدها أيضاً أنها وسيلة لنقل الأصوات والروائح وتلقيح الأشجار والأزهار ، كما أنها تسير السفن وتبرد الماء ، وتساعد على توقد النار وتجفف الأشياء الندية وتروح عن الأجسام ، و(الرياح) تبدأ بحالة الهواء الساكن وتنتهي بحالة الإعصار المدمر ، ولقد استخدم الهواء في منافع كثيرة ، وشارك الإنسان الطير في طيرانه بواسطة الهواء .

والهواء لا لون له ولا طعم ولا رائحة ، يتركب من عدة غازات أهمها الأكسجين الذي تقوم به الحياة ، واختلاف اتجاهات الرياح ومهابها يعود إلى اختلاف درجات حرارة الشمس والضغط الجوي ودوران الكرة الأرضية حول نفسها وذلك من تصرف الله تعالى للرياح .

(٦) (السحاب وماء المطر) :

السحاب من الظواهر الجوية المشاهدة التي تدل على إبداع الخالق ، و(السحاب) أصله (بخار الماء) الناشئ من أثر أشعة الشمس الساطعة على مياه البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات وغير ذلك .

وللبردة الجوية والرياح دور هام في تكثيف نوايا وذرات السحاب (السائلة والصلبة) فتمت عملية (تكثيف) بخار الماء ، انهمر نزول الماء من السحاب على شكل قطرات مائية متتابعة ، فيجري الماء على سطح الأرض ثم يغوص في أعماق الأرض ، والبعض الآخر ينتهي به المطاف إلى عرض البحر ، وبالماء تقوم أساسيات الحياة ويعم الخير والنفع لجميع الخلق ، ولا أحد يعلم وقت نزول المطر إلا الله سبحانه وتعالى . وفي عمليات الاستمطار تدليل على عجز الإنسان على التحكم في الظواهر الجوية ، وذلك أيضا دليل على إرادة الله تعالى النافذة في ملكه سبحانه وتعالى .

(٧) من الظواهر الجوية المصاحبة لنزول ماء المطر حدوث :

البرق ، والرعد ، والصواعق ، والبرد ، والأخبار والآثار الواردة في تفسير تلك الظواهر الجوية لم يثبت في تلك الأقوال قول صحيح عن النبي محمد ﷺ ، وإنما هي أقوال موقوفة على أصحابها وبعضها روايات إسرائيلية باطلة .

ومن التفسيرات العلمية :

(البرق) هو اللماع الناري الناتج عن (التجاذب الكهربائي) بين السحاب .

و(الرعد) هو صوت الهواء المختنق بين السحاب والذي تطرده كهربائية السحب ،

وما قيل في تسبيح (الرعد) ﴿ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الرعد : ١٣] ، لعله بمعنى (والله

أعلم) : أن حدوث الرعد واقع بأمر الله تعالى ، وأن الرعد نفسه يسبح لله تعالى

من حيث أنه مخلوق مسخر ويشهد بالوحدانية ويدل عليها ، وهو مظهر لتذكير سامعيه بتسبيح الله تعالى الذي خضع لعظمته وقهره وإرادته كل شئ في الوجود .

و(الصواعق) تحدث نتيجة للجذب الكهربائي (اتحاد السالب مع الموجب) فإذا قرب التيار الكهربائي من سطح الأرض تجذبه كهرباء الأرض فتحدث الصاعقة وتوليد الكهرباء استفاد الإنسان بمنافعها وقامت عليها كثير من المصالح ، وفي ذلك استغلال لنواميس الكون وسننه .

وكرات (البرد) الثلجية المختلفة الأحجام ناتجة عن قوة البرودة الجوية ، كما أن (البرد) قد يسهم في حدوث البرق ، ومثل هذه العلوم المتعلقة بالظواهر الجوية والتي تصاحب نزول ماء المطر تخضع لنظام مقدر وسنن كونية مطردة .

وهذا دليل وبرهان خارق على كمال قدرة الله تعالى وإرادته النافذة في ملكه وعظيم سلطانه .

وفي تلك الظواهر الجوية وجهان :

وجه نعمة ووجه نقمة .

فأما وجه النعمة : هو التذكير بفضل الله وإحسانه على خلقه بما في تلك الظواهر من النعم الكثيرة .

وأما وجه النقمة : فهو تحذير للإنسان وتذكير له من الظلم والطغيان والكفر والعصيان إذ أن الله تعالى قادر على أن يقتلك بتلك الظواهر ويهلك من أراد ، ولذلك فقد كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » وإذا اشتد المطر يقول : « اللهم حوالينا لا علينا » .

(٨) (الأرض) :

(الأرض) من الآيات الكونية التي يعيش عليها الإنسان ، وفيها كثير من دلائل وحدانية الخالق المبدع .

وقد حظيت (علوم الأرض) باهتمام العلماء ، والجغرافيين المسلمين وأفرد الشيخ محمد علي الصابوني الأدلة من القرآن على حركة الأرض ودورانها وأكدت يقينا صور الأقمار الصناعية بأن الأرض كروية الشكل تدور حول نفسها سابعة في فلکها حول الشمس ، تحكمها قوة جاذبيتها ، لما في ذلك من منافع تقوم بها حياة الكائنات ، من تعاقب الليل والنهار ودورة الفصول الأربعة كل عام ، ذلك تقدير العزيز الحكيم الذي أتقن صنع كل شئ ، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم خلق الأرض ، وكان خلق الأرض وتقدير أقواتها فيها في أربعة أيام .

ويرى بعض العلماء في (نظرية نشأة الكون) أن (الأرض انفصلت من الشمس وأخذت تدور في فلکها حتى بردت قشرة سطحها ، وتكثف بخار الماء المحيط بها فتكونت مياه البحار والمحيطات ، وظل باطنها (حارا) بدليل خروج البراكين منها .

وهذه المرحلة من التكوين كانت في يومين ، وذهب بعض المفسرين بأن اليوم يقدر بألف سنة ، وقول آخر بخمسين ألف سنة ، وقول ثالث أن اليوم بمعنى الحقبة الزمنية ، وبمعنى النوبة التي يعود تقديرها لعلم الله تعالى .

ومن أوجه المعاني التي تدخل في تقدير أقوات الخلق في (الأرض) أن جعل فيها من الخيرات والكنوز ما تفي بحاجة البشر ، فاستمرارية في النماء والعطاء ، مع اختلاف نظام المناخ والتربة الصالحة للزراعة والذي يؤثر بدوره في اختلاف أنواع زراعة طعام الإنسان ، كما يوجد عند بني البشر الحاجة إلى تبادل المصالح والمنافع عن طريق التجارة ، وكان ذلك التقدير في أربعة أيام من أيام الله تعالى .

والمثلثة واقعة في نفس الأرض ، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١٢] بمعنى أنها سبع طبقات بعضهن فوق بعض ، وسوف تنزلزل الأرض وتضطرب يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة : ١] كما تبدل الأرض غير الأرض قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ . [إبراهيم : ٤٨]

(٩) (الجبال) :

الجبال من دلائل كمال قدرة الله تعالى وفضله على خلقه ، من منافع الجبال أنها تثبت الأرض وتحافظ على توازنها فلا تميد ولا تضطرب ، تصل جذورها إلى حد (٧٥) كم في باطن الأرض ، ولها دور في برودة الرياح واتجاهها ، وعند ذوبان الثلج من أعلى قممها تتكون مياه العيون والأنهار الغزيرة ، وهي معقل للوحوش والسباع ، كما يستفاد من أنواع أحجارها وما فيها من خيرات المعادن .

أشار القرآن الكريم إلى حركة الجبال وسيرها مثل مر السحاب المشاهد ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمْدًا وَهِيَ تَمُورُ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨] ، وقد ثبت علميا دوران الكرة الأرضية حول نفسها وباللازم دوران الجبال مع حركة الأرض المحورية ، تسير الجبال يوم القيامة وتصبح سرابا ، قال الله تعالى : ﴿ وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبا : ٢٠] .

(١٠) (البحار والأنهار) :

مياه البحار والأنهار من آيات الله تعالى الكونية ، ولو كانت مدادا لكلمات الله تعالى ما نفذت كلمات الله تعالى ولو جئ بمثل البحر أبحر أخرى ، وفي هذا دليل على سعة علم الله تعالى وحكمته وأسراهِ التي لا تضبطها الأقلام والكتب .

وعجائب البحر وفوائده كثيرة ، ففي البحر من الحيوان والجواهر والطيب أضعاف

ما هو على وجه الأرض ، وقد سخر الله تعالى لسليمان الشياطين يغوصون له في البحر لإستخراج اللؤلؤ والمرجان وغير ذلك قال الله تعالى :

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ...﴾ [الأنبياء : ٨٢] . وأصل مياه الأمطار من بخار الماء

المتكون من مياه البحار والمحيطات، وتختلف مياه البحار عن مياه الأنهار من حيث تركيبها الكيميائي ، فمياه الأنهار صالحة للشرب ونافعة للري ، وفي مياه الأنهار فوائد ومنافع كثيرة، حيث تقوم على ضفاف الأنهار كثير من المزارع والبساتين التي تضم أنواعا مختلفة من الفاكهة والخضار والحبوب والثمار وغير ذلك ، كما تستخدم مياه الأنهار في توليد الطاقة الكهربائية .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن هناك مانعا وحاجزا بين ماء النهر وماء البحر قال الله تعالى :
﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾
[الفرقان : ٥٣] .

وقوله تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (١٩) ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَتَّصِيَانِ﴾ [الرحمن : ١٩-٢٠]

ووجود الحاجز والمانع بين المائتين المتجاورين دليل على قدرة الله تعالى، وعلل بعض العلماء ذلك بأن المانع يعود إلى اختلاف طبيعة المائتين في الكثافة والملوحة ودرجة الحرارة وقابلية ذوبان الأكسجين في كل من المائتين! كما أشار بعضهم إلى عامل الضغط الجوي وقوة جاذبية الأرض في إيجاد الحاجز والمانع من اختلاط مياه البحار والمحيطات ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه ستسجر البحار وتشتعل نارا عند قيام الساعة ،

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير : ٦] .

(١١) (الليل والنهار) :

تكرار حدوث الليل والنهار من أكبر الظواهر الطبيعية التي تدلل على خالقها وعلى قدرة الله سبحانه وتعالى على المبدأ والمعاد ، وفي خلق ظلام الليل ونور النهار منافع للخلق عظيمة ، ففي الليل يسكن بنو آدم ويكون النهار لطلب المعاش والرزق والابتغاء من فضل الله تعالى ، وبشروق الشمس وغروبها يكور الليل على النهار ، وهما مقياس للزمن الذي تعدّ به أيام العمر وسنينه . فالسعيد من غنم فيها وادخر أعمالاً صالحة .

وفي قوله تعالى : ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر : ٥]

استدل بعض المفسرين على أن في ظاهر نص الآية الكريمة دلالة على كروية الأرض ، ولا يتأتى الليل والنهار إلا بدوران الأرض حول نفسها وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمْدًا وَهِيَ تَمُورُ مَرًّا السَّحَابِ﴾ [النمل : ٨٨] . وفي الآية الكريمة دليل على حركة الجبال وذلك مثل سير السحاب ، وحركة الجبال وسيرها ملازم لحركة الأرض حول نفسها المترتب عليه تعاقب الليل والنهار على وجه الكرة الأرضية ، وهذه المسألة حقيقة يقينية كشف العلم عنها ، وفي ذلك سبق للقرآن وتصديق وإشارة علمية وإعجاز .

(١٢) (الزلازل والبراكين) :

أ - الزلازل :

الله سبحانه وتعالى الذي سخر ظهر الأرض لبني آدم ، فسهل عليهم بناء المساكن وزراعتها وشق الطرق في فجاجها والمشي عليها باطمئنان ، وكذلك سخر لهم باطنها بما فيها من خيرات عديدة .

وحدوث الزلازل تذكير بنعم الله تعالى وفضله وقدرته على خلقه ، وموعظة بعذاب الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة .

وحدوث الزلازل يحصل نتيجة حتمية للضغط المرتفع المتولد من الحرارة والحركات الباطنية المتغيرة في طبقات الأرض والتي لا تحملها القشرة الأرضية الهشة والسهلة الانكسار ، وكذلك نتيجة للحركة المحورية والتي تسهم في استمرار حفظ توازن الأرض ، وقد أخبر النبي محمد ﷺ بأن أرض الجزيرة العربية موطن للزلازل في زمن (ما) وكثرة الزلازل بين يدي الساعة . قال الله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة : ١] .

ب - البراكين :

البراكين مثل الزلازل من الظواهر الكونية ، ومثل حدوث الفيضانات والعواصف الثلجية والبحرية وغيرها .

وتكرار حدوث تلك الظواهر دلالة على خالقها وإرادته النافذة في ملكه سبحانه وتعالى .

ويرجع لفظ (البركان) إلى إله النار عند الرومان القدماء ، والبركان هو خروج النار من باطن الأرض ، وتحدث البراكين نتيجة للضغط المرتفع المتولد من شدة الحرارة والحركات الباطنية التي بداخل الكرة الأرضية ، فتقذف بالمواد المنصهرة (السائلة) على شكل كتل نارية وحمم بركانية وذلك من أجل الحفاظ على توازنها ، وفي الغالب يسبق حدوث البركان هزات أرضية ثم تبدأ عملية ثوران البركان .

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالبحر الموقد ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [الطور : ٦] وهو البحر

المملوء والمتقد نارا ، وهو المحتبس في باطن الأرض ، ويشهد لهذا المعنى قول النبي محمد ﷺ « فإن تحت البحر نارا » وهو ما ثبت علميا بأن باطنه نار ملتهبة ، كما قد أخبر النبي ﷺ بأنه ستخرج « نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى » وقد حدث ذلك سنة ٦٥٤ هـ من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة .

(١٣) (النبات والحرث) :

النبات من الظواهر الطبيعية في الكون، محكوم بسنن ونظام مقدر بميزان حكمة الخالق العظيم.

وفي زراعة النبات وإنبات الشجر تتجلى عظمة الخالق الذي أتقن صنع كل شيء ، فعملية الإنبات من أعقد العمليات الكيميائية التي يعجز البشر عن صناعة مثلها . قال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاثَ بِهِجَةً مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ بِأَنَّ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴾ [النمل : ٦٠] .

وقد أشار العلماء إلى الدقة المتناهية في تركيب عناصر ثمرة النبات المختلف في نوعه وشكله وطعمه ورائحته وإنباته في مختلف بقاع الكرة الأرضية بما يكفي حاجة الخلق ، والشجر مصدر للطاقة وسر حياته الماء الذي أنزله الله تعالى من السماء . قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] . فتأمل خلق (الحب والنوى) وما أودع فيه من قوة وعجائب كالمودع في الماء الذي خلق منه الحيوان ، وهو سر لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى .

ومن أوجه دلائل قدرة الله تعالى في الخلق ذكورة النبات وأنوثته ، والنسبة المقدرة والثابتة في تركيب عناصر أجزائه بميزان محكم . مثاله : عنصر البوتاس الذي يدخل بنسب مختلفة في حب الذرة والقصب والبرسيم والبطاطس ، وبهذا التفاوت صلح النبات لأن يكون قوتا للإنسان والقصب سكرًا والبرسيم للبهائم . قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد : ٨] ، وقوله

تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر : ١٩] .

(١٤) (الدواب والطيور) :

في خلق الدواب والطيور وتسخيرها دلائل كمال قدرة الله تعالى وعظمته ، التي تسجد لها قلوب أهل الإيمان وتخضع ، وقد ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن الحيوان وطباعة .

فمن الظواهر الطبيعية خلق جميع الدواب والطيور المرئية وغير المرئية والتي يعجز البشر عن حصر عدد أنواعها وأشكالها وإدراك تام لتفاصيل شؤون حياتها ، وأوجه العبرة في خلقها ووجودها على ما فيها من المنافع الكثيرة للإنسان والمضار له.

وقد ذكر في القرآن الكريم بعض أسماء الحيوان (البعوضة - العجل - القردة - البقرة - الخنزير - الغراب - الغنم والماعز - الجمل - الثعبان - الجراد - القمل - الضفدع - الكلب - الذئب - الخيل - البغل - الحمار - الحوت - الذباب - النملة - الهدهد - العنكبوت - الأرض - النعجة) ، وسميت بعض سور القرآن باسم الحيوان مثل سورة البقرة ، الأنعام ، النحل ، العنكبوت ، العاديات (الخيل) ، الفيل .

كما كان في بعض الحيوان معجزة لبعض أنبياء الله تعالى ، وللحيوان حقوق في الإسلام أمر بالمحافظة عليها ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه يخلق ما لا يعلمه الناس وقت نزول القرآن الكريم . قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الشَّيْءِ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨]

وفي ذلك سبق علمي للقرآن وإعجاز له ، فقد اهتدى العقل البشري لاستغلال نواميس الكون المسخرة ، والمدخرات الطبيعية الموجودة في باطن الأرض وبفضل الله وإحسانه استطاع الإنسان الانتفاع بما صنعه لخدمته وراحته وسعادته مثاله صناعة الإنسان للسيارات والطائرات وشتى وسائل الاتصال والنقل وما يستجد مستقبلا وكل ذلك يكون بتعليم الله تعالى للإنسان ، قال الله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② عَلَّمَ الْقُرْآنَ ③ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ④ ﴾ [العلق : ١-٥] .

سادساً: من خلال عرض آيات الكون تتضح خصائص منهج القرآن ومقاصده في النقاط الآتية :

- ١ - توثيق صلة العبد بربه وبلقائه وهذا منهج القرآن في الهداية للإيمان والدعوة إليه من منظور علمي مشاهد في الكون وفي الأنفس وبمفهوم أعمق يزيد في قلوب المؤمنين إيماناً .
- ٢ - علم الله تعالى المحيط بكل شئ وقدرته على كل شئ ظاهرة في إتقان صنع الكون وتنوع المخلوقات المسخرة في عالم الملك والمملوك مظهر متعلقات كمال صفاته سبحانه وتعالى .
- ٣ - تكرار القرآن الكريم الحديث عن آيات الكون توجيه للعقل وتحريك للوجدان وإيقاظ للحواس من التبلد ، لذلك فستشعر القلوب بعظمة الخالق المنعم الذي بيده أسباب السعادة والتوفيق .
- ٤ - تفصيل القرآن الكريم في الأدلة ، والتي تدلّ على ملكية الله تعالى (للكون المسخر) والذي يشهد لله تعالى بالوحدانية والمسيح بحمده ، وكذلك تصرّف الله تعالى في ملكه كيف يشاء بالحياة والموت ، والنفع والضرر ، والذكورة والأنوثة ، والزوجية في الخلق ، وغير ذلك كثير ، وبتلك الأدلة تثبت الحجة على الكافرين .
- ٥ - أشار القرآن الكريم إلى كليات العلوم وأصول المسائل وترك للعقل البشري البحث عن الجزئيات .
- ٦ - أشار القرآن الكريم إلى الحركة الدائبة في الكون لأجل مسمى .
- ٧ - بالبحث والنظر والتعمق في دراسة العلوم الكونية تستغل نوااميس الكون المسخرة في راحة البشرية ورفاهيتها كما تنكشف بعض الحقائق العلمية وبعض خفايا الكون

وأسراره والتي تؤيد ما سبق به القرآن وأشار إليه وهذا وجه لتصديق القرآن الكريم وإعجاز له ، و القرآن الكريم كلام الله تعالى المعجز يستحيل أن يكون كلام بشر .

٨ - يستنتج من وحدة النظام في خلق الكون دلائل على وحدانية الخالق الحكيم ، وأن مشيئة الله تعالى وإرادته نافذة في ملكه وعظيم سلطانه سبحانه وتعالى ، وهو الله تعالى الحي القيوم الغني الكريم الذي بيده أسباب السعادة والرزق والهداية والتوفيق لطاعته ورضاه .

٩ - أشار القرآن الكريم إلى حدوث اضطراب في نظام الكون وأنه دليل على قيام (الساعة والبعث) وأن مصير الإنسان إما للجنة وإما للنار أعادنا الله تعالى منها إنه سميع مجيب .

سابعاً: مناهج المفسرين في بيان الآيات الكونية :

من خلال عرض أقوال المفسرين في الآيات الكونية الآتية :

١ - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٥] .

٢ - ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٣﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خَيْفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ [الرعد : ١٢-١٣] .

٣ - ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾

٤ - ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لَتَرَكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

٥ - ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

٦ - ﴿الَّذِينَ تَرَأَى فِي السَّمَاءِ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ. وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣].

٧ - ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

٨ - ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

٩ - ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

١٠ - ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ أَلْيَلًا عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى أَلْيَلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الزمر: ٥].

١١ - ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمِئِذٍ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَقْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

١٢ - ﴿وَخَلِّفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ

الرِّيحِ ءَايَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية : ٥] .

١٣ - ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور : ٦] .

١٤ - ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة :

٧٥-٧٦] .

١٥ - ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك : ١٦] .

يتضح الجانب العلمي في كتب التفسير الآتية :

١ - تفسير القاسمي : محمد جمال القاسمي (محاسن التأويل)^(١) .

٢ - تفسير محمد رشيد رضا (تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار)^(٢) .

٣ - تفسير طنطاوي جوهرى (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) .

٤ - تفسير المراغى : أحمد مصطفى المراغى^(٣) .

٥ - تفسير ابن عاشور : محمد الطاهر (التحرير والتنوير)^(٤) .

(١) انظر : مقدمة تفسيره ، فصل في بيان المسائل العلمية الفلكية الواردة في القرآن الكريم (١ / ٣٣٧) .

(٢) انظر : مقدمة تفسيره (١ / ٢٠٧-٢٢٠) ، وكتابه الوحي المحمدي (ص ٣٥٥) .

(٣) انظر : مقدمة تفسيره (١ / ٤) ، وتقديمه لكتاب (الإسلام والطب الحديث) للطبيب عبد العزيز

إسماعيل باشا (ص ٥-٦) حيث أيد في تلك المقدمة التفسير العلمي ، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ،

اتجاهات في التفسير في القرن الرابع عشر (٢ / ٥٦٦) .

(٤) انظر مقدمة تفسيره ، المقدمة العاشرة (١ / ١٢٧-١٢٩) ، د. بلقاسم الغالي ، من أعلام الزيتونة : شيخ

الجامع الأعظم ، محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره (ص ٨٣) .

٦ - تفسير د. محمد محمود حجازي (التفسير الواضح)^(١) .

٧ - تفسير د. وهبة الزحيلي (التفسير المنير)^(٢) .

وكل مفسر من هؤلاء ضرب بسهم من المعاني التي يحتملها (نص) القرآن الكريم والموافق لقواعد التفسير وأصوله ، ومنهجهم أقرب إلى الصواب في تحقيق (ضوابط قبول التفسير العلمي) ، كما أشاروا لبعض مقاصد القرآن وأغراضه من خلال تفسيرهم للآيات الكونية .

(طنطاوي جوهري) في كتابه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) قد خرج بمنهجه وفهمه عن قواعد التفسير وأصوله ، ولم يحقق في تفسيره (ضوابط قبول التفسير العلمي) وهذا حكم سابق من أهل العلم^(٣) ، وأترك للقارئ نتائج أخرى يستنبطها وفوائد يستنتجها .

ثامناً : التوصيات :

(أ) من منطلق دعوة القرآن الكريم للتفكير في خلق الكون ونظامه ، يجب على علماء الأمة الإسلامية مسابقة الشرق والغرب في معرفة العلوم الكونية والبحث فيها ، وخاصة علوم الفضاء وعلوم الأرض ، فهم أولى برسالة العلم من غيرهم .

(ب) أوصي جميع الأساتذة والمعلمين ورجال التعليم قاطبة والمعلمات أيضاً أن يكون

(١) انظر مقدمة تفسيره (٦ / ١) .

(٢) انظر مقدمة تفسيره (٨ - ٧ / ١) .

(٣) د. محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون (٢ / ٤٩٤ - ٤٩٦) ، د. عبد المجيد المحتسب ، اتجاهات

التفسير في العصر الراهن (ص ٢٧٢ - ٢٧٧) ، د. فهد عبد الرحمن الرومي ، اتجاهات في التفسير في

القرن الرابع عشر (٢ / ٦٧٢ - ٦٧٨) .

تدريس المواد العلمية وعلوم الكون الطبيعية من خلال منظور إيماني يوثق صلة العبد بخالقه، وبمفهوم إيماني أعمق تزداد المعرفة بالله تعالى وتوضح الهدف للطلاب بأن نظام الكون وسننه هي قوانين الله تعالى في الكون وليست هي قوانين الطبيعة بل هي دلائل توحيد خالق الكون، بالحق سبحانه وتعالى .

(ج) أوصي بعقد مجمع علمي كل خمس سنوات أو عشر سنوات يحضره علماء من كافة أقطار العالم الإسلامي بمقر هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة لمناقشة القضايا العلمية المتعلقة بالآيات الكونية نظير المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة .

(د) اقترح تدريس آيات الكون ، وأن توضع في مناهج التعليم بمراحله المختلفة .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ۖ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ [يونس : ٩-١٠] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف : ١٠٨-١٠٩]

وقال الله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى

الرُّسُلِ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات : ١٨٠-١٨٢] .

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ

أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٦﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ [الزمر: ٧٣-٧٥]

وقال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ [الأحقاف : ١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴾ [نوح : ٢٨] . وهذا مسك الختام للرسالة .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وآل بيته الطيبين الطاهرين ، اللهم احشرنا في زمرة من أكرمنا بكرامتهم وارزقنا مرافقتهم وصحبهم في الجنة اللهم آمين يا رب العالمين .

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١	اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم	٧٢
٢	إلا فهما يعطاه الرجل	٣٤
٣	أتيت بالبراق	٤٨٦
٤	أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال خلق	٣١٧
٥	وحتى تعود أرضا لعرب مروجاً وأنهاراً	٤١٢
٦	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً	٤٧٤
٧	إن العالم ليستغفر له من في السموات	٤٧٤
٨	أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم	٤٨٦
٩	سماع النبي محمد ﷺ صوت حنين جذع النخلة	٥٥٣
١٠	بلغوا عني ولو آية فرب	٣٣
١١	إذا انتهكت المحارم	٢٧٨
١٢	ما بين كل سماء وسماء مسير خمس مئة عام	١٤٠
١٣	بأن النبي محمد ﷺ عرج به إلى السبع السماوات	١٣٩
١٤	اعمل من وراء هذه البحار	٤٠٠
١٥	قريش تطلق على الرسول ﷺ (ابن أبي كبشة)	٢٢٢

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١٦	قال أنيت بالبراق وهو دابة أبيض.....	٤٨٦
١٧	إن الله تكب الإحسان على كل شيء.....	٤٩٠
١٨	خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة.....	٤٩٢
١٩	فإن تحت البحر ناراً.....	٦٠٤
٢٠	بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب.....	٤٨٨
٢١	أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال خلق.....	٣١٦
٢٢	إذا انتهكت محارم الله.....	٢٧٨
٢٣	تعريف الإيمان عند أصول أهل السنة ورد بمعنى.....	٨٤
٢٤	اطلع النبي علينا ونحن نتذاكر.....	٤٨٤
٢٥	أعمل من وراء هذه البحار.....	٤٠٠
٢٦	اغتنم خمساً قبل خمس.....	٤٥٥
٢٧	ألم تروا إلى ما قال ربكم.....	١٥
٢٨	أمتي أمة مرحومة.....	٥٨٦
٢٩	إن العالم ليستغفر له.....	٤٧٤
٣٠	إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم..... ثم عرج بنا إلى السماء.....	٤٨٦
٣١	إن رسول الله ﷺ لعن من أتخذ شيئاً فيه روح غرضاً.....	٤٩١

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٣٢	إن في الجسد مضغة إذا صلحت	٩٨
٣٣	أول ما خلق الله تعالى من شيء القلم	١٤٨
٣٤	بحدوث خسف بجزيرة العرب	٥٦٩+٤٨٤
٣٥	ما من مولود إلا يولد على الفطرة	٨٨
٣٦	بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان	٤٨٦
٣٧	بينما راع في غنمه	٤٨٧
٣٨	تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة	٢٨٩
٣٩	خسفت الشمس في عهد رسول الله	١٨٩
٤٠	رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٧٨
٤١	زويت لي الأرض	٣٩٢+٤٠
٤٢	فإذا سألتكم الله فسلوه الفردوس	١٣٩
٤٣	فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس	٤٥٦+١٨٨
٤٤	في كل ذات كبد رطبة أجر	٤٩٢
٤٥	كان رسول الله عند سماع صوت الرعد ((اللهم...))	٢٩٧
٤٦	كتب الله مقادير الخلائق	١٣
٤٧	كل شيء خلق من ماء	٥٣٢+١٤٨

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
٤٨	كنت مع رسول الله في المسجد عند غروب الشمس	١٩٤
٤٩	لا تسبوا الريح فإنها من روح الله	٢٤٢
٥٠	لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز	٥٨٩
٥١	لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم	٥٦٨
٥٢	لا تقوم الساعة حتى يكثر المال	٤١٢
٥٣	لا يركب البحر إلا غازیاً أو معتمراً وإلا حاجاً	٦٠٤
٥٤	اللهم بارك لنا في شامنا	٥٨٦
٥٥	اللهم حوالينا لا علينا	٢٩٧
٥٦	ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما	٢٠
٥٧	من ظلم قيد شبر	٣٠٥
٥٨	من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم	٦٩
٥٩	الميت يضرب بمطارق من حديد	٤٩٢
٦٠	نصرت بالصبا	٢٤٢
٦١	نبى رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب صبراً	٤١٥
٦٢	اللهم لا تقتلنا بغضبك	٢٨٩+٢٨٥

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
	٢٩٧+
٦٣	والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع	٤٨٨
٦٤	وأنها تعلم أن القيامة تقوم يوم الجمعة	٤٣٩
٦٥	وبين يدي الساعة موتان	٥٦٩
٦٦	ولا يعلم متى يأتي المطر	٢٧٨
٦٧	يا رسول الله إذا رأيتك طابت نفسي	١٤٩+١٤٨
٦٨	يتعاقبون فيكم ملائكة	٤٥٦



فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	م
٣١	إبراهيم بن موسى محمد الغرناطي	١
٧٣	ابن النقيب / محمد بن سليمان المقدسي	٢
٣٠٨+٣٦	ابن تيمية / أحمد بن عبد الحليم	٣
٣٠٨	ابن حزم / علي بن أحمد	٤
٣٠٧	ابن حوقل / محمد بن حوقل البغدادي	٥
٣٠٨	ابن خلدون / عبد الرحمن بن محمد بن محمد	٦
٥٨٨	أبو عبيد البكري الأندلسي	٧
٣١	أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي	٨
٣٠٧	الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله	٩
١٥	إسحاق بن مرارة الشيباني	١٠
٣٠٧	الإصطخري إبراهيم بن محمد الفارسي	١١
٧٣	الإمام النووي / أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف	١٢
٥٥	بدر الدين بهادر الزركشي	١٣
٤٣	الجاحظ / عمرو بن بحر	١٤
٢٠٠	الحافظ / بن حجر العسقلاني	١٥
٣١٧	حجاج بن محمد المصيصي	١٦

١٧	الحسين بن أحمد بن خالويه .	٢٤٤
١٨	زكريا بن محمد بن محمود القزويني .	٥٢
١٩	ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي .	٤٥
٢٠	طنطاوي بن جوهري المصري .	١٤٣
٢١	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .	٥٧
٢٢	محمد الطاهر بن عاشور .	١٤٤
٢٣	محمد القاسم الأنباري .	٣٠٥
٢٤	أبو عبدالله الرازي / محمد بن عمر بن الحسن .	٤٩
٢٥	محمد بن محمد بن محمد الغزالي .	٤٧
٢٦	محمد بن مصطفى المراغي .	١٤٢
٢٧	محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي .	٣٠
٢٨	محمد جمال الدين بن علي الحلاق .	١٤٢
٢٩	محمد رشيد رضا محمد شمس الدين الحسني .	١٤٣
٣٠	المسعودي علي بن الحسين .	٣٠٨
٣١	المقدسي محمد بن أحمد .	٣٠٨
٣٢	ياقوت الحموي : ياقوت عبد الله الرومي .	٣٠٧
٣٣	يحيى بن شرف بن مري الخزامي الحوراني النوي .	٧٣

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - اتجاهات التفسير العلمي في العصر الراهن : د. عبد المجيد المحتسب، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م، منشورات النهضة الإسلامية .
- ٣ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر : د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ ، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- ٤ - الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، قدم له وعلق عليه : محمد شريف سكر ، راجعه : مصطفى القصاص ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان .
- ٥ - الأحاديث النبوية التي استدل بها على الإعجاز العلمي في الإنسان والأرض والفلك : رسالة ماجستير ، أحمد حسين أحمد الحارثي ، ١٤١٣هـ ، كلية الحديث والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .
- ٦ - إحياء علوم الدين : تصنيف الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الأسفار وتخريج ما في الإحياء من الأخبار ، للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي ، المتوفى ٨٠٦هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- ٧ - أخلاق أهل القرآن : أبو بكر محمد بن حسين الآجري ١٣٦هـ ، حققه وخرج أحاديثه : محمد بن عبد اللطيف ، بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث ، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

- ٨- ارتياد الفضاء بين العلم والقرآن : د. منصور حسب النبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٩- الاستمطار: د. علي حسين موسى ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، بيروت ، لبنان .
- ١٠- أسرار الكون في القرآن وتكوين الإنسان : داود سليمان السعدي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٧٧م ، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- ١١- الإسرائيليات الموضوعات في كتب التفسير : د. محمد أبو شهبة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ ، الدار السلفية لنشر العلم ، القاهرة .
- ١٢- أسس الإنتاج النباتي : تأليف نخبة من أعضاء هيئة التدريس بكلية الزراعة ، قسم الإنتاج النباتي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ ، مطابع جامعة الملك سعود .
- ١٣- الإسلام العظيم ووحدانية الله ودلائلها من العلم الحديث : جمال الدين عياد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، شركة مكنتات عكاظ للنشر والتوزيع ، جدة .
- ١٤- الإسلام في عصر العلم (الدين والرسول والكتاب) : محمد أحمد الغمراوي ، إعداد عبد السلام الكرواني ، ١٩٧٣م ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ، القاهرة .
- ١٥- الإسلام والطب الحديث : عبد العزيز إسماعيل باشا ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥م ، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
- ١٦- الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق : د. كارم السيد غنيم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٩٥م ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- ١٧- الإعجاز العلمي في الإسلام : محمد كامل عبد الصمد ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، الدار المصرية اللبنانية .

- ١٨- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه : د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
- ١٩- إعجاز القرآن الكريم في آفاق الزمان والمكان : د. منصور محمد حسب النبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ٢٠- إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي ، الطبعة التاسعة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، بيروت ، لبنان .
- ٢١- إعجاز القرآن في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر : إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ٢٢- إعجاز النبات في القرآن : د. نظمي خليل أبو العطا ، مكتبة النور ، مصر الجديدة ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٢٣- الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٦م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .
- ٢٤- أفرأيت النار التي تورون : د. أحمد عروة ، إشراف د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح ، إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، مطبعة الأمل للطباعة الإلكترونية ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- ٢٥- الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم : د. سليمان عمر قوش ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، الدوحة ، دار الثقافة .

- ٢٦- اكتشف الفضاء والكواكب والنجوم: مفيد عبد الخالق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان.
- ٢٧- الإكليل في إستنباط التنزيل: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩هـ - ٩١١هـ / ١٤٤٥م - ١٥٠٥م)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٢٨- الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير: د. عبد الغفار عبد الرحيم، المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٤٠٠هـ.
- ٢٩- الإنسان في الكون بين القرآن والعلم: د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عالم المعرفة والنشر والتوزيع، جدة.
- ٣٠- الأنهار في العالم: تأليف/ آن تيري هوايت، ترجمة العميد ا.ح. محمد عبدالفتاح إبراهيم، إشراف ومراجعة/ د. محمد صابر سليم، طبعة دار المعارف.
- ٣١- آيات التوحيد: قوانين الله وليست قوانين الطبيعة، د. محمود سراج الدين عفيفي، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٣٢- الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محيي الدين مستو، الطبعة الثانية، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
- ٣٣- البحر المحيط في علم التفسير: محمد بن يوسف الشهير المكنى بأبي حيان الأندلسي، وبهامشه: (أ) تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان. (ب) كتاب الدر اللقيط من البحر المتوسط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣٤- البداية والنهاية : أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي ، ت ٧٧٤هـ ، دقق أصوله وحققه : د. أحمد ملحم ، د. علي نجيب عطوي ، الأستاذ. فؤاد السيد والأستاذ. مهدي ناصر الدين ، الأستاذ. علي عبد الستار ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

٣٥- بدائع الفوائد : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق: هشام عبد العزيز ، عادل عبد الحميد العدوي ، أشرف أحمد الجبال ، طبعة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز .

٣٦- البرهان في علوم القرآن : للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، (٧٤٥-٧٩٤هـ) ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م .

٣٧- تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق : أنس عبد الحميد القوز (قائد طيار) الطيار ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٣٨- التبيان في آداب حملة القرآن : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، ت : ٦٧٦هـ ، حقق وعلق عليه محمد الحجار ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٣٩- التبيان في أقسام القرآن : للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، (٦٩١-٧٥١هـ) ، علق عليه وصححه ، فؤاد أحمد زمري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٤٠- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : للمباركفوري أبي العلي محمد عبد الرحمن ، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه : عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

- ٤١ - التداوي بالأعشاب : طريقة علمية تشمل الحديث والقديم ، الطبعة السابعة ،
مزيدة ومنقحة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .
- ٤٢ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر
الأنصاري القرطبي ، المتوفى سنة ٦٧١ هـ ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
- ٤٣ - تصنيف آيات القرآن الكريم : تقديم : محمد محمود إسماعيل ، ١٤٢٣ هـ / ١٩٩٣ م ،
دار اللواء ، الرياض .
- ٤٤ - تفسير الآيات الكونية : د/ عبدالله شحاته، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع،
الطبعة: سنة ١٩٨٠ م ، القاهرة .
- ٤٥ - تفسير الآيات الكونية : عبد المنعم السيد عشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
الطبعة ١٩٨٥ م.
- ٤٦ - تفسير البغوي: المسمى معالم التنزيل: للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
المتوفى سنة ٥١٦ هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م،
دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .
- ٤٧ - تفسير التحرير والتنوير ، للأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مصور .
- ٤٨ - التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد/ الطبعة الثالثة،
الناشر دار المعارف، القاهرة .
- ٤٩ - التفسير العلمي للقرآن في الميزان: رسالة دكتوراه أحمد عمر أبو حجر، دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

- ٥٠- تفسير القاسمي: المسمى محاسن التأويل: علامة الشام / محمد جمال الدين القاسمي، متوفى سنة ١٣٢٢هـ تحقيق الأستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .
- ٥١- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٩٣م ، بيروت ، لبنان .
- ٥٢- تفسير القرآن العظيم : الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م ، بيروت ، لبنان .
- ٥٣- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي : المسمى مفاتيح الغيب، المطبعة البهية المصرية ، تصوير / دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ٥٤- تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي ، مطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٥٥- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : أ.د. وهبة الزحيلي ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان .
- ٥٦- التفسير الواضح : د. محمد محمود حجازي ، الطبعة العاشرة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان .
- ٥٧- تفسير سورة النور : تقي الدين أحمد عبد الحليم ابن تيمية ، (٦٦١هـ-٧٢٨هـ) ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت .
- ٥٨- تفسير غريب القرآن : لابن الملتن الحافظ العلامة أبو حفص عمر بن أبي الحسن ، تحقيق : سمير طه المجذوب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

- ٥٩- تفسير غريب القرآن : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، دار الكتب العلمية .
- ٦٠- التفسير والمفسرون : د. محمد حسين الذهبي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، مكتبة وهبة ، المطبعة الفنية ، القاهرة .
- ٦١- تهذيب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٦هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر أباد الدكن ، الهند .
- ٦٢- التيسير في قواعد علم التفسير : محمد بن سليمان الكافيجي ، دراسة وتحقيق : ناصر محمد المطرودي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، دار القلم للطباعة والنشر ، دمشق .
- ٦٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر .
- ٦٤- الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد أحمد الأنصاري القرطبي ٨٧١هـ / ١٢٧٣م ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٦٥- الجغرافيا القرآنية : برهان خارق على عظمة الخالق : فوزي حميد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، دار الصفدي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا .
- ٦٦- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : شيخ الإسلام ابن تيمية ، الناشر : مطابع المجد التجارية . والمقدمة بقلم : علي صبح المدني .

- ٦٧- جواهر القرآن : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩م ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- ٦٨- الجواهر في تفسير القرآن : طنطاوي جوهري ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٦٩- حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن: محمد علي الصابوني، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا .
- ٧٠- حقائق علمية في القرآن والسنة بهرت العالم : ورقات للتعريف برسالة الإعجاز ، صادرة عن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، طبعة رابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة .
- ٧١- الحكمة من مخلوقات الله : أبو حامد الطوسي ، تحقيق الدكتور : محمد رشيد قبا ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . طبعة دار إحياء العلم ، بيروت ، لبنان .
- ٧٢- الحيوان - خواصه وحقوقه في الإسلام: محمد الزبيق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، دار القلم ، دمشق .
- ٧٣- الدر المنثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- ٧٤- الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ قدم له مجدي فتحي السيد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، طبعة دار الصاحبة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع ، مصر .
- ٧٥- ذيل مرآة الزمان : الشيخ قطب الدين موسى محمد اليونيني المتوفى سنة ٧٢٦هـ ، الناشر دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

- ٧٦- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : أبو الفضل محمود الألوسي ت ١٢٧٠هـ
إدارة الطباعة المنيرية ، دار التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٧٧- الريح : لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ت ٣٧٠هـ ، تحقيق الدكتور :
حسين محمد محمد شرف ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ٧٨- زاد المسير في علم التفسير : للإمام عبدالرحمن بن علي الجوزي ٥٠٨-٥٩٧هـ ، المكتب
الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٧٩- الزلزال الكوني الأعظم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم : الدكتور عبد العليم
عبد الرحمن خضر ، الطبعة الأولى / ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ،
الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة .
- ٨٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة : الشيخ ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ،
لبنان ، دار النشر المكتبة الإسلامية ، الأردن ، طبعة سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٨١- سننهم آياتنا : عدنان السبيعي ، قدم له : الأستاذ / زهير الصابوني ، والدكتور :
وهبة الزحيلي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، دار القلم للطباعة
والنشر والتوزيع ، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق _ بيروت .
- ٨٢- سنن ابن ماجه : الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، حقق نصوصه ورقم
كتبه وأبوابه وأحاديثه ، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ،
مطبعة دار (إحياء الكتب العربية) .
- ٨٣- سنن النسائي : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ،
تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الثالثة المصورة ، ١٤١٩هـ / ١٩٨٨م ،
دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

- ٨٤- السيرة النبوية : ابن هشام أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيوب الحميري ، الطبعة الثانية ، ١١٣٧هـ / ١٩٩٥م ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٨٥- شرح العقيدة الطحاوية : القاضي علي بن علي بن أبي العز الدمشقي ، المتوفى ٧٩٢هـ حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- ٨٦- شرح النووي على صحيح مسلم : الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٨٧- شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية : تأليف الإمام يحيى شرف الدين النووي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- ٨٨- شعب الإيمان : أبو بكر أحمد الحسين البيهقي ، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٨٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضي أبي الفضيل عياض بن مسعود بن عياض اليحصبي ، ٤٦٧هـ - ٥٤٤هـ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة .
- ٩٠- صحيح ابن حبان : الإحسان تقريب صحيح ابن حبان : الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، توفي سنة ، ٧٣٩هـ ، حققه وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ، طبعة سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- ٩١- صحيح ابن خزيمة : أبو بكر محمد إسحاق ابن خزيمة السلمي النيسابوري ، ٢٢٣هـ - ٣١١هـ ، حققه وعلق عليه ، د. محمد مصطفى الأعظمي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ .
- ٩٢- صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، طبعة ١٩٧٩م ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول ، تركيا .
- ٩٣- صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند : تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، إشراف : زهير الشاويش ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٩٤- صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦هـ - ٢٦١هـ ، تحقيق : فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٩٥- الطب النبوي : ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور : عبد المعطي أمين قلعجي ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٤هـ ، دار الوعي ، حلب ، سوريا .
- ٩٦- طببك معك : للدكتور صبري القباني ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٧٥م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .
- ٩٧- الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن : عبد العليم عبد الرحمن خضر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٧٨م .
- ٩٨- عالم الحيوان بن العلم والقرآن : محمد محمود عبد الله ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، دار الرشيد ، دمشق .
- ٩٩- عجائب الحياة في الماء : كنعان فهد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .

- ١٠٠- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات : زكريا محمد محمود القزويني ،
٦٠٠هـ - ٦٨٢هـ ، المكتبة الأموية .
- ١٠١- عطاء بن أبي رباح وجهوده في التفسير : عبد الواحد بكر عابد ، رسالة ماجستير ،
١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
- ١٠٢- العقيدة الواسطية : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، شركة مكتبات عكاظ للنشر
والتوزيع ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، جدة .
- ١٠٣- علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة : إصدار المجلس الأعلى العالمي للمساجد ،
هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
- ١٠٤- علم الحيوان العام لطلبة الجامعات والمعاهد العليا : فؤاد خليل ،
محمد رشاد الطوبي ، أحمد حماد الحسيني ، محمود حافظ ، عطا الله الدويطي ،
دار المعارف ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٦م .
- ١٠٥- علم الفلك ، نجوم الفصول للكشاف : حسين أحمد سليم ، الطبعة الأولى ،
١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، نشر الدار العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان .
- ١٠٦- علم الفلك مفاهيمه وأأسسه : علي موسى ، مخلص الرئيس ، الطبعة الثالثة ،
١٩٩٣م ، مطبعة جوهرة الشام ، دمشق ، سوريا .
- ١٠٧- علوم الأجنة العلمي للفقاريات : إبراهيم حسين عبد الغني ، الدكتور صالح عبد
العزيز كريم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، دار المجتمع للنشر والتوزيع .
- ١٠٨- العلوم الطبيعية في القرآن : يوسف مروة ، الطبعة الأولى ، منشورات مروة العلمية ،
١٩٨٧هـ / ١٩٦٨م ، مطابع الوفاء ، بيروت .

- ١٠٩ - العلوم في القرآن : محمد جميل الحبال ، مقداد مرعي الجواري ، تقديم : عماد الدين خليل ، الطبعة الأولى ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- ١١٠ - على مائدة الفكر الإسلامي : محمد متولي الشعراوي ، طبعة دار العودة ، بيروت ، لبنان .
- ١١١ - عون المعبود شرح سنن أبي داود : للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ، ضبط وتحقيق : عبد الرحمن عثمان ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- ١١٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ .
- ١١٣ - فتح القدير : الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ت ١٢٥٠هـ ، الناشر محفوظ العلي ، بيروت ، لبنان .
- ١١٤ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، مراجعة وتعليق الشيخ عبد العزيز بن باز ، طبعة دار الفكر ، الطبعة السابعة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، بيروت ، لبنان .
- ١١٥ - الفلك وعلاقته بالعقيدة في الكتاب والسنة : عبد الله محمد سعيد الأنصاري ، رسالة ماجستير ، عام ١٤١١هـ ، جامعة أم القرى .
- ١١٦ - الفوائد : الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تقديم وتحقيق : محمد عثمان الخشن ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١١٧- الفيزياء ١، ٢ : تأليف ل.ف. تاراسون، ترجمة المهندس حسن حميد ، إصدار دار المعارف السوفيتية، موسكو، طباعة الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

١١٨- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : للفقهاء المفسر الجامع الحسيني بن محمد الدامغاني ، حققه ورتبه وأكملاه وأصلحه : عبد العزيز سيد الأهدل، الطبعة الرابعة ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

١١٩- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، طباعة دار الفكر ، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٢٠- القرآن للعلوم الفلكية واستكشاف الأرض من الفضاء : دراسة للدكتور سيد وقار أحمد حسين ، قدم له الدكتور محمود عكام ، جامعة حلب ، سوريا ، ترجمة سمية زيتوني ، سوريا ، مراجعة عبد الباسط إبراهيم، سوريا، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧م، مطبعة بهارات أفيست ، دلهي، الهند.

١٢١- القرآن وإعجازه العلمي : محمد إسماعيل إبراهيم ، ملتزم الطبع والنشر ، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة ، ١٩٧٧م ، القاهرة .

١٢٢- القرآن والطب: أحمد محمد سليمان، الطبعة الخامسة، عام ١٩٨١م، دار العودة، بيروت.

١٢٣- القرآن وعالم الحيوان : الدكتور عبد الرحمن حامد ، دار السودانية للكتب ، الخرطوم .

١٢٤- القرآن وعلوم العصر الحديث : إبراهيم فواز عراجي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، طبعة دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

- ١٢٥- قصص القرآن : تأليف محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل ، السيد شحاتة ، الطبعة العاشرة ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، فيها زيادة قصص وضبط وشرح وتعليق ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- ١٢٦- القلب ووظائفه في الكتاب و السنة: سليمان زيد سلمان اليماني، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٢٧- القمر في الطبيعة : صلاح الدين أبو العينين ، الناشر شمس الفكر، مدينة نصر ، القاهرة.
- ١٢٨- القيامة بين العلم والقرآن : الدكتور داود سليمان السعدي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- ١٢٩- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار : للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي شيبه ، تقديم وضبط كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، دار التاج، بيروت، لبنان .
- ١٣٠- كل شيء عن الكهرباء : إيرام فروسمان ، ترجمة كرم كامل إبراهيم ، مراجعة الدكتور محمد صابر سليم ، دار المعارف .
- ١٣١- الكون والإعجاز العلمي للقرآن : للدكتور منصور محمد حسب النبي ، الطبعة الثانية، ١٩٩١م ، ملتزم الطبع والنشر ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- ١٣٢- الكون والإنسان بين العلم والقرآن : بسام فضة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، اليامة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- ١٣٣- الله والعلم والحديث : عبد الرزاق نوفل ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- ١٣٤ - الله والكون : للدكتور محمد جمال الدين الفندي ، طباعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ م .
- ١٣٥ - الماء .. سائل الحياة : مهندس جمال عبد المنعم الكومي ، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دار النصر للطباعة الإسلامية ١٩٩٠ م .
- ١٣٦ - الماء والحياة بين العلم والقرآن: د/ عبدالعليم عبدالرحمن خضر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جده.
- ١٣٧ - مباحث في علوم القرآن : مناع خليل القطان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ هـ / ١٩٨٨ م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .
- ١٣٨ - مجلة الإعجاز : مجلة علمية متخصصة تصدرها هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة .
- ١٣٩ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام : جمع وترتيب عبد الرحمن محمد قاسم وساعده ابنه محمد، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ، ١٤٠٤ هـ .
- ١٤٠ - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف ، والدكتور إسماعيل شلبي ، طبع لجنة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وإحياء التراث الإسلامي بالقاهرة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٦٩ م .
- ١٤١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ١٤٢ - محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم : للدكتور فريد مصطفى سليمان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، الناشر مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

١٤٣ - محيط العلم : كتب فصوله : نخبة من العلماء ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م ، ملتزم الطبع والنشر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

١٤٤ - مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، عنيت بضبط هذه الطبعة وتصحيحها السيدة سميرة خلف المولى ، المركز العربي للثقافة والعلوم طباعة ونشر وتوزيع ، بيروت ، لبنان .

١٤٥ - مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) : ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، الناشر دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، بيروت ، لبنان .

١٤٦ - المدخل إلى الشكل الظاهري والتشريح للنبات : إعداد الدكتور إبراهيم عبد الحميد إسماعيل ، ١٩٩٥ م ، مطبعة الإوفست ، ميدان صلاح الدين ، مصر الجديدة ، القاهرة .

١٤٧ - مدخل إلى علوم القرآن عرض تاريخي وتحليلي مقارنة : للدكتور محمد عبد الله داز ، ترجمة محمد عبد العظيم علي ، مراجعة الدكتور السيد محمد بدوي ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، طباعة دار القلم ، الكويت .

١٤٨ - المستدرك على الصحيحين : للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التخليص للحافظ الذهبي ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، دار صادر ، تصوير عن المطبعة الميمنية بمصر شهر جمادى الثاني سنة ١٣١٣ هـ .

١٤٩ - مسند الإمام أحمد بن حنبل : وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقال والأفعال ، طباعة المكتب الإعلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

- ١٥٠ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار : للحافظ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ، سنة ١٣٣٣هـ ، طبع ونشر المكتبة العتيقة ، تونس ، دار التراث ، القاهرة .
- ١٥١ - المصنف : للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ١٢٥هـ - ٢١١هـ ، تحقيق: حبيب الأعظمي ، توزيع المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .
- ١٥٢ - معالم القرآن في عوالم الأكوان : الشيخ أحمد محمي الدين العجوز ، مؤسسة دار الندوة الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، بيروت ، لبنان .
- ١٥٣ - معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى بن زيادة الفراء ، تحقيق محمد علي النجار ، أحمد يوسف نجاتي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .
- ١٥٤ - معجزة القرآن : للشيخ محمد متولي الشعراوي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
- ١٥٥ - معجزة القرآن : نعمت صدقي ، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧١م ، القاهرة .
- ١٥٦ - المعجزة والإعجاز في سورة النمل : عبد الحميد محمود طههاز ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ودار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
- ١٥٧ - معجم البلدان : ياقوت الحموي ، ت ٦٢٦هـ ، طبعة إحياء التراث ، توزيع دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
- ١٥٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٥٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية اهل العلم والإرادة : للعلامة شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، قدم له وضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ، راجعه الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، درا بن عفان للنشر والتوزيع ، الخبر ، المملكة العربية السعودية .

١٦٠- المفردات في غريب القرآن : لأبي القاسم الحسيني محمد بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ٥٠٢هـ ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، طباعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٨١م .

١٦١- مقدمة ابن خلدون : العلامة عبد الرحمن بن حمد بن خلدون ، دار الجليل ، مؤسسة خليفة للطباعة ، بيروت ، لبنان .

١٦٢- مقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، تحقيق : د/ عدنان زرزور ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ، طباعة دار القرآن الكريم ، الكويت ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

١٦٣- من أسرار الكون في القرآن : د. داود سلمان السعدي الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

١٦٤- من اعلام الزيتونة (شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور (حياته وآثاره): للدكتور بلقاسم الغالي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

١٦٥- من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية ، أ.د. حسين أبو العينين ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، الناشر: مكتبة العبيكان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- ١٦٦- من علم الفلك القرآني الثوابت العلمية في القرآن الكريم : للدكتور عدنان الشريف، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م ، مؤسسة دار العلم للملايين .
- ١٦٧- من علوم الأرض القرآنية / الثوابت العلمية في القرآن الكريم: د. عدنان الشريف، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين للترجمة والتأليف الطبعة : يوليو ١٩٩٤م.
- ١٦٨- مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ، الطبعة الثالثة ، ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ١٦٩- المنتخب في تفسير القرآن الكريم : للشيخ محمد متولي الشعراوي ، منشورات دار النصب، بيروت .
- ١٧٠- المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم : للدكتور عبد العليم عبدالرحمن خضر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٧م ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .
- ١٧١- الموافقات في أصول الشريعة : أبو إسحاق الشاطبي ، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، تحقيق عبد الله دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- ١٧٢- موسوعة (مافرطنا في الكتاب من شيء) : إعداد نخبة من علماء الفكر الإسلامي المعاصر، إشراف الدكتور منصور حسب النبي ، طبع عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م ، دار الفكر اللبناني ، بيروت .
- ١٧٣- موسوعة عالم الحيوان: إعداد / ألفانا مصطفى حمود، إشراف : د. محمد حمود، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م، لدار الفكر اللبناني، بيروت.
- ١٧٤- موسوعة عالم النبات : إعداد الفانا مصطفى حمود ، إشراف الدكتور محمد حمود ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧م ، دار الفكر اللبناني ، بيروت .

١٧٥ - الموطأ : لإمام الأئمة وعالم المدينة : مالك بن أنس رحمته الله ، طباعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركائه ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه ، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي .

١٧٦ - النبات العام : تأليف دكتور مصطفى عبد العزيز ، دكتور أحمد محمد مجاهد ، دكتور أحمد الباز يونس ، دكتور عبد الرحمن أمين ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السادسة، ١٩٨٦ م.

١٧٧ - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي ت: ٥٩٧هـ، دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

١٧٨ - النكت والعيون : لأبي الحسن علي بن حبيب المارودي البصري ٣٦٤هـ - ٤٥٠هـ ، حققه : خضر محمد خضر ، راجعه الدكتور عبد الستار أبو غدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م . الناشر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت ، مطبعة مقهوي، الكويت .

١٧٩ - نماذج عن الورد والطيب في الحضارة الإسلامية وصناعة ماء الورد الطائفي : للدكتور سليمان بن صالح آل كمال ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، دار الحارثي للطباعة والنشر ، الطائف ، المملكة العربية السعودية .

١٨٠ - الله يتجلى في عصر العلم : لنبذة منا لعلماء الأمريكيين، ترجمة د. الدمرداش عبد الحميد سرحان، راجعه وعلق عليه د. محمد جمال الدين الفندي، دار القلم، بيروت، لبنان.

- ١٨١- هذه البحار والمحيطات : أعجب وأطرف وأغرب ما فيها : إبراهيم حلمي الغوري، دار الشروق العربي ، بيروت ، لبنان ، مطابع المنطقة الحرة ، حلب ، سوريا .
- ١٨٢- هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم : للدكتور عبد العليم خضر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، طباعة تهامة للنشر .
- ١٨٣- الهندسة الوراثية وتكوين الأجنة : الحقيقة والمستقبل : تأليف الدكتور صالح عبدالعزيز كريم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٩٤م ، طباعة دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، الخبر ، المدينة ، المملكة العربية السعودية .
- ١٨٤- الوحي المحمدي : محمد رشيد رضا ، الطبعة التاسعة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- المقدمة	٥
- أسباب إختيار موضوع البحث وأهميته	٩+٦
- الخطة والمنهج في البحث	١٠
- شكر وتقدير	١١
الباب الأول : التفسير العلمي لآيات الكون.....	١٢
الفصل الأول : التفسير العلمي بين المعارضين والمؤيدين.....	١٢
الفصل الثاني : دعوة القرآن إلى العلم والإيمان	١٢
الفصل الأول : التفسير العلمي بين المعارضين والمؤيدين وفيه ثلاثة مباحث	١٢
- تمهيد	١٣
المعنى العام والخاص للفظ الآية والآيات الكونية في القرآن الكريم	
ومعنى الكون.....	١٥
- المعنى العام لآيات القرآن وآيات الكون	١٦
- السور المكية والمدنية	١٨
- معنى الكون العام وفي الإصطلاح	٢٠
- العصر العلمي وأجهزة العصر	٢٢

الموضوع	الصفحة
ع	
- ما مدى الحاجة إلى التفسير العلمي وصلته بإعجاز القرآن الكريم	٢٥
- التفسير العلمي وإعجاز القرآن الكريم	٢٦
المبحث الأول : أدلة المعارضين للتفسير العلمي	٢٩
- مناقشة آراء وأدلة المعارضين للتفسير العلمي	٤٠+٣٠
المبحث الثاني : أدلة المؤيدين للتفسير العلمي	٤٣
- تأصيل العلماء لملامح التفسير في أقوالهم	٤٣
- ثمرة قبول التفسير العلمي	٤٦
- ملامح التفسير العلمي قديمة أشار إليها العلماء	
وجملة أدلة المؤيدين للتفسير العلمي	٤٦
- أقوال المؤيدين للتفسير قديماً وحديثاً	٤٧
- قول أبي حامد الغزالي	٤٧
- قول الفخر الرازي	٤٩
- قول أبي زكريا محمد القزويني	٥٢
- قول ابن قيم الجوزية ، وقول الزركشي	٥٥ + ٥٤
- قول السيوطي	٥٧
- بعض أقوال المؤيدين للتفسير العلمي من الكتّاب المعاصرين	٥٨

الصفحة

الموضوع

- ٥٨ - قول مصطفى صادق الرافعي
- ٦٠ - قول الدكتور محمد عبد الله دراز
- ٦٢ - قول الشيخ محمد متولي الشعراوي
- ٦٥ - قول الدكتور كارم السيد غنيم
- ٦٦ - المبحث الثالث : ضوابط قبول التفسير العلمي
- ٦٧ - شروط أهلية المفسر للتفسير
- ٦٩ - تلخيص ضوابط قبول التفسير العلمي
- ٧٥ - الفصل الثاني : دعوة القرآن إلى العلم والإيمان وفيه ثلاثة مباحث
- ٧٦ - المبحث الأول : فضل العلم والعلماء
- قول ابن قيم الجوزية في فضل العلم وشرف التفكير والتدبر في كتاب الله تعالى
- ٧٨ - الذي هو المصدر الأول لهذا العلم
- ٨٠ - ضوابط وأصول العلم الذي يدعو إليه الإسلام
- ٨٣ - المبحث الثاني : مقاصد القرآن الكريم من خلال آيات الكون
- ٨٤ - التبصرة والتذكرة طريق الإيمان ودليل عليه
- ٨٦ - التذكرة في القرآن الكريم تركز على أربع نقاط
- ٨٦ - التذكرة بالإيمان والقرآن وبصدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

الصفحة

الموضوع

- ٩٢ - التذكرة بالنظر في خلق الكون ونظامه ومعنى الفكر والنظر في القرآن
- ٩٤ - ذكر أهل التفسير أن (النظر) على أربعة أوجه
- ٩٧ - مقر العقل والفكر وصلته بالروح وقول ابن تيمية
- ١٠٠ - من مقاصد النظر والتفكر في نظام الكون وسننه
- ١٠٢ - التذكرة بالتبصرة في خلق النفس وتسويتها
- ١٠٩ - التذكرة بالبعث والجزاء بعد الموت
- ١١٦ - المقصد الثاني : ثبوت الحجة على الكافرين
- المبحث الثالث : خصائص منهج القرآن الكريم ومقاصده من خلال آيات الكون
- ١٢٠ وخصائص المنهج في سبعة مقاصد.....
- ١٢٠ - المقصد الأول : توثيق صلة العبد بربه وبلقائه
- ١٢٣ - المقصد الثاني : علم الله تعالى بكل شيء وقدرته سبحانه على كل شيء
- ١٢٦ - المقصد الثالث : الإشارة إلى الذكورة والأنوثة والزوجية في الخلق
- المقصد الرابع : إشارة القرآن الكريم إلى دقة نظام الحركة الدائبة
- ١٢٧ في الكون لأجل مسمى
- المقصد الخامس : إشارة القرآن الكريم إلى كليات العلوم وأصول المسائل
- ١٢٩ وترك للعقل البشري البحث عن الجزئيات

الموضوع	الصفحة
- المقصد السادس : إشارة القرآن الكريم إلى اضطراب الكون وسننه	١٣١
- المقصد السابع : وحدة النظام في الكون دليل على وحدانية الله تعالى	١٣٤
الباب الثاني : مناهج المفسرين في بيان آيات الكون	١٣٦
الفصل الأول : السماء وما فيها	١٣٨
الفصل الثاني : ما بين السماء والأرض	١٣٨
الفصل الأول : السماء ومن فيها وفيه أربعة مباحث	١٣٨
المبحث الأول : السماء	١٣٨
- كانت السماء دخان وأقوال المفسرين في معنى الدخان	١٤٢
- منهج المفسرين في بيان معنى الدخان	١٤٧
منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾	
[الأنبياء : ٣٠]	١٥٣+١٤٩
- التعليق على منهج المفسرين بعد النظر في أقوالهم	١٥٩
- الآيات التي ذكرت في لفظ السماء والسموات	١٦١
المبحث الثاني : الشمس	١٨٨
الشمس تسجد تحت العرش	١٩٣

الصفحة

الموضوع

- أقوال المفسرين وغيرهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨] ١٩٣
- منهج المفسرين في بيان قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨] ١٩٨
- القول بالمعنى في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨] ٢٠٠
- بعد النظر في أقوال المفسرين ٢٠١
- الآيات المكية التي ذكرت فيها لفظ (الشمس) ٢٠٤
- المبحث الثالث : القمر ٢٠٩
- أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] ٢١٥
- منهج المفسرين في بيان قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] ٢١٧
- بيان معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] ٢١٧
- بعد النظر في أقوال المفسرين ٢٢١
- الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ (القمر) ٢٢١
- المبحث الرابع : النجوم والكواكب ٢٢٣
- معرفة الإنسان للنجوم والفرق بين النجوم والكواكب ٢٢٣

الصفحة

الموضوع

- أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) ٢٢٦
- وَلِإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْعَمُونَ عَظِيمٌ ﴿ [الواقعة : ٧٥-٧٦] .
- منهج المفسرين في بيان قوله تعالى: ﴿فَلِأَنَّهُ أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) ٢٣٤
- وَلِإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْعَمُونَ عَظِيمٌ ﴿ [الواقعة : ٧٥-٧٦] .
- وجه المناسبة بين ذكر النجوم والمقسم عليه وهو القرآن الكريم ٢٣٧
- الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ (النجم) ولفظ (النجوم) و (الكواكب) ... ٢٣٨
- الفصل الثاني : ما بين السماء والأرض وفيه ثلاثة مباحث ٢٤٠
- المبحث الأول : الرياح ٢٤١
- الحديث عن الهواء وتركيب الهواء ٢٤٥+٢٤١
- عرض أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿وَصَرِيفَ الرِّيحِ﴾ [البقرة : ١٦٤] ٢٤٧
- منهج المفسرين في بيان قوله تعالى: ﴿وَصَرِيفَ الرِّيحِ﴾ [البقرة : ١٦٤] ٢٥٥
- بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَصَرِيفَ الرِّيحِ﴾ [البقرة : ١٦٤]
- بعد النظر في أقوال المفسرين يمكن القول ٢٥٧
- الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ (ريح) ولفظ (رياح) و (ريحا) ٢٥٧
- المبحث الثاني : السحاب وماء المطر ٢٦١
- أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرِجُ مِنْ خِلَالِهِ ..﴾ [النور : ٤٣] ٢٦٣

الصفحة

الموضوع

- ٢٧٣ - فيزياء السحاب .
- ٢٧٥ - منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ .. ﴾ [النور : ٤٣] ..
- ٢٧٦ - بيان معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ .. ﴾ [النور : ٤٣] بعد النظر في أقوال المفسرين ..
- ٢٧٨ - الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ (السحاب) ولفظ (سحاباً) و (سحاب) ...
- ٢٨٠ المبحث الثالث : البرق والرعد والصواعق والبرد ..
- ٢٨١ - من التفسيرات العلمية للبرد والرعد والصواعق ..
- - أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى :
- ٢٨٢ ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ .. ﴾ [الرعد : ١٢-١٣]
- - منهج المفسرين في بيان قوله تعالى :
- ٢٩٢ ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ .. ﴾ [الرعد : ١٢-١٣] ..
- - بيان معنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ .. ﴾ [الرعد : ١٢-١٣] بعد النظر في أقوال المفسرين ..
- ٢٩٥ - الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ (البرق) ولفظ (الصاعقة) ولفظ (رعد)
- ٢٩٨ ولفظ (برد) ..

الصفحة

الموضوع

- الباب الثالث : مناهج المفسرين في بيان المدخرات الطبيعية وظواهرها..... ٣٠٠
- الفصل الأول : المدخرات الطبيعية..... ٣٠١
- الفصل الثاني : من الظواهر الطبيعية..... ٣٠١
- الفصل الأول : المدخرات الطبيعية وفيه ثلاثة مباحث..... ٣٠١
- المبحث الأول : الأرض..... ٣٠٢
- آيات عن الأرض وذكر أهل التفسير أن (الأرض) على سبعة عشر وجهاً..... ٣٠٣
- الحديث عن الأرض والسبع الأرضون في نفس الأرض..... ٣٠٥
- ذكر أهل التفسير أن (اليوم) في القرآن على ستة أوجه..... ٣١٢
- أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى :
- ﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ... ﴾ [فصلت : ٩-١٠]..... ٣١٣
- مناهج المفسرين في بيان قوله تعالى :
- ﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت : ٩-١٠]..... ٣٢٤
- عرض أقوال المفسرين في بيان قوله تعالى :
- ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاجَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [فصلت : ١٠]..... ٣٢٧
- مناهج المفسرين في بيان قوله تعالى :
- ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاجَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [فصلت : ١٠]..... ٣٣٣

الصفحة

الموضوع

- معنى قوله تعالى : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴾ [فصلت : ١٠] ٣٣٤
- وبعد النظر في أقوال المفسرين يمكن القول ٣٣٤
- الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ (الأرض) ولفظ (الأرض)
- ولفظ (الأرض) ٣٣٦
- المبحث الثاني : الجبال ٣٧٣
- أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] ٣٨١
- منهج المفسرين في بيان قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ ٣٩١
- صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ لِنَاهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٣٩١
- الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ (الجبل) ولفظ (الجبال) ٣٩٤
- المبحث الثالث : البحار والأنهار ٣٩٨
- البحر في الإصطلاح العلمي وتصنيف مياه البحار والمحيطات
- والماء سر الحياة ٤٠٤
- فوائد اختلاف نسبة الملوحة وطبيعة مياه البحار والأنهار ٤٠٦
- الحديث عن الأنهار وذكر الأنهار في القرآن الكريم ومنافع الأنهار وفوائدها
- وأهم الأنهار في العالم ٤٠٧

الصفحة

الموضوع

- أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣] ٤١٥
- منهج المفسرين في بيان قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣] ٤٢١
- معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣] بعد النظر في أقوال المفسرين ٤٢١
- الحقيقة في القرآن الكريم ٤٢٣
- الآيات الكريمة التي ذكر فيها لفظ (بحر) ولفظ (البحرين) ولفظ (البحار) ولفظ (نهر والأنهار) ٤٢٥
- الفصل الثاني : من الظواهر الطبيعية وفيه أربعة مباحث ٤٣٢
- المبحث الأول : المنافع والحكم من خلق الليل والنهار ٤٣٣
- عرض أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ أَيْلًا عَلَى النَّهَارِ﴾ ٤٤٠
- منهج المفسرين في بيان قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ أَيْلًا عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى أَيْلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الزمر: ٥] ٤٥١
- معنى الآية الكريمة: ﴿يُكَوِّرُ أَيْلًا عَلَى النَّهَارِ﴾ [الزمر: ٥]

الصفحة

الموضوع

- ٤٥١ بعد النظر في أقوال المفسرين
- ٤٥٧ - الآيات الكريمة التي ذكر فيها (الليل والنهار) .
- ٤٦٩ المبحث الثاني : الدواب والطيور
- ٤٦٩ - لمحة عن عالم الحيوان .
- ٤٧٠ - معنى (الدابة) ومعنى (الطير) في أوجه من المعاني عند بعض أهل التفسير
- ٤٧٦ - آيات كريمة تدعو إلى التأمل في الدواب والطيور
- ٤٧٧ - من أوجه النظر والاعتبار في خلق الدواب والطيور وأقسام الحيوان وأنواعه ...
- ٤٩٦ - بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالحيوان .
- ٤٩٧ - بعض أسماء الحيوان المذكورة في القرآن الكريم
- - عرض أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلِخَيْلٍ وَلِإِبْغَالٍ وَالْحَمِيرَ لِيَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨]
- ٥٠٠ - منهج المفسرين وغيرهم في بيان قوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] .
- ٥٠٤ - معنى قوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨]
- ٥٠٧ بعد النظر في أقوال المفسرين وغيرهم
- ٥٠٩ - الآيات الكريمة التي ذكرت فيها الدواب والطيور وما يلحق به

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث : النبات والحِث	٥١٥
- لمحة عن عالم النبات .	٥١٥
- ذكر أهل التفسير أن الحِث في القرآن على ثلاثة أوجه وكذلك النبات.....	٥١٥+٥١٦
- الحديث عن جذور النبات وطبيعة النبات وخصائصه .	٥١٧
- من فوائد النبات ومنافعه وبعض أوجه النظر والاعتبار	
في خلق النبات ودوره	٥٢٠+٥٢٢
- عرض أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر : ١٩].....	٥٤٧
- منهج المفسرين في بيان قوله تعالى :	
﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر : ١٩]	
ومعنى لفظ (موزون) بعد النظر في أقوال المفسرين	٥٥٢+٥٥٣
- بعض ثمرات الأرض التي ذكرت في القرآن الكريم	٥٥٤
- الآيات الكريمة التي ذكر فيها النبات والحِث وما يلحق به	٥٥٤
المبحث الرابع : الزلازل والبراكين	٥٦٦
- الزلازل والحديث عنها	٥٧٠
- ذكر بعض الأمثلة لحوادث الزلازل في العالم	٥٧١+٥٧٨

- عرض أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى : ﴿ءَأْمَنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ
الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك : ١٦]..... ٥٨٠
- منهج المفسرين وغيرهم في معنى قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك : ١٦] ٥٨٤
ومعنى الآية بعد النظر في أقوال المفسرين
- البراكين والحديث عنها ٥٨٧
- مواقع البراكين في العالم مع ذكر لبعض البراكين في العالم ٥٩٧+٥٩٥
- عرض بعض أقوال المفسرين وغيرهم في معنى قوله تعالى :
﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور : ٦] ٥٩٨
- منهج المفسرين في معنى قوله تعالى : ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور : ٦] .
- ومعنى الآية الكريمة بعد النظر في أقوال المفسرين ٦٠٣+٦٠٢
- ذكر الآيات الكريمة التي ذكر فيها الخسف والزلازل ٦٠٦
- نتائج البحث ٦٠٨
- خصائص منهج القرآن الكريم ومقاصده من خلال آيات الكون ٦٠٩
- مناهج المفسرين في بيان الآيات الكونية ٦٢٢
- التوصيات ٦٢٦
- فهرس الأحاديث والآثار ٦٣٠

الصفحة

الموضوع

- ٦٣٦ - فهرس الأعلام .
- ٦٣٩ - المصادر والمراجع .
- ٦٦٣ - فهرس الموضوعات .
- ٦٧٨ - المؤلف في سطور .



المؤلف في سطور :

- ١- حصل على الشهادة الابتدائية عام ١٣٨٦هـ من المدرسة العزيزية بالطائف .
- ٢- حصل على الشهادة الثانوية من دارالتوحيد بالطائف عام ١٣٩٢هـ
- ٣- حصل درجة البكالوريوس في الكتاب والسنة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٣٩٦هـ
- ٤- حصل على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤١٢هـ
- ٥- حصل على درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية عام ١٤٢١هـ من جامعة الزيتونة في تونس (المعهد الأعلى لأصول الدين) .

للتواصل مع المؤلف

٠٥٠٤٧٢٨٥٣٧